

الدكتور كمال السامرائي



# حديث الشماعين

الجزء الثاني

وزارة الثقافة والاعلام



دار الوثائق الثقافية العامة

بغداد ١٩٩٦

# حديث الثمانين سيرة وذكریات

الجزء الثاني

د . كمال السامرائي

٩٢٦/١

س ٢٨٤ السامرائي، كمال  
حديث الثمانين سيرة وذكريات /  
كمال السامرائي . بغداد : دار الشؤون الثقافية  
العامه ، ١٩٩٦ .

ج-٢ ( ٣٥٢ ) ، ٢٤ سم .  
السامرائي ، كمال ( طبيب )  
١ . العنوان

٣٠٢  
١٩٩٦ / ٣٥٠

المكتبة الوطنية ( الفهرسة البناء النشر )  
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٣٥٠ لسنة ١٩٩٦ .

## ممارسة الطب بعد التخرج وأمور أخرى

عيادة في محلة القشل / ١٩٤١

كان من أصدقائي في سامراء في أيام صباى يهودي اسمه (طعمة صالح) وقد افترقنا حين التحق هو بدار المعلمين الابتدائية ، وبخلت أنا كلية الطب ببغداد . وتخرج هو معلماً بينما صرت أنا طبيباً . وكنت أعرف أبا طعمة عن طريق إبنه حين كنا في صف واحد بمدرسة سامراء الابتدائية . وصالح أبو طعمة من مواليد سامراء ، ويرتدي لباس أهلها من اليشماغ والعقال ، ويتكلم بلهجتهم فلا يعرفه أحد إلا أنه من المسلمين . وحين سحب إبنه طعمة الى العمارة حيث عين معلماً في مدرستها ، صار يُعرف هناك باسم (سيد صالح السامرائي) . ولما انتقل هو وابنه طعمة الى بغداد احتفظا بذلك اللقب نفسه والانتماء نفسه . وبطريقة ما صار سيد صالح (دلالاً) للدكتورين (داود نسيم) و (نور الله) فيمنحانه عشرة بالمائة مما يدفعه المريض لهما . وذات يوم تقابلت مع أبي طعمة في سوق الشورجة . وكنت قد اكملت توأ الإقامة في الشعبة النسائية بالمستشفى الملكي ، فلما علم مني ذلك بدا عليه كأنني انا الذي يبحث عن لقائه ، فقال لي

- ابني دكتور كمال ، انت الآن تقف على منجم ذهب ، وأنا أعلم الناس بما يحصل عليه الاطباء من المرضى ، فلماذا لاتفتح لك عيادة ؟ والخ يحرضني على تحقيق فكرته ، ونجح أخيراً باقناعي في تحقيقها ، وفوضت اليه امر ايجاد مكان العيادة . ولم يطل غيابه عني إلا بضعة أيام ثم جاءني الى المستشفى الملكي ، وبيده مفتاح يداوره بين أصابعها وهو يقول :

- وجدت لك محلاً مثالياً لاستقبال المرضى والسكن فيه أيضاً ، وقمّ المفتاح اليّ وهو يقول : وهذا هو مفتاح البيت . (واضاف) وقد تفاهمتم مع



صاحبه على أجار يدفع شهرياً . والبيت قريب من عيادة الدكتور داود نسيم والدكتور نور الله ، وهذه المنطقة قريبة من الشورجة ، ومزدحمة بالسكان ومن يأتي اليها من خارج بغداد . واستقرسل يقول : وأنا اعرف ما تحتاجه العيادة من أثاث ، وأعرف خطاطاً ساطلب منه ان يعمل لك لوحتين باسمك لرفع احداهما فوق باب البيت والاخرى تعلق من (البالقون) الذي يعلو باب البيت .

واقترح أبو طعمة ان يكون يوم الجمعة مجانا للفقراء لتعريف المرضى بني وبالمكان . وعملت بما إقترحه أبو طعمة . وما كنت أشكره بحرارة حتى أخرج من جيبه ورقة حساب ماصرفه لتأثيث العيادة ، ومقدم أجارها الاسبوعي ، ولم اكن اتوقع مبلغ ذلك الحساب ، ولا كان عندي نصفه ، ولا بد ان أبا طعمة أنك من قراءة وجهي استكبار ذلك المبلغ ، فقال لي - لا تهتم يا ابني ، فلما أعرف من يسلفنا هذا المبلغ بفائدة زهيدة لا تتعدى الخمسة عشر في المائة !

وبدأت اعمل في هذه العيادة ، فازدحم المرضى فيها في اول يوم جمعة ، ولم يدخلها حتى الجمعة التالية إلا مريضان . وكان المفروض ان يختص باستقبال المرضى من النساء فقط ، فلم أبال حين كان أحد المرضى من الرجال ، فنبذت فكرة الاختصاص حين رأيت المرضى يزحمون على باب عيادة الدكتور داود نسيم والدكتور نور الله ومرضاها خليط من الرجال والنساء ، ومن كل الاعمار . ويوماً ذكرت ذلك باستغراب لأبي طعمة فاجابني بلف ودوران : ان لكلا الطبييين اكثر من (دلال) واحد ، وهما يكرمانهم عشرة بالمائة عن الاجور التي ياخذانها من المرضى . وأضاف وهو نفسه (اي أبو طعمة) من أولئك الدالين ، وانه يحصل منهما يومياً على دينارين أو اكثر ، وفهمت حالا غرضه من هذا التلميح الذي أغاضني ، وكشف عن الكذب والحيل والسرقة مما إدعى انفاقه على تأثيث عيادتي ، فكرهته وفكرت حالاً في التخلص منه .

وبرجت اعمالي في العيادة ولكن بسرعة لم تقريني من طموحي . وارتأيت ان أطلب من أبي وامي ان يأتيا الى بغداد ويعيشا معي في البيت ، وجاءا فعلاً ، غير ان أبي بعد أيام قليلة لم يرتح الى حياة بغداد ، اذ لم يكن يعرف أحداً في منطقة بيتي ، وهو الذي عاش طيلة عمره بين أصحابه الكبار في مجالسهم حيث يسود فيها التحدث عن شؤون المدينة وأحداثها ، فقر

فجأة المودة الى سامراء . وبقيت أنا وحدي في البيت ومضى خادمي (خضير عباس) ويوما عرض على صديقي (نصرت عبد الحميد) ان يشاركني السكن في بوتي فرحبت به واستقبلته بشوق وأنا أشعر بفرح أنني استثمر أتعابي لأحد اصدقائي القريين جداً الى قلبي . وداومت اشتغل في عيادتي بنشاط ومتعة ، وصار جيبني لا يخلو من بعض الدنانير ، واستطعت ان اسلف صديقي (ربع) خمسة دنانير ، ثم عاد يطلب مني مبلغاً آخر ، فنقنته ما أراد بالاندفاع نفسه الذي أعطيته أول مرة . ونقل نصرت طبيباً الى الموصل فبقيت أنا وحدي في البيت وليس فيه إلا خادمي المخلص خضير . وبعد نحو شهر عدت صباحاً في يوم من شهر تموز بعد ليلة قضيتها خفيراً في المستشفى الملكي ، فوجدت خضير جالسا على عتبة البيت ، ولم يسبق ان وجدته يوماً يجلس عليها في انتظاري ، وفاتحنى قبل ان أساله عن أمره وهو يجلس على عتبة البيت :

- عمي ، أنا لن أبقى وحدي بهذا البيت

- السبب ياخضير ؟

- صدقتي أولاً تصدقني ، ان هذا البيت (مسكون)

- وسألته

- ماذا تقصد ياخضير ؟

فقال لي

- البارحة صعدت الى سطح البيت بحدود الساعة العاشرة لأنام ، وماكنت أضغ رأسي على وسادة فراشي حتى سمعت حركة مبهمه في حوش البيت ، فقممت عن فراشي واتكات على (محجر) السطح لأنظر الى داخل الحوش .. فرأيت شخصاً عارياً يجلس القرفضاء ، وقد يكون شعر بوجودي على السطح ، فنظر اليّ . وهو يلتقط الصابونة التي أضعها عادة الى جانب حنفية الماء التي في وسط الحوش ، وفدّفتي بها ، ولم يصبني بل مرت من فوق رأسي كالطلقة النارية وارتطمت بسياح السطح . فأسرعت فرعاً واقفلت باب الدرج لكي لا يصعد اليّ ذلك الشخص المخيف (واضاف خضير) القصة لاتصدق ولكنني شاهدت احداثها ولا أقتنع بنفيها . مختصرها ، أنا من هذا اليوم لن أبقى وحدي في البيت ليلاً أو نهاراً . وحاولت ان اقتنعه ان ذلك من صنع الخيال والخوف وليس له نصيب من الصحة ، غير ان خضير أصرّ على مغادرة بيتي ، وغادره . وسواء كانت هذه

الرواية واقعية أو غير واقعية فقد كانت القشة التي قصمت ظهر البعير ،  
فاغلقت العيادة غير آسف عليها وغادرت المنطقة .

مدام بني كوك ٨ / ٤ / ١٩٤١

في صباح يوم ٨ نيسان طلبت مني رئيسة مرضات المستشفى الملكي  
المصر كنكستون ان افحص السيدة بني كوك ، وهي من صديقاتها  
الانكليزيات وفي نهاية العقد الرابع من عمرها غير انها كانت لاتزال تبني في  
عمر أقل من ذلك بكثير . معتلة القوام والطول ، وعلى بشرة صدرها قليل  
من النمش ، وكذلك قليل منه على صفحة وجهها اللين السمح . وكانت  
حاملًا في الشهر التاسع ، واستفريت من انها لم تستشر احد أطباء  
التوليد ، وعرفت منها فيما عرفته أثناء حديثي الطبي معها انها فقدت  
قبل سنتين طفلاً أثناء ولادته بسبب تأخر رأسه في الحوض بعد اندفاع  
جسمه الى الخارج . كما استشففت منها انها حاقدة على الاستاذ  
كروكشانك الذي كان يفحصها شهرياً أثناء حملها وأشرف على ولادة  
ابنها ايضاً ، وان حالتها كانت تستوجب توليدها بالعملية القيصرية  
للمحافظة على سلامة ولدها غير ان كروكشانك لم يعملها ولما سألته من  
اين لها هذه المعلومات وعمّا تعرفه عن العملية القيصرية اجابتني  
ببساطة : إنها ممرضة جامعية .

وفحصت مدام بني كوك فاذا جنينها معتلن بالمقعدة ايضاً . وفيما عدا  
نلك فحالتها وحالة جنينها جيدة . وبدأت أقسر لهذه المريضة ما ارتأيه  
لمعالجة حالتها ، وقلت لها فيما قلت .

- الحبل الاول انتهى بموت الجنين أثناء الولادة بسبب اعتلانه  
بالمقعدة ، وهذا الجنين ، معتلن بالمقعدة ايضاً ، ولا مجال الآن لتحويله الى  
الاعتلان بالرأس ، وهو الاعتلان الطبيعي .

فقلت لي مقاطعة

- انا أعرف كل ذلك ، فانا ممرضة وقابلة معاً

وصرت أفكر وأنا استمع الى هذه المريضة النكية ، واسأل نفسي اين  
انجز هذه العملية ، ورئيس الاستاذ كروكشانك يستاء بون ريب حين



يرى انني سأعمل لعلاج حالة هذه المريضة ماكان عليه ان يعمل له لدا  
يني كوك لولادة ابنها . ولم يكن في بغداد يومئذ مستشفى آخر غير  
المستشفى الملكي لادخل هذه المريضة اليه ، إذ لم تكن لي يومئذ علاقة  
بمستشفى ميرالياس لاحيلها اليه ، فلا يراها استاذي كروكشانك ،  
ولاتراه ، ولما شرحت نلك للمريضة قالت :

- ومالي والدكتور كروكشانك ، فانا أريد ان ألد في هذا المستشفى  
وبالعملية القيصرية وعلى يدك بالذات . فعلت بارادتها ، وما ارادته  
مشروع ، وضمن السلوك المهني .. وبعد أيام معدودة اخبرتني مس  
كنكستون ان صديقتها مسز يني كوك في الغرفة رقم ( ٢ ) بدار التمريض  
الخاص ، وان ( جيب المياه ) قد انفجر قبل ساعة من دخولها الى الغرفة ،  
وانها قد اخطرت صالة العمليات لاستحضار مايلزم للعملية القيصرية .  
وانفجار جيب المياه قبل أوانه متوقع في حالات الاعتلان بالمقعدة .  
وانتهيت من هذه العملية بسرعة وسهولة ولما غابت صالة العمليات  
قابلني على مدخلها رجل ضخم الجثة حسبته في الخمسين من عمره ،  
حسن اللبس والقيافة ، وعلى قصبة انفه عوينات باطار سميك بني  
اللون . واستقبلني هذا الرجل بابتسامة عريضة انمط فوقها شارب  
الكثيف ، وهو يحاول ان يكون ظريفاً ومسروراً ، فقال لي جذلاً وهو يضرب  
بكف يمينه صدره المريض :

- إنن أنا الآن أب يادكتور سامرائي ، وانا اشكرك . واربف يسألني : هل  
هو طويل مثلي ؟ وقوي ؟ أنا يادكتور يني كوك ابو الطفل .

وكانت تقف الى جانبه سيدة قصيرة القامة معلومة الجسم ، وذات وجه  
طفولي عذب ، فعلقت على كلام بني كوك تقول

- ولكن ابنك يامستر يني كوك بلا شارب ولاعوينات على عينيه

والتفتت نحوي هذه السيدة وسألتني : تذكرني يادكتور ؟

ولم تمهلني لافكر اين رأيتها ، فقالت لثير ذاكرتي :

- مس ستييم ، هل تذكرها ؟

فاجبتها

- آه ، نعم ذكرت الآن نلك اليوم الذي تناولنا فيه الغداء على مائدة مس

ستييم في دارها بشارع العسكري

وسألتني

- تعرف حكايتها الأخيرة في سيام ؟  
فاجبتها

- نعم ، عرفت انها اعدمت هناك .

ثم التفتت نحو مستر بنى كوك ، وهي تضربه بقفا كفها وقالت له بخبت وميانة

- انت زوج أناني يا (وليم) فلم تسال الى الآن عن حالة زوجتك ، وما عنك منها إلا ما أنجبتك لك .

ولم يدم الفرح بالمولود طويلاً ، فقد ظهرت على وجهه في صباح اليوم الثاني بواصر اليرقان ولم يمض يوم آخر حتى صار وجه الطفل بلون حمرة النارنج . ولم تكن يومئذ تعرف عن عامل (ريزس) ، وبالرغم من أننا نعرف ان اليرقان الخفيف الذي يظهر على وجه الوليد في اليوم الثاني بعد ولادته ماهو الا ظاهرة عابرة غير خطيرة ، غير ان اليرقان اذا كان غامقاً فقد يؤدي الى وفاة الطفل ، وفي هذه الحالة كنا نأخذ يومئذ قدراً من دم الام ونحقنه في عضلات الية الوليد . ونعمل ذلك دون قاعدة علمية ، كما لم تكن تعرف يومئذ مصدر هذا النوع من العلاج . وعملنا به لطفل بنى كوك غير ان الطفل توفي في صباح اليوم الثاني بعد ولادته . وقد عرفت ذلك من الدكتور سندرسن حين كلمني تلفونياً وهو يقول لي :

- ان أمه ترفض اعطاء ابنها المتوفى ، فتعال لعلك تقنمها باخذه منها .  
ودخلت غرفة مدام بنى كوك بدار التمريض الخاص فوجدتها تحتضن وليدها وتمر بمشط صغير على رأسه بالرغم من انه بلا شعر وتناغيه بنمومة تخرج من اعماق مهجتها . وحين شعرت بوجودي الى جانبها حولت وجهها الى فاذا عيناها تبدوان كأنها معمولتان من زجاج ، فلا حراك فيهما ولا حياة ، وسألتني وهي تشير الى طفلها

- اليس هو جميل يادكتور ؟ انه يشبهني !

وابركت حينذاك انها في حال غير طبيعى ، فقلت لها بتودد

- مسز بنى كوك ، اعطني الطفل يا عزيزتي .

فاجابتنى .

- انت تطلب المستحيل يادكتور ، فهو حياتي ، فان أخذتموه مني فانكم

تحرمونني من الحياة ، فاتركوه معي ان أردتم لي الحياة .

وصدت يدي الى ابنها فدفعتها عنها وهي تقول :

- لا تلح ، فلن اعطي لكم ابني  
وفي هذه اللحظات دخل سندرس وانضم اليّ لنقنعها في اعطائنا  
الطفل ، فلما تقدم منها قبضت على يده وعضتها كما تفعل الهرة الثائرة  
للمحافظة على صغارها . فخر ان سندرس نجح أخيراً في أخذ ابنها ، وترك  
أمه تصرخ وتعمل كما تفعل التكل بولدها البالغ .

### اثناء حركة رشيد عالي / ١٩٤١

وقع خلاف مبدئي وجذري بين حكومة رشيد عالي الكيلاني والحكومة  
البريطانية كان بسببه ان اصطلم الجيش العراقي بالقوات البريطانية  
قرب معسكر الحبانية وحول الفلوجة ، فزحفت القوات البريطانية نحو  
بغداد بقواتها الجوية والبرية ، وفي يوم ١٨ ايس ١٩٤١ هرب قادة  
الحركة من مدنيين وعسكريين الى إيران وتركيا ، وفي هذه الاثناء اختل  
الامن في بغداد وحدث ما يؤسف له من نهب وقتل بفعل بعض الفوغائيين  
فكان من ذلك بعض الضحايا الابرياء وبخاصة من اليهود ، على ان بعض  
المسلمين اندفعوا متبرعين لحماية بعض افراد تلك الملة فأوهم في بيوتهم  
وابعدوهم عن الاذى . كما استشهد في هذه الحركة صديقي سعيد عباس  
برصاصة طائشة ، والزميل يحيى حبش بشظية من قنبلة قرب معسكر  
التاجي وهو يؤدي واجبه الطبي بين صفوف الجنود العراقيين الذين كانوا  
يدافعون عن المعسكر ، وقد حزنّت لوفاة كليهما كثيراً .

وفي ١٧-١٨ ايس شعرت زوجتي بالمخاض ، ولاستحالة الذهاب الى  
المستشفى الملكي بسبب الاحداث في الطريق اليه ، وضعت في البيت  
بعناية القابلة مركريت حيي ، وكان الوليد بنتاً سميتها ( نيران ) كناية عن  
النيران التي كانت تصلي معسكر التاجي ، ومطار المثنى . ولم تكد تتوقف  
ابتساماتنا بالفرح على سلامة الام وابنتها حتى رنّ جرس التلفون في بيتي  
وكانت احدي زبونات الحوامل نتوقع الوضع في هذه الايام ، وسمعت  
زوجها ماكس سوفير يقول لي بهلع :

- دكتور أرجوك ان تأتي الان الى بيتنا فزوجتي تكاد تموت من الاوجاع ،  
وأنا اعرف ان مجيئك ليس سهلاً ، انقذني . وينخوة وشهامة طائشة

سقت سيارتي متجهاً نحو بيت سوفير في (بستان الخس) . كان كل شيء هادئاً حتى وصلت وزارة الدفاع حيث أوقفني جندي بليوننة وأدب ، فأخبرته بمهمتي فسمح لي بمتابعة طريقي وهو ينصحني ان أتمهل في سياقة سيارتي وكان سكون مخيف يلف الطريف فعملت بوصيته حتى وصلت الى باب (أوتيل تاكوس) الذي يلي رقية جسر الملك فيصل ، وفي هذا المكان أوقفني جندي بإشارة من يده التي مدها على عرض الطريق ، ولاحظت حين وصلت اليه ضابطاً الى جانبه عرفته في الحال ، فقد زارني في عيادتي مرات عديدة هو وزوجته التركية ، فابتسمت له تلقائياً دون ان التفت الى ذلك الجندي . وتقدم مني الضابط مترنحاً وهو في حالة سكر واضح ، ونحى بيده الجندي عن طريقه فوصلني فاذا هو نفسه الضابط الذي كنت أخدمه صداقة لا اكتساباً ، غير انه كان متجهماً وكأنه يقابل خصماً يريد الغلبة عليه ، وأمرني بلهجة عسكرية غاضبة :

- إنزل .

فترجلت من السيارة مطيعاً ، وانا اقول له باعتداد أنا كمال ، غير انه عاد يصرخ :

- الا تعرف ان التجوال ممنوع ؟

واردت ان اقول له : اعرف ولكنني أستجيب مضطراً الى طلب مريض ، ولم أقل له ذلك حين صرخ في وجهي مرة أخرى كمن يعطي أوامره الى جنوده في التدريب :

- خلف در

ولما استدرت الى خلف زعق قائلاً :

- الى الامام سر

وسرت بضع خطوات حتى وصلت الى باب حانوت مغلق ، وكنت حتى تلك اللحظات اعتقد ان في تصرفات هذا الضابط هزل ودعابة ، وانتظرت أمراً آخر منه لانفذه كما يريد ، وفي اعتقادي ان الموقف سينتهي كما كان ينتهي فيما مضى بيننا حين نتقابل بالاحتضان والقبلات .

ومرت لحظات سمعت خلالها خطوات هذا الضابط وهو يتحرك نحو باب الاوتيل ، واذا بشخص يرتدي الخاكي يتقدم مني ويهمس في اذني - دكتور ، استعجل واركب سيارتك . العقيد لا يعي مايفعله . وأخاف ان يريدك قتيلاً . وحين استدرت لارى هذا المفقذ ، عرفته في الحال ، وهو

زوج احدي مريضاتي وكانا يزورانني بانتظام فأخدمها دون عوض بعد ان توطدت بيني وبينه صداقة ، كان ذلك الشخص هو اكرم فهمي ، وهو يقول لي :

- جاك سوفير جارى وقد طلب مني ان اصاحبك الى بيته غير ان هذا العقيد أوقفني هنا كما اوقفك . واريد قائلاً

- سأسوق سيارتي وأنت تتبعني الى بيت ماكس سوفير . وهناك في بيت هذا الرجل وجدت زوجته قد وضعت بنتاً . وحين قلت لزوجها أنا مثلك رزقت صباح هذا اليوم ابنة ، وضعنا لها مسبقاً اسم ( نيران ) بمناسبة النيران التي كانت مشتعلة بين الجيش العراقي في منطقة الديجي وبين القوات الانكليزية الفازية عليها .

وفي صباح اليوم الثاني وقفت سيارة ماكس سوفير عند باب بيتي وترجل منها سائقها ليحمل صندوقاً مليئاً بالأدوات الزجاجة التي كان ماكس سوفير يعمل بتجارتها ، وقد كتب على غطاء ذلك الصندوق عبارة (هدية من نيران ماكس سوفير الى نيران كمال السامرائي) وهكذا كانت ابنتي اول واحدة بهذا الاسم وابنة ماكس سوفير ثاني بنت تحمل الاسم نفسه في العراق .

### في كلية الطب بعد حركة رشيد عالي ١٩٤١

على أثر عودة الأمير عبد الاله الى بغداد بعد فشل حركة رشيد عالي ، كلف الأمير عبد الاله السيد جميل المدفعي بتشكيل الوزارة ، وفي هذه الوزارة ولّى جعفر حمندي وزارة الشؤون الاجتماعية فعين الاستاذ هاشم الوتري عميداً لكلية الطب والمستشفى الملكي . ورأى الوتري تمشياً مع الاحداث الجسام التي انتابت البلاد والدولة ان يغير كادر المستشفى الملكي ، فكان اول من نال هذا التغيير هو عميد كلية الطب الاستاذ صائب شوكت فازيح عن العمادة بتهمة النازية وقتل اليهود الجرحى الذين احيلوا الى المستشفى الملكي في حوادث اليوم الثاني من شهر حزيران من هذه السنة . وهي تهمة جائزة لاصحة لها ، إذ ان الدكتور صائب من النبل والانسانية مالا يمكن معهما ان يلوث اسمه بتلك الاعمال المشينة . أما



ميله الى النازية فهي تهمة الصقت بكثير من العراقيين الوطنيين الذين كرهوا الانكليز منذ أوائل العشرينات ، حين قاسوا ما قاسوا من حكمهم في ايفرات الاوسط مما ادى الى ثورة العشائر عليهم . كما ابعد عن المستشفى الملكي الدكتور صبيح الوهبي الى مديرية مستشفى الكرخ ، والدكتور اكرم القيماجي الى مستوصف الكرخ واستدعى الدكتور سلمان فائق الى المستشفى الملكي . وفي يوم ١٩٤١/٧/٢٣ استقال الدكتور عبد المجيد القصاب من وظيفته في الكلية الطبية . وفي يوم ١٩٤١/٧/٣٠ عين الدكتور سندرسن مستشاراً بوزارة الصحة . وفي يوم ١٩٤١/٨/١٩ اتخذ مجلس عمادة كلية الطب القرار الاتي :

(بناءً على حاجة مديرية الصحة لعامة الى طبيب في الامراض النسائية فقد رشح مجلس الكلية نقل الدكتور كمال السامرائي الاستاذ المساعد الى خدمات مصلحة الصحة العامة)

عميد الكلية

الدكتور هاشم الوتري

ويبدو أن هذا القرار قد صدر دون إنعقاد مجلس الكلية فلما وصل خطياً الى اعضاء المجلس وقعوا ازاء اسمائهم إلا الدكتور شوكت الزهاوي الذي علق عليه بهذه العبارة :

(أرى ان يعقد المجلس لبحث مقترح نقل الدكتور كمال السامرائي) . وقبل ان يصل مقترح العمادة الى الوزارة بنقل الى ملاك الصحة العامة . وصلني كتاب من العمادة وفيه أمر الالتحاق بوظيفتي في الموصل في خلال ثلاثة ايام . وأوضح لي هذا الموقف ان لاسبيل لبقائي في المستشفى وان أسافر الى الموصل تنفيذاً لأمر الوزاري . وسافرت اليها بسيارتي عن طريق كركوك ، فوصلتها بعد ظهر يوم ١٩٤١/١٠/٦ وكنت متعباً ومترباً ودون قيافة لائقة ، وسألت أحد السابلة عن مكان المستشفى الملكي حيث يعمل به صديقي الدكتور نصرت عبد الحميد لأحلّ ضيفاً عليه ، ولم يكن يومئذ قد تزوج بعد . وصرت أسوق سيارتي على غير هدى في طرق المدينة ، إذ كانت هذه الزيارة هي الاولى لمدينة الموصل الحدياء . وواقفني شرطي بصافرته ثم بزعيقه يقول :

- اغشع ، وين موالي ؟

فاجبته وأنا طوع المفاجأة .

- العفو، ما أعرف الطريق الى المستشفى الملكي  
- شكون ما تعرف ! ما تعرف اشارات المرور ؟  
- أنا وصلت الموصل الان ولا أعرف طرقها .  
- مرتين مرقت من هذا الشارع وأنا أصبح عليك ، شنو عمل بياسة ؟  
واعتذرت منه مرة أخرى وأنا اضحك في سرى من جديبه وعصبته  
فقلت له وقد نفذ صبري .  
- ماذا تريد مني الآن ، أنا حاضر بأمرك ، تأخذنى الى مركز الشرطة ،  
تفضل وانا بطاعتك

وفي لحظة رحمانية تنازل هذا الشرطي عن موقفه مني ، كما يبهدل ذنب  
الطاووس بعد ان ينتهي من زهوه ، وقال لي :  
- يالله ، امشي من هون عدل الى المستشفى  
وانتهت المشكلة . وكان استقبال نصرت لي حاراً انساى بسرعة الزوينة  
اللاسلكية التي اثارها الشرطي معي .

وفي اليوم الثاني قصدت رئاسة صحة لواء الموصل في احدى ملاحق  
المستشفى الملكي ، وقابلني رئيس الصحة الدكتور رشيد زكريا في هذه  
الدائرة بترحيب . وكانت دائرته تطل على نهر دجلة من الشرق ومن خلالها  
بدا لي مزار النبي يونس القائم على تل يعلو جميع امتشآت لتي حوله .  
وفي دائرة رئيس الصحة تعرفت على الجراح لويس ، وهو قبطني من أهل  
مصر ، وعلى الدكتور عثمان أحمد وكنت اعرفه منذ كان طالباً بكلية الطب  
وعلى بعض الممرضات اللاتي درسن علي فن التوليد بمدرسة الفبالة  
ببغداد .

وفي حديثي مع الدكتور لويس لمست منه لأول مرة شخصية جذابة ولبقة  
وانيسة ، وعلمت بعدئذ انه يسيطر على الطب السراحي في الموصل ، وله  
سمعة مرضية واسعة بين أعيان المدينة وشيوخ ديار الموصل من عشائر  
شمر ، واليزيدية . وفي يوم طلبني لاشراك في فحص مريضة مصابة بورم  
حوضي ، وهي فتاة فقيرة بلهاء ، وبعد فحصها قلت له انها حامل ، فقال  
لي ولكنها غير متزوجة ولا تزال بكرأ ، ولم أطل معه محاججاني حتى اقتنع  
بتشخيصي . ولا أعرف لاي سبب شككت في انه كان يحيرني في معرفتي  
تشخيص هذه الحالة المرضية ، أو انه يعرف مرضها ولكنه اراد ان يورطني  
بخطأ في تشخيصها ، ومن ذلك اليوم وحتى مغادرتي الموصل بقي هذا

الظن يساورني بالحاح ويمزید من التاكید .

وفي يوم الجمعة التالي دعانى الدكتور (رزوق) لزيارة بعض مدن الموصل القريبة اليها ، كما زرنا دير هرمرز ودير متى . ثم عدنا لتناول العشاء في داره . وسمرنا ونحن نتندر بالقصص والفكاهات وكان منها تجريح على أهل مدينة الموصل على غير حق في وفاة الضيف . قال الدكتور رزوق ، وهو من أهل الموصل

- الخ أحد تجار الموصل على شريكه البغدادي ان يزور الموصل ضيفاً عليه في داره رداً لزياراته المتكررة لبغداد ، وما كان يلقاه من كرم الضيافة في داره ، وسافر الشريك البغدادي لزيارة شريكه في الموصل فوصلها مساءً ، فاستقبله شريكه الموصل بالترحيب الحار ، ثم قال له :

- اعرف انك متعب وتحتاج الى الراحة ، فقم هذه الليلة لتستعيد قوتك لليوم التالي .

ولم يكن البغدادي متعباً الى حد ينسيه جوعه الذي بدأ ينتهش معدته ، ومع ذلك نام على الطوى حتى الصباح . فقال الشريك الموصل لضيفه البغدادي .

- قيمر الموصل مشهور يا عزيزي ، وسيكون فطورك منه هذا الصباح ونادى على ابنه واعطاه ما في قبضة يده ليشتري قيمراً من السوق ، وغادر الإبن البيت ليأتي بالقيمر ، وبعد نصف ساعة عاد الى البيت خالي الوفاض ، فصرخ أبوه في وجهه عن سبب تأخره فقال له ابنه

- ذهبت اسأل عما يبيع القيمر فقال لي بائعه عندي قيمر كأنه دهن حر ، فقلت لنفسي اذن لماذا لا أشتري الدهن الحر وهو أرخص من القيمر . وذهبت الى بائع الدهن الحر . وسألته عما عنده من الدهن الحر فأجابني ان ما عنده من الدهن الحر ما يماثل زيت الزيتون ، فقلت لنفسي لماذا لا اشتري زيت الزيتون وهو أرخص من دهن الحر ، وذهبت الى بائع زيت الزيتون ، وسألته عما عنده من زيت الزيتون فقال لي عندي منه وكأنه الماء المقطر ، فقلت لنفسي عندنا ماء مفطر من الحباب ، فحنق عليه أبوه ، وصرخ في وجهه قائلاً :

- أتعرف كم أتلفت من حذائك يا ولد ؟ وانت تننقل ، من دكان الى دكان ؟

فاجابه ابنه قائلاً :

- لم أستعمل حذائي يا أبي بل استعملت حذاء ضيفنا البغدادي .  
هذه الحكاية موضوعة طبعاً ، ولكنها على ما رأيت من أهل الموصل  
لا تنطبق على واقعهم ، فهم يعرفون كيف يصرفون الفلوس ولاية مناسبة ،  
وهذا من باب تدبير الأمور وحسن تصرفها لا من البخل والتقتير ، وإلا فهم  
كرماء ومضيافون حقاً . كانت ايامي في الموصل ممتعة ، زرت في خلالها دير  
ماركوركييس القريب جداً من الموصل ، وتعرفت على رهبانه وشاهدت  
حقولهم الزراعية وطلب مني رئيس الدير ان أرى احد الرهبان الشباب  
الذي كان يشكو من الاسهال الحاد المتكرر ، وقد بدا لي هذا شديد  
الشحوب ، مدبب الانف ، غائر العينين وعرفت من الراهب الرئيس ان هذا  
الراهب الشاب كان يشكو من الامساك المزمّن فنصحه اصحابه ان يأكل  
من ثمرة الحنظل فازدرد واحدة بكاملها ، قال الى هذا الحال . وكانت حالة  
هذا الراهب سيئة فنصحت رئيس الدير ان يحمله الى المستشفى في  
الموصل لتعويض ما فقده من سوائل جسمه . وبعد ذلك اتجهنا نحو قرية  
التكليف ومنها الى القوش وتجولنا في ازقتها الضيقة المتعرجة ، واستعرت  
حين شاهدت الكثيرين من رجالها يقعدون على ابواب دورهم يتحدثون  
بعضهم الى بعض ويهلسون الصوف عن الجلود ، ويفزلونه بمعزل طويل  
يفتلون محوره على افخاذهم ، وهو مشهد لم أر مثله في حياتي إلا في هذه  
البلدة . ثم رحلنا الى دير متى وقد رأينا ونحن في اسفل الوادي كأنه عرش  
غراب فوق إحدى الصخور العالية . وقد رحب بنا رئيس الدير وفادنا الى  
مافي الدير من حجرات منحوتة في الجبل ، ودخل علينا في هذه الدخضات  
راهبان مدججان بالسلاح الناري ، ولما ابديت استفراحي ان يحمل رجل  
الدين أله قاتلة قال لي رئيس الدير ، انها لبست لقتل الانسان بل الحيوان  
الذي يعيث بالمزارع والفواكه . ثم أضاف : محاصيل مزارعهم خلال على  
الجباة اذا ماسرقوا من حقول الدير ، ولكن اكثرهم لا يفعلون ذلك .  
وبعد بضعة ايام في الموصل دب في الملل وحب العودة الى بغداد .  
فقدمت طلباً للاستقالة من وظيفتي ، وأسرعت عائداً الى بغداد قبل ان  
اتسلم جواب وزارة الشؤون الاجتماعية بقبول استقالتي وعند وصوي يوم  
١٩٤١/١٠/٩ وجدت الوزارة قد سقطت بكاملها ودخل في الوزارة

الجديدة جمال بدران وزيرا للشؤون الاجتماعية .  
وكنت قبل سفري الى الموصل أخدم بمهنتي اخته الآنسة سنية ، فزرنه  
في دائرته لاهننه بمنصبه الجديد ، ويبدو انه قد عرف انني قد نقلت الى  
الموصل على غير رضائي ، فبادرني قائلاً :  
- ساصدر أمراً باعادتك الى كلية الطب  
وكان ذلك مفاجأة لي ، وقد هبطت الى من علي فاعننتني عن الاشارة الى  
استقالتي وميل الى العودة الى سابق مكاني في كلية الطب . بيد أنني  
لشدة احترامي لعميد الكلية الاستاذ هاشم الوتري رأيت ان أعرف أولاً  
رأيه في عودتي الى الكلية وموقفه من الامر الوزاري ، ذا صدر بالعودة اليها ،  
فطلبت مقابلته ، ودخلت معه الموضوع مباشرة قائلاً .  
- استاذي ، قد يصدر الامر الوزاري باعادتي الى الكلية وحثت لاسألك  
سلفاً اذا كان ذلك لايعارض رضاك ، وإلا فساتصل بمعالي الوزير لأخبره  
أنني افضل البقاء في الموصل ، وشدما كان استغفاري حين رجب بي  
الدكتور الوتري في كلية الطب ، وأضاف قائلاً :  
- لقد اكتشفت بعد غيابك عن الرهبة النسائية كان هذا القسم في  
المستشفى قد خلا من الاطباء .  
وشكرته على حسن استقباله لي ، وصدر الامر الوزاري بنقلي الى كلية  
الطب يوم ١٠/١١/١٩٤١ استاذاً مساعداً براتب قدره ثلاثون ديناراً  
في الشهر .

### الاستاذ سندرسن مشاور في وزارة الصحة / ١٩٤١

استحدثت في وزارة الصحة دائرة (استشارية) عين لها الاستاذ  
سندرسن ، وذات يوم كلمني ملاحظ كلية الطب (فكتور) تلفونياً واخبرني  
ان سندرسن يريد ان يراني في دائرته بمديرية الصحة العامة . كانت غرفة  
سندرسن في المديرية متواضعة إلا انها جميلة الموقع ، إذ هي تشرف  
مباشرة على نهر دجلة . واستقبلني سندرسن لا كطالب بل كصديق وزميل ،  
وابتسم وهو يقول لي :  
- اتصلت بي إحدى الدوائر الحكومية وافادت بانك تدعو الى (البازة)



وانا أعرف انك بعيد عن هذا الاتجاه ، فلا حاجة ان تدفع عن نفسك هذه التهمة امامي . (وأضاف) انني سأجيبهم أنني استجوبتك في هذا الموضوع واقتنعت انك لا تميل الى النازية. وهكذا كانت هذه المقالة مختصرة جداً وحاسمة . فلم يكن لمواصلة بقائي بدائرة الدكتور سندرسن ضرورة ، إلا ان اقول له .  
- اشكرك يا استاذي .

وقبل ان اغادر غرفته قال لي  
- ان الدكتور صائب شوكت له ميول نازية وكذلك الدكتور رويحة .  
فهل انت تكاتب الدكتور صائب ؟  
فتفيت ذلك تفيهاً قاطعاً ، وانا صابق في ذلك وكان يشرفني يومئذ ان اكون واحداً ممن اسفوا بشكل عملي لإبعاد صائب شوكت عن الكلية الطبية ، ولكنني لم اقل ذلك للدكتور سندرسن ،  
وانصرفت من دائرة الدكتور سندرسن وأنا مطمئن الى أنني في حماية الادارة من الاوامر العشوائية المتمثلة بطرد الاستاذ صائب شوكت .  
وحتى حركة مايس ١٩٤١ كانت العمادة تصدر أوامرها وتعليماتها باللغة العربية موقعة من عميد الكلية وبعد عودة سندرسن الى العمادة بعد تلك الحركة أمر سندرسن ان يكتب ما يصدر عن دائره باللغتين الانكليزية والعربية ، كل في عمود ، العربية الى اليمين من الورقة والانكليزية الى اليسار منها ، ويوقع العميد على الجانب الانكليزي فقط .

### معاون عميد كلية الطب ١٩٤١

في حرب ١٩٤١ مع الانكليز ، عين الدكتور هاشم الوتري عميداً لكلية الطب خلفاً للدكتور سندرسن الذي استعفى بتكليف من العمادة ، وبعد اندحار الجيش العراقي وفرار قادة الانقلاب ، عادت العمادة الى الدكتور سندرسن ، وبعد نحو اسبوع كلمني تلفونيا السيد فكتور (سكرتير العميد) قائلاً

- العميد يريد يشوفك  
ونذهبت في الحال الى دائرة العميد بكلية الطب ، وفاجاني فكتور على

باب الدائرة يقول لي

- دكتور كمال واثق

- على اي شيء أوافق ؟

- لازم توافق !

- ماهو الموضوع أولاً ؟

ودخلت الى دكتور سندرسن بغرفته ، فاستقبلني يقول

- اجلس يا كمال .

وكان يوماً يناديني باسمي فقال لي :

- قررت أن أوكل اليك معاونة العمادة .

وكان هذا الطلب مفاجأة لي ، ولابد ان سندرسن قد لاحظها على وجهي

فقلت له :

- لقد فاجأتني بهذا الامر ياسيدي

فقاطعني وقال

- أعرف ذلك .

وانتظرني لاجيبه

وتزاحمت في رأسي ردود عديدة وفيها الموافقة على طلبه ، وفيها أسباب

لرفض طلبه ، لا تكفي لاختيار اي منها لحظات . وانقذني سندرسن نفسه

من هذا الموقف المحرج بقوله

- فكر ، ولا أريد منك جواباً أنياً ، أريده نتيجة تفكير ، وتحكيم ، وحواراً

انت تؤمن به ، و(اضاف) انا لا أريد غيرك ان يشغل هذه الوظيفة .

وشكرته على الثقة التي أولاني أياها ، وغادرت غرفته . ومررت في طريقي

بفكتور فسالني وهو يبتسم

- انتهت ؟

- فاجبته . اعطاني وقتاً للتفكير . وغادرت غرفة فكتور قبل ان اسمع منه

ما يريد ان يقوله لي ، وذهبت الى غرفتي في الردهة العاشرة ، وشرعت أفكر .

كان العميد السابق الاستاذ هاشم الوتري قد اختار الدكتور معمر

الشابندر ليكون مساعده في شؤون العمادة ، وهو اختيار صائب ، فالدكتور

معمر يهوى الاعمال الورقية وقد شرع منذ اكثر من شهر يساعد الاستاذ

الوتري في وضع كتاب في تاريخ نشوء الطب والكلية الطبية في العراق ، كما

لم يصدر العميد الجديد الاستاذ سندرسن أمراً بالغاء هذه الوظيفة إنما

أهمل وجودها وأوعز الى ملاحظ الكلية السيد فكتور ان يحيل اليه كل مايتعلق بالعمادة والمستشفى الملكي ، فانتبه الدكتور معمر الى غرض سندرسن من ذلك وانسحب عن الادارة بهدوء .

وكانت الظروف السياسية حتى ذلك اليوم قلقة بعد دخول القوات الانكليزية عنوة الى الاراضي العراقية لتطبيق بكماشتها على حكومة طهران ، ثم ان وظيفة معاون العميد ادارية لاعلمية ، وتتطلب جهداً ووقتاً أخرى ان اوظفهما لاعمالي في الردهة النسائية التي بدأت أفهم بتذوق معالجة المريضات فيها ، فضلاً عن ان كثيراً من أطباء الكلية من هم اقدم مني في الخدمة واحق مني بوظيفة معاونة العميد ، ولاحظت ايضاً ان جميع الذين اشتغلوا بالادارة قد ابتعدوا عن متابعة دراسة الطب وممارسته ، وأنا بعيد في افكاري عن هذه النتيجة ، وانما اريد ان اكون للطب وحده وفي اليوم الثاني قابلت الدكتور سندرسن ، وقلت له :

- أرجو ان تعذرني ياسيدي ، فان لا ارغب في هذه الوظيفة بالرغم من ميلي الشديد للعمل تحت إمرتك .

وقاطعني الاستاذ سندرسن الذكي ، وقال :

- كنت متوقفاً منك هذا الرد

وعدت اقول :

- أنا جد متأسف .

وذكرت له زميلين هما في اعتقادي اصلح مني لهذه الوظيفة إلا ان الدكتور سندرسن تجاهل ماسمعه مني وانهى مقابلي معه بقوله :

- سوف انفي هذه الوظيفة ياكمال ، والغيت هذه الوظيفة دون ان يصدر أمر بذلك بل باهمالها وتناسيها كلياً .

### فقط لان اباه وزير / ١٩٤١

كانت الشؤون الصحية في هذه السنة تابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية ، وحدث ان رزق وزير هذه الوزارة جمال يلان يولد سماه سامان ، وقد وضعته أمه في دار التمريض الخاص بالمستشفى الملكي ، فزوجه أبوه الوزير ان يفتق ابنه في المستشفى ، كما طلب من الدكتور

بريهام ان يقوم بهذه العملية البسيطة جداً .

وكننت يومئذ في اواخر ايام اقامتي بشعبة النسائيات في المستشفى الملكي التي تشمل النساء المريضات بدار التمريض لخاص . وبعد بضع ساعات من عملية الختان إتصلت بي لمرضة المسؤولة (حامون) عن مرضى قسم الولادة بدار التمريض الخاص واخبرتني ن (ابن الوزير) ينزف بغزارة ، فهرولت الى مهد الطفل ، وكان ينزف فعلاً وصار دمه ينضح من خلال ضمد جرح الختان وينحدر حتى الحشية التي نحتة . فاتصلت تلفونيا بالدكتور بريهام وكان يومئذ يسكن في النادي البريطاني القريب من اسواق حسو إخوان ، وبعد نحو ربع ساعة كان الدكتور بريهام عند مدخل المستشفى حيث كنت انتظره بقلق ، فقد كنت خائفاً على حياة الطفل . أما الدكتور بريهام فقد قابلني بابتسامة باردة ، وخاطبني وهو يترجل من سيارته ويسأل :

- كيف عرفت انه ينزف بكثرة ؟

- أخبرتني الممرضة ، كما رأيت ذلك بنفسي من خلال الضماد

- حسن

ثم سألني بجد وكأنه يمتحن معلوماتي عن اسباب النزف في مثل هذه الحالة ، فاتخذت موقفاً جدياً كالذي يتخذه الطالب في ساعة الامتحان ، وبدأت أجيبه قائلاً

- قد يكون وعاء دموي قد افلت من رباطه

- سبب آخر ؟

- خثرة دموية انفصلت عن فوهة وعاء دموي

- سبب آخر

- قد يكون لمرض دموي في الوليد

فاعترض على جوابي هذا وقال

- اذا كان النزف مرضاً في الدم فيبدأ النزف اثناء لعملية لابعدها .

واضاف قائلاً : وانا اعرف سبب النزف في هذه الحالة ،

وسكنت ، فسألته

- ماهو السبب ؟

ولم يجبني . وفي صالة العمليات اكتشف الوعاء الدموي الذي ينزف

وربطه ، وعاد يسألني

- لماذا انفلتت العقدة التي ربطت بها هذا الوعاء .

فاجبته جاداً

كانت ضعيفة فانفلتت

فأجابني متهمكاً

- كان ذلك فقط لان أبا الطفل وزير .

### في مستشفى العلمين / ١٩٤١

في اليوم العاشر من شهر ايلول أفتتح بمحلة (رخيعة) ببغداد مستشفى أهلي باسم (مستشفى التميمي) لمولاه التاجر المعروف (عباس التميمي) وقبل ان يحف دهان اللافتة بهذا الاسم رفعت من ناحية المستشفى واستبدل عوضاً عنها بلوحة كتب عليها (مستشفى العلمين) تذكراً لموقعة العلمين في شمال افريقيا التي تلاحم فيها الجيش الانكليزي بجيش رومل الالماني .

وعباس التميمي عصامي لاعلى قاعدة علمية ، إلا انه فطن في المعاملات التجارية ، كما واغاه الحظ بهذه الموهبة فجمع ثروة طائلة من النقد والاملاك الثابتة . وبطريقة لم أعرفها ، تعرفت رئيسة ممرضات مستشفى ميرالياس (ريثة اسحاق) بعباس التميمي أوتعرف التميمي . بهذه الممرضة . من جانب آخر كان بين ريثة وطبيب مستشفى ميرالياس الدكتور ماكس كروباخ صداقة بحكم إشتغالهما في هذا المستشفى ، فتمخض هذا الثلاث الذي تكون من التميمي وكروباخ وريثة عن انشاء مستشفى أصر التميمي ان يسقى باسمه ، في حين رأى الدكتور كروباخ ان يكون باسم (العلمين) تقديراً لموقعة العلمين التي دارت الحرب حولها في شمال افريقيا ، وتمسك الطرفان بموقفيهما ، فلم يحضر الدكتور كروباخ افتتاح المستشفى في رخيعة حين رفع على ناصيته اسم (مستشفى التميمي) . ولما رأى عباس التميمي الذكي ان مشروع المستشفى لا يضمن نجاحه إلا بمعونة الدكتور كروباخ والممرضة ريثة ، تنازل عن موقفه ووافق على ابدال اسم مستشفى العلمين باسم مستشفى التميمي ، فدخل كروباخ هذا المستشفى باسمأ مرتاحاً حين قرأ اسم (العلمين) على جهة



ماكان يسمى مستشفى التميمي . ولم تمض إلا أشهر معدودات حتى نقل المستشفى من مكانه في رخيطة الى عمارة قريية من ( يارك ) السعدون ، أوسع وأكثر تنظيماً من عمارته الاولى في منطقة رخيطة . كما استطاعت رينة ان تسحب الدكتور كروكشانك الذي كان يعمل يومئذ في مستشفى ميرالياس الى مستشفى العلمين . وقد لمع في تلك الايام اسمي كطبيب في الامراض النسائية والتوليد ، فشاع بين الناس أنني كنت أحد المشاركين في تأسيس هذا المستشفى ، ومصدر هذه الاشاعة هو الممرضة رينة نفسها كدعاية لوجود الاختصاصات الطبية الرئيسية الثلاثة في هذا المستشفى وهي ( الطب والجراحة والنسائية ) ، على أنني لم اعارض حين دعيتي رينة الى ادخال مريضاتي الى هذا المستشفى بدلاً عن مستشفى ميرالياس . وكان يدور في افكار رينة بقلق احتمال ألا أتعاون مع كروكشانك الذي شرع يزاول العمليات النسائية والولادية فضلاً عن العمليات الجراحية في هذا المستشفى . وبهشت رينة بفرح ملحوظ حين فاجأتها أقول سوف أبقي أعترف للاستاذ كروكشانك بالاقدمية والاولوية له في الامراض النسائية بهذا المستشفى ، وهو باي حال رئيسي في المستشفى الملكي ، وأنا مستعد ان البى طلبات المستشفى اذا تعذر حضوره لاسعاف مريضاته .. كما لا أبالي ان اكون الشخص الثاني من قبل المريضة أو من قبل ادارة هذا المستشفى . وصرت بعد أشهر استشير كروكشانك في الحالات المرضية لاحصل منه على رأى ثان ، ولم يفضبني لو عارض افكاري أو نقدها أمام المرضى ، على انه قليلاً مايفعل ذلك ، بل كان يوماً يثني على أعمالي ، وهكذا صرنا أنا وهو نعمل سوية في مستشفى العلمين ، كل واحد منا على مستواه مع الاحتفاظ بالعلاقات العلمية وسلوك الممارسة ، حتى حدث ذات يوم استدعتني فيه رينة الى فحص مريضة ( بكر ) في المخاض وهي مريضة كروكشانك ، إلا ان رينة لم تحصل عليه في اي مكان ، فتوجهت الى المستشفى حالاً .

وفحصت المريضة فاذا الجنين معتنن بالمقعدة فاخذت حذري من إبلاغها أو ابلاغ أهلها عن هذه المفاجأة . ولم أسالها ان كان كروكشانك قد أخبرها بهذا الاعتلان غير الطبيعى ، وان فيه خطورة ليست قليلة على الجنين عند ولادته . لم أسال المريضة عن ذلك ، وافترضت ان كروكشانك قد أخبرها أو أخبر أهلها عن ذلك . غير ان المريضة وأهلها أخبروني ان

كروكشانك اخبرهم ان الحبل والجنين بحالة طبيعية ووضع طبيعي ، وان الولاية ستكون طبيعية أيضاً . وحررت فيما يصح ان عمله ، فاخبرت رئيسة الممرضات رينة بموقفي ، فاقترحت عليّ ان اقول لزوجها ( انوار ) ما أراه ضرورياً لتوليد المريضة ، فلم اقتنع برأيها ، فقصدت زوج المريضة أساله .

- متى فحص الدكتور كروكشانك زوجتك ؟

فاجابني وهو لا يدري ما أقصده من هذا السؤال .

- قبل اسبوع .

- وماذا وجد ، اقصد ماذا قال لكم ؟

- قال كل شيء طبيعي وستكون ولادتها طبيعية ايضاً .

وكانت رينة تقف الى جانبي وانا اسال زوج المريضة ، وبون ان

تستأذني قالت تخاطب زوجها انوار

- اسمعني يا انوار ، الدكتور كمال وجد ان الطفل يجيء بمقعد

لا برأسه ، يعني (مرجل) أو خيال كما نقول القوابل ، وهذه حالة غير

طبيعية ، وفيها خطورة على الطفل أثناء ولادته ويرى ان الطريقة التي

تضمن سلامة الطفل هي بعملية فتح البطن .

فبهت انوار لهذه المفاجأة ، وقال وفكه يرتجف :

- ولكن كروكشانك لم يذكر لي ذلك !

وقالت رينة تخاطب انوار :

- هذا هو رأي الدكتور كمال ، والرأي لك الان .

فازداد اضطراب انوار ، وحاول ان يقول شيئاً ، ثم قال بتخائل ورجاء

يثير العطف

- نحاول نقصّل بالدكتور كروكشانك رجاء

وحاولت رينة ان تجد كروكشانك تلفونياً فاحفقت ، وحاول زوج المريضة

ايضاً فلم يفلح ، فلم يبق لاهل المريضة خيار إلا ان يوافقوا على مقترحي .

لتوليد مريضتهم بفتح البطن ( القيصرية ) .

ولم يخطر على بالي قط انني فعلت بهذه العملية اكثر مما يسمح لي به

كروكشانك ، غير ان الامر اظهر لي غير ما توقعت حين قابلته في عصر اليوم

التالي ونحن نطوف على مرضى مستشفى العلمين .. وحين انتهينا من هذا

الاجراء الروتيني ودعنى كروكشانك دون كلمة مما الفتته منه حين يفانر

المستشفى ، وقابلتني رينة فقلت لها ان الدكتور كروكشانك ساخط علي  
على ما يبدو لي ، فهل هناك ما يستوجب ذلك ؟ وهل في ماعملته البارحة  
لمريضته ما أزعجه ؟

ورأيت كروكشانك ، فاستشعرت في اعماقه خاطراً ما يدور حول ما حدث  
قبل يوم ، فذهبت الى رينة في غرفتها وقلت لها .

- كروكشانك متآلم مني أنا متأكد من ذلك ، ولا بد انه يكون مصراً على  
أنني اسأت اليه ، أو خرجت عن اتفاقنا في تصريف الحالات المرضية .  
ورأيت كروكشانك في اليوم الثالث وراء منضدته في مستشفى العلمين  
وهو يحاول بتركيز اصلاح الحلقة التي بجمع فيها حفنة من مفاتيحه .  
وحين حبيته رد على تحيتي بتكلف وبرود ، ورفع رأسه دون ان ينظر الي  
وقال ليهمدني عما أريد ان اتحدث به معه :

- على رب البيت ان يكون له مفتاح واحد لكل أقفال بيته لا هذه الحفنة  
من المفاتيح . وحبذا لو يكون مفتاح واحد لكل من باب السيارة وماكنتها .  
وباب مكتبي ، وهو نفسه لكل مرافق البيت التي يجب ان تقفل . ( وارف  
يقول ) أنا لا أقفل باب سيارتي حين أترجل عنها في الكراج مع علمي ان  
تلك دعوة للسارق لياخذ ما في داخلها ما يريد ، فمن ينتوي السرقة منها  
لا يعيقه تحطيم زجاج نوافذها ليسرق ما في داخلها ، فأخسر ما يسرقه كما  
أخسر زجاج سيارتي . وبعض هذه الخسارة أهون من الخسارتين معاً .  
وقد ارتحت قليلاً حين رأيت كروكشانك يعود ولو قليلاً الى طبيعته في  
التحدث الي ، فهو حائق في ايجاد المناسبة للحديث ، ولا يمل من الكلام ،  
ورأيته الفرصة سانحة لي لأبحث معه موضوع المريضة التي اجريت  
لها العملية القيصرية ، فقلت له :

- أريد ان اشرح لك موضوع مريضتك التي تصرفت بمعالجتها . فقال لي

- خلاص انتهىنا من موضوعها ياكمال

وكان قد انتهى من اعادة ترتيب مفاتيح الحلقة التي بيده وتهيأ

لينصرف من الغرفة فقلت له

- لم ينته موضوعها في تقديرك ، على ما أرى . فرد على بجفاف :

- ليس الان ياكمال ، وسوف انسى موضوعها . فقلت له :

- لا اريدك يا استاذ كروكشانك ان تنسى هذا الموضوع فقط بل أريد ان  
اعرف منك سبب عدم ارتياحك مني وأنا اعلم انني لم أخطيء في تصرفي

معك ، ولا في طريقة علاج المريضة .

فقال لي :

- أنس الموضوع وتجاهله ياكمال ، فقد شعرت انني كبرت عقلياً لا مارس الحالات الولادية الصعبة مع ان لي خزين كبير في عملها ، غير انني فقدت القدرة على تطبيقها وكان علي ان ادرك أنني جراح قبل ان اكون مولداً . كما اشعر انني بهذا العمر انشد الدلال وسماع كلمات الثناء والاطراء ، غير ان بوانر عجزى ان احتفظ بمكانتي العلمية قد لاحت ، وهذا مالا اطبق احتماله وأخشى ان تتكرر اخطائي بسبب هذا الشعور فيطفئ على كل حسنات ماضي ومثاويه ، فلا يبقى في ذاكرة الناس عني إلا الميوب والاختلاء .

واريت ان اقاطعه لاقول له

- انت واهم ياسيدي فانت تبقى علماً في افكارك ،

فعاجلني يقول

- اسمعني ياكمال ، اريدك ان تسمعني وان تفهمني ، لا ان تسمعني فقط بل ان تفهمني ايضاً ( وهذه هي طريقة تحدث كروكشانك ) ان الناس يتسقطون السيئات من الاطباء أما الحسنات فينسونها كلياً . كان كروكشانك يتكلم ببطء وتوق وكانه يدخل دهليزاً مظلماً ويخشى ان يتعثر فيه ، كما بدا لي وكانه يعترف أمام قس عن خطأ ارتكبه ، ويعصر روحه ليحل عقدة فكرة في صدره .

فقال لي :

- كان ينبغي على الاقل ان تحترم عمري

وعرفت ما قصد اليه بهذه العبارة ، فثرت عليه لاقول

- أنا لم أعد افهمك يااستاذ كروكشانك

وصاح بي بغضب :

- اسكت !

وارعبتني الهالة التي جللت محياه المتالم فامسكت عن الرد عليه وغادرته لاغاضباً عليه بل متألماً على نفسي ولم اكن يوماً ما بهذا الموقف ؛ فلا بد هو الان بحالة غير طبيعية ، وهو لابد يعرف ذلك وهذا ماكان يؤله ويفقده هداه . ورأيت رينة وقلت لها :

- ساعديني يارينة فقد رفض كروكشانك ان اشرح له موضوع زوجة

انوارد ، فافعل شيئاً لتسوية موقفه معي والا فلا استطيع العمل في المستشفى بعد اليوم ، فقالت لي

- كلمته البارحة فصرخ في وجهي يقول : لا أريد ان اسمع شيئاً عن هذا الموضوع ، فان ذلك يزيد في نلى ومهانتي ويمزقنى بحقيقة أمرى . (تم اريدت رينة تقول لي) غداً عنده عملية رفع الرحم عن طريق المهبل ، وقد يحتاجك لتساعده فيها ، فيكون من ذلك مفتاح المصالحة والتراضي . وتساعلت مع نفسي هل سيطلبنى لمساعدته حقيقة ؟ وادركت رينة الزكية ماأريد ان اعرفه عن تلك فقالت لي من تلقاء نفسها :

- لم يطلب مني ان اخبرك ان تساعده في هذه العملية ، كما كان يفعل في العمليات الكبرى ، وارى ان تحضر وتكون جاهزاً فقد يطلبك . فقلت لها :

- طبعاً سأحضر ، حتى لو تجاهل وجودي . وفي اليوم التالي انتظرت حتى بخل صالة العمليات ودخلت وراءه ، ووقفت قريباً منه وهو يغسل يديه استحضاراً لاجراء العملية . وقفت قريباً منه وظهري اسندته على جدار غرفة الغسيل ، وظل هو يون اكتراث يعمل بالفرشة لتنظيف راحتي يديه واطافره ، وأخيراً نطق وقال كما لو انه يكلم نفسه :

- هذه المريضة زوجة مدير شركة نفط خائفين ، واتوقع ان الاقى صعوبة في فصل الالتصاقات بين أعضاء الحوض وانسجته ، وقد يسبب ذلك نزفاً دمويّاً فلا استبعد ان تحتاج الى دم مناسب لتعويضه . ولم اكن أعرف شيئاً عن هذه المريضة وما استحضر لها أو لغيرها من مرضاء كروكشانك منذ نشب الخلاف الذي افتعله معي بعد العملية القيصرية لزوجته انوارد .

ومع ذلك سألته فيما اذا يرى ان اساعده في العملية التي هو بصدها الآن ، فاجابني

- رينة ستساعدني ، وشكراً واعرف مقدماً ان رينة ولاغيرها من المرضات تستطيع مساعدته في عملية رفع الرحم عن طريق المهبل ورينة هي نفسها المريضة التي تقدم له الانكوات الجراحية المناسبة . وكانت العملية صعبة وبدأت الصعوبة بعد ان فتح الجوف فيما بين الرحم والمثانة . وصار كروكشانك يقطع في



الالتصاقات التي عمت الملحقات الرحمية . وسرعان ما سبب ذلك نزفاً شديداً . ولما وصل في خطوات العملية الى قطع اربطة عنق الرحم تفجرت بين الالتصجة بماء غزيرة ، فاغرقت جوف الحوض . وحاول كروكشانك السيطرة عليها بهدوء ثم باضطراب ثم بقلق ، وازداد النزف ، فبدت على كروكشانك إشارات الخوف . وصاح باسم رينة دون قصد ، فتناثرت من يدها الملاقط ، وصار هو يلتقطها ويرميها هنا وهناك وعلى الأرض أيضاً . وأخيراً صرخ دون ان يلتفت الى أو يذكر اسمي

- اغسل يديك ، بسرعة

وعملت ما طلبه مني وتوقفنا بعد جهد في إيقاف النزف . وبدأ على كروكشانك الاعياء والانهيار ، وكاد يسقط على الأرض ، فحملناه الى غرفة جانبية وهو يهذى ، فابرقنا الى زوجته في بيروت ان تحضر الى بغداد ، ونام كروكشانك بعد ذلك ثمانية وعشرين يوماً في المستشفى ، حلق الرأس ، وعلى رأسه كيس من المطاط ملء بكسر الثلج لتخفيف الصداع والحمى التي كان لا ينفك يشكو منهما . ودخلت عليه يوماً اعوده ، فادار رأسه نحوي وقد تدلت شفته لتعبر عن ابتسامة باهتة وقال لي بحماسة . - لا بد ان القدر قد خيب ظنك بعد ان خطط لتأتي وتحمل نمشي فاذا انت تراني قد تجاوزت هاوية الموت بسلام .

وهكذا علمت ان كروكشانك مازال يبقى بحافظته قصة المريضة زوجة ابوارد .

وتحامل كروكشانك على كتف زوجته ليستقل الطائرة الى بيروت . ولم أره بعد ذلك . غير اني رأيت صورة يده وهو يمدّها لتلتقط قنينة شراب من احد نكاكين (السوق الطويلة) في بيروت . وكانت صورة يده بريشة فنان كروكشانك ومساعدته الاول بالكلية الامريكية ببيروت . وكان كروكشانك ذا معرفة بالانواع النبيلة ، وفيما كان يفتش عن صنف معين منها في احد حوانيت السوق الطويلة سقط على أرض الحانوت ليزفر نفسه الاخير ويموت .

## زيارة الى سامراء / ١٩٤٢

لم أنقطع عن زيارة سامراء منذ دراستي في الحلة وفي بغداد وحتى بعد تخرجي في كلية الطب ، ويتضاعف شغفي بزيارتها كلما طالت غيبيتي عنها ، على ان اكثر زياراتي وبخاصة بعد تخرجي في الكلية كانت قصيرة وعابرة ، وقد تكون يوماً واحداً أو ليلة واحدة بحسب دوافعي لهذه الزيارة وظروفها ، وتجيء في العادة لمشاطرة معارفي فيها ما عندهم من افراح أو اتراح ، في الاعياد والمآتم . وزرتها في أحد أيام كانون الثاني من سنة ١٩٤٢ بعد غيبة عنها حسبتها طويلة . وكنت قد تمكنت من شراء سيارة مستعملة وصرت اسوقها بمهارة وأمان ، وكان على جانبي الطريق الى سامراء قد تجمعت مياه الامطار فكانت غدراناً كان بعضها واسعاً وعميقاً . على ما بدا لي ، وقد خاضتها بعض الاغنام والدواب لترنوي من مائها ، أما التي ارتوت فقد اضطجعت على حوانبها باسترخاء فوق الارض المعشوشبة تماماً لهذه النعمة الوفيرة . وفي اماكن أخرى على طريقي شاهدت بعض المزارعين يعزقون الارض الرخوة الندية ، بمحاريثهم التي تجرّها الخيول أو الابقار . وفي السماء الزرقاء الصافية تلوح اسراب من طيور الفريان والزاغ والزرزير ، وهي تخفق بأجنحتها صاعدة لتستروح بالهواء الرطب النقي في اعالي الجو . لقد بدا كل ما في الطبيعة في مباريات لعرض اختصاصه ووظائفه الغريزية ، فكان مشهداً ليس له مثيل في أجواء المدن الصاخبة .

ومررت بمحطات القطار الذي لا ينتهي مسيره إلا في الموصل : محطة قطار البيجي أولاً ، ثم محطة المشاهدة ، وسميكة وبلد والاصطبلات وأخيراً محطة قطار سامراء بقرية القلعة الراقدة على حافة نهر دجلة من الغرب . وقد شيدت جميع هذه المحطات أيام الاحتلال البريطاني ، وهي أشبه بالقلاع التي تتوفر فيها الراحة والحماية من غارات المعتدين . وقريب من هذه المحطات بعض الاكواخ المبنية بالطوب والملبوخة بالطين ، تقف أمامها وحولها سيارات المسافرين وشاحنات للحمل ليتزود اصحابها بالوقود أو للراحة واحتساء الشاي . وجميع هذه الاكواخ متشابهة في طراز بنائها ، فهي ذات باب واحد خفيض وفتحات

صغيرة لا ينفذ منها إلا الهواء وصفار الطيور والقطط وعلى جانبي الباب دكتان من الطين فرشت عليهما حصر بالية، وأمام كل دكة بعض صفائح النفط الفارغة تستعمل وقت الحاجة مقاعد لرواد هذا الكوخ . وفي داخل هذا الكوخ موقد بمستوى محزم الرجل عليه طابع القدم ، وقريباً من بابه المتأججة قوارير الشاي ودلال القهوة . وصاحب هذا (المقهى) نوسمة متميزة في هذا المكان ، فهو يلبس ثوباً على طول قامته ويشده على بطنه بحزام رفيع من الجلد يدس تحت حافته العالية مريلة حمراء لا تخلو من علامات القدم وكثرة الاستعمال .

ثم هناك حول هذه المقهى كلب أوكلبان هزيلان ، وقد ببح صوتهما من كثرة النباح وهما يرتوان بعيونتهما الرمدة الجائعة ولا يكفان عن هز ذيليهما تملقاً لرواد المقهى ليتصدقوا عليهما بفضلات ما يأكلون . أما في الليل فواجبهما النباح حين يريان سواد القادمين الى المقهى ، فيخرج صاحب المقهى لاستقبالهم .

وعبرت نهر دجلة بسيارتي على ما كنا نسميها ( العبارة ) وهي تقطع النهر بقوة جريان الماء على سلك حديدي متين مربوط طرفاه بجانب نهر دجلة . ودلفت الى بيتي القريب من سوق اليهود ، وكانت ثمة صعوبة في قيادة سيارتي في هذا الطريق الضيق .

وحين إقتربت من بيتنا بدأ لي ( طاقه ) أوطأ مما كنت آلفه قبلاً ، كما بدت الحوانيت التي على جانبي هذا الطريق وكذلك البيوت أصغر حجماً مما كنت أعرفها ، وجدرانها ، أوطأ وكأنها قد هدم منها طابقها الأعلى . لقد بدت لي سامراء وكأنني أراها لأول مرة وبصورة جديدة غير التي عهدها قبل زمان . كما استغربت حين دخلت البيت لصفر حوشه وضيق ماحول حديقته الصغيرة .

واردت ان أستعيد ذكرىاني في بيوت محلتي التي كنت أعرفها واحداً واحداً وبفصيل لم يطلع عليه غير صاحب البيت ، وغير بعيد من بيتنا كان بيت احمد الجاير وهو رجل مديد القامة خفيف الوزن لقله ماعلى عظامه من لحم ، وكنت أذكره وهو يثني على (مصطفى كمال) الرعيم التركي المشهور ، ويتوعد الناس بمجيئه في يوم من الايام القريبة ، وعندها يكون الحساب العسير للعاقين بالوفاء لامة الاسلام !! ومررت ببيت حاجي حسين الهندريس الذي كان مختصاً ببيع التمر الحسب

والحلان ، ثم مررت بببيت ( مريم الجراد ) التي كانت نحمل الماء على ظهر حمارة بتراء زرقاء ، ومن شقوق باب هذا البيت التي صنعها القدم والاهمال رأيت حماراً أبيض اللون يدلى برأسه داخل معلف وطىء ، وهز هذا الحمار ذيله مرة ومرتين وأنا أرقمه من خلال شقوق الباب . وقد يكون هذا الحمار ابن تلك الحمارة البتراء التي لا بد انها نففت بعد ان ادت خدمة طويلة لصاحبتها مريم الجراد واعرف ان مريم الجراد قد توفيت ايضاً فأي شيء بقي في هذا البيت لادخله ؟ فتجاوزته لاصل الى بيت الجده (زهرة العلو) وهي من شهيرات القوابل في سامراء ، وقابلة بيتنا وبيت أعمامي وقابلة اكثر بيوت محلتنا والمحلات المجاورة لها ، وكنت زماناً حين يتردد اسمها أو اسمع بانها قامت بتوليد طفل اعجب أشد العجب بطريقتها في اخراج الوليد من أمه

ودار (زهرة العلو) فناء واسع ، وكان على مدخله من الجانب الايمن يوم عرفته ، حفرة نصبت عليها (جومة) يحوك فيها ابنها (ويس) البسط والعبي ، وفوق هذه الجومة أقيمت سقيفة من اعواد الغرب لتحمي ويس من حر الشمس ، هذا ماكان قبلاً أما الآن فقد طمرت اكثر علانم الجومة بالاتربة ولم يبق منها الا بعض الاوتاد التي كانت يوماً من اجزاء تلك الجومة . لقد مات الذين يعرفون الحياكة (بالجومة) وعما قليل ينسى ماقدمته هذه الصناعة اليدوية من خدمات لعامة أهل سامراء . وكان على امتد الجومة من جانبيها الايمن غرفتان تتفذان الى الساحة الواسعة المتربة ، وفي وسط هذه الساحة موقد تصنع عليه القهوة في ليالي فصل الصيف . وفي ركن قريب من الحجرة البعيدة تنور تحت سقيفة من صفيحة معدنية ، واختلج في خاطري حب لزيارة الجدة زهرة ، فهي التي استقبلتني الى الدنيا وخدمتني ايام النفاس . ورأيت امرأة تقف عند التنور وهي تزيد من الحطب في جوفه ، والتفتت نحوي حين سمعت خطاي ، ولم اكن قد رأيتها قبلاً في هذا البيت فلم أعرفها ، فقلت لها - أريد أشوف الجدة زهرة !

- شتريد منها .

وارتفع صوت من الحجرة الاولى قائلاً :

- منو هذا ؟

وابتبهت الى مصدر الصوت ، كانت عجوزاً تملأ باب الحجرة وتلبس

السواد ، وكل الارامل في سامراء يلبسن السواد حزناً أبدياً على وفاة رب البيت . وعرفتھا من بعيد ، هي نفسها الجدة زهرة العلو ، والسبحة الخشبية الطويلة تتدلى كما كنت أعرف من رقبتها ، فقلت اناديها -  
جدة زهرة أنا كمال

وفي سامراء هكذا تخاطب القابلة بلقب (جدة) حتى لو كانت صغيرة العمر ، إحتراما وتقديراً لما تقدمه من خدمات لامهات البيوت ، فتنسب بهذا اللقب الى شجرة العائلة .

وبان لي ان الجدة زهرة لم تسمعني ، ولم تعرفني من صوتي . أو لم تذكرني ، وقد وصلت من العمر مراه ، فاعدت عليها اسمي -  
أنا كمال

وفي هذه المرة رفعت يدها اليمنى وهي تلم اصابعها الى أعلى عينيها لتقيهما من وهج نور الشمس ، وأمالت رأسها مرتين لتمعن النظر اليّ ، أو لتتأكد انها سمعت باسمي الذي برق الآن في ذاكرتها ولم تفعل غير ذلك ، فتقدمت منها وقلت لها

- جدة زهرة أنا كمال التوفيق (وهذا هو اسمي قديماً) فقالت وقد خنقت الدهشة حنجرتها

- كمال ؟ يابعد عيوني ، يابعد روحي ، انت كمال ؟  
فقلت لها

- جئت أسلم عليك وأسأل عن احوالك فانت عزيزة علينا ، فكيف انت يا جدة ؟

- تسال عنك العافية يابعد عشيرتي ، يرحم أمك الطيبة . وبدا عليها انها مدفوعة الى ان تجهش بالبكاء . والمسنون ليس ميسوراً عليهم ان يظهروا عواطفهم وبالشكل الذي الفوه في صغرهم ، وهي قسوة إن يحرم الانسان منها وعانت الجدة تحاول البكاء ورفعت طرف فوطتها السوداء باصابعها الدقيقة المرتجفة الى عينيها كما لو أنها تريد ان تمسح بها دموعه تنحدر منها ولكن لم تسقط عنهما دموع واحدة . والشيوخ مثل الاطفال حديثي الولادة لا تدمع عيونهم اذا بكوا . وسمعتها تطلب مني .  
- تعالي يا إبني اجلس أمامي ، أريد ان اسوئك . ان شوفي قليل وسمعي قليل ، وهذا هو العمر . وماكنت احتاج ان تقول لي ذلك فقد تجاوز عمرها التسعين .

وقادنتني الى داخل الحجرة التي كثيراً ما دخلتها في طفولتي مع أمي .  
وهذه الحجرة هي نفسها بلا زيادة ولا نقصان ، لاناخذة فيها سوى الباب  
الذي ينفتح اليها ، وبعض الثقوب الزخرفية لتدخل منها طيور السند همد  
لتعشش في منحنيات اطواق الحجرة ، وكان يوماً ما موقد في وسط هذه  
الحجرة فلم اجده أثراً ، ولم يبق من معالم هذه الحجرة إلا جدرانها  
المسودة من اثر الدخان الذي كان يرتفع من حرق الشوك في الموقد  
القديم ، فارتفعت بعض نرات كسائها الجصى تلمع كأنها قطرات من  
القطران .

وجلست على حشية بالية أمام الجدة زهرة أما هي ففقدت  
القرصاء وهي تسند ظهرها على جدار الغرفة وتمسك ركبتيها بكلتا يديها  
المعروقتين وأدنتهما حتى مستا حنكها من رأسها المتدلى . وسار صمت  
قصير بيننا . وتساءلت مع نفسي : ماذا يدور في رأس الجدة زهرة في هذه  
اللحظات ياترى ؟ والى اي مدى تفكر في ماضيها وفي اي افاق يفكر  
المسنون ، وهل باستطاعتها ان تستذكر أحداث ماضيها ؟ فقد يكون  
الماضي البعيد عندها كالصفحة التي يلي ماكتب عليها بفعل الزمن . كنت  
هكذا افكر مع نفسي ، فسألتني

- ماذا تقول يا وليدي ؟ لم اسمعك .

ولم اكن قد قلت شيئاً ، وقد يكون قد ظننت ماكان يدور برأسها في تلك  
اللحظة هو الذي تسأل عنه وسألتني وعلى ملامح وجهها الجعد ، ابتسامة  
فاترة

- سمعت انت (تولد) الفسوان !

- نعم أنا مثلك (جدة)

ولابد انها سمعتني ، فافترت شفاتها أمام فمها الانرد وقالت

- عشنا حتى نشوف !

وسألتها

- هل اتعبك العمل بالتوليد يا جدة ؟

فأجابتنني

- نسيت اذا كنت يوماً قد تعبت ، ولا اعرف الان ماهو التعب ، وكيف

اعرفه وأنا لا أعمل الان !

وسكتت قليلاً لتقول

- البارحة قاذني (جواد الحمامة) لارى كفته التي تطلق ، وهي بكر ،  
تسمعني يا وليدي ؟

- اسمعك ، نعم اسمعك

- وكان جنينها كبيراً وشكل بطنها لا يعجبني فنصحت زوجها ان يطلب  
الدكتورة (انجيل) ولما فحصتها هذه الطبية نصحتهم ان ينقلوها الى  
المستشفى . يعني ما قدرت ان تجييها ، (شطلعت) هي مثلي لم تستطع  
توليدها ولم تعمل لها مالم اعمله أنا لتوليدها ، وسمعت اليوم انها ولدت  
بفتح البطن ، وتزاحمت الافكار في رأسي عما يجب ان ا قوله لانهي زيارتي  
لها . فنهضت لاقول لها كلمة وداع ولم أر خيراً لهذا الغرض من ان اطبق  
يدى على يدها وإقبلها بحرارة وصدق ، وغادرت حجرتها .

ووقفت برهة على باب دار الجدة القي نظرة على الساحة التي أمام  
دارها ، ولم تكن ساحة بالمعنى المفهوم ، هي أوسع من الزقاق الاعنيادي  
اذا إستثنيت التل الترابي الذي يفصلها عن سور المدينة . كم لعبت مع  
أولاد هذه المحلة لعبة الكرة ، ولكن كيف تكون هذه الساحة كافية لصفين  
من الاولاد يتقابلان لضرب الكرة بالعصى الطويلة ؟ فهل كانت عصينا  
وكراتنا صغيرة بمثل احجامنا ليتسع لها هذا الطريق الضيق ؟ كنا نمارس  
هذه اللعبة في فصل الشتاء فقط ، وبخاصة حين تتلبد السماء بالغيوم  
لابسبب برودة الجو فلا يتعب البرد اللاعبين ، بل لأن في معتقدات  
السامرائيين يومئذ ان هذه اللعبة تستدر الامطار من الغيوم المحملة بها .  
كما تفعل صلاة الاستسقاء . وهي لعبة الاولاد لا البالغين وكان هؤلاء  
الكبار يقفون صفوفاً وظهورهم مسندة على حيطان البيوت ليشجعوا  
اللاعبين وعيونهم تتطلع الى السماء في انتظار قطرات المطر منها . كانت  
زراعة الديم في ذلك الزمان مصدراً رئيساً لعيشة أهالي سامراء ، فلا عجب  
اذا جذبت الارض من مياه الامطار ان يلتجئ هؤلاء الى الروحانيات  
لتساعدهم على انزال المطر فيمارسون لعبة الكرة ، فاذا فشلت هذه  
الوسيلة يخرجون كباراً وصغاراً الى فناء (جامع الملوية) يقيمون صلاة  
الجمعة ثم يتوسلون الى الله برؤوس حاسرة وايد مرفوعة الى السماء  
يسترحمون لحالهم وحال دوابهم ومزارعهم . ولازال اذكر يوماً بالذات ،  
كان فيه مشهد غريب لبس له نظير فيما تلاه من أيام الاستسقاء . كانت  
الدعوات تتعالى من افواه الناس بما يشبه الصراخ من الالم ، أو طلب



النجدة ، فتتصلب الوجوه وتتشنج الاطراف وتمتلئ المآقي بالدموع . كنت هذه من ذكريات الماضي . كما تذكرت وأنا أعبر بيت الشيخ (وهيب) حيث تقام في هذا البيت اجتماعات ينقر فيها على الرفوف لضبط الترتيل بمدائح الرسول محمد (ص) ويتقمص مريدو هذا الشيخ روحاً تؤمن بالكرامات فتضرب رؤوسها بجدران (التكية) وتبقر بطونها بالحراش . وبينما وقفت هنيهة عند باب هذه التكية اتطلع الى مابقي في داخلها من معالم تلك الايام واذا بشاب يقابلني عرفته من اول نظرة ، وكيف نساها ؟ هذا هو (جهاد) معوق المحلة وهو مسالم لايؤذي وسألته - عرفتني ؟

- انت كمال التوفيق ، شلون يونس التوفيق ؟

ويونس هو ابن أخي وليس أخي

- انت شلونك ؟

ولم يجبني بل سألني

- وين سيارتك ؟

- بالكراج

- هي أم الطيشي ؟

- هي فورد .

وكان يعرف هذا الاسم يوم دخلت اول سيارة في سامراء وكانت من نوع فورد ، فيتجمع حولها الاولاد يتكلمسون اطاراتها ومفاتيح أبوابها ، ويمدون اعناقهم الى داخلها ، وكان جهاد اكثرنا شغفاً بهذه السيارات رغم ندرة ظهورها في سامراء ، فاذا اعجبته واحدة منها قال انها (أم الطيشي) والطيشي في سامراء حصى دائرية رقيقة بشكل القرص . كنا نقذف بها بطريقة خاصة على سطح ماء النهر فيسهل انسابها عليه مسافة قبل ان تغور الى قاعه . ولا بد ان جهاد قد شبه مسير السيارة على الارض بانسياب حصى (الطيشي) على سطح الماء . وعدت الى بغداد بعد ليلة حافلة بمقابلة الأهل والاصدقاء .

لورد موران في بغداد لتقييم مستوى كلية الطب / اذار ١٩٤٢ .

برز اسم الدكتور اللورد موران من بين اسماء اطباء انكلترا اثر تعيينه

طبيباً خاصاً لرئيس وزراء المملكة المتحدة المستر تشرشل . ولم اكن قد سمعت أو قرأت عن اللورد موران قبل ان أراه في بغداد ، وكان الاستاذ هاشم الوتري عميداً لكلية الطب فدعاه الى بغداد لتقييم درجه مستوى الدراسة في هذه الكلية . واقيمت للورد موران حفلات حضرت منها حفلة وزارة الخارجية في بهو الامانة ، والدعوة التي ذهب اليها في مديرية الزراعة العامة في ابي غريب برفقة مرافق الوصي عبد الله الزعيم عبيد عبد الله المضايقي . وقبل ان أدخل بهو دائرة الزراعة سمعت عن متكلم بالانكليزية بصوت أجش حسبته صوت هيئة الاذاعة البريطانية في الراديو لا صوت انسان . وحين دخلت بهو الدائرة طلب مني الاستاذ هاشم الوتري ان اتقدم لاحيي اللورد موران الذي وضع لي حالاً انه كان هو المتكلم الذي حسبته اذاعة بريطانيا ، وتصافحت معه وأنا اشعر ان يدي قد اختفت كلياً بين قبضة يمينه المكتنزة اللينة ، على ان ابتسامته وجهي كانت صريحة ومريحة ، كان جسمه ممثلاً ووجهه منتفخاً . وشعرت حالاً انني بتحيتي للورد موران قد قاطعته وهو يتحدث الى من كان معه عن علاقته بصديقه تشرشل ويحب الاستطلاع احببت ان اعرف بدايه حديثه . وكان كل ماسمعه منه . ان تشرشل انقذ صديقه مكتشف البنسلين ( فليمك ) من الفرق ، وبالمقابل انقذ فلمنك صديقه تشرشل من الموت حين اصيب بذات الرئة . وانتهزت الفرصة وسألت الاستاذ هاشم الوتري عن اول حكاية اللورد موران فقال لي ان فلمنك وتشرشل كانا في صباهما صديقين ، وفي يوم كان يسبحان في البحر قريبا من مدينة ( انجل جرج ) بجنوب انكلترا فاوشك فلمنك ان يغرق في اليم فانقذه تشرشل ، ولما أصيب تشرشل بذات الرئة حين كان في مصر أيام الحرب العالمية الثانية ابرق لورد موران الى فلمنك في لندن ليحضر الى مصر لمعالجة تشرشل بدوائه الجديد ( البنسلين ) وبهذا برىء تشرشل من مرضه . فقال تشرشل لفلمنك ، توافينا يا صاحبي ( واحدة بواحدة ) .

والمهم في نتيجة زيارة اللورد موران لكلية الطب انه اقترح على الجمعية الطبية البريطانية تأجيل الاعتراف بكلية طب بغداد الى ما بعد ثلاث سنوات تستكمل فيها الكلية مستلزمات التعليم والبحث العلمي .

## حفلة في حدائق بهو الامانة على شرف وندل ولكي / ١٩٤٢

في يوم ١٤ ايلول من سنة ١٩٤٢ ، والعراق والعالم ايضاً تحت ضغط نفسي خائق باحداث الحرب العالمية . اقام الدكتور سندرسن عميد كلية الطب حفلاً ساهراً في حدائق بهو الامانة خصص ريعه للمجهود الحربي ، وهو يدرك انه لا يحصل من بطاقات هذا الحفل على مايناسب مصاريف بريطانيا التي بلغت يومئذ ستة عشر مليون پاون في اليوم الواحد . إلا انه عدها مشاركة رمزية فاهتم لها سندرسن كما اهتم لها عموم الانكليز في بغداد . وقد نصبت في ذلك اليوم منصة خشبية خصصت للفنانين والفنانات ليثيروا روح المرح والتعبير عنه بالرقص الشرقي والغربي . وقد حضر الحفل كثير من كبار موظفي الدولة ووزرائها ، ومن دوائر الهيئات الدبلوماسية . وكان يبدو على الدكتور سندرسن الفرح والسعادة بنجاح هذا الحفل . كما بدا عليه انه ينتظر قدوم ضيف كبير ، وفجأة أسرع لاستقبال ذلك الضيف وهو وندل ، ولكي مندوب الرئيس الامريكي روزفلت الى الشرق الاوسط ، وتقدما معا يسلكان طريقهما بين طاولات المحتفلين . وقد بدا الدكتور سندرسن الى جانب ضيفه وندل ولكي اكثر لياقة وأطولقامة . وبعد دقائق محدودة دخل نوري السعيد وكان يوم ذاك رئيس مجلس الوزراء . وكنت أنا والدكتور نصرت عبد الحميد والدكتور كمال نور الدين والدكتور اسماعيل ناجي حول طاولة صغيرة على طرف ثيل الحديقة . ومز نوري السعيد بطاولتنا وهو يتجه الى طاولة وندل ولكي التي كانت في عمق الساحة . وكان من عادة نوري السعيد ان يكون مرحاً واجتماعياً في مثل هذه المناسبات ، ولا ينسى قط ان يستغل الفرصة للتحدث الى من يعرفه في الاجتماعات التي يحضرها ، فرشقنا بتحية عابرة يقول

- حيا الله الشباب

فاجبناه ونحن نقف له بمثل روحه المرحية :

- تفضل باشا ويانا

فاجابنا بمافيه معنى النكتة السريعة :

- عزمي قبلكم استاذكم دكتور سندرسن ، شكراً .

ورايانا ارشد العمري يتقدم من نوري السعيد ، وسمعنا نوري السعيد يقول

له بما يشبه العتب :

- ارشد بك ، الم نقل نحضر الحفل بسيارات محدودة فيشترك اكثر من  
إثنين بسيارة واحدة لنوهم ونذل ولكي أننا في عجز بوسائل النقل ميزيد  
حصّة العراق مما تصدره امريكا من السيارات ؟  
فاجابة ارشد العمري

- يا باشا أنا عممت على الدوائر عامة ان تستعمل سياراتها الحكومية  
اثناء مجود ونذل ولكي في بغداد ، كما نشرنا بين سائقي سيارات الاجرة ان  
يوقفوا سياراتهم في الشوارع الفرعية لا في الشوارع الرئيسية ببغداد ، بقي  
أش أعمل اكثر ؟

فقال له نوري السعيد ، وكان يدافع عن نفسه :

- سيارتي عتيقة وليس فيها ما يليق برئيس الوزراء إلا رقمها الصغير  
( ٢٠ بغداد ) ، وسوف لا يعيرها ونذل ولكي نظرة خاصة .

واتجه نوري السعيد نحو متضدة الضيف ونذل ولكي ، وكان يحف به  
عدد من الاجانب والعراقيين .

وشاهدت هذا الضيف يرفع يده عالياً ليرشد نوري السعيد الى مكانه ،  
ولما وصل طاولته قام له من كان حول الطاولة بما فيهم ونذل ولكي ، الذي  
شرع يتحدث معه وهو جالس في مكانه ورأيتة يكثر من حركات يديه وهو  
يقهقه مما يدل على انه إنهمك في نقل خبر او فكاهة اصحكت نوري  
السعيد . وحين همّ نوري السعيد ان يغادر طاولة الضيف وقف له ونذل  
ولكي ، وابتعدا معاً عن الطاولة ، ثم وقفا بعيداً عن حشد الناس . ورأيتة  
يتكلم مع نوري السعيد باهتمام ، وبعد بضع دقائق عاد ونذل ولكي الى  
طاولته بينما غادر نوري السعيد الحفل . ويحتمل ان يكون الضيف في هذه  
المقابلة بالذات قد سبر ذكاء نوري السعيد كمحاور سياسي فقد ورد في  
كتابه الذي سماه ( عالم واحد ) ( ان لنوري السعيد نظرة فاحصة مؤثرة ،  
وهو بالتأكيد من أدهى الرجال الذين قابلتهم في حياتي )

ورأيت بعد ذلك ونذل ولكي يغادر طاولته ويصحبته واحد ممن كانوا  
معه حول الطاولة ، وقد يكون هذا من موظفي السفارة الامريكية ، وصار  
يتنقل بين الطاولات ، وهو يوزع ابتساماته وكلمات الشكر ، ثم وقف على  
طاولة بعض الصحفيين ، واستغربت حين أخذ كرسيّاً واطال البقاء مع  
هؤلاء ، وأنا اسائل نفسي في اية لغة كانوا يتفاهمون ، ولما رأيت من كان

بصحبتهم يشاركهم في الكلام عرفت حينئذ ان ذلك الشخص كان يقوم بالترجمة فيما بينهم . وكانت طاولة هؤلاء آخر طاولة غادرها من كان في هذا الحفل .

### ماتت قبل نصف قرن ولازال اراها تنظر الي باستغاثه / ١٩٤٢

هذه المريضة هي ابنة صاحب الدار التي استأجرتها في محلة القشل . وقد رأيتها لأول مرة بعد قرابة ثلاث سنوات من تخرجي في كلية الطب . وبالتحديد في الاسبوع الذي انهيت فيه اقامتي بشعبة الولادة في المستشفى الملكي ، وكانت قد تزوجت حديثاً ، ولم أرها بعد ذلك إلا في عيادتي بمحلة القشل وقد حملت الى في محفة . شابة في مطلع العقد الثالث من عمرها شمعية السحنة ، واسعة العينين باستكانة لابتحد . ولم يكن نبضها سريعاً ، وضغطها بحدود الارتفاع الطبيعي . ونصحت ذويها بنقلها الى المستشفى الملكي . فكانت هناك في حوالي الساعة السادسة مساءً ، وبحكم علاقتي بابيها صاحب الدار التي استأجرتها منه فقد اوليتها اهتماماً خاصاً ، فبقيت في المستشفى لأعمل من اجلها مااستطيع عمله ، ووقفت حيا لها وأنا افكر فيما يمكن ان تكون حالتها المرضية . والح علي احتمال حمل خارج الرحم ، أو نزف بطني جراء سبب آخر ، غير ان نبض المريضة لم يكن سريعاً ، وأمرت بوضعها تحت المشاهدة ، وقياس النبض وضغط الدم كل ساعتين ، ولا ادري لماذا ابقيتها في الردهة النسائية ، فقد تكون حالتها جراحية ، أو بسبب مرض باطني ، كار الفصل صيفاً ورؤساء الاقسام خارج العراق في عطلتهم السنوية ، فاتصلت بالجراح ( م . ص . ع ) في الردهة الثانية عشرة ولم يتوصل الى تشخيص الحالة ، ورأى ان نستمر على مراقبة التطورات عن طريق الفحوص السريرية ، وهممت ان أغادر الردهة الى بيتي معتمداً على الممرضة التي خصصتها لمراقبة هذه المريضة ، واعطيت تعليماتي لها بموجب ذلك ، وقد كانت المريضة خلال الساعات الثلاث التي كنت فيها الى جانبها أو قريباً منها ساهمة لا تشكو من شيء غير ان عينيها لا تكفان عن نظرات الاسترحام ، فلما رأنتني أودعها الى بيتي قالت باستغاث

عميق : لاتتركني يادكتور . فتسمرت في مكاني عندما سمعت هذا الرجاء ، وقلت لها لن اتركك أبداً . وكان ذلك آخر ما دار بيني وبينها فقد اسلمت الروح عند بزوغ الشمس في اليوم التالي وأنا اغالب الناس على كرسي بجانبها ، والله تعالى يعلم كم ألمتني حالتها وهي تزفر آخر روح فيها . وكانت أمها العجوز تقعد كومة على بلاط الارض عند رأس سرير ابنتها ، فلما رأتني اغطى ابنتها (بالشرشف) حتى قمة رأسها حدست ما حدث لابنتها فنهضت وارتمت على صدر ابنتها الميقة واجهشت بالبكاء بحرقه وألم .

لا أنسى هذه الحالة المرضية ، واذكرها كلما رأيت حالة مشابهة لها ، وفي صدري اعتقاد أننا لم نعمل لها مايكفي لانقاذ حياتها ، كان يجب ان نعمل شيئاً آخر . غير ماعملناه لها ، ولا اعرف ماهو ذلك الشيء ، غير أنني اعرف يقيناً اننا اغفلنا الشيء المهم في موضوع علاجها . كما نقمت على أطباء المستشفى الكبار لانهم لم يراعوا ضرورة وجود بعضهم عندما يسافر البعض منهم ، فينظموا عطلاتهم بموجب ذلك

### في مستشفى ميرالياس / ١٩٤٢

في صباح يوم ١٩٤٢ / ٩ / ٢٨ زارني ناجي افندي سكرتير الحاخام ساسون خضوري في عيادتي ورجاني باسم الحاخام ان ازور الحاخام بمكتبه في (عقد الجام) قرب سوق الشورحة . وفي تمام الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة التالية كنت حسب وعدي في مكتب الحاخام ، فإذا هو بعمر الخمسين تقريباً ، بغدادي الملتقى بعباراته التقليدية التي استقبلني بها ، وحين نهض عن كرسيه تقدم مني بنشاط وشذ على يدي بقوة . ولم يبد لي في تلك اللحظات رجل دين كما توقعت . كان حاسر الرأس وفي ثياب بيتية متواضعة . وقادني من يدي الى كرسي بجانبه وهو يقول بعد ان وضع عويناته على قصبة انفه :

- مرحباً بك يادكتور ، وقد دعوتك لاتعرف عليك ، فالثناء عليك اسمعه في كثير من المناسبات ومن مختلف الطبقات . من المسلمين ولليهود على السواء .

وقد بدا لي هذا الاطراء صميمياً فقلت له .

- من سروري ان ازورك وأتعرف على حضرتك بأبأ زهير . وكان بنصت الى باهتمام وكأنه يريد مني المزيد مما اقله . ونادى على شخص رأبته حين كان يجلس على كرسي عند باب مكتب الحاخام

- قهوة ياهارون والتفت يقول

- قهوتي عربية ، وهارون يحسن عملها . وأنا افضلها على القهوة التركية .

ورأيت حينذاك ان اعرف ما وراء دعوته لي ، فقلت له

- حاخام ساسون أنا بخدمتك الآن .

فقال لي وهو يبسط كف يمينه على صدره الواسع

- خادم ريك ياولدي (ثم اريف) الحقيقة ان مدير مستشفى ميرالباس (مير افندي) طلب مني ان اكلفك بالعمل في المستشفى بالامراض النسائية والولادية .

وبدا طلبه غريباً ، لانني كنت اسمع من الاستاذ كروكشانك ، ان في مستشفى ميرالباس طبية لحالات الولادة ، وطبيب للحالات الجراحية فقلت للحاخام مستفهماً :

- أليس في المستشفى طبية وطبيب لهذه الاعمال ؟

فاجابني

- نعم في المستشفى دقتورة (توكار) ودقتور (صوصمن) ، ومع ذلك فلجنة إدارة المستشفى تطلبك بالذات ياإبني ، وواجب عليّ ان اعرض طلبها عليك دون الاستفهام منها عن السبب وهي ادري مني به (وتبسم واضاف) ان طلبها مفخرة لك لم ينلها غيرك يادقتور . وبالمناسبة سيكلفك مير افندي عن أجور اتعابك ، وهذا من اختصاصه . على اني متأكد انه سيرضيك . والمستشفى كما تعلم خيري في ادرجة الاولى ، والاجر من الله لامن عطاء العباد .

وفي اليوم التالي كنت في دائرة مدير المستشفى مير افندي . وهذا الرجل في العقد الخامس من عمره ، أمي لاثقافة به إلا بالمتابعة والسماع ، ولا أظنه يقرأ الجريدة دون أخطاء . وفي حديثي الذي لم يطل اكثر من نصف ساعة استطعت ان أسبر غور ذكائه وحرصه على مصالح المستشفى .



وغادرت مكتبه وأنا راضٍ من بنود عملي معه وأجورها وزيادة .  
وصار الاتفاق فيما بيني وبين إدارة المستشفى أن أعمل يومين في  
الاسبوع . وقد اطلعت بيسر وسرعة على بعض شؤونه الادارية والطبية ،  
كما أفادني مير افندي عن تأريخه وحاضره ومن عمل بهاتين الحقيقتين ،  
واختصر ذلك بمايلي

اسس اليهودي الثري ميراليا هو الياس مستشفى ميرالياس في أواخر  
العهد العثماني في العراق ، على أرض واسعة في منطقة العيواضية تمتد  
من مقبرة الاثراك بهذه المنطقة جنوباً حتى قضبان السكة الحديد شمالاً .  
وقد شيد هذا المستشفى على طراز المستشفى الملكي (المجيدية) .  
(طارمة) طويلة جداً تواجه الشمال بحدود مائة وعشرين متراً تنفذ اليها  
ردهات المرصى العشر . ولكل ردهة مرافق صحية على الطراز الشرقي .. وبين  
مدخل المستشفى من الشمال والطارمة العلوية مجمع لإدارة المستشفى  
قوامه غرفة للمدير ، وغرفة لاستراحة الاطباء ، وغرفة لصيدلي  
المستشفى .. وفي مدخل المستشفى بناية بثلاث غرف للعيادة الخارجية .  
وجميع هذه الابنية قديمة وأسبق من اي موظف في المستشفى .. ولأن  
طرازها ومخططها تقليد للمستشفى الملكي فهي باحتمال كبير قد شيدت  
بعد المستشفى الملكي . أما الابنية الجديدة التي اضيفت الى المستشفى  
القديم فيعود تأريخها الى مناسبات حديثة . وقوامها ثماني غرف توازي  
طارمة المستشفى من جهتها الشمالية . ولم تشيد هذه الغرف في زمن  
واحد حين تقدم المستشفى خدمات ملموسة ، يتبرع الموسرون بما يقوم  
ببناءها أو حين يتوفى أحدهم فيبني ورثته غرفة على نفقتهم ويضعون على  
مدخلها شاهداً من المرمر يذكرون فيه اسم المتوفى الذي بنيت بأمواله . أما  
المختبر الذي شيد في الحديقة المقابلة لدائرة الادارة فقد أقيم بعد أن  
أبرمت إدارة المستشفى عقداً مع الدكتور (ملز) ليكون طبيب المختبر  
الباتولوجي في هذا المستشفى .

وكان مدير المستشفى الطبي حين التحقت بالمستشفى من خريجي  
كلية طب بيروت لم اقبله يوماً مدة عهدي في المستشفى . أما مدير الادارة  
والاعاشة فهو مير افندي الذي ذكرته سابقاً .

وكان جل اطباء المستشفى من الالمان الذين هربوا من هتلر في مطلع  
الحرب العالمية الثانية . وبرزهم الجراح صوصمن والمخدر شتراوس ثم

التحقت بهم الدكتورة توكار . وقد أصيب صوصمن اثر وصوله الى بغداد في سنة ١٩٤٠ بمرض الجدري فتشوه وجهه الجميل بآثار هذا المرض . أما هيئة التمريض فترأسها الممرضة رينة اسحاق ، وكانت عانساً في الاربعين من عمرها وهي من أهل البصرة وقد درست التمريض ومارسته في بمباي بالهند ، كما انيطت بها صالة العمليات .. وهي نشطة وبارعة في تصريف أمور المرضى والممرضات التي توكل اليها . وثمة شخصية أخرى في مستشفى ميرالياس وهي مدام ساسون ، وساسون هذا غير الحاخام ساسون . ومهمة هذه المرأة الاشراف على التبرعات التي تجبيها من فقراء اليهود الذين يجلسون للاستجداء في طرقات بغداد وخصوصاً في عقد الجام وعقد التوراة . وكان على كل من هؤلاء الفقراء ان يدفع لها إسبوعياً درهماً واحداً . وهذا درس لمن له بصيرة .

### اول عملية جراحية في مستشفى أهلي/١٩٤٣

في مساء يوم الثاني عشر من تشرين الأول سنة ١٩٤٣ دخلت عيادتي سيدة بعمر الثلاثين تقريباً ، متزوجة منذ ثلاث سنوات ولم تنحب وهي وراء ولد من صلبها . وكانت عاداتها الشهرية غير منتظمة وقد تكون غريبة في احد الأشهر . وتبين لي بالفحص انها مصابة بورم لبني في رحمها أكبر من حجم الرحم نفسه ، وسألتني - وهل هذا الورم هو سبب عدم الحبل ؟ فتذكرت إجابة استاذي كندي على مثل هذا السؤال ، فقلت لها - هذا الورم هو بالتأكيد سبب النزف الدموي غير الاعيادي ، وربما هو ايضاً سبب عدم الحبل

فقلت

- يعني ليس اكيداً انه سبب عدم الحبل ؟

فقلت لها

- اذا استثنينا حالة زوجك ، والاسباب الاخرى التي تمنع الحبل فان قلع هذا الورم يجعلك بحالة طبيعية ومهيأة للاخصاب .

ولما رأيته مترددة وتائهة بين ان تخضع لرفع الورم ، أو تمتنع عنه قلت لها .

- لقد مضى على زواجك كما تقولين ثلاث سنوات ولم تنجبي ، فوجود الورم هو باحتمال كبير سبب عدم الانجاب ، فهل تفضلين الاحتفاظ بالورم وما يسببه من نزف دموي أم التخلص منه ومن اننزف مع احتمال الحمل ؟ فأجابتنني بعد لحظات من التفكير

- طيب ، أوافق ان تخري لي عملية رفع الورم ( ثم سألتني مستدركة ) والرحم ؟ أريده ان يبقى باي حال

- نحن وراء الحبل ، فكيف نطلع الرحم !

ومع ذلك استدركت لأخذ حذري وقلت لها :

- يستبان مايجب عمله بعد فتح البطن .

ثم قالت لي

- افضل العملية ان تكون في مستشفى ميرالياس ، ولم يكن في بغداد يومئذ إلا مستشفى أهلي ميرالياس ، وهو مؤسسة يهودية ، والمريضة يهودية أيضاً ، فلم تكن رغبتها بهذا المستشفى مفاجاة لي بل احراجاً ، فلم اشتغل قبلاً في هذا المستشفى ، وكنت اسمع ان جميع اطبائه من اليهود الالمان الذين هربوا من بطش هتلر . والطب الالمانى يومئذ له سمعة داوية في بغداد ، ولذلك تهيت ان أعمل في هذا المستشفى ، وفضلت ان اجري العملية على هذه المريضة في المستشفى الملكي حيث اعدت ان اعمل بحرية وسيطرة .

فقلت لمريضتي

- لماذا لا تكون العملية في المستشفى الملكي ، وستكون فيه قريبة مني

فلا يفوتني ان اراك اكثر من مرة في اليوم ؟

ويبدو انها ظنت انني سأنقاد الى رغبتها لو لوحث لي باجر مجز ،

فقالت

- ادفع لك كل ماتطلبه عن اتعابك !

وهذه ملحوظة أخرى لم ترد على بالي حتى لو أن أو انها ، فلم أعتد قبلاً

أن اطلب أو اخذ من يد مريضة في المستشفى الملكي أجراً عن اتعابي معها

نقدأ أو عيناً ، فقلت لها :

- انها ليست قضية اجور

- فاجابتنى لتحسم موقفي معها
- اما ربت كل مايقضي لدحول مستشفى مبرالباس .  
وسالته لامستعرياً بل لانعلم منها طريقة احالة المرمى الى  
المستشفى .
- كيف ربت ذلك ؟
- فاجابتنى .
- انا اعرف رئيسة الممرضات في المستشفى .  
ورأيت الامر قد حسم بغير ارادتي وبغلة منى . غير اني قبلته بسكوت  
ورضا . فلاجرب نفسي في عملية بغير المستشفى الملكى . فقلت لها
- حسن ادخلي المستشفى الذي تريدينه .  
وبعد ساعة او اكثر قليلاً ، وصلني ندا ، تخويني يسأل
- الدكتور كمال السامرائي ؟
- يتكلم
- أنا (ريثة) رئيسة الممرضات بمستشفى مبرالباس ، وصلت المريضة ،  
وسنمحص ادارها ودمها اليوم بهد الظهر ، هن تريد شيئاً آخر ؟
- لا ، عندي معلومات كافية عن هذه المريضة
- في اي وقت تريد العملية ؟ بكرة سبت ، يوم الاحد ؟
- في أي ساعة يوم الاحد ؟
- الثالثة بعد الظهر ؟
- حسن ، إتفقند .
- وأعدت سماعه التلفون الى موضعها ، وم أرفع كفي عنها رحت أفكر ؛  
هذا أول نداء تلفوني من نوعه في حياتي ، عن وى عملية جراحية  
أحريها في مستشفى خصوصى ، وسحبت كفي عن له التلفون وأنا اتعنى  
ان يعرف كل الناس ان لي موعداً عن عملية في مستشفى مبرالدىس . وفي  
الوقت المحدد كنت أمام ريثة في هذا المستشفى . رابت هذه الممرضة لاول  
مره : طويلة ، نحيلة الجسم ، سمراء بعينين براقنتين يقظتين ،
- انت الدكتور كمال السامرائي ؟
- نعم أنا كمال السامرائي .
- ضمنتك اكثر عمراً ، ولو ان اشعرات لبض في رأسك لاعتنى لي شئ
- ثم قالت ( هي الى صالة العمليات . وفي هذه لصاله فدينى الى غرفة

صغيرة جانبية وهي تقول :

- هنا تستطيع ان تغير ملابسك ، وملابس العملية على هذه المنضدة .  
وخرجت من هذه الغرفة لأجد أمامي رجلاً كبير العمر يرتدي صدرية  
طبية ، وأسرت رينة وهي لم تكمل بعد ارتداء ملابس العمليات وقالت  
تخاطبني

- هذا هو الدكتور (شقاوس) ، مبنج المستشفى .

ورأيت الرجل في العقد السابع من عمره ، ذو أنف معقوف وشفاه رطبة  
تنفجر زاويتيها اليمين لتنحدر منها رغوة من لعابه . وغادرني الرجل ليغير  
ملابسه . ودخلت أنا غرفة صغيرة لغسل الأيدي وفركها بالفرشاة قبل  
الدخول الى صالة العمليات . كانت (رينة) اى جانبي هي أيضاً تغسل  
يديها وتفركها بالفرشاة . وبدأ لي منذ هذه اللحظات انها ثرثرة ، محبة  
للاستطلاع بشغف .

وسألتني

- اين عيادتك يا دكتور كمال ؟

في الميدان ، بعمارة الجيبهجي

ثم قالت لمجرد أن نتكلم معي

- عندكم مركزيت في صالة العمليات بالمستشفى الملكي ، وريفة في ردة  
الولادة (ثم اردفت تقول) بالمناسبة أنا قابلة أيضاً الى جانب عملي في  
صالة العمليات . وكنت قبلاً مولدة في المستشفى الملكي بالبصرة ، أما  
بداية خبرتي الأولى فكانت في يومي بابهند . وهناك تعرفت على الممرضة  
مركزيت ، (وبعد قليل من الصمت قالت) اذا عندك مريضة للعمليات  
فسأهت بامرأها بشكل خاص اذا ادخلتها هذا المستشفى .

وسألتها

- ومن هي طبية الامراض النسائية والولادية في هذا المستشفى ؟

- هي دكتورة توكار المختصة بمعالجة هذه الحالات .

- سمعت عنها من المريضات النواتي يراجعنني

- هي امرأة متقدمة في العمر ، ودكتور (صوصمان) يساعدها ، والحقيقة  
هو الذي يجري العمليات وهي تساعد لترضي المريضة أو ترضي أهلها .  
وفهمت ماذا عنت بهذه العبارة الأخيرة ، وهو موقوف ان لا يستطيع  
الطبية العحوذ ان تنهض وحدها بالعمليات الجراحية أو الولادة

المتعبة . وقد تقول لأهل المريضة وللمريضة انها هي التي انجزت العملية ، وكيف يعرفون انه غير ذلك ولا أحد منهم يدخل صالة العمليات ؟

وهذا بالضبط ما اشارت اليه ممرضة العمليات رينة .  
وقد اكتشفت منذ اللقاء الاول مع هذه الممرضة كم هي ذكية ونشطة ،  
وغامضة لمنفعتها !

وحين دخلت صالة العمليات ، حصرت افكاري لاستذكر اسلوب استاذي كندي في مثل هذه العملية بالرغم من أنني قد اصبحت الى حد ما كفواً لانجازها ، واستحضرت نفسي ان تكون خطواتي فيها نظيفة ، وسريعة وهادئة بما في ذلك شق جدار البطن ودفع لفائف الامعاء بالشاش الى أعلى البطن ، ثم القاء نظرة فاحصة على اعضاء الحوض ، ووضع خطتي في العمل قبل الشروع فيه . وتم ذلك كما اردته ان يكون . وابتدت رينة إعجابها بعلمي ، وقالت مرائية أو صادقة

- سأطلب من الدكتورة توكار والدكتور صوصمن ان يشاهدا حركات أصابعك في الحوض ، في العملية التالية .

وغادرت المريضة المستشفى في اليوم الخامس بعد العملية ، وفي مساء هذا اليوم كلمتني رينة على التلفون تقول

- المريضة تخرج هذا اليوم ، وحالتها جيدة .

- جيد .

- وأجورك ؟ كم تريد من المريضة ؟

وترددت قليلاً ثم سمعتها تقول باستفهام

- ثلاثون ديناراً ؟

- كما تريد .

وكان مستشفى ميرالياس يومئذٍ يأخذ ٢٠٪ من أجور الجراح . وفي اليوم التالي دخل خادم المستشفى الى عيادتي الخاصة وسلمني مظروفاً فيه قائمه باسم المريضة واجرة العملية واستقطاع سنة دنانير حصة للمستشفى ومع هذه القائمة أربعة وعشرون ديناراً .

لقد كان هذا المبلغ أول أجر اتقاضاه من مريضة عن خدمتي الجراحية لها . أو هي بداية لكثير من أجور العمليات التي أجريتها في هذا المستشفى بعد ذلك . وسيحيىء كلام كثير في ما ياني عن (رينة) ونشاطها

الاجتماعي والطبي .

## عدالة رأيت الله بعيني / ١٩٤٣

استدعيتني في مطلع شهر شباط من سنة ١٩٤٢ ممرضة في مستشفى ميرالياس اسمها (فيوليت) لفحص أختها التي رقدت توأ في هذا المستشفى وهي تشكو من ألم حاد في أسفل بطنها . وتبين لي بعد الفحص ان أختها تحتاج الى عملية مستعجلة لرفع كيس مبيض ملتو . وانجزت هذه العملية بعد قليل من إكمال الفحوص المختبرية .

وصارت الممرضة فيوليت تتولى خدمة أختها المريضة الراقدة في الردهة وتمريضها ، فتطعمها وتسقيها وتسمر معها بعض ساعات الليل . وكنت أزور هذه المريضة مساء كل يوم بعد ان انتهى من اعماله في عيادتي الخصوصية ببغداد ، فاذا قصدت داري في منطقة الصليخ دخلت مستشفى ميرالياس وأنا في طريقي لاطلع على حالة هذه المريضة وإعطي تعليماتي الجديدة الى أختها فيوليت المسؤولة عنها ، وبعد يومين لم أجد فيوليت الى جانب أختها ، بل كانت في مكانها عجوز نحيفة العود ملمومة الجسم ، معروقة الوجه ، ولحظة واجهتها بادررتني تقول لي

- انا أم المريضة وقد حضرت لاساعد أختها فيوليت في إدارة أختها المريضة (ثم استدركت تقول) أنا أم رحمين صديقك . وصرت بعد ذلك أرى هذه العجوز في كل مساء أزور مرضاهي في هذا المستشفى ، فأجاملها بحديث قصير لم يلبث ان ربطنا بالغة . وأنا بطبيعتي أميل الى مجالسة كبار السن والتحدث اليهم ، من النساء أو الرجال . فاستمتع باحاديثهم التي كثيراً ما أجد في بعضها غير مانصفه بالهذر والخرف . وصارت تنتظرني هذه العجوز مساء كل يوم وتستحضر لي كرسيّاً مريحاً وبعض الفاكهة والحلوى . ونجس أمامي على بلاط الردهة ، رافعة ركبتيها لتريح عليهما حنكها المديب الذليل لتتص عس مافي جعبتها من اخبار وحكايات . وسرعان ما بدا انها كانت تستحضر لي قصصها مثلما يستحضر لي طبق الفاكهة من نوع جيد وشهي . ولم تكن جميع قصصها ذات معنى ،



ولكنها كانت في جملة ممتعة أو غير ممتعة بالاقول . واذكر من حكاياتها يوم كنا نتحدث عن غلاء المعيشة في بغداد ، انها اتخذت موقفاً وهي تسرد لي الحكاية وكانما تهدف منها الى حل مشكلة هذا الغلاء . قالت وهي تتأوه .

- رحم الله أيام زمان  
وسكنت

واعرف انها تريدني ان استحثها على مزيد من الكلام عن الغلاء فسألتها

- ماذا عن ذلك الزمان يا أم رحمين ؟  
فاجابتنني تقول

- كان ذلك في أيام (الترك) حين حصل القحط في العراق ، فابرق الوالي الى الباب العالي في استانبول يعرض عليه الأمر وخطورته ، فاجابه الباب العالي .

- أفتحوا مخازن الحبوب والعلاوي (للفرهود)  
فعمل الوالي بذلك ، ولم يمض يومان بعد ذلك إلا ونهت جميع مخازن المؤن وحصل الأهالي على حاجاتهم منها بالمجان . فتخابثت مع صديقتي أم رحمين وسألتها .

- وهل كان نصيب اليهود من هذا الفرهود مثل غيرهم من المسلمين ؟  
فاجابتنني بحسم وتعال :  
- ان اليهود لم يشتركوا في ذلك الفرهود  
وسألتها

- وهل صبروا على الجوع  
فاجابتنني بتباه

- كانت الحنطة وغيرها من المؤن تصل الى بيوتهم بأمان وانتظام  
وسكتنا

وفي يوم لاحق جئت كعادتي الى المستشفى ، ورأيت الممرضة فيوليت الى جانب أختها بدلا من أم رحمين ، كما لاحظتها تلبس السواد وعلى وجهها حزن عميق ، وفي عينيها آثار الدموع ، فقلت لها  
- ما الامر يا فيوليت .

فاجابتنني وهي تجهش بالبكاء

أمي ماتت !

وماتوقعت قط هذا الجواب ، وكانت في الليلة الماضية انشط ممى  
وأطول لساناً ، وسالتها  
- توفيت بالسكتة ؟

فاجابتنى

- احترقت

وهنا ازداد تعجبي ، وصار المجاز واسعاً للسؤال عما حدث لامها فقلت  
لها

- كيف احترقت واين ؟

فاجابتنى

- هنا في هذه الغرفة

وصدت يدها تشير الى آثار حريق على ارضها (واستطردت تقول)  
- كانت أمي تغفو على كرسيها حينما نادتها أختى لتناولها الدواء  
فنهضت وهي نصف نائمة واصطدمت بالمدفأة النفطية وقلبتها فانسكب  
منها النفط واشتعل والتهمت نيرانه ثوب أمي ولحمها (وأضافت) هذا  
ما انباتني به المريضات في الردهة -

فابديت أسفى مرة أخرى وقلت لابنتها القابعة في فراشها  
- هذه فجيعة ساعدك الله عليها ، كانت امل بالنسبة لي صديقة  
مؤنسة ، وذهبت الى دائرة المستشفى وأنا أتصور بألم الدقائق التي مرت  
بها أم رحمين قبل أن تتحول الى جثة هامدة . وذكرت الحادث أمام مدير  
المستشفى (مير) أفندي وهوبين موظفيه ، غير اني انتهيت الى ان هؤلاء  
لايعلقون على وقاتها بترحم بل بسكوت مطبق ، فافترضت ان ذلك مألوف  
في مثل هذا الموقف المحزن ،

وقلت على طبيعتي

- هذا أمر الله

نعم ان الامر ليس بايدينا ، ولا فائدة من الاسف إلا العزاء لابنتيها  
فقال مير أفندي يعترض

- بل لسنا نحن آسفين على ماحدث !

فقلت له وانا أعتقد انه عنى بما قال شيئاً آخر

- انا اتكلم عن العجوز التي احترقت

فقال مير افندي

— وأنا أعنيها يادكتور .

فقلت له مستغرباً

— أنا لأفهم ماتعنيه يامير افندي !

— هذا عقاب الله ومن نوع الجريمة التي كانت قد اقترفتها أم فيوليت

— ولكنني أريد ان افهم ماتعنيه رجاء

فقال

— كان لهذه العجوز ولد هو (رحمين) وقد تزوج بطلب ملح من أمه ، وفي يوم

وليلة حصلت بينها وبين زوجة ابنتها نفرة اشتدت وقلبت البيت جحيماً .

وذات ليلة كان ابنها رحمين غائباً بحكم وظيفته في إحدى محطات

القطار ، فانتهزت العجوز غيابه وافرغت ما في بيتها من النفط على زوجة

ابنها وهي نائمة ، واشعلت النار فيها .

فقلت

— ان صح ذلك ، فهو فظيع

واستمر مير افندي يقول

وتدارس المجلس الجسماني اليهودي حيثيات الحادث وظروفه وثبت

لديه ان الحادث ليس قضاءً وقدرًا بل جناية دبرتها العجوز أم رحمين ، غير

ان القضاء أفرج عن العجوز لعدم توفر الادلة الكافية ضدها ، (ثم قال)

لقد نجت أم رحمين القائلة من قانون الارض ، ولكنها لم تنج من عدالة

السماء .

وغادرت مكتب مدير المستشفى مير افندي وأنا اردد في سري ، لا اله الا

الله وعدالته هي العليا

### الراقصة م . سعيد / ١٩٤٣

صباح يوم جمعة من شهر نيسان ١٩٤٣ كلمتني تلفونياً سيدة بصوت

لا يخلو من بحة انوثية كثيراً ماكنت اسمع اسمها على افواه الشباب ، غير

أنني لم أرها قط الى هذا اليوم . وهي غادة جميلة ومشهورة إن لم تكن

يومئذ أشهر الغواني في بغداد . قالت :

- أنا مديحه سعيد ، وأشكو من بطني ، فلم اغف براحة طيلة الليله  
الماضية ، وأريدك ان تأتي لتفحصني .

وسألتها - وكيف أعرف بيتك يا ست مديحه ؟

- سيجيئك أخي وإسمه (مدحت) ، هل أبعثه الآن ؟

- سأكون جاهزاً في انتظاره بعد ساعة

وفي الوقت المحدد رن جرس داري في الصليخ مقابلني على بابه شاب في  
نحو العشرين من عمره ، وردى السحنة أررق العيفين وحسن الملبس  
والقيافة ، فأخذت مجلسي الى جانبه في سيارته الشفروليت ذات اللون  
الازرق والابيض ، واستمر يسوق سيارته صامتاً حتى وصلنا الى دار  
أخته ، في محله (رخيئة) بالكرادة وفتحت لنا باب الدار امرأة سوداء  
بعينين جاحظتين قليلاً ، وتقدمني مدحت الى فناء البيت ، وتناهي الى  
سمعي ونحن نخطو فيه صوت من يسأل :

- زبيدة ، منو ؟

وكان ذلك الصوت هو ذاته الذي كلمتني على التلفون ؟

فاجابتها المرأة السوداء زبيدة تقول بصوت عالٍ

- الدكتور

فقال لها

- دليّه ليصعد الى فوق

وحين صرت على باب مخدع سيده البيت كان يغادره لتوه رجل انكليزي

برتبة عالية عرفتها من ماعلى كتافياته من نجوم .

كانت غرفة المريضة مديحه سعيد التي دخلتها واسعة وبنواهد نطل  
على فناء البيت ، وكثيرة الاثاث من الكنبات والكراسي ، كما فيها كثير من  
الصور الملونة التجارية معلقة على جدران الغرفة ، ومزهريات مليئة  
باخفتناق بالزهور ، وعلى طاولة مستديرة تحتل وسط الغرفة مجلات مصرية  
مكدسة بغير عناية ، أما الركن الايسر من الغرفة فقد امتلأ بسرير واسع  
معدني القوائم ويلون وردي ، وتستلقي على طرف منه الشاية مديحه وهي  
في نحو منتصف العقد الثالث من عمرها ، بيضاء السحنة ويشعر ذهبي  
اللون . وعينين زرقاوين واسعتين ناطقتين بما في داخل المريضة من  
أوجاع ، وفاتحتني بقولها :

- اهلا بالدكتور ، وأشارت بيدها الى كرسي قريباً من رأس سريرها وقالت :

تفضل على هذا الكرسي

وكان على وجهها اثر المساحيق ومواد التجميل التي لم يمحها حمام الصباح .. كانت هذه المريضة جميلة الوجه ، ولم أر في جمالها ما يحتاج الى تزويق ليزيد من جاذبيته . ونهضت هذه المريضة قاعدة في فراشها وهي تعلم رداء نومها الخفيف الفضفاض لتستر ما بين يديها ، فاستطعت بهذه الحركة ان أقدر رشاقة جسمها وطولها المعتدل ، وتناسق أصرافها المغربية ، وشرعت تعرض على شكواها بعينين ناعستين من بطنها السفلي التي بدأت فجأة بعد منتصف الليلة الماضية . وفحصتها كما يجب ان يتم الفحص النسائي فاذا هي في حالة التهاب الانسجة الحوضية ، فوصفت لها بعض الادوية ونصحتها بالراحة التامة في فراشها ، ثم زرتها ثلاث مرات أخرى لمتابعة تطور مرضها ، وفي اليوم الأخير سالتني .

- الحساب يادكتور؟

فقلت لها مجاملاً

- اي حساب ، ليس هناك حساب

فاجابتنني بجزم

- لا ، هذا حقك ، ولا بد ان أدفعه لك

فتجاهلت اصرارها غير انها قالت لي

- دقيقة أرجوك

ورأيتها تخلع خاتماً من بعض خواتم يدها وتدفعه في جيب سترتي

وهي تقول

- هذه هدية بسيطة بدل الحساب

وقد رت ان هذا الخاتم لا بد ان يكون ثمينا ، أو بقيمة هي على الاقل اكثر

مما قدمت لها من خدمة طبية . وبعد بضعة أيام أخبرت صديقي (أف)

عن هذه الهدية الثمينة فقال لي

- هذي هي مديحة سعيد حين تكرم ، (واضاف يقول) لعلمك ياكمال هي

من بيت عسكري شريف ، فانقطع ما بينها وبين اهلها بسبب موت كبير

العائلة مبكراً ، فساءت حالتها المالية ومديحة ما زالت في عمر الطفولة ،

فألت أحوالها الى هذا المصير وأخبرت صديقي (أف) عن زيارتي لمديحة

وعن ذلك الانكليزي الذي كدت اصطدم به عند باب مخدعها يوم أول

مرة ، فقال لي :

- انها صارت تستقبل كبار ضباط الجيش البريطاني (ثم قال) كان عليك ياكمال ان تطلب منها تايرات لسيارتك ، لان أحد أصدقائها هو المسؤول عن بيع التايرات الى الاهالي ، بسعر زهيد . فقلت له

- هذا طلب ثقيل لان قيمة التاير الواحد في السوق تزيد على مائتي دينار! وكان هذا المبلغ يومئذ كبيراً . فقال لي .

- واذا كان بهذا السعر في السوق فانك ستشتريه باحاة من ذلك الانكليزي بخمسة عشر ديناراً فقط ، (واضاف) وقد حصلت أنا على (زوج) من التايرات بواسطتها .

وفي يوم من ايام شباط سنة ١٩٤٣ اقامت الجمعية الطبية العراقية حفلة في نادي المحامين بشارع العسكري وكان من فعالياتنا فصل في الغناء والرقص الشرقي وتلاه فصل في الرقص العربي والاطباء يغالون احياناً في فرحهم ويفرطون في الشرب وكأنهم يندغمون لانفسهم من أيامهم المتواصلة في العمل الجاد الخالي من الراحة . وفي اول دورات الرقص الغربي تقدمت مني الست مديحة وامسكت بيدي وقادتني الى حلبة الرقص . كان خصرها نحيلاً ، وجسمها لدناً ، ورائحتها عطرة ، ومالت رقبتها نحو اذني وهي تقول

- وزيركم بالـ (ياسطون) ، وسوف اقتله وأنا في مكاني بعيدة عنه فسألتها

- تعرفينه ؟

ولم تجبني ، بل سحبتني وأنا أراقصها ، والقيادة بيديها ، حتى اقتربنا من مائدة ذلك الوزير .. ولم يفتني ان أعرف ما بدا على وجهه من الانفعالات . وانقذني أحد زملائي من الاطباء وهو (ج) الذي عرفت بعد ذلك أنه أحد معارف أخيها مدحت ، فاخذها مني وصار يراقصها بينما عدت أنا الى مكاني بين حشد الاطباء .

ومرت سنوات طوال لم أر فيها الست مديحة ، وذات يوم دخلت عيادتي امرأة بدينة وبادرت تسألني قبل ان تأخذ مكانها على احد كراسي العيادة .

~ عرفتني ؟ أنا مديحة سعيد !

يا الهي كم تغيرت هذه المرأة ، كان كل جزء منها قد تغير الى الضد ، وسيطرت علي الدهشة لفرط هذا التغيير ومعالم تقدم العمر البغض ، فنهضت قليلاً من كرسيي واستقبلتها قائلاً

- اهلاً وسهلاً بالست مديحة ، هذه مفاجأة سارة . فقالت لي تسأل - تغيرت ، اليس كذلك ؟

فجاملتها أقول

- الروح لا تتغير يا ست مديحة

ولابد انها ادركت المجاملة من طرفي فقالت بحسرة

- فات الاوان ، ودعكني الزمان يادكتور

وسالته

- وهل تشكين من شيء ؟

فاجابتنني

- آلام في بطني واسفل ظهري ، فافحصني رجاء

وفحصتها ووقفت على مصيبتها ، ولعنت في سرى المرض الذي أصاب

هذه الانسانة بعد ان تحايل عليها ربحاً من عمرها حتى تفشى وأوقعها في

حباله المميته ، فقد وجدتها مصابة بسرطان عنق الرحم ، وبمرحلة

متقدمة نسبياً ، وصارحتها بليونة بخطورة حالتها ، ونصحنها بمراجعة

الدكتور احسان القيماقجي الذي يختص بمعالجة هذا المرض .

فاجابتنني

- راجعته ، ولازال اتردد عليه في المستشفى الملكي الذي يعمل فيه ، دون

فائدة

ولم أجد لمداراة موقفي معها أفضل من ان اكذب فقلت لها

- داومي على علاجه طالما فيه أمل بالشفاء

وسالته

- تعتقد انني أبرأ من هذا المرض ؟

فاسعفتني الحيلة وقلت لها

- رحمة الله واسعة

فرددت تقول

- آمنت بالله الذي حججت بيته !

ونهدت لتغادر عيادتي وهي تسألني

- كم يادكتور ؟  
فقلت لها وأنا اعنى ما اقول  
- كلك كرم ياسست مديحة  
وغادرت عيادتي ولم أرها بعد ذلك

\* \* \*

في مابعد ظهر يوم ١٢/٢/١٩٧٢ كان النهار رائعا وتعمر حديقي الشمس وتنفذ اشعتها من خلال قمم الاشجار العالية لتسفع بوفر على السطوح التي أمام بيتي وقسم من حجرة نومي من خلال نافذتها الوسيعة . وأمامي نهر دجلة ينساب بين الجزر الصغيرة التي تنتشر في حوضه . وبعيداً على الشاطئ الآخر من النهر ترتفع اشجار النخيل ومن تحبها اشجار التوت فتشكل كتلة واحدة غنية بالخضرة ، غاثرتني هذه الطبيعة الخلابة لان اغادر بيتي لآتمشى الى اعالي منطقة الصليبخ ، فاخذت طريقني اليه متمهلاً لاستمتع ببهجة ذلك الجو . وبعد ان اجتزت الطريق المزدحم بالسيارات والسائبة ، سلكت طريقاً جانبياً مترباً الى حقول هذه المنطقة حيث يزرع الخس والخضراوات الموسمية الأخرى . وكانت تتناثر على هذا الطريق التقايات أمام البيوت المتواضعة المتلاصقة وتتصاعد منها الروائح النتنة ، ويتطاير الذباب من على أرجائها . ولولا ان هذا الطريق كان غارقاً في بعض اقسامه بالمياه الراكدة التي يسكبها اهل البيوت على جانبه لكان من تلك البيوت وتنانيرهم التي تكثر هناك لوحة فنية جميلة .

وفي مكان قريب من نهاية الطريق رايت افراداً من الناس يدخلون داراً وآخرين يخرجون منها بلا انقطاع ، ولما اقتربت من ذلك البيت أخرج منه نعش متواضع يحمله اربعة رجال على اكتافهم وهم متجهون نحو مكان في الطريق ، ولما صار النعش قريباً مني التصقت على الحائط الذي خلفي ليمر في ذلك الزقاق الضيق ، ورأيت شخصاً من بين المشيعين كان يوماً ما يعنى بحديقة بيتي اسمه (سلمان) وهو من أهل هذه المنطقة فسأله :  
- من يكون هذا الميت ؟

فاجابني باقتضاب

- حرمة اسمها مديحة سعيد ، (واضاف) انت يادكتور ماتعرفها ، ويقولون انها كانت راقصة وتابت الى الله وحجت بيته الحرام ، وقد توفيت



بالسرطان .

إنن في هذا النعش المحمول الى اللحد تحت التراب . مديحة سعيد  
التي عرفتھا يوماً ما تتوسد الافرشة الحريرية ، ويفسل قدميها كبار  
المحبين من أهل بغداد . حكمتك يارب .

### البارونة فلافسكا

في يوم من شهر مايس ١٩٤٣ إتصل بي تلفوتياً صديقي مايكل زيا  
صاحب فندق زيا المشهور ببغداد ، وكانت بيني وبينه وبين أهلي وأهله  
تبادل زيارات وولاتم وهدايا فضلاً عن ان أخاه الدكتور إدورد زيا من  
تلامذتي النجباء ، وطلب مني مايكل ان استقبله في عيادتي مع سيدة من  
نزلاء فندقه تشكو من آلام في بطنها ، وحضر مايكل في الوقت الذي حددته  
ويصحبته شابة لم تبلغ بتقديري نهاية العقد الثاني من عمرها ، وقدمها  
الي باسم (البارونة فلافسكا) مخابرة صحفية من بولونيا ، وقد عرفتھا  
لحظة وقع عليها نظري ، وعرفتني هي الأخرى بالسرعة ذاتها دون شك ،  
إلا ان كلا منا لم يتظاهر بهذه المعرفة ، واستقبلتها بابتسامة لابد انها  
ادركت معناها ، فقد كانت هذه الصبية في عيادتي قبل نحو عشرة أيام  
بصحبة ضابط انكليزي وسيم برتبة كابتن ، ذي جسم متين وشارب أحمر  
ينسدل على زاويتي فمه ليصل الى أسفل ذقنه ، وبقي هذا الضابط  
وصاحبته ينتظران في عيادتي حتى خلت من المرضى ، فدخل مكنتي  
وعرفني بالصبية التي كانت بصحبته . وفي غرفة الفحص كانت هذه  
الصبية صريحة في عرض شكواها الطبية وجريئة في التباهي بعرض مفاتن  
جسمها ، فلم أكد اطلب منها ان تستلقي على طاولة الفحص حتى كانت  
بعد رمشة العين عارية إلا من الشريط الأزرق الحريري الذي تجمع به  
شعر رأسها الذهبي ، وكنت سألتها في بداية تحدثي معها :

- أمتزوجة ؟

فاجابتنني بأنها ارملة من زوجها الذي قتله الالمان  
وعرفت بسهولة انها حامل فقلت لها :

- انت حامل ياسيديتي

وما جئني بفولها

- أنا اعرف أنني حامل وجئت للتخلص من الحمل

مقلت لها :

- ان التطريح في بلدنا مفقّد بضوابط وشروط طبية ودانونية . فدفعني  
قائلة

- تفاهم مع الكابتن ا

ونهضت غير راضية ، وعدنا الى مكتبي في العيادة وقت كس  
- ان السارونة حامل وتطلب مني اسقاط حملها ، وهذا مالا اسصع عنه  
بحكم الانظمة والقوانين الصحية في العراق ، فضلاً عن ان عتبة لا تص  
تحتاج الى الات وادوت لا استطيع توفيرها ولا اسعمالها في العيادة  
فاستنكر موقفني وعده تهرباً ، أوجس نبض عما يمكن ان يدعه غداً  
أتعابي في هذه العملية ، فقال وهو يضرب بكفه على جيب سترته .  
- أنا مستعد ان ادفع لك ماتطلبه لقاء هذه الخدمة .

ولما طال الجدل بيننا ، هو بالاغراء وأنا بالرفض لجأ الى الحشونة  
والتهديد ، وعلا صوته على صوتي ، وأخيراً قال لي مهدداً :

- ساكون في يوم غد في مثل هذه الساعة في هذه العيادة . فاستحضر  
ما تحتاجه من الادوات لهذه العملية ، وادار ظهره لي وغادر العيادة بسخص  
ملحوظ . ودهشت لطريقة كلامه وخشيت ان يجيئني في يوم غد ، وفكرت  
ليلتها فيما يصح ان اعمله لاتخلص من هذا الوقح ، وقررت أخيراً ان ستر  
الى الدكتور سندرسن وهو رئيسي الاعلى في المستشفى الملكي مدد  
بعيادتي مع ذلك الضابط ، فاستمع الي الدكتور سندرسن بهتاه ثم  
مديده الى آلة التلفون وبدأ يدير ارقاماً في قرصه ، ثم سمعته يصل  
المستشفى رقم ٢٨ وخاطب شخصاً بتودد وأخبره بشكايتي التي رفعتها  
اليه ، وتبادل معه أموراً أخرى ، ولما انتهى من مكالمته التلفونية رار  
كرسيه نحوي وهو يقول لي :

- اذهب الى عيادتك كالمعتاد وسوف لا يكون ذلك الضابط فيها لار  
الانضباط العسكري سيكون بانتظاره بضعة ايام . ومعلا لم يحضر  
الضابط الذي توعدتني ، ربما جاء فنكص على اعقابيه عندما شاهد  
الانضباط العسكري عند مدخل العمارة التي فيها عيادتي .

لم يكن صديقي مايكل زيا يعلم بتلك المقابلة التي تمت بيني وبين ربونته البارونة ، ولا أنا اشرت اليها عندما جاءت معه الى العيادة ويبدو انها هي ايضاً لم تذكرها لمايكل ، وعندما التقينا وهي بصحبة مايكل تفاهمنا بسرينا سكوتاً ، ولم تزد هي على ابتسامة منها رداً على تحبتي لها ، وقدتها الى غرفة الفحص وهي صامته وأنا صامت ايضاً . وعرفت بعد فحصها انها مصابة بالتهابات حوضية إثر تخلصها من حملها في عيادة طبيب أو في بيت قابلة حيث الاحتمال كبير بنشوء مثل هذه الالتهابات . ووصفت لها بعض الانوية التي تفيد في علاج حالتها المرضية . وكان صديقي مايكل ينتظرها في كريدور العيادة فاستصبحها وغادرا العيادة وعلى وجهيهما علامات الامتنان . وبعد ثلاثة ايام وجدتني في غرفة الانتظار بعياذتي ، ونهضت باشة وتقدمت مني ودست يديها في محفظة يديها وأخرجت منها علبة ملفوفة بورق هدايا مزقوق . وفتحها واذا فيها قلم ( ياركر ٥١ ) فقبلته منها شاكراً ، فقد كان هذا القلم يومئذ غير معروف بعد في العراق ، وبعد يومين لا اكثر جاءني ضابط بريطاني وسألني ان كانت قد زارتني سيدة باسم كذا وكذا ومن كان بصحبته من ضباط الجيش البريطاني وما سبب زيارتها لي فأخبرته بكل ذلك بتفصيل وصدق ودونه في دفتر صغير دفعه بعد ذلك في حبيب سترته . وشكرني وغادر العيادة . وكلمني مايكل بعد بضع ساعات من زيارة هذا الضابط بقول . - حين غادرت البارونة عيادتك كان في انتظارها ضابط بريطاني وقد سعد معها الى حجرتها وفتشها بدقة متناهية ثم قادها معه وهو يحمل بعض ما وجده في حجرتها الى خارج الفندق .

وبعد بضعة أيام أخبرني مايكل بلسان جاف ان البارونة قد افيدت مخفورة الى معسكر الحنانية حيث اعدمت رمياً بالرصاص بعد تحقيق اثبت تجسسها على تحركات الجيش البريطاني في بغداد والعراق ، وانها المائنة الاصل وتحمل جواز سفر بولوتياً .

## عملية خارج الرحم في الحلة / ١٩٤٣

بينما كنت مع بعض أصحابي نتناول العشاء في دار الصديق (أكرم مشتاق) جاءني نداء تلفوني من الدكتور حميد شلاش في الحلة ، وكان يومها رئيس صحة هذا (اللواء) وهو من جملة خريجي الدفعة الاولى في كلية الطب ببغداد . قال لي حميد شلاش : ان زوجته شكت صباح هذا اليوم من ألم حاد في بطنها السفلى ، ويرجوني ان أحضر مع الدكتور كروكشانك الى الحلة لفحصها ، وختم كلامه بقوله وهي الان بحاله تستدعى العلاج الفوري . واتصلت تلفونياً بالدكتور كروكشانك فاعتذر عن السفر ليلاً . واتصل بي بعد ذلك مباشرة الدكتور جاك عبودي ليخبرني انه في حالة اعتذار الدكتور كروكشانك ان نذهب كلانا (أنا والدكتور جاك) الى الحلة إستجابة لطلب زميله حميد شلاش .

وبالرغم من الثقة التي شملني بها حميد شلاش لآكون مع الدكتور كروكشانك ، فقد تمنيت لو كنت المطلوب وحدي لإسعاف زوجته أو آكون المطلوب الاول قبل كروكشانك ، وهو غرور لامبرر له ، فانا بالنسبة الى كروكشانك في تلك الايام مبتدئ في الطب الجراحي .

وكانت اثمان اطارات السيارات يومئذ قد ارتفعت الى علو خيالي فاغرى ذلك بعض المجرمين في استئجار سيارات الاجرة ذوات الاطارات الجيدة وارغام السائق اثناء السفر على ان يخرج عن الطريق ليقود سيارته الى مكان منعزل حيث يقتلونه ليستحوذوا على اطارات سيارته ، وقد تكرر مثل هذه الاجرام وكان هذا سبب احجام الدكتور كروكشانك عن السفر معي الى الحلة . والدكتور شلاش على علم بخطورة السفر ليلاً الى الحلة ، فاتصل بي تلفونياً مرة أخرى ليخبرني انه إتصل بمدير شرطة بغداد ليرافقني شرطي في سيارة حكومية الى قرية (المحاويل) ، كما انه رتب لي مدير شرطة الحلة ان تستقبلني سيارة شرطة في المحاويل لترافقني الى الحلة . وهكذا افهمني الدكتور شلاش ان سفرتي الى الحلة ستكون خالية من المخاوف . واحتل الشرطي المقعد الامامي في السيارة الى جانب السائق وأخذت أنا والدكتور جاك القسم الخلفي من السيارة ، وكانت الساعة حين تحركت بنا السيارة قد قاربت الواحدة صباحاً ، وما كادت تستقيم

دردشتي مع الدكتور جاك عبودي حتى تخلخل نصقه وانخرط في نوم عميق وتعالى شخيره وبعد اكثر من ساعتين دخلنا شوارع الحلة وكانت مصابيحها الكهربائية مازال مشتعلة غير انها بولا مصابيح السيارة لم تكن تكفي لانارة الشارع الذي كانت تتعثر فيه دواليب السيارة ، ووجدنا في إنتظارنا في بيت الدكتور شلاش عدداً من اطباء المدينة ، كان من بينهم طبيب الاسنان مهدي الصندوق وطبيب آخر سوري منتفخ الوجه وآخرون لم اندفع لمعرفة هوياتهم .

كانت المريضة زوجة الدكتور شلاش ، في منتصف العقد الثالث من عمرها ، وهي ابنة عمه الحاج محسن شلاش ، وقد مز على زواجهما سنتان دون ان ينجبا . وكانت شاحبة اللون وكان نبضها سريعاً يتجاوز المائة وعشرين ضربة في الدقيقة الواحدة ، وبطنها منتفخة قليلاً ، وضغط دمها بحدود الثمانين ملمم من الزئبق ، وتلمست بطنها فأحسست جسماً صلباً في جانب جوف حوضها الايمن ، وتأكدت بالجنس المهبلي - البطني ان هذا الجسم الصلب هو غير الامتلاء الذي يحتل الجانب الايسر من جوف الحوض .. ومبدئياً عرفت ان المريضة قد فقدت دمأ في جوف بطنها ، أما من المهبل فكان الدم الذي ينحدر منه قليلاً ولونه كدراً . ولم أحصل من المريضة معلومة تدل على الحبل بما في تلك الطمث الذي كانت فيه يومئذ . هل هي حامل خارج الرحم ؟ جائز ، وما هو الجسم الصلب الذي في الجانب الايمن من الجوف الحوضي ؟ كيس مبيض ؟

جائز ايضاً مع انه كان صلب الملمس ، بل انه كان شديد الصلابة ولا يتحرك بسهولة عقدة ليفية ؟ هذا هو اكثر الاحتمال و هذا الورم هو سبب العقم في هذه المريضة ، وهو ايضاً سبب الحبل خارج الرحم . دارت هذه الاحتمالات في رأسي واستقر رأيي على فتح بطن هذه المريضة . وانتظرت بعض الوقت لتجهيز ما يلزم من الانوات للعملية . وكان الدكتور مهدي الصندوق يحاول ان يلطف الجو فقص علينا فكاهات لم أجد فيها ما يسلى . ورأيت ان القي نظرة على صالة العمليات في المستشفى الملكي بهذه المدينة ، وكدت أصعق لما كانت فيه من عدم اللياقة لأي نوع من العمل الجراحي . فالطاولة من المصنوعات المحلية ولا يمكن تغيير مستوى سطحها لأي اتجاه . كما ليس في الصالة من مواد التخدير إلا الكلورفورم والايثر ، وكان الطبيب المخدر من اخواننا الاطباء السوريين ، وهو كبير

الرأس وصحبه البطش ، وحين نقلت المريضة الى صالة العمليات اسرى هذا المحضر يقول للدكتور شلاش انه لا يستطيع ان يحذر (حرمة) الكربة ، بل هي كما يقول مثل ابنته وأحشى ان يعطس العاطفة فاحطرها في سوبمها كما يحب ، وأصر ان لا يكون المحذر في هذه العمية ، ولما رأيت موت الوقت يريد من خطورة العملية التفت ان الدكتور حاك وسأله وأنا اقصد ان اطلب منه ان يقوم بعملية التخدير - ماذا تقول يا جاك ؟

فاجابني ، بعد ان تردد قليلاً  
- ساجازف ،

وفتح البطن ، فكان النزف الدموي يملأ الجوف الحوصي ، وكان مصفره من الانبواب الرحمي الايمن الذي مطه بشدة ورم ليقي في نفس الجانب من الرحم ، فتمت البويضة الملقحة في جوف الانبواب حتى افترغ بها جداره وتمزق فكان من ذلك النزف الدموي ولسوء حالة المريضة لم أحاول قلع الورم اللين من الرحم خشية ان يزيد ذلك من النزيف الدموي اثناء ذلك وليس لدينا من السوائل لنعوضه إلا محلول الملح بالماء ، وهو مستحضر محلى لا يركن الى دقة صنعه .

وانجزت العملية باعجوبة

وعدت الى دار الدكتور شلاش لتناول طعام الفطور . وفي اثناء ذلك دخل علينا أبو المريضة الحاج عبد المحسن شلاش وهو شيخ معمم بكشيدة تزيد في وقاره الى جانب لحيته القصيرة ، فقمنا له باحترام ، وكنت في هذه اللحظة الوك لقمة دسعة من الخبز والقيمر والدبس ، وتقدم مني ودش يده في جيب (زبونه) وأخرج منها شيئاً اسطوانياً ملفوفاً بعناية بقرطاس ابيض ، وقال لي : هذي يا ابني هدية رمزية لا اكثر ، وكان دكتور حميد قد نهض من مكانه ووقف خلف عمه الشيخ محسن شلاش وهو يؤشر لي بحماس أن آخذ من يد عمه تلك الهدية . إلا انني رفضتها باصرار ، فاعاد الهدية الى جيبه وقبل وجنتي مرتين وهو يقول

- الله يبارك فيك يا ولدي

وغادر الشيخ أبو المريضة واكملت فطوري ونقلت للدكتور حميد شلاش - مابالك يا حميد تلج على لا قبل هدية عمك ؟

فقال لي

- انها خمس وعشرون (ليرة رشادية) ، واذا كنت انت لاحتاجها فانا في حاجة اليها

وقال الدكتور مهدي الصندوق

- واذا الدكتور حميد لايحتاجها فداعيكم احوج منه اليها .  
وفي حديثي مع الدكتور حميد شلاش عن خطوات العملية التي سألني عنها ، قال لي .

- لو حاولت رفع الورم اللين من الرحم فلربما كان ذلك أفضل ، ولم استغرب من رايه فانه بالرغم من كونه جراحاً مقتضراً غير انه دون ريب ليس ملماً بما يكفي بالعمليات النسائية التي تتصف الكثير منها بالنزف الشديد الخطر . كما ان حالة المريضة العامة وظروف العملية ومحلها لم تشجمني على ركوب الصعاب لرفع الورم وقد فسرت ذلك للدكتور حميد ، غير انه سألني

- وماذا عن الورم ؟

فاجبته باختصار

- يرفع بعد ذلك .

• • •

كان الوقت فجراً حين تهيأت لمغادرة الحلة الى بغداد . فاوضح الشفق معالم الطريق في الحلة ، وكانت مصابيح الكهريائية مازالت مضاة . وعبرنا الجسر الخشبي القصير الى الجانب الشرقي من نهر الحلة ، وكانت طيور العنق تزحف بين الاشجار الكثيفة حين بدت لنا آثار بابل ، كما كان قرص الشمس قد ارتفع عن الافق ، فالتفت الى الدكتور جاك فاذا رأسه يتدلى على صدره وقد غط في نومه . وتركت الشرطي الذي صاحبنا الى المحاويل يدبرش مع سائق السيارة بمواضيع لا لون لها ، وقد اكون نمت حيناً بينما كانت السيارة تنرج على طريق معبد سوى ..

وحين وصلنا المحاويل كانت الشمس قد علت كثيراً عن الافق ، وزال عن عيني الوسن ، فرأيت وجه السائق حينذاك لأول مرة بوضوح فاذا هو (كريم العين) وهذا مافسر لي التعرج في بعض سياقته السيارة . وربما لو أنني عرفت ذلك في اول السفارة الى الحلة لعدلت عن السفر أو طلبت سيارة أخرى بسائق آخر ، فأنني انتشاع من النظر الى العين العوراء .

والحمد لله لم يحدث للمريضة ما يمكن أن اعزوه الى عين هذا السائق ، ومع ذلك أبداً السائق سيارته فجأة إثر انفجار أحد انابيبها المطاطية قرب ( جسر الخمر ) ، فكانت هذه ولا اسوأ منها مما يمكن ان يحدث اثناء العملية لزوجة الدكتور شلاش ، اذا كان السبب هو العين الموراء !

### الدكتور هنس هوف واحدى مريضاته / ١٩٤٣

دكتور هنس هوف من الاطباء اليهود الذين هربوا من المانيا لينجوا من اضطهاد النازيين لهم أيام ( أدولف هتلر ) . وكان هوف يومئذ قد تجاوز الخمسين من عمره . وردى البشرة ، ممتلئة الجسم باعتدال ، ليس أصلع تماماً بل بشعر خفيف على جانبي رأسه ، ويحمل على قصبة أنفه عوينتين باطار معدني لماع لاتخفيان عينييه الواسعتين .. وقد قدم الى بغداد بعقد مع مديرية الصحة العامة ببغداد ليرأس دائرة الامراض العقلية والنفسية بالمستشفى الملكي ، ويتدرس هذا الموضوع بالكلية الطبية . وكان يتكلم الانكليزية بلكنة المانية في بعض الفاظها بشكل واضح . وبسرعة أوجد هوف من اختصاصه كياناً واسعاً ، وصار الناس وبخاصة النساء الموسرات يطلبونه حتى لو كانت شكاواهم المرضية لاتدخل في اختصاصه . كما رسخ له صداقات مع كثير من طبقات بغداد الاهلية والحكومية . وكان حديثه مؤثراً مع مريضه فيطيمه المريض بون لجاجة أو اعتراض ، حتى صار بعض أطباء بغداد يمتقنون انه كان سبباً في كثرة المرضى باختصاصه اكثر مما استطاع ان يفيد في تقليل عددهم . وكان هوف يجيد سرد النكتة ، كما كان يثيرها في اصحابه بلباقة . واكثر نكته تفهم ( بسبب لغته ) بعد ان يتمها بلحظات لا مباشرة . كما كان سمحاً في سماع النكتة التي يوجهها اليه زملاؤه من الاطباء . وكان يوم قدم بغداد من أمريكا . قد ابقى زوجته في نيويورك حتى يستقر مقامه في بغداد وكانت اتصالاته البريدية بزوجته لاتنقطع . وذات يوم رأيت يفتح غلاف رسالة عرفت من طابعها الامريكي كما حزرت من خط عنوانه عليها ما من سيدة وانها لابد ان تكون زوجته ، ورأيت يبتسم وهو يقرأ هذه انهالة ، ولم يتم قراءتها قبل ان يقول لي

الرسالة ، ثم يتم قراءتها قبل ان يقول لي



- هذه الرسالة من زوجتي ، وفيها تذكر انها حين ذهبت لتأتي بابنتها من المدرسة الى الشقة التي تسكنها ، سالتها ابنتها

- لماذا ليس لي أخ يأمي ؟ فان اكثر البنات في المدرسة لهم أخوان ؟ فاجابتها أمها

- سيكون لك أخ حين نسافر الى بغداد في العراق حيث نعيش هناك مع ابيك ، ياعزيزتي

فقالت لها ابنتها

- لدى فكرة يا أماء

وسالتها أمها

- وماهي الفكرة ياعزيزتي ؟ فاجابتها

- ليكن لي أخ هنا في امريكا قبل ان نسافر الى العراق ، وستكون في ذلك مفاجأة !

وعاد هوف يضحك حتى بدت نواجذه المكسوة بالذهب .

وفي يوم دخل الدكتور هوف الى غرفتي في الردهة العاشرة بالمستشفى الملكي وطلب مني ان اجري عملية وهمية لرفع الرحم من مريضة ، ولما سالتة ماذا تقصد بالعملية الوهمية قال

- اقطع جلدية البطن فقط لتوهم المريضة انك رفعت رحمها الذي تعتقده مصاباً بالسرطان .

وسالتة

- ولماذا أنا بالتخصيص اقوم بهذه المهمة فاجابتي

- ذلك لان المريضة نفسها تفضل ان تكون انت لاسواك من يتولاها ثم سالتة

- وهل تعرفني المريضة ؟ فاجابني

- نعم تعرفك

وسالتة

- وهل أنا اعرفها ؟ فاجابني

- انت تعرف عائلتها

وسالته

- ومن هي هذه العائلة ؟

فاجابتي

- الداغستانية ( ... )

واذ انني لم ار في اجراء هذه العملية مايتنافي السلوك المهني ولاهي تضر المريضة بأي قدر ، كما ان من يوصي بها هو اكبر الاختصاصين في بغداد بالامراض النفسية . فادخلت المريضة في مساء ذلك اليوم الى مستشفى ميرالياس . وعملت في جلدة بطنها جرحاً بعد ان خذرت المريضة كلياً ، الامر الذي جعلها تعتقد بعد ذلك انني رفعت رحمها المصاب (بالسرطان) . وكان سهلاً على ان أستحضر لها مايشبه الرحم لتري بعينها المرض الخبيث الذي تخلصت منه .

وبعد أيام زارتنى هذه المريضة ، وفي يدها البضى مكنسة وشرعت تكنس بها مدخل بيتي ، فاستغربت من هذه الحركة فسألته عن نوافع معناها ، فقالت ببساطة

- انني نذرت ان افعل ذلك ان برئت من مرضى .

ثم مدت يدها في جيب ثوبها وأخرجت منه علبة فتحتها فاذا فيها ساعة ذهبية ، وهي تقولي لي وهذه هدية بسيطة لك أرجو قبولها .

ومن أخبار الاستاذ هوف قبل مغادرته العراق عشية ثورة ١٩٥٨ ، زيارته لسامراء لمشاهدة من يدفعون الحراب الى بطونهم ، فقد سألني يوماً ان يرى هذه العملية التي سمع عنها الكثير - فحملته بسيارتي ليلة يوم ١٠/٣/١٩٥٨ الى سامراء ، ودخلنا تكية الشيخ وهيب العباس ، في حين كان رواد الشيخ ينقرون على الدفوف ويقصنون في مدح الرسول محمد (ص) بنغم شجي ، واجلست الدكتور هوف بين الجالسين على حشيات وطيفة وتقدمت من الشيخ وهيب وقبلت يده بموجب تقاليد أهل سامراء التي نشأت عليها ، واخبرته بوجود ضيفي في هذا المجلس ، وأنا اعرف ان ذلك ممايثير حماسة لاهل افعاله الخارقة التي جاء هوف ليراه . وعلا صوت المادحين بسيرة النبي (ص) كما تعالت اصوات الدفوف . وسمعنا من يصرخ قائلاً : صلوا على ابي ابراهيم محمد ، وآخر يقول مدد ياأبا

حمزة . ونهض أحد مريدي الشيخ واسمه ( وئس ) ومشى وثيداً الى حيث كان يجلس الشيخ وتناول من بين يديه ( الحرية ) وهي قضيب من الحديد بطول متر ونصف تقريباً ، فامأ الشيخ باصبعه بكبرياء اشارة على ترخيصه بدفع هذه الحرية في بطنه . وافتر وئس ويده هذه الحرية أمام الشيخ وهيب ثم تسمر في مكانه وانتثنى على طرفها المذهب ودفع بجسمه عليها مرة ومرتين حتى نفذ طرفها المذهب من خلف بطنه ، وتقدم من الشيخ ليسحبها غير ان الشيخ قال له بصوت جهوري - ضيف الدكتور كمال هو الذي يسحبها . واستدار ومشى طائماً وتقدم من الدكتور هوف ، وكنت أجلس الى جانبه فهمست اليه ان يسحب الحرية من بطن وئس ، فامسك الدكتور هوف بها بتردد وحذر ، ثم امسكها براحة يده وسقطت الى جانبه ، وسقط هوف مقمياً عليه . فاضطربت لحاله ، ونهض الشيخ وهيب وتقدم من الدكتور هوف وامسك بيده وتمتم بضع كلمات غير مفهومه صحا بعدها هوف لسمع ضربات الدفوف من حوله وكأنها تمهد ليوم المحشر .

وعدت وهوف الى بغداد في صباح اليوم التالي واعجبني ان اسأله عن رأيه فيما شاهده في الليلة الماضية ، فاجابني قائلاً - انه امر لا يصدق ، ولو انه واقى وليس بمندى تفسير له

### انتحار الاستاذ ليدرر / ١٩٤٣

في احد أيام شباط من سنة ١٩٤٣ ازرحم على باب غرفة رقم ( ٢ ) بدار التمريض الخاص بالمستشفى الملكي عدد غير قليل من اطباء المستشفى وعلى وجوههم الوجوم والاسى ، وكان ذلك حين ادخل استاذ طب الاطفال الدكتور ليدرر متحراً باقتلاع كمية كبيرة من حبوب (النامبيوتال) .

والدكتور ليدرر من اليهود الذين هربوا من طغيان ( هتلر ) بعد تسلمه حكم المانيا ، وكان من القلائل الذين استطاعوا التخلص من رصاص جنود الحدود الالمان حين عبروا الحدود الالمانية السويسرية . ومن سويسراً صار ليدرر ينتقل من بلد الى بلد حتى وصل الى بغداد ، والتحق

بتوصية من الاستاذ (هنس هوف) بالكادر التعليمي في كلية الطب استاذاً في اختصاصه بامراض الاطفال . ولم يستطع ليدرر ان يستصحب ابنته الوحيدة (إيفا) اليافعة في مسيرة هرويه فبقيت في المانيا تعمل ممرضة في سجن المانيا الرهيب (بخاو) . ووصل الى علم ليدرر وهو في بغداد ان القوات الالمانية سخرت كثيراً من الفتيات اليهوديات للترفيه عن جنودها حين يمشون عطشهم الاسبوعية بعيداً عن ساحة القتال ، فكان من تلك الفتيات ابنته إيفا ، فلم يصمد ليدرر لهذا الخبر المفجع فانتحربحبيب الناصبيوتال ، فادخل دار التمريض الخاص بالمستشفى الملكي لاسعافه ، وأهتم اطباء المستشفى بأمره فنجوا من الموت بأعجوبة . غير ان ليدرر بعد ان عاد الى وعيه سخط على زملائه الاطباء الذين انقنوه من الموت ، ولم يشكر أحداً منهم لما بذلوه لإسعافه ، وبعد اسبوع واحد وجد ليدرر في مخدعه يعالج الحمام بأغراض تسسم حاد والى جنب وسائنه ورقة كتب عليها عبارة وجهها الى اطباء المستشفى الملكي يرجوهم فيها ( ان لا يحاولوا اسعافه فإنه سيعيد الكرة مرة أخرى ومرة حتى يموت ) وانكر مما كتبه في هذه الورقة التي كتبها باللغة الانكليزية قوله ( اذا كان الطب قد وجد لراحة الانسان فانا أحق بالراحة الابدية من اي انسان آخر ) . واخفق الاطباء من ابرائه في هذه المحاولة ، وتوفي بالرغم من جميع وسائل الاسعاف المعروفة في الطب .

كان ليدرر على ما علمته من زميله الدكتور عبد الأمير علاوي ( وكان هذا مساعده في مستشفى الاطفال ) عالماً جم المعرفة وواسع التجربة بامراض الاطفال ، وهو الذي اكتشف فقر الدم عند الاطفال المعروف باسمه LEADRE ANEMIA ، كما ان له قدرة تدعو الى العجب في اقناع مرضاه الاطفال على الخضوع للفحص والعلاج علماً بأنه لايعرف اللغة العربية ، فكانه بذلك قد خلق لطب الاطفال وليس لفهمهم من المرضى .

كان ليدرر طويل القامة ، ويبدو اكبر سناً من عمره الذي لم يتجاوز الخمسين ، دقيق الانف ، حنطى السحنة ، خفيف شعرالرأس . ويتكلم الانكليزية بقواعدها ولكن ببطء وبلهجة المانية . وقد عرفت عن كتب حين اطلبه لفحص الاطفال حديثي الولادة في الردهة العاشرة بالمستشفى الملكي ، فاذا هو لطيف الصحية حلو التحدث ويحسن توقيت ابتهامته حين يحكم التعبير بها عن قصد من مقاصده فتبدو بعض اسنانه المغلفة

برقيق الذهب .  
رحم الله الاستاذ ليدر .

### الى مؤتمر اتحاد الاطباء العرب في الاسكندرية / ١٩٤٣

اعلن في المستشفى الملكي ان مؤتمر اتحاد الاطباء العرب سيعقد في الاسكندرية في شهر آذار سنة ١٩٤٣ وكنت اسمع عن القاهرة والحياة الملكية البانحة فيها ، وعن الاسكندرية وأجوائها المنعشة .. كما كانت أم كلثوم البلبل المصري الصداح يوماً في افكارى حين أهرب من اعمالى الجدية . وقررت وزارة الشؤون الاجتماعية تشكيل وفد للمشاركة في المؤتمر قوامه مدير الصحة العام الدكتور ابراهيم عاكف الالوسي ، والدكتور هادي الباجمجي ، والدكتور فؤاد مراد الشيخ والدكتور كمال السامرائي والدكتور البيرالياس . وسافرنا يوم ١٩٤٣/٣/٤ على سيارات نمين الى دمشق في طريقنا البري الى مصر . ولم نحصل على سيارة مكيفة من هذه الشركة إذ كانت هذه السيارة محجوزة للقوات البريطانية ، فكانت سفرتنا على سيارات من الدرجة الثانية غير المكيفة . وكانت نقطة الانطلاق من مكتب سفريات نمين بشارع الصالحية بجانب الكرخ . ويدير هذا المكتب ضابط بريطاني يمارس صلاحية تفتيش أمتعة المسافرين بما في ذلك أوراقهم الخاصة ، وقد استغرق التفتيش بضع ساعات مملّة .

وكان البرد قارساً يومذاك ، وخصوصاً حين اجتزنا صحراء (الربطة) . ولا انكر انني نمت ماكفاني في تلك الليلة ، على ان كل شيء فيها كان مثيراً بالنسبة اليّ ، ووصلنا دمشق بعد بزوغ الشمس بقليل ، فتناولنا طعام الفطور في مطعم شعبي بسوق الحميدية . كما زنا جامع دمشق الكبير والمكتبة الظاهرية التراثية ثم بعد ذلك سافرنا بسيارة أجرة الى القدس الشريف . وكان الطريق اليها محمداً بأشجار عالية وتليها اشجار متشابكة بكثافة كنت ارى من خلالها اكواخاً ذات سقوف قرميدية تشكل مع خضرة ماحولها من الاشجار لوحة فنية رائعة .. وفي هذا الطريق رأيت لأول مرة في حياتي أعمدة أسلاك التلغراف وخطوط الكهرباء مرفوعة على جنوع الاشجار المستقيمة الطويلة ، وكان على سيارتنا ان تقف عند

محطة عسكرية على جسر اللبى . ومز اصحابي عبر هذا الجسر بسهولة ، أما أنا فاقفني الضابط البريطاني ليدقق جواز سفرى بون ان نعرف لذلك سبباً . فلما اعاد ذلك الضابط جواز سفرى الى قال لي الدكتور هادي الباجه جي حذساً .

- لقد أعادوه اليك بعد ان تاكدوا انك غير (فالق السامرائي) السياسي العراقي المعروف ، وقد يكون هذا التفسير صحيحاً .

واتجهنا ساعة وصولنا الى القدس في ضحى ذلك اليوم ، نحو دائرة القنصلية العراقية ، فاستقبلنا فيها القنصل العام شاكِر الوادي . وبعد استراحة قصيرة في مكتبه حملنا في سيارته لزيارة المسجد الأقصى وقبة الصخرة . وفي لحظات غاب عنا الدكتور ابراهيم عاكف فوجدناه قد عاد الى قبة الصخرة وهو يتكئ عليها ويغطى وجهه بمنديل وينحب بحرقه . واسترحنا قليلاً في فندق (الملك داود) الفخم ثم زرنا بمعية شاكِر الوادي مستشفى (هداسا) العبري الواقع على أرض مرتفعة قريبة من مدينة القدس ، قيل انها تسمى جبل التوبة وفي هذا المستشفى عرّفنا شاكِر الوادي بجراح المظالم العالمي الاستاذ (بولر) وكان في أواخر الاربعينات من عمره ، معروق الجسم ، أصلع الرأس ونو سحنة باهتة وكأنه مصاب بفقر الدم الثانوي .. وهو بالرغم من عبقريته بجراحة العظام والمفاصل فقد غادر برلين قبل ان يطرد هتلر أتراه من اليهود العلماء بزمان ، وقيل ان هروبه من برلين كان بسبب اخلاقه المنحرفة ، وحين رأيت ، لم يكن قد تزوج بعد ، ولا اظنه تزوج بعد ذلك .

كما عرّفنا شاكِر الوادي على الاستاذ (برنارد زونتك) وهو ربح القامة في مثل عمر بولر تقريباً ، ونو وجه ممثلي ، ومحتقن بحمرة ، وجفنه الايسر منهمل بقدر قليل ، واعلى سرواله من جانبه الايسر منتفخ بفتق مغبني كبير . وفي مقابلتي الاولى معه رأيت متودداً ممي ، وقد أخذني الى مختبره الخاص في «الهورمونات» واهداني كثيراً من منشوراته العلمية التي اصدرها باللغة الانكليزية . وفي هذا المختبر قص على حكاية اكتشافه طريقة تشخيص الحبل بفحص البول ، قال .

- كلّفني استاذي وزميلي (أشليم) ان أتم له ثلاث تجارب في غياب وهو يتمتع بمطلته الصيفية في الفاية السوداء ، وماكدت انتهي من التجربة الاولى حتى وفقت الى تحقيق الفكرة التي كنت أنا و (أشليم)

نقصد تحقيقها ، ولم اكد اصلق بصواب التجربة فاعدتها على ابوال ثلاث  
نساء حوامل آخر فكانت النتيجة واحدة ، فاتصلت تلفونيا بزميلي  
(اشايم) في احد فنانق الغابة السوداء ، فاطهر استيماده الوصول الى  
هذه النتيجة بهذه السرعة ، ومع ذلك قطع عطلقه وفاجاني يدخل  
المختبر ؛ واشتركنا معاً في اتمام عدد آخر من التجارب على الحوامل  
فكانت النتجة واحدة ، حينذاك أعلننا الاكتشاف في كل مكان باسمينا  
(اشايم وزونلك) .

وبعد ثلاثة ايام في YMCA استقللنا القطار الى مصر ، وكان مكتظاً  
بجنود وضباط الحلفاء ، كما كان على المسافرين ان يسفلوا ستائر  
المقطورات ليلاً تحفظاً من غارات طيارات المحور التي تنشط بشكل مكثف  
بعد غروب الشمس . وبعد ساعة تقريباً من حركة القطار فتح باب  
المقصورة التي كنا فيها ودخلها جندي بريطاني حاسر الرأس ، ويحمل  
بيده قنحاً تطفح على حافاته رغو البيرة التي تملؤه ، وسألنا وهو بادي  
السكر

- تسمحون ؟

وفسحنا له محلاً ضيقاً على قدر مقعده فيما بيننا ، ودعانا تلك  
الجندي الى قدحه الذي لم يرشف منه بعد ، والّخ علينا ، فتنوqnاء واحداً  
بعد واحد واعدناه اليه فكرع مايقى فيه مرة واحدة ، ونهض فجأة وهو  
يقول :

- بقيقة ياسانة

قال ذلك وغادر المقصورة . وبعد نحو ربع ساعة اندفع باب المقصورة  
ودخل علينا تلك الشاب نفسه وهو يحتضن اربع قناني من البيرة وقال :  
- هذه لكم ، تشربونها يلا اقتداح ، وهذه هي الحرب اللميئة . وقال الدكتور  
الباچهجي باللغة العربية بما يقارب الهمس  
- تورطنا

فسأله الجندي البريطاني

- ماذا تقول ياسيدي ؟

فاجاب الباچهجي

- قلت لشرك

وقال الشاب يخاطبنا

- دعونا يا اخوان نتكلم بالانكليزية (واضاف) أنا ذاهب الى ساحة القتال  
لاقتل او أقتل ، وانتم الى اين ذاهبون ؟  
فقلنا له

- الى القاهرة

- لتحاربون ؟

- كلا ، بل لنشارك في مؤتمر طبي يعقد في الاسكندرية ، ويبدو ان هذا  
الجندي الشاب بض حين سمع ما يشير الى الطب فقال :  
- أنا طالب في كلية طب جامعة أدبرة ، من منكم زار أدبرة ؟ فهي مسقط  
رأسي ومفخرتي في جغرافية اسكوتلندا  
وقال الدكتور فؤاد

- أنا اعرفها وقد زرتها مرتين

فسأله ذلك الشاب :

- تذكر شارع الاميرات ؟ في مدخله من جهة الشمال ، وفي الحانوت الثاني  
من جانبه الایسر المطل على حديقة الشارع ، في تلك الحانوت أودعت  
(قلبي) هل فهتم يا اصدقائي ؟ ورفع هذا الجندي الشاب قنينة الى  
فمه وافرغها في جوفه وقال :

- أنا طالب في السنة الرابعة بكلية طب أدبرة ، وقد جنّني الانكليز  
لاحارب عن امبراطوريتهم ، وسوف أحارب لا إستجابة لأوامرهم ، بل لكي  
لايقال ان اسكوتلندياً جبن في القتال ، نحن الاسكوتلنديون نحارب  
والانكليز ينفون على صدور نساءهم ، ونحن نبني وهم يملكون ، تباً لهم من  
أخساء جبناء ، وسوف تكسب اسكوتلندا الحرب وسيقال ان الانكليز هم  
الذين ربحوها . وسكت قليلاً ليقول وعيناه شبه مغمضتين  
- أما الانكليز فلا نور لهم إلا بين انزع النساء ، ورومل ..

واراد ان يتكلم عن رومل غير ان باب المقصورة انفتح فالتفت الى من  
وقف عليها ، وكان جندياً انكليزياً من انضباط هذا القطار . قال هذا  
الانكليزي يخاطب ضيفنا في المقصورة الذي كان ما يزال يضع رجلاً على  
رجل فيما بين صفى مقاعدها ، وهو يمر باطراف أنامله على حافة الكاس  
الفارغة التي بيده ، قال الانضباط الجندي يخاطب ضيفنا الجندي  
الشاب

- انهض يا جندي



وظل الشاب في مكانه غير ملتفت الى الانضباط وكأنه لم يسمعه .  
وسأله الانضباط

- كيف جئت الى هذه المقصورة يا جندي ؟  
فاجاب

- هكذا جئت ، هكذا اردت ان اكون في هذه المقصورة مع هؤلاء السادة .  
وقال له الانضباط .

- هيا الى مقصورات الجنود ، فهذا المكان لغير الجنود  
فقال له ضيفنا الجندي

- اذهب حين أريد ان اذهب ، أما الآن فلا أريد ان اذهب وأنا باق في مكاني  
- بل تذهب الآن ، وحالاً .

- لا أريد ان اذهب الآن ولست متمجلاً ان اذهب .  
وسأله الانضباط بحلق

- اسمك ؟

اسمى جيمس ، إنوارد جيمس

- هويتك ؟

- الايكفى أنى اعطيتك اسمى ، هل قلت لك انى رومل ؟

وبدا على جندي الانضباط غضب مكبوت ، واستدار وخرج من المقصورة  
وصفق بابها وراءه ويشقة .

فقال الشاب

- الى جهنم يا ابن الزانية .

وبعد دقائق فتح باب المقصورة فظهر عليه ضابط انكليزي ورأينا من  
وراء اكتافه الجندي الانضباط الذي جاءنا أول مرة ، قال الضابط بون

مقدمات يخاطب ضيفنا الجندي الشاب .

- انهض وإنهض الى مقصورات الجنود

ولم يجبه الجندي الانكليزي

- آمرك ان تذهب الى مقصورات الجنود

ولم يجبه الشاب ايضاً . حينذاك شد هذا الضابط قامته وأخرج من جيب  
قميصه بفتراً صغيراً وفتحه وقرأ بصوت عال في إحدى صفحاته ( باسم

صاحب الجلالة الملك آمرك ان تفادر هذه المقصورة وإلا تعرضت لمحنة  
عسكرية ) . حينذاك نهض هذا الشاب وهو يترنح ويقول للضابط .

- لا تغضب ياسيدي الكابتن ، فانا طوع ارادتك الى الموت ، والتفت اليها  
يقول .

- الى اللقاء يا اصدقائي الاطباء  
وتلفسنا الصعداء بخروج هذا الشاب الظريف المخيف ، واسلمنا  
جفوننا للوسن ونمنا متكئين باكتافنا على اكتاف بعض . وطلع الفجر  
والقطار يعبر قناة السويس واستيقظنا على توقف القطار في محطة  
العريش ، وبينما كنا نتطلع من خلال نافذة المقصورة الى هذه المحطة نخل  
مقصورتنا ضابط انكليزي عبوس ، أو بوجه جدى في الاقل ، وصار يسأل  
كل واحد منا عن اسمه وجنسيته واتجاهه الخ ، ثم قال لنا  
- أرجو ان أراكم في مكتب الانضباط بمحطة القاهرة . وقد أخافتنا هذا  
الضابط ، فأي شيء يريد منا ؟ وسألناه ، قبل ان يغادر المقصورة  
- هل يمكن ان نسأل عما تريده منا رجاء ؟

فقال ببرود

- لا شيء ، اننا فقط نسألكم عما تكلم فيه الجندي الذي كان معكم في  
هذه المقصورة ، ولما قلنا انه لم يقل شيئاً وكان جل حديثه عن حياته في  
الكلية الطبية وادبره ، قال

- ليس الآن ، قولوا ذلك وغيره في دائرة الانضباط بالقاهرة وازداد خوفنا  
حين فهمنا ماقاله بمعنى الوعيد وأخذتنا الحيرة ، وانتقنا ان نقول إفادة  
واحدة في انه لم يتكلم عن الحرب ، وقال أحدنا :

- لقد سمع الانضباط من فمه اسم رومل فكيف نذكر هذا الاسم في ما  
نقوله لهم ؟ وانتقنا ان نقول انه قال : ان (رومل) لابد أن يخسر الحرب .  
وفي دائرة الانضباط بمحطة القطار في القاهرة نونا ذلك على أوراق أجوبه  
على اسئلة وجهها اليها ، ضابط كبير الرتبة

وبعد ان تمت هذه الاجراءات غادرنا الى المدينة . كانت القاهرة يوم  
دخلناها في هرج ومرج ، وفيها خليط متنافر من البشر ، كما فيها جنود من  
الانكليز لاحصر لهم . وحصلنا بواسطة الملحق الثقافي في سفارة العراق في  
القاهرة على حجرتين في فندق (اورينت) ، وقال أحدنا انه يكثر من الشخير  
في نومه فقللت احتراماً له

- انام معك في الغرفة التي تنام فيها  
وكنا تعيين . فأوينا الى مخاضنا مبكرين وسرعان ماشرع صاحبي

يشخر ، بداه بصوت رفيع خافت ثم امتلا صوت شخيره وخشن وعلا ، ثم انقطع فجأة حتى لم أعد اسمع له نفساً ، ثم نهض فجأة من فراشه بحالة اختناق وهبط متهاوياً ليبدأ جولة جديدة من الشخير والاضطراب وهكذا . ولا اظنني نمت كثيراً ، وصاحبي في الغرفة الذي اتكلم عنه نو منصب كبير في وزارة الصحة كما كنت أحترمه لتعاطفه معي وأنا طبيب مبتدئ . وسألني في الصباح

- هل ازعجتك ياكمال ؟

فاجبته

- ليس كثيراً يابك

ولا اظنه صدقني

وفي صباح اليوم الثاني غادرنا القاهرة الى الاسكندرية ، وقريب من استعلامات أوتيل ( سيشل ) حيث حجزت لنا غرفتان رأينا نوري باشا السعيد وهو منغمر في حديث جدى مع شخص اطول منه ، يرتدي اللباس العسكري ويضع على رأسه الطربوش المصري . وكان نوري السعيد يرفع يده ويخفضها والمسبحة تتدلى من بين اصابعها وهو يكلم هذا الشخص بالانكليزية ، والشخص ذو الطربوش لاحمر يرد عليه بالانكليزية ايضاً . قال الدكتور الباجهجي ذلك نوري السعيد يكلم ( رسل باشا ) حاكم القاهرة ، ثم فجأة قال لنا .

- ان الباشا يشير الينا ان نتقدم اليه

- ورأينا نوري السعيد يرفع يمينه يؤشر بها لنذهب اليه . ولما تحرك الباجهجي باتجاهه ، قال نوري السعيد يخاطبنا :

- كلكم تعالوا

ولما صرنا . أمامه قدمنا لرسل باشا واحداً واحداً ، ثم قال وهو يشير الى رسل باشا .

- رسل باشا ، صديقنا ، حاكم القاهرة

ثم قال وهو يتلفت يمينه ويسرة

- اين عبيد ؟

وجاء عبيد عبد الله المضايقي ( مرافق الأمير عبد الاله ) وكان يجالس

ضابطاً مصرياً

- أأمر باشا

قال نوري السعيد  
- الجماعة لازم يسلمون على الامير عبد الاله . ثم سالنا عرضاً هل رأيم  
صباح ؟ وصباح ابنه . فقلنا له :  
- لم نبق في القاهرة إلا ليلة واحدة .  
وقادنا عبيد الى الطابق الثالث في الفندق .. واستقبلنا عبد الاله  
بلباسه العسكري واقفاً في وسط صالته . ولم تصل المقابلة إلا نحو ربع  
ساعة سالنا فيها عن مكان اقامتنا في الاسكندرية وعن مواضيع المؤتمر  
الذي سنحضره . ثم قال أنى احب هذه المدينة فقد درست فيها ثلاث  
سنوات . والتفت الى عبيد يقول .  
- تستطيع يا عبيد ان ترافقهم اذا ارادوا ذلك فلا احتاج اليك في هذا  
اليوم .  
وعند مهبط المصعد ونحن نخرج منه اعتراضنا رحل يرتدي الجلابية  
الفضفاضة والعمامة البيضاء ، وقال لنا معذرة وهو يدس يده في جيب  
الدكتور الياجه جى وأخرجها فاذا فيها كنتكوت ، وقال  
- هذا واحد  
- ثم دس يده في جيب كل واحد منا وأخرج منها كنتكوتاً ايضاً مثيلاً  
للكنتكوت الاول ، وبحجمه وعمره ولونه ، ولم اكن قد رأيت هذه العملية  
السحرية قبلاً ، فنقده الدكتور الياجه جى نصف جنيه وغادرناه ينتظر  
نزيراً آخر ليعرض أمامه براعته .  
وفي بهو الاوتيل كان نوري السعيد ما يزال يكلم رسل باشا ومعهما  
شخصي آخر لم نخطيء معرفته لكثرة ما كنا نرى صورته في المجلات  
المصرية . كان ذلك الشخص مصطفى النحاس باشا رئيس حكومة مصر  
يومئذ ، وقد بدا الآن ذا بشرة حمراء ، وأجمل صورة مما يظهر على  
صفحات المجلات بالرغم من الحول الحاد في عينه اليسرى  
وكان المؤتمر مملاً لاحماس فيه ، ولا جديد في مواضيعه العلمية ، فعدنا  
بعد ان زرنا قصبة الرشيد الى القاهرة . وعلى باب او تيل اورينت وجدنا  
صباح نوري السعيد ، ودعانا الى تناول العشاء في مطعم صغير يقابل  
تمثال ابراهيم باشا فوجدنا فيه يهودياً عراقياً اسمه (عززا) يعمل في  
تصدير الافلام السينمائية إلى سنما غازي في بغداد . وخرجنا من المطعم  
وعززا معنا ، ونحن نتحسس مواقع اقدامنا في الظلمة لننفادى العثرات

وتلاطم الاكتاف من كثرة السائلة بما فيهم من الجنود الانكليز . وفجاء رأينا طربوش عزرا يتدحرج على الارض ، وركله جندي كما يفعل لاعب الكرة ، بينما اختفى عزرا من بيننا وهروا الى طريق منعطف قريب . واستغربنا من كل ما حدث ، كان ثمة شرزمة من الجنود الانكليز وراءنا وهم يرفعون عقائرهم باغنية عسكرية صاحبة من فرط ما احتسوه من المسكرات ، ويبدو ان قفا رقبة عزرا ومن فوقها طربوشه اعجبا أحد الجنود الذين كانوا يتسكعون خلفنا فضرب بكفه طربوش عزرا ، وبعد لحظات عاد الينا عزرا ليلتقط طربوشه من الارض ، وهو يقول لنا .  
- الضربة كانت على طربوشي لاعلى رأسي !

فانفجرنا ضاحكين على اهتمامه بسلامة رأسه اكثر من اهتمامه بما اصابه من الازلال والاهانة التي لحقته من ذلك الانكليزي المغمور .  
.. وفي مساء ذلك اليوم ايضاً اقترح على الدكتور البيرالياس ان ندخل أنا و هو (البار) الملحق بالاوتيل . وكان هذا البار في الواقع ملهى ومرقص ، وقد انسدت على بابه ستارة ثقيلة لتحجب انواره ان ترى من خارج ، وهكذا ماكانت تفعله جميع المحلات العامة والفنادق لتضليل طيارات المحور . وكان في هذا المرقص حشد من الرؤاد اكثرهم من الانكليز ، ضباط وجنود ، وكانوا حاسري الرؤوس ويدسون سداراتهم في احزمتهم أو تحت ربطة اكتافهم ، ويرقصون ويترقصون ، رجل مع فتاة ، أو رجل مع رجل ، وصياحهم اعلى من نغم الموسيقى الصاخبة ، ودخان السكاير يتصاعد الى سقف القاعة الوطني ويتكاثف حتى لا يظهر من اضواء مصابيحها إلا بصيص من انوارها الملونة ، ولولا الصخب والالوان المتنافرة لكان المكان شاعرياً حقاً . وكانت الفواني يتنافسن على اجتذاب الجنود ، والجنود في دلال لاختيار من تروق لهم منهن . وصديقي البيرالياس ذو عينين زرقاوين وشعر ذهبي ، وانف شامخ فلا يحسب إلا من الانكليز ، فقادته غانية الى طاولة حولها ثلاثة كراسي شاغرة احتلت احدها ، ثم سألته بعد ان استقرت على أحد الكراسي

- اسكوتلندي ؟

فاجابها بجد ، وهو كثير المقالب

- من أدنبرة

وحين نظر الى عرفت ماذا يريد مني ، فصرت لا اكلمه إلا باللغة

الانكليزية . ونادت هذه الغانية النادل وطلبت كأساً من الوسكى مطلب الدكتور البير لي وله زجاجتين من البيرة ، وبعد ان ارتشفنا قليلا معا في الكؤوس الثلاثة مدت الغانية يدها دون تمهيد وقبضت على معصم يد البير ، ونهضت تسحبه الى المرقص ، وشرعا يرقصان ، وسرعان ما اختفيا عن ناظري بين امواج الراقصين من النساء وضباط وجنود جيش الحلفاء ، وانتهت جولة الرقص وعاد الراقصون الى امكنتهم في القاعة ، أما صديقي البير وصاحبته فلم يعودا الى . وصدحت الموسيقى لجولة ثانية من الرقص ، ودخل جمع غفير من البشر الى هذا الملهى وفي لحظات اختفى الكرسيان عن الطاولة التي اجلس على أحد كراسيها ، فقد اخذهما النادل دون استئذان منى . وبعد قليل جاء النادل ، ولاشك انه حدس في رجلاً ساذجاً وعبيطاً ، والنادل لا يخطيء لكثرة ممارسته مهنته في معرفة الشخصيات وقال لي وهو يدفع أمامي ورقة أنارها بمصباح كهربائي ينوى .

- الحساب مسيو  
وقرأتها فاذا حسابنا سبعة جنيهات ، فقلت له محتجاً .  
- زجاجتان بيرة بجنيه ونصف ، وقدرح الوسكى بجنيه واحد ، جنيهان فقط

غير ان النادل عاد يقول لي بملل وتصميم واختصار  
- حسابك سبعة جنيهات ،  
ودفعت هذا المبلغ صاغراً مضطراً ، وأنا العن البير وأبا البير الياس .

### العودة من مصر الى القدس ، ومستشفى هداسا

عدنا من مصر بالقطار الى القدس ، وكانت عرباته مزدحمة لحد الاختناق . والتدقيق في فحص حوازيات السفر والامتعة والاستجابات قد أخذت وقتاً طويلاً مملاً ، كما كانت العربات ممتعة زيادة في التستر احتياطاً من غارات قوات المحور الجوية . ووصلنا في فجر يوم الاثنين القدس ، وكان في استقبالنا أحد موظفي القنصلية العراقية ، فآخذنا الى فندق الملك داوود ، وبالرغم من ازدحام هذا الفندق بالنزلاء وكثره من

يدخله ومن يخرج منه من جنود الخلفاء ، فقد كان محتفظاً بزهوه في النظافة وترف الأثاث وأصص الزهور على الموائد وفي أركان الصالات ، كما كان النادلون في زيهم المهني المتميز ، والطعام متوفر كمية وتنوعاً وجودة . وفي صباح اليوم التالي جاءنا ونحن نتناول فطورنا القنصل العام لمملكة العراق السيد شاكر الوادي واصطحبنا الى مستشفى هداسا ، وهو مجموعة من العمارات تابعة لجامعة (هداسا) العبرية . وكان في استقبالنا في قاعة الاستعلامات شخص قال يخاطب الوادي وكان له معرفة سابقة به .

- نبدأ بمقابلة (بولر) . وتقدمنا نرتقى درجات سبع الى الطابق الأعلى بينما التفت السيد الوادي اليّنا يقول :  
- بولر استاذ جراحة العظام المشهور ، وواحد من المجموعة اليهودية التي هربت من حكم هتلر ، وهي معلومات سبق ان عرقناها منه . وماكدنا نصل الى كريدور هذا الطابق حتى قال وهو يشير بيده :  
- هو ذاك بولر

ويش بولر من بعيد ، وتقدم من السيد الوادي وشدّ على يده بحرارة وهو يعض على مبسم غليون برأس كبير ، وشرع السيد الوادي يقدمنا اليه ، ولما عرف بولر اني اخص بالامراض النسائية التفت الى السيد الوادي وقال له

- هيا لنذهب الى الاستاذ زونديك وهو استاذ الامراض النسائية بهذا المستشفى .

وتقدمنا بولر في الكريدور وهو لا يفتأ يكلم الوادي بانكليزية لا يخطيء معها من يستمع اليه ان يعرف انه غير انكليزي .

كان زونديك حينما دخلنا مكتبه يحتسى الشاي ، فقام من وراء منضدته الواسعة التي تراكمت عليها الاوراق والاصابع بغير عناية ، ومدّ يده ليصافح السيد الوادي وهو يرحب به باهتمام . وقد بدا لي زونديك في هذه المقابلة أنيقاً على خلاف ماعرفته قبلاً أو بعد ذلك من الايام . وهو في الخمسينات من عمره ، كبير الرأس بشعر كستنائي خفيف ، ممتلئ الجسم ، متوسط القامة ، منتفخ الوجه والبطن ، وانشد نظري في هذه المرة الى عينه اليسرى التي بدت لي أصغر من اليمنى ، وسألني الاسناد زونديك

- أتحب موضوع الهورمونات ؟
- فاجبته يتواضع
- لا أختص بها غير انها موضوع لايفارق افكاري وممارساتي
- ثم سألني
- هل تعتمدون على تجربتي في تشخيص الحبل ؟
- نمارس من بغداد تجربة (فريدمان)
- فعلق على ذلك .
- تجربة فريدمان أسهل . وهي تعتمد على المبدأ نفسه الذي اعتمدته في تجربتي ....

واسم زونديك مشترك بين ثلاثة اطباء من عائلة واحدة ، اكبرهم برنارد زونديك وهو صاحبنا واختصاصه الهورمونات النسوية ، وجورج زونديك ، واختصاصه الامراض الباطنية ، وهرمان زونديك ويختص بهورمونات الجسم عامة . ولم أتعرف في هذه الزيارة لهداسا إلا على برنارد زونديك ، كما سمعت ان جورج زونديك يعمل في تل ابيب .

وانتهزت الفرصة وسألت برنارد زونديك فيما اذا كنت استطيع مراجعة مختبره في المستشفى فاجابني :

- بالتأكيد ولاى مدى تريد ، ( ثم أردف ) أنت ذو حظ ياسامرائي فسوف تبدأ دورة تعليمية انتمى اليها عدد غير قليل ، لمتابعة خطوات الفحوص المختبرية عن هورمونات المرأة . وحين ودعنا زونديك لمغادرة المستشفى ، قال لي : ليس من السهل دخول المختبرات مالم تحمل ترخيصاً خطياً منى . وسأكتب الترخيص واودعه عند استعلامات المختبر ، فلا تنس ان تراجع هذه الدائرة لتأخذ منها الترخيص ( ثم قال ) يبدأ الدوام في المختبرات وردحات المستشفى في الساعة الثامنة صباحاً وينتهي في الثانية بعد الظهر . ثم من السادسة الى الثامنة .

وخصني زونديك بمشاركة معاونيه في بعض العمليات الجراحية . وفي يوم طلب مني ان أحضر يوم غد عملية يجريها على زوجة امبراطور ابران المنفى في جنوب أفريقيا ، وكانت الامبراطورة نشكو من أعراض ورم ليفي في الرحم ، شاهدت زونديك في هذه العملية فلم يعجبني في خطواتها ، لا لانه كان بطئاً على نحو ممل فقط بل لانه كان يكرر حركات بديه في الجوف الحوضي دون مدبر . والمريضة الامبراطورة قد تجاوزت الخمسين من



العمر ومع ذلك لم يقتلع الرحم كله بل بتره من أعلى عنقه مخلفاً ما بقي من العنق متدلياً في المهبل . وفي اليوم الثاني بعد العملية قابلني زونديك في غرفته وهو يرفع إصبعه في وجهي ويقول : انظر ياسامرائي .  
كان في إصبعه خاتم بحجر من الفيروز ، فقال لي : انه هدية من الإمبراطورة ، وسألني

- هل هذا الحجر من النوع الجيد ؟  
ومعلوماتي عن الاحجار الكريمة قليلة ، فقلت له  
- انه هدية الامبراطورة ولا بد ان يكون ثميناً  
وسألني

- كم يساوي في تقديرك ؟  
فأجبته مرتجلاً

- نحو مائة ياون انكليزي  
وعالج موقفه وقال

- باي حال هو هدية من امبراطورة ، وهذا يكفي للتباهي به . وحين وقت تناول الشاي الذي إعتاده الاستاذ زونديك ومعاونوه في مثل هذا الوقت في كل يوم . وعاد يتكلم عن الخاتم أمام معاونيه ، وذكر معلومة عن أصل حجر الفيروز لا أظن أنها معروفة في بغداد . قال زونديك .

- حين دخل الاسكندر الكبير بلاد فارس أعجيبته القلائد التي كانت تزين صدور النساء في ذلك البلد ، وكانت حباتها من حجر الفيروز وسأل عن مصدر هذا الحجر فدلوه عليه في احدى المناطق التي تجاور مدينة بلخ . فكتب الاسكندر الى بلاطه في اثينا ان يبعثوا اليه بالنحات (تركواز) ليصنع من ذلك الحجر تماثيل يأخذها معه عندما يعود الى اليونان فيقدمها هدايا لذويه وأصدقائه ، فسمى ذلك الحجر الذي هو ليس إلا حجر الفيروز باسم النحات (تركواز) ، ولا يزال لون ذلك الحجر معروفاً باسم تركواز .

وأكمل زونديك الحكاية ، وسألني وكانني حجة فيما قاله :

- اليس كذلك ياسامرائي ؟  
وسكت ولم أجبه  
وعاد يسألني .

- هل هذه المعلومات معروفة في بغداد ؟  
فقلت له

- أنا لم اسمعها في بغداد ، وهي باي حال حكاية ممته .  
وزونديك اذا بدأ يتكلم يحاول ان لا يترك لغيره مجالاً للكلام .  
- وسألني يوماً : سامرائي ، قل لي . هل صحيح انكم في الصيف تناصون  
تحت الارض ؟ فعرفت انه يقصد بذلك النوم في ( السرداب ) أيام حر  
الصيف ، فأجبته  
- هذا صحيح ، لنتفادى حر الصيف أما الآن فلا وجود تقريباً للسرايب  
كما كانت تستعمل قبل دخول ادوات التبريد الكهربائي .  
ثم سألني .

- وهل صحيح انك سامون على سطوح البيوت في ليالي الصيف  
فأجبته  
- هذا صحيح أيضاً . وأسفت . وما أحلى النوم على السطح والانسام  
تداعب الوجوه وهز رنديك رأسه علامة الاستغراب ثم سألني  
- وهل صحيح انك تعمرون الكلاب بالحصى ؟  
وفسرت له ذلك من الوجهة الدينية والصحية ، غير انه لم يبد لي قد  
اقتنع بادعاءاتي

وفي يوم بينما كنا نتناول شاي الساعة العاشرة في مكتب زونديك تبادلنا  
الحديث عن مريضة قد ادخلت ذلك اليوم الى جناح الامراض النسائية  
وهي مصابة بناسور مهبل ، وسألني زونديك فيما اذا كانت هذه الحالة  
المرضية كثرذ الحدوث في العراق ، وقبل ان يسمع جوابي ، قال :  
- ان هذه المريضة عربية من رام الله .

وعددت ذلك اشارته الى ان اليهوديات قليلاً ما يصبن بهذا المرض ، أو انه  
مرض بكثرة في العربيات ، فلم ارتح لتلك الإشارة ؛ وهو يعلم بالتأكيد ان هذه  
النواسير قد تحدث في أرقى الدول الغربية بأوروبا .

وصرنا نتحدث في طريقة علاج هذا المرض ، وأنا أشك ان يكون  
باستطاعته ترميم هذه الحالة بعد ان شاهدت بنفسي تعامله مع الانسجة  
في عملية الاميراطورة ، فكانت هذه الجلسة مملّة بالنسبة لي ، وكل  
ما سمعته من زونديك ومعاونيه عن النواسير المهبلية . كان في اطراف  
الموضوع لا في تفصيلاته واعماقه .

x x x

وفي عطلتي يوم السبت والاحد صحبت مشاور القنصلية العراقية الصديق (خالد الجوريه يحي) الى (تل أبيب) حيث قضينا فيها يومين وليلة . وفي ظهر أول يوم تناولنا معاً السمك البحري ثم عبرنا الى (يافا) من تحت الطاق القديم وتناولنا الشاي في أحد مقاهيها القديمة . وبحدود الساعة الرابعة بعد الظهر حدث لي مالا أنساه ، فقد تحركت بطني على حين غرة حتى شعرت فيها مايشبه التمزق في امعائي ، وحاجة قوية ملحة للتغوط ، وكنت آنذاك في عرض الطريق ويعيداً عن الفندق الذي نسكنه ، وفجأة لاح لي مسجد ، وقد عرفته من باحته الواسعة والبسط الممدودة في المصلى الذي استطعت ان أراه من مدخل الجامع ، وولجت الى هذا الجامع وأنا أكاد اهرول الى دورة المياه في الجانب الايمن من الباحة لاقضى فيها حاجتي ، غير ان شيخاً بلحية بيضاء كثة صاح لي حين كان يتوضأ - الى اين يارجل ؟

ولشدة ماأنا فيه من مضايقة في احشائي ، هرولت دون ان التفت اليه أو أجييه . واستعضت عن ذلك بالاشارة بيدي الى بطني عله يفهمني . وحين انتهيت من قضاء حاجتي قدرت ان ذلك الشيخ لابد هو الان ينتظرني ويستجويني عن هويتي . فاستحضرت له جواباً عرفت مقدماً انه يرضيه . فاكملت شد حزامي على سروالي ، وتقدمت منه هادئاً مطمئناً ، ورأيتة واقفاً وهو ينزل كمّي قميصه الى معصمه ، ولم انتظر منه ان يكلمني فسبقته وقلت له

- ياسيدي العم ، أنا مسلم وكنت في ضيق داخلي اضطرني ان اسرع دون الالتفات الى ندائك ، فاعذرني رجاء . ولما رأيت اساريه تتفتح أيقنت أنني كنت مصيباً فيما ذهبت اليه من ظنون هذا الشيخ في احتمال كوني من اليهود ، فحييته وغادرت ذلك الجامع لاقابل صديقي خالد الذي وقف عند باب الجامع في انتظاري ، واقترح ان نعود الى تل أبيب ، ففي فندقنا حفلة ليلية يقيمها ساحر هندي ، وعدنا ماشين الى الفندق ، وبعد استراحة في غرفتنا انحدرنا الى صالة الفندق وقد زينت بالزهور والاضواء الملونة وبدأ العرض ، وقفز الى وسط الصالة في ضجيج من الموسيقى كهل هندي حسن القيافة يرتدي بدلة سوداء وقلنسوة وقفطان بلون أسود و (شير) اسود ببطانة حمراء ، أو قرمزية وبيده عصا من الابنوس بمقبض من الفضة ، وتقدم من أحد الحاضرين طلب منه عملة ورقية ، فأخرج له

ياونا انكليزياً ، وطلب منه الساحر الهندي ان يوقع على تلك العملة الورقية ، ثم اشار الى نادل في الصالة ان يأتيه بصحن ، فوضع الساحر تلك العملة الورقية في الصحن ، ثم أخرج من حبيه مقدحة وأحرق الورقة ، وانتظر حتى صارت رماداً فنفخه ليتطاير من الصحن هباءً منتوراً . ثم طلب من النادل ان يأتيه بثلاث برتقالات في صحن ، وطلب من أحد الحاضرين ان يتقدم منه ، فقام واحد منهم فاعصاه الساحر سكيناً صغيرة أخرجها من جيبه وطلب منه ان يختار واحدة من البرتقالات الثلاث ويقطعها بالسكين الي نصفين ، وقبل ان يكمل قطعها ذلك الشخص أخذ الساحر البرتقالة التي أختارها وعرضها على الحاضرين واحداً واحداً ليتأكدوا من انها غير مقطوعة قبله .

وشرع ذلك الشخص يقطع البرتقالة ، فقال له الساحر ، اقطع على مهل ومتى ما احسست شيئاً غريباً داخل البرتقالة توقف لتفتحها باصابعك . وفعل الشخص ما طلب منه الساحر وفتح البرتقالة واذا في جوفها تلك العملة الورقية التي وقع عليها وعلا التصفيق ممن في الصالة . وفي صباح اليوم التالي عدت الى القدس في طريقي الى بغداد .

### مدام آرام غريبان / ١٩٤٣

السيدة أرمنيس غريبان في مطلع العقد الثالث من عمرها . ممشوقة القد ، جميلة المحيا ، دقيقة الملامح . وهي احدى ثلاث بنات لتاجر تبغ عراقي ارمني معروف في بغداد وشمال العراق . والعائلة جميعها حتى الاب والام لهم حس فنى وموسيقى ، ويمارسون العزف على انواع آلات الطرب : العود الكمان والقانون والسنطور والبيانو والطبلة . وكبرى البنات وهي التي دخلت الى عيادتي ، تغنى باللغة الارمنية بلحن قريب من الغناء الاوروبي . أما الاب فيضرب على أوتار العود بالطريقة التركية المتميزة التي يضرب الوتر فيها مرتين من الاعلى الى اسفل ثم من اسفل الى أعلى ، وهي طريقة غير مألوفة بين الموسيقيين العرب على ما أعلم . ومجالس هذه العائلة بهذا التركيب ممتعة ومفعمة بالبهجة والسرور ، وقد حضرتها اكثر من مرة .

كانت السيدة أرمنيس التي دخلت عيادتي قد رجعت توأ من سويسرا حيث أمضت فيها شهر العسل ، وزوجها (أرام) في مثل عمرها تقريباً ، وقد تزوجا على حب ، وهو ليس من عائلة غرابيان المشهورة في البصرة ، وليون غريبان ليس إلا خاله ، أما أبوه فليس من صلب هذه العائلة إلا انه ابي آرام عرف منسوباً اليها ، وجميع مراسلاته واوراقه التجارية مطبوعة بهذا الاسم ، وقد يكون فضلها على التسمي باسم إبيه المغمور لغاية تجارية . كما قيل ان آرام ربيب رب العائلة ليون غريبان فتسمى باسمه ، ولما توفي ليون غريبان أوصى بثروته الى آرام ، وقيل انه سجل اكثرها باسمه قبل وفاته وهي ثروة طائلة من أملاك ، ووكالات مريحة جداً ، منها (شيلمان) حديد واخشاب وسكاير (كرافن اي) و (ثرى فايف) ، ووسكى بنوعين وغير ذلك . وكانت هذه السيدة حين زارتني أول مرة تشكو من مضايقات عضوية مألوفة في شهر العسل ، ودخلت مرة ثانية الى عيادتي وهي حامل في الشهر الاول ، وتابعت زيارتي بانتظام في كل شهر . ويوماً وهي في حملها بالشهر الثالث جاءتني تشكو من تورم في فخدها اليسرى مع قدر من الألم ، فنصحتها بالراحة التامة مع تناول حبوب (سكس ناين ثرى) ، وهي من مركبات السلفا ، وكانت هذه المريضة مطيعة وملتزمة بتنفيذ نصائحي ، فشفيت من مرضها بعد نحو اسبوع واحد .

وفي خلال ذلك كنت ازورها في بيتها بين يوم ويوم فاذا دخلت بيتها ياتيني سائق سيارة آرام ويأخذ مفتاح صندوق سيارتي الخلفي ليضع فيها من انواع التمور المحشوة باللوز ، وقناني الوسكى ، وعلب السكاير مايكفى لضيوفي عاماً أو اكثر .

ووضعت هذه السيدة من تمام حملها بسهولة في مستشفى السعدون الذي كنت يومئذ أدخل مرضاي فيه ، وفي اليوم الثالث من نفاسها شكت لي من ألم خفيف في فخدها اليسرى وصفته بأنه شبيه بالألم الذي عانت منه في الشهر الثالث من الحمل ، فوصفت لها حبوب البرونتوسل وهي ايضاً من مركبات السلفا ، غير ان الألم بدأ يزيد كما ظهر على فخدها اليسرى تورم يسير ، وما لبث حتى ازداد وصار بقدر ما كان مثله في الفخذ اليسرى ولاننى أمارس معالجة مثل هذه الحالة بكثرة في المستشفى الملكي واعرف مشاكلها وعواقبها ، فقد ركبتى القلق منها على هذه المريضة ورأيت من الحذر والأصول ان أستدعى طبيباً آخر ليشاركني هذه المسؤولية ،

وانا غريق كرم زوجها الجم السخاء والادب . ويومها كان الدكتور ماكس كروباخ الالماني اليهودي مسيطراً على ممارسة الطب في بغداد . وكنت قد تعرفت عليه في مستشفى ميرالياس يوم كان هو الطبيب الاول فيه ، مطلب مني (آرام) ان أستدعيه ليشاركني في معالجة زوجته أرمنيس . فاقترح كروباخ وضع العلق الطبي على الفخذ المتورمة ، ولم اكن أعرف الى ذلك اليوم شيئاً عن هذه الدويبات كواسطة علاجية لمثل حالة أرمنيس ، ولكنني أذكر بشكل غير واضح انني رأيتها مرة حين إستخرجها أحد رجال حارتنا بسامراء واسمه (علي المويل) من قم بغلته التي كان ينقل عليها التمر (الجسب) من (بلد) الى تكريت ، وكانت دواب هذا الكروان تروى في طريقها من امياه الآسنة حيث تعيش فيها هذه الدويبات القبيحة اللوز . فلتصق بافواهاها . وقد وضع على المويل واحدة من هذه الدويبات . ثم صدغ صديق له يشكو من الصداع فبريء على ما إدعاء . ودلني الدكتور كروباخ على دكان شخص يبيع العلق ، بسوق الشورجة وهو يهودي علقح كبير السن اسمه (شاؤول) ، ومحلّه جزء من دكان لشخص آخر يتاجر بالخزفيات بهذا السوق ، وبضاعته دويبات العلق التي يحفظها في حباب خزفية مليئة بالماء ، فاشتريت منه ثلاث علقات بسمائة فلس ، أخرجها من أحد تلك الحباب وأسقطها في قدح خزفي في قعره قليل من الماء . وكان كروباخ قد علمني طريقة وضع هذه الدويبات على فخذ المريضة أرمنيس فوق مسار العرق (الصافن) ، إلا انني حين رأيتها تتحرك على جدار القدح باحثة عن ممسك تتعلق به وجسمها اللامع يتلوى وهو يتدلى بثقله في الماء استقبحتها ورأيت من الأفضل ان اطلب الدكتور كروباخ ليقوم أمامي بوضعها على فخذ المريضة فأتعلم منه الطريقة . وجاء كروباخ بتواضع ، وطلب ورقة نشاف وثقبها في ثلاثة مواضع في خط مستقيم ، وبللها بالماء ثم وضعها على فخذ المريضة بحيث تكون الثقوب الثلاثة على مسار العرق الصافن . والتقط العلقات الثلاث بعودي كبريت ورمهن فوق ورق النشف المبطل بالماء . وصارت هذه العلقات تتحرك على غير هدى والدكتور كروباخ يوجهها بعور الكبريت نحو الثقب الذي عمله في ورق النشف ، فلما احست هذه الدويبات إنها على جلد المريضة فتحت أشداقها وتمطت على ماتحتها من الجلد وهي تتلوى بحركة دودية وشرعت تمص الدم بنهم وارتياح ، واجسامها تغلظ وتقصّر

وبعد بضع دقائق صارت كل واحدة منها بحجم إصبع الإبهام وكادت تسقط بفعل ثقلها ، وحينئذ طلب الدكتور كروباخ قليلاً من الملح وأذابه في ماعون (استكان) الشاي وقطره نقطة فنقطة على رؤوس العلقات ، فاشمازت هذه من الماء المملوح ، ورفعت رؤوسها كما ترفع البقرة رأسها اذا شبعت من عشب المرعى . وكنت أنا والدكتور كروباخ نرقب حركات هذه الدويبات حين بدا عليهن الاكتفاء والشبع بعد هذه الوجبة الدسمة ، فاعادت رؤوسها مرة أخرى الى المرعى إلا أنها نفرت منه وسقطت بلا حراك على ورق النشاف المبتل .

لم اكن أعرف يومئذ شيئاً . عن فعل هذه الديدان في مثل هذه الحالة المرضية . قال لي الدكتور ساكس انها تعمل كما يعمل الفصد في تخفيف الاحتقانات والامتلاء الدموي ، ولو براحة أقل ، ومن جهة ثانية تفرز من فيها مادة تمنع التخثر ادموي الذي هو سبب هذا الاختلاط النفاسي . وكنا يومئذ نعالج هذه الحالات المرضية في المستشفى الملكي بمرهم الاكثيول وربط الرجل المتورمة بالجبانر لتحديد حركتها خوفاً من انفصال الخثرات الدموية عن جدار الاوعية الملتهبة فتسبب انسداد الاوعية الدموية في مكان ما من الجسم وكان المعتقد في زمان سابق : ان سبب تورم الرجل هو اللبن الذي ينحدر من الثديين الى الرجل الملتهبة فتسبب تورمها ، ولذلك كان اللبن من الثديين في هذه الحالات نزرأ على غير المعتاد في الاسبوعين الاولين من النفاس ، وهو معتقد خاطيء . وفي اواخر الاربعينات اكتشف (الهيبارين) وصنع وصار يستعمل بنجاح في هذه الحالات المرضية ، ووصل هذا الدواء الى بغداد وشاع استعماله ولكن في زمن متأخر فلم يتوفر لدينا لنعالج به السيدة أرمنيس وزوجة الصديق الكريم آرام غريبان ، على ان الوقت كما يقول الانكليز (يشفى الجروح) . فاستعادت أرمنيس رشاقه رجلها ولكن بعد وفاة زوجها آرام وهو يستقل سيارته ليمارس عمله في مكتبه بعمارة الدامرجي ببغداد .

على ان استعمال حقن الهيبارين في بادئ أمره لم يكن سهلاً مالم يفحص دم المريضة بين وقت وقت من (وقت التخثر الدموي) وإلا قد ينتج عن استعماله نزف شديد أو مميت ، وكانت هذه هي ما جعلت الاطباء يستعملونه بحذر وخوف . إلا ان ما حدث في مستشفى ميرالس باستعمال هذا العقار ما يدعو الى الاستغراب . فقد كان هذا المستشفى

يستورد اميولات الهيارين من شركة (B.D.H) الانكليزية وهي تستعمل رقعا التي تحمل اسماء مستحضراتها بلون واحد . فكانت رقعة أميولات الهيارين بلون وبشكل كتابة اسم اميولات (الهياتيكس) التي تستعمل لعلاج بعض انواع فقر الدم . وهذا الدواء سليم استعماله باية جرعة . اما حقن اميولات الهيارين فتخضع لقواعد واصول اذا اهمل اعتبارها قد يؤول الامر الى قتل المريض . وكان احد اطباء مستشفى ميرالياس واسمه (بالايان) وهو ارمنى من اصل فارسي وقد خلف الدكتور كروباخ في مستشفى ميرالياس ، وكان الدكتور بالايان يكثر من وصف ال HEPATEX ، ويوماً اعيدت وصفة هذا الدواء الى الدكتور بالايان مكتوب على حاشيتها عبارة (نفدت هذه المادة في الصيدلية) فاستغرب الدكتور بالايان من هذه الملاحظة ، وهو متأكد ان في الصيدلية منها مايكفى لأشهر أخرى ، فذهب بنفسه الى الصيدلي (موييس) الذي كتب تلك الملاحظة ، فاكتشف ان الصيدلي (موييس) كان يخلط بين اسمي ال HEPATEX وال HEPARIN فيزود المريض بالدواء الأخير متوهماً انه الدواء الاول فنقد هذا العقار الأخير ، والغرابة اكثر من ذلك ان ال HEPARIN الذي استعمله للمريض دون التحفظ الذي ذكرته لم يسبب اية نتيجة سيئة على المرضى الذين تناولوه .

### جاموسة ثائرة في المستشفى / ١٩٤٣

في محلة الطوب (قرب باب المعظم) بيوت تعنى بتربية الجاموس من أجل لبنها الدسم الذي يصنع منه القيمر . وهذه الحيوانات ضخمة تحب الغطس في الماء وخصوصاً في فصل الصيف ، فيقودها اصحابها من بيوتهم عبر باب المعظم وشارع المستشفى الملكي الى شاطئ نهر دجلة المقابل لخضر الياس في الجهة الاخرى من النهر . وتقطع هذه الحيوانات هذا الطريق الطويل بأناة وتمهل متحدية اسراب السيارات فتضطر هذه ان تبطئ في سيرها حين تقاطعها هذه الجواميس ، ونادراً ما تسرع الجاموسة حين تتعقبها السيارات لتجتاز مسراها . ومنظر الجواميس حين تغطس في نهر دجلة فلا يظهر فيها سوى رؤوسها صورة تجلب



الانتباه . وفي يوم وأنا في الردهة العاشرة رأيت من خلال احدى نوافذها هرج ومرج في الباحة التي أشرف عليها ، فخرجت لاستطلع هذا الامر غير المألوف ، كان مراجعو المستشفى ومن فيها من الموظفين والشرطة والاطباء يركضون في هذه الباحة بذعر وبغير انتظام ، والنساء والاطفال يصرخون ويزدحمون أمام مدخل الردهة العاشرة ليدخلوها ، وبعضهم يحاول ان يختفى وراء جذع نخلة ، وعلى حين غرة رأيت جاموسة تركض على غير هدى وكأنها تنحدر من عل فترتطم بما على جانبها وما أمامها من بشر وشجر ، وينسلخ جلدها فتتحدر منه الدماء الغزيرة وهي لاتبالي إلا لتجد منفذا لتلحق ببنت جنسها اللاتي سبقنها الى ماء النهر ، وتزايد الرعب والصخب حين حاول شرطيان إيقافها فهاجمتها بوحشية مخيفة ! فهربا منها ودخلا باتجاه المستشفى وما كادا يسدان بابه ورائهما حتى وصلت الجاموسة ونطحت باب المدخل فحطمته .

ثم ارتدت الى خلفها واستأنفت ثورتها الجامحة المخيفة ، قاضطر أحد الشرطة الى ان يطلق عليها النار ، فازداد هياجها والدم ينقر منها ، ثم اردف الطلقة بأخرى وثالثة فسقطت ترتعد على الارض لتلفظ آخر انفاسها .

### لص ذكى ١٩٤٣

المعلوم في اللصوصية ان السرقة تحدث على الغالب في تستر وتخف ، وفي ظلمة الليل ، وبأوقات مناسبة ، ويقال عن اللص المتمرس انه ذكى في حيك خطة سرقة ، كما يقال انه يرصد أهل البيت باتقان فلا يستيقظون لمطارده ، ويقال أيضاً انه جبان اثناء عملية السرقة ، فيخيفه سعال المدخنين في الليل ، وصراخ الاطفال . فيحسب ان اصحاب البيت الذي دخله ليسرقه يقظون . واذا طورد تضرع الى الله من صميم قلبه ، ويخشوع ليجيه من محنته . وأما اللص الذي سرق بيتي فذكي فعلاً ، وطريقته في السرقة مبنكرة ، ولم يكن جباناً ، كما لم يتستر بظلام الليل . فقد دخل بيتي هذا السارق في وضح النهار ، فيما بين ساعتى الفطور والغداء ، اي في الوقت الذي لاتكون في بيتي إلا زوجتي والبستاني (خضير) . ودخله

متودداً متحبيباً كأنه من الاصدقاء او الاقارب ، وخاطب زوجتي باسمها  
وكنيتهـا (أم نيران) .

كبس هذا السارق على زر جرس باب بيتي ، ثم نادى بأعلى صوته كما  
يفعل اي واحد له حرمة مع أهل الدار  
- يا أهل البيت !

وطلعت عليه زوجتي ، فاذا هو رجل في الثلاثين من عمره يرتدي  
ما يرتديه اصدقاؤنا من أهل سامراء الذين كثيراً ما يزوروننا وهم يحملون  
الينا هداياهم من محاصيل مزارع المدينة وصارت زوجتي بتكرار زيارة  
هؤلاء الاحباب لاتخطيء في معرفة هذه الفئة ، فحسبت هذا الطارق  
واحداً منهم واستقبلته بترحاب وتهليل ، ودخل البيت وهو يقول لها  
ويتأفف .

- هلكت وأنا أمشي في الطرقات حتى اهتديت الى بيتكم العامر يا أم نيران .  
فاعتذرت منه زوجتي عما لاقى في ذلك ، وقادته الى صالون البيت  
وقدمت له (فنجاناً) من القهوة التركية المهيّلة ، وقطعة من (من السما)  
المحلى بالسكر ، وسالته عن الأهل في سامراء ، فأجابها  
- بخير ولا يعوزهم الا زيارتكم لسامراء .

وحين نهض ليودع زوجتي قبل ان يغادر الدار قال لها  
- أبو الدكتور كمال بعث معي (عكة) كبيرة مملوءة دهن حر ، وقد تركتها  
في دار صديقي بالاعظيمة بالقرب من جامع الامام الاعظم ، لانني أردت  
ان اعرف مكان البيت أولاً ثم أعود بالعكة اليكم .  
ودفعت الارباحية زوجتي ان لاتكلف هذا الرجل اكثر مما فعل لاجلنا ،  
فنادت على البستاني ان يصاحب الرجل ليحمل الينا (عكة) الدهن .  
فشكر الرجل زوجتي على اريحيتهـا وتعاونها وهو يقول .  
- كنت في الواقع أنوى ان اسالك هذا يا خانم .

وذهب البستاني (خضير) مع الرجل وزوجتي تودعه بالثناء والشكر .  
وبعد نحو نصف ساعة عاد ذلك الرجل الى بيتي وقال لزوجتي بهلع .  
- حمل (رجلكم) ظرف (عكة) الدهن فانشق طرف منه ولا يمكن حمله  
بهذا الوضع ، وتركته مع (رجلكم) في منتصف الطريق اليكم فاعطوني  
قدرين ثلاثة حتى نغرق ما في العكة فيها . فاسرعت زوجتي وزودته بقدرين

كهرين من النحاس فحملهما وغادر البيت الى مكان خضير والعكة التي معه كما ادعى .

ووصلت الى بيتي ولم يكن قد عاد خضير بقدر الدهن وقد مضى على ذلك اكثر من ساعتين .

واستقبلتني زوجتي متهلة الوجه ، تقول :

- غريب ، كاد دهنتا ينفد ، فوصلنا دهن من سامراء .

وانتظرنا خضير ، فعاد بعد اكثر من ساعتين وهو لا يحمل شيئاً بيديه ، فسألناه

- اين الدهن ياخضير ؟

- اي دهن ؟ اخذني ذلك الرجل الى زقاق قرب جامع الاعظمية ثم قال لي انتظر هنا لاشترى علبه سكاير ، وذهب ولم يعد الى . وظهرت حيلة ذلك الرجل في هذه السرقة ، إذ لم يذهب لشراء علبه سكاير كما ادعى ، بل جاء الى بيتي ليدعى ما ادعاه عن (العكة) التي انشقت ، فأخذ القدرين لنفسه . ويومها كانت قدور النحاس ذات قيمة عالية . لقد كان ذلك اللص ، ذكياً وجريئاً حقاً .

### في مقهى خليل ١٩٤٤

منذ كنت صغيراً انظر الى المقهى كما انظر الى دواوين شيوخ العشائر التي يجتمع فيها افراد العشيرة لحل مشاكلهم الاجتماعية والزراعية والعائلية ، إذ لم يكن مالوفاً ان تحل هذه المشاكل في البيوت الخاصة إلا اذا كانت المشكلة عائلية بحته . ولم يكن مالوفاً ان يدخل الصغار المقهى ، فهو خاص بالكبار . وصرت اعد من فكر باستحداث المقهى ذا عقلية راجحة وذكاء خاص . وكان اول مرة ادخل فيها المقهى حدثاً متميزاً بالنسبة لي ، وكان ذلك يوم عدت من الحلة الى سامراء في العطلة الربيعية ثم انقطعت عنها بعد تخرجي في كلية الطب ولكن ميلى الى دخوله بقي بداعب افكاري كلما مررت باحدها في شوارع بغداد . وكان من اصدقائي

القدماء بسامراء فاضل العباس الياسين ، وهو اكبر مني قليلاً غير ان صداقتنا الحميمة قربت بين عمرينا في كثير من المشاعر . وقد اعتاد ماضل منذ هارقت سامراء للدراسة في بغداد ان يزورني وهو يحمل لي من اهلي بعض ماأحتاجه وبخاصة المأكولات من مطبخ البيت . وذات مرة ضرب لي موعداً .للقابلته في مقهى خليل المقابل لدخل شارع المتنبي من جانب شارع الرشيد . وخليل هذا هو نفسه الذي كان يدير حانوت المدرسة الاعدادية ، وهو يعرف صديقي فاضل كما كان فاضل يعرفه لكثرة ماكان يقابله في حانوت المدرسة ليعطيني مايحمله الي من اهلي بسامراء . وقصدت مقهى خليل بشارع الرشيد فاستقبلني خليل بترحيب واقعدني على حشبة الى جانبه ، ويادرنى يسأل

- شلونك ، دكتور كمال ؟

- شكراً ، الحمد لله

- اعرف انك جئت لمقابلة فاضل ، انه لم يحضر بعد وهذا هو وقت مجيئه اذا كان هو في بغداد .

- هو في بغداد وقد كلمني تلفونياً قبل ساعة .

كان مجلسي الى جانب خليل يشرف على الشارع كما يشرف على جميع تخوات المقهى ومن يدخل اليها أو من يخرج منها . واجتذب نظري بشكل خاص رجل من مسن يحتل ركناً على تخت في المقهى قريباً مني .. وكان ينظر الى بغيظ وهو يسحب نفساً من خرطوم تركيلته ، ثم رأيت يلتفت الى رجل يجلس الى جانبه ، وهو يرفع ساقه اليمنى ليريحها على رحله الاخرى ، وشرع يقرض بسكين صغيرة اظافر قدمه . وهو دائم يشرح موضوعاً لاهتمام ولا بغير اهتمام وكأنما يكلم نفسه والرجل الآخر لا ينفك ينظر الي من طرف عينيه بين حين وحين .

وقال خليل كمن يريد ان يفتح باب حديث بيني وبينه

- فاضل ، صديقي مثل ما هو صديقك وهو آدمي ابن أوادم  
مقلت له

- صداقتنا قديمة

فقال

- أعرف ، انها منذ كنت انت في المدرسة الثانوية ، وكان يحمل اليك الكليجة ، والبيض من اهلك بسامراء (ثم سكت قليلاً فاستطرد بقول)

قوي ، نداء :

فقلت له :

- وصار له ود سماه حازم

- هذه لا أعرفها

والتفت خليل بينما كان يكلمني الى الرجل الذي كان يدخن النركيلة وجليسه الذي مازال يقرض اظافر قدمه . ويظهر ان هذا الأخير قد جرح طرف أصبعه إذ رأيتـه يخرج من جيب زبونه منديلاً احمر كبيراً وأخذ يضغط به على أصبعه المجرّوح . وسمعت مدخن النركية يقول - ينراد لك تنتريون .

فصاح الرجل الجريح ينادي خليل

- خليل عندك تنتريون ؟

وصاح مرة أخرى

- خليل عندك تنتريون

وأجابه خليل بضجر

- سمعتك ، من أين لي بالتنتريون !

وأراد ان ينكت مدخن النركيلة فقال للجريح وهو ينظر اليّ

- الدكتور حاضر لا تخاف

فابتسمت لهذه الاشارة فسألني

- شلونك دكتور كمال ؟

- شكراً أنا بخير

- عرفتني ؟

ولم أحبه ، فقال لي

- أنا الياس ، عمك الياس !

فقال له خليل

- يرحم أبوك منين يعرفك ؟

فقال الياس

- أخوه أبو مجيد ، وأخوه ابو ثامر يعرفاني ، ودكتور كمال يعرفني مأمه تذكر يوم كان يسكن من غرفة فوق خان حميد الحونه وحين ذاك تذكره .

وبعد دقائق غادرت المقهى ومعى فاضل لتناول العداء في ببني .

## الى كركوك لفحص مريضة ١٩٤٤/٣/٢

كان ذلك اليوم ماطرًا ، والسماء ملبدة بالغيوم وصاخبة بالرعد حين جاءني الصديق عبد الله شريف يرجو ان اسافر الى كركوك لفحص مريضة في حالة مرضية مستعجلة . والتفت الى شخص يقف الى جانبه في نحو العشرين من عمره ، ممتلئ الجسم بلا ترهل ، وفي عينه اليسرى حول يسير قدمه عبد الله شريف باسم (ق) بك وقال :

- انه صديقي الحميم ، وقد وصلتته برقية من زوجته في كركوك تطلب منه ان يستقدم طبيباً من بغداد ليعالج حالتها المرضية السيئة .

وسمع (ق) بك ما قاله لي عبد الله شريف فأضاف

- هذه زوجتي الثانية واني احبها وهي تحبني ، وقلق على صحتها . واخذني عبد الله شريف جانباً وقال لي .

- أن هذا الشاب من عائلة محترمة في اربيل ، وزوجته من كركوك وقد تزوجا قبل سنة واحدة ، وهو ايضاً وراء الانجاب وقلق على تأخره .

وبعد قليل من الوقت صرت الى جانب (ق) بك في المقعد الخلفي من سيارته (البيوك) في طريقنا الى كركوك . وفي ديلتاوة حين أخرج (ق) بك محفظته ليدفع ماضخ في سيارته من الوقود في خزان السيارة ، فسقطت من المحفظة صورتان لإمرأة واحدة بان لي منها صدرها العريض وذراعاها الممتلئتان وحلية من الذهب بشكل الافعى تلتف حولها . والتقط (ق) بك الصورتين ووضعهما على ركبتيه وقرب فيما بينهما وتاب النظر اليهما . ويبدو انه افتقد صورة ثالثة وصار يفتش عنها في جيوبه حتى عثر عليها بقبطة ، ووضعها الى جانب الصورتين اللتين على ركبته ، والتفت الى وقال وهو ينقر باصبعه على الصورة الأخيرة :

- هذه (البنية) هنكارية ، تعرفت عليها قبل شهر واحد في ملهى الفارابي فقلت له

- احذر ان ترى زوجتك هذه الصور

فقال : هذه مسائل تخصني وحدي ، وزوجتي عاقلة لاتتدخل في اموري الخاصة ، على عكس زوجتي الاولى التي كانت تزعجني باسئلتها عن تصرفاتي فطلقتها لاتخلص من سخفها .

وما كدنا نغادر ديلتاوه حتى صار المطر ينهال بغزارة ، وبعد نحو ساعة وصلنا (الجاهى) وهو واد تتجمع فيه مياه المطر فيكون منه نهراً يغمر معالم طريق السيارات ويعطل سيرها .

كان علينا ان نعبر هذا الجاهى ليستقيم مسيرنا الى كركوك أو نسلك طريقاً آخر يمر على قنطرة قديمة بالية فضلاً عن ان الوصول اليها محفوف بالمخاطر في ظلمة الليل . ولم يكن لي علم بهذه الطريقة قبل ان يوضحها لي السائق وانتبهت وأنا اناقش السائق في اختيار الطريق الافضل والاسلم ، ان (البيك) كان يمحس من فم زجاجة مقلطحة لم اتبين محتواها بسبب الظلام ولكني قدّرت من الرائحة التي انبعثت منها انه من انواع الوسكي :

وتوقف السائق قليلاً يفكر في اي من الطريقين يسلك ؟ فصاح به البيك ان يستمر بسيره ويعبر مياه الجاهى ، فقال له السائق بادب .

- بك ، الماء يرتفع في الجاهى وأخشى ان يصل الى ماكينة السيارة فيعطل حركتها ، وفي هذه الساعة من الليل يصعب علينا الحصول على من يساعدنا ، قد لايرانا أحد في ظلمة الليل وكثافة المطر . فاحتد (البيك) وشتم السائق بقذاعة ، فاذعن هذا الى أمر سيده البيك ، وخاض بسيارته السيل الجارف في الجاهى . فعيّره بسلام .

واعجبني ان اناقش (ق) بيك فسألته :

- لو فرضنا ان السيارة تعطلت في منتصف الجاهى ، فماذا سيكون بعد ذلك .

واكتفى البيك بقوله

- ما تتعطل !

- الاحتمال موجود

فعاد يقول باعتداد

- ما تتعطل يا دكتور ، وأنا افهم من هذا السائق الغبي .

ولم افتح فمي بعد ذلك بكلمة . أما البيك فاستمر يهذي بالثناء على عبقريته وحسن تصرفه في حل مشكلة الكثيرة بالحدس والتجربة . وصلنا الى كركوك قرابة منتصف الليل . وانتظرت في صالة الاستقبال في بيت الزوجة ليهيء البيك الموقف لفحص زوجته ، وفي هذه الاثناء دخل الصالة رجل معمم في نحو الستين من عمره وتقدم مني وكلمني بلغة كردية

عرفت منها أنه أبو الزوجة . وحاول ان يتكلم معي بالعربية فتبني و 'نه يعرفها بقدر لابس به . وفي لحظة تناهى الى سمعي وأنا في الصلاة أحهد نفسي لافهم حديث أبي الزوجة . صخب باللغة الكردية داخل البيت بلهجة العتب بين البيك وبين امرأة ، كما بدا لي ان القضب قد تملك صاحبي البيك فقادر حرم البيت ودخل الصلاة التي كنت فيها بوجه متجههم لا يخلو من مرح مفتعل ، ورجا مني ان اتبعه لفحص زوجته . لم أجد بعد فحص المريضة ما يستوجب استقدامي مستعجلاً من بغداد الى كركوك . كانت حين ولجت مخدعها جالسة في سريرها متوترة الاعصاب . فوصفت لها بعض المهدئات وليس اكثر من ذلك .

ولو انها قد جائتني الى عيادتي في بغداد لما وصفت لها اي نوع من الانوية ، ولكنني بعد أن جئتها أنا الى كركوك فلا بد ان أصف لها ما يوحى لها ياهتمامي بامرها فوصفت لها دواء لا يفيد ولا يضر . كانت هذه المريضة تحتاج الى لمسة يد من زوجها فتدخل عقدة ازمتها التمثيلية : وعدت الى صالون الانتظار حيث كان أبو الزوجة في انتظارنا وتناولت فطور الصباح مع البيك أما أبو الزوجة فلم يشاركنا هذا الفطور بل استأنن منا وغادرنا قبل ان نبدأ بتناول الفطور ورأيت ان اعود الى بغداد وانا اتوقع ان يبقى البيك مع زوجته غير انه كان اسبق عنى الى الصعود الى السيارة . ولحق بي أبو المريضة الى السيارة ويده حزمة من دنانير فرفضت تناولها من يده ، غير ان (ق) بيك (انتشلها) من يده ودفعها في جيبي كما نادى على السائق الذي كان لا يزال في داخل البيت فخرج وهو يحمل زوجاً من السجاد ، وفتح صندوق السيارة الخلفي ووضعها فيه . وكان (ق) بيك يجلس الى جانبي في المعقد الخلفي من السيارة ولكنه فتح باب السيارة فجأة وخرج منها ليستقل المعقد الامامي الى جانب السائق ، والتفت نحوي وقال :

- أخاف هذا السائق ينعرس وهو يسوق السيارة ، فامنعه من ان ينام غير ان السيارة لم تدرج على الطريق حتى سمعت شخير البيك يطفى على صوت محرك السيارة .

كان الليل في اواخر لحظاته حين وصلنا الى (الجام) وكان ماؤه قد ملا بطن الوادي وفاض على جانبيه واختفت معالم الطريق فيه . وبرقت



السماء وانهمر المطر كأفواه القرب فزاد هذا من وحشة الليل ، فلم يبق للسائق خيار إلا العودة الى منعطف قريب لياخذ طريقة الى القنطرة التي تفادينا العبور عليها عند مجيئنا الى كركوك . وكان (ق) بيك يغط في نومه ، ولا بد ان شخيره كان عالياً لولا هدير ماء الجاي والرعد الذي صار يتوالى فلا ينقطع إلا ليبدأ من جديد .

ولما استدارت السيارة نحو القنطرة قلت للسائق :  
- أليس في عبور القنطرة خطورة ؟

فاجابني :

- مضطرون ، أو نعود الى كركوك لنستأنف العودة الى بغداد في يوم لاحق (ثم استدرك يقول) ساعبرها بسلام بالاعتماد على الله . واقتربنا من القنطرة وعبرها السائق على مهل حتى اني لم أر منها شيئاً ولا عرفت أننا عبرناها إلا بعد ان ابتعدنا عنها بسلام .

وكنيت راجياً في التحدث الى السائق ولو على نحو متقطع وغير مترابط لكي لا اتركه ينعس ، فقلت له :

- أرى انك سائق ماهر

فاجابني :

- أنا اعرف الطريق شبراً شبراً ، ليلاً ونهاراً

- هل تسافر كثيراً في الليل ؟

- اسافر في الليل واسافر في النهار بحسب اوامر البيك والعيشة تتراد

يادكتور

- منذ متى وانت بخدمة البيك ؟

- منذ سنتين أو أكثر

- مرضيك ؟

- نعم مرضيني ويكرمني بسقاء ، وخصوصاً حين يشرب حليب السباع (يقصد العرق أو الوسكي)

كان الجو بارداً ، ولا يخلو من ريح ، والمطر مستمراً بتواتر . ولما وصلنا التلؤل التي تحف بالطريق المتعرج كان المطر قد خف قليلاً وحين اشرفنا على الغرفة كان قد توقف نهائياً . والغرفة منبطح فسيح يمتد حتى يصل مشارف ديلقاوه . ومررنا بهذه المنطقة بكثير من الرجال وهم يمتطون البغال والحمير وهي مثقلة بالاحمال .

ويترجل بعضهم لينحى القافلة عن طريق سيارتنا ، ويبطئ السائق حين يقترب هؤلاء . وقال لي :  
- هذا الطريق مطروق ليلاً ونهاراً ، على عكس طريق السليمانية .  
وسألته وأنا اعرف جوابه مقدماً  
- ولماذا لا يكون طريق السليمانية مثله ؟  
فاجابني بتاكيد

- الناس تخاف من (خلة بيزه) !  
وكان خله بيزه يومئذ يعيث بأمن المنطقة ، وتتناقل الناس عنه قصصاً اقرب الى الخيال من الحقيقة ، فاعطته طابع البطولة الاسطورية ، وخافه الناس فلا يسافرون في منطقة السليمانية إلا متجمعين . وقد سمعت ان شرطة السليمانية قد قتلت هذا الشقي المتمرد وعرضت جثته على قارعة الطريق ليشاهدها السابلة الذين يرغبون في التعرف عليه ويطمأنوا من سلامة التنقل في منطقة السليمانية . فقلت للسائق .

- اعلنت متصرفية السليمانية ان (خله بيزه) قد قتله شرطة اللواء فاجابني بنفي قاطع يقول :  
- كذب يادكتور ، كذب

- ولكن الحكومة قد اعلنت ذلك  
- انا اقول ان ما اعلنته الحكومة كذب في كذب (واضاف) لن تنال منه الحكومة فهو يوم في السليمانية ، ويوم في حلبجة ، ويوم في بنجوين ، ولا يتحرك إلا في الليل ، ولا يقتل إلا من افراد الشرطة ، غير ان الناس يعتقدون وهماً انه يقتل عابري الطرق دون سبب . وقال السائق اشياء أخرى ليبريء خله بيزه من تهمة القتل غيلة واعتباطاً . ولم أر سبباً ان انفي ما قاله ، غير اني سألته :

- اني لم اعرف حتى الآن اسمك يا اخي  
فاجابني

- اسمي قادر ، وأنا من اهل السليمانية بمنطقة (بكره جو)  
فحسبته ان من انصار خله بيزه لامن اعدائه . وكنت اعرف من لهجة كلامه انه من اكراد الشمال . وحين صرنا على مشارف (خان بني سعد) تركته يتكلم على هواه وأنا بين النائم والوسنان . ولم أصح الى نفسي إلا حين سألتني السائق قادر عن مكان بيتي ليوصلني اليه . وتوقفت السيارة

عند باب بيتي في الصليخ وكان (ق) بيك نائماً وتلملم حين توقفت السيارة ، ونهض عن مكانه وترجل ، وصاح بسائق سيارته :

- السجّاد ، قادر السجّاد

وفتح قادر باب صندوق السيارة الخلفي وأخرج السجّادتين منه . وطلب البيك من السائق قادر أن يحملهما الى داخل بيتي : فقلت له :

- أرجوك يا (ق) بك فقد اعطينتني مايكفي

واقسم (بالطلاق!) إلا ان تحمل الى داخل بيتي . هدية منه فلم أجد حيلة إلا ان اخضع لما اراد وصافحته شاكراً ، وطلبت منه ان يدخل بيتي لتناول القهوة فاعتذر ، وارتد ان انفخ سائقه مما في جيبني من الدنانير التي قدمها لي أبو زوجته بكركوك فلاحظني البيك وانا أمد يدي بها الى السائق فنهره البيك قائلاً :

- قادر ، (بيزونك)

ثم التفت الى قال

- عيب يادكتور ، عيب

واستقل سيارته وغادر

بعد مرور نحو سنتين طلبني على التلفون وبادرني يسأل

- تذكرني ؟

وعرفته في التو واللحظة ، غير انه اسمه اختفى من ذاكرتي .

- فأجبت

- طبعاً عرفتك ، كيف حالك يا بيك ؟

- قل أولاً من أنا ؟

وتفاصيل سفرتي معه الى كركوك ثم نزل طرية في ذاكرتي ومنها السجّادتان ، والصور الثلاث للنساء عاريات الصدور التي سقطت من محافظته ونحن في السيارة في طريقنا الى كركوك .. تذكرت جميع هذه الاحداث بسرعة دون ان احناج الى وقت لاستذكارها ، تذكرت كل ذلك إلا اسمه !! فقلت له متحايلاً :

- ان السجّادتين أمام عيني في كل يوم فكيف انساك

وسمعتة يقهقه ، وقد يكون حسب ما في كلامي ضرباً من المديح لتصرفاته في تلك السفارة ، أو لكرمه معي ، فقلت له :

- أأمر ، أنا بخدمتك

فاجابني

- اريدك ان تاتبني الى البيت ، زوجتي مريضة  
وشرح لي مكان بيته في أحد شوارع الكراة الشرقية فوصلت دون  
صعوبة ، ووجدت البيك على بابهِ . هو نفسه لم يتغير فيه شيء . ورحب بي  
وقادني وهو يمسك بكفي الى مخدع زوجته وعلى بابهِ قال لي  
- تعرف يادكتور أنا تزوجت ؟

وأنا اعرف انه متزوج ، فهل طلق زوجته التي ذهبت معه الى كركوك  
لفحصها أم ان هذه زوجة ثالثة فقط ؟ فأحيتهُ  
- لأعرف انك تزوجت .

- تزوجت قبل اسبوع ، وزوجتي هذه معلمة .  
إنن (البيك) عريس وهذا يفسر قيافته الانيقة وانسراحه والافرشة  
والستائر ذات الالوان الزاهية التي تملأ مخدع زوجته ورأيت العروس ممدة  
على فراش وثير في سرير واسع . وفجأة طرق خاطري انني رأيت يوماً ما  
وجه هذه المرأة ، فهذا الوجه الطويل والسحنة الباهتة والعينان  
الواسعتان المكحولتان لابد اني رأيتها في وقت غير بعيد ، ولكن متى واين  
وسألته وأنا اخفي احتمال معرفتي بها  
- كيف حال المدام .

وسألته

- عرفتني ؟

فكان سؤالها تأكيداً على معرفتي بها .

ولم تنتظر مني جواباً ، فقالت :

- قبل ثلاث سنوات حين جئت انت وزوجتك الى البصرة بضيافة محمد  
العبد الواحد ، دعاكما والدي الى تناول الغداء في بيتنا .  
وتذكرت فعلاً ذلك اليوم ، وكان والدها (م) يومئذ معاون متصرف لواء  
البصرة ،

وفحصت العروس زوجة البيك فلم أجد فيها مايدل على مرض فيها ،  
فطمأنتها على صحتها الجيدة . وغادرت ببيتها .

ولم أر هذه الزوجة الى بعد ثلاثة اعوام حين زارتني في عبادتي  
بمستشفى السامرائي فاستقبلتها باحترام واستمعت الى شكواها  
باهتمام ، وسألته :

- كم طفلاً عندكم الآن

فاجابتني

- أنا مطلقة ولم انجب من (ق) يادكتور كمال  
وتذكرت حينئذ اسم البيك وماضيه الحافل الذي عرفته

### الاستاذة مس مكداول / ١٩٤٤

انتهت وزارة الشؤون الاجتماعية عقدها مع الاستاذ كروكشانك وتعاقدت مع استاذ انكليزي اسمه (ماهاني) ، وقد أصيب هذا في الاسبوع الاول من دوامه في المستشفى الملكي بالاسهال الحاد ، فخشي على حياته فلم يبرأ منه حتى غادر العراق الى وطنه في برستول . وكان ماهاني في العقد السادس من عمره ، ودوداً ومتجاوباً مع الظروف المحلية ، فنال من زملائه في كلية الطب الرضا والحب . ثم تعاقدت الوزارة بعد مغادرة ماهاني مع آنسة انكليزية اسمها مركريت مكداول كانت تعمل طبيبة في البحرين . وحين وصلت بغداد كان أخوها روبرت مكداول أحد اساتذة الجراحة بكلية الطب ، وهو الذي رشحها لوظيفة الاستاذية في الامراض النسائية والتوليد ، وايد الترشيح عميد الكلية الاستاذ هاشم الوتري ، وأخوها روبرت مكداول طويل القامة بنحافة ، أشيب الشعر ، يسرع اذا تكلم أو اذا مشى فسماء ظرفاء شعبته العراقيين (عباس المستعجل) .

كما لم يكن جراحاً ناجحاً ، وقد فشل في كثير من عملياته لترميم (القيلة) ، وكثرت على يده الاختلاطات المرضية في هذه العملية ، فاصدر اطباء شعبته كراساً بورقتين عنوانه (أحسن الفتاوى في ترميم الخصاوي) . وأخته الاستاذة مس مكداول تماثلته اخلاقاً وعلماً ، وهي عانس في الخمسين من عمرها ، طويلة القامة بل اطول من اخيها ، كما كانت علمياً اقل بكثير مما يمكن ان تكون استاذة في الامراض النسائية والتوليد في كلية الطب أو رئاسة هذا الموضوع في الردهات السريرية في المستشفى الملكي . كذلك كانت عنيدة بوقاحة ، فكان زملاؤها في مجلس العمادة يتحاشون مناقشة آرائها لسرعة ما تزار لاقل سبب . ولمست بعد

بضعة أحداث في الردهة انني لا استطيع ان اسكب على طريقة محص  
المرضى وعلاجهم ، ولكنني تمسكت بالصبر على مضض ، فتجاهلتها  
وابتعدت عن طريقها . وصار واضحاً لي انها لا يربح ابضاً الى انعزالي  
عنها ، وتكرهني وتنقد اعمالي في الردهة ، هكذا جهاراً على ملا من  
الممرضات والاطباء وطبية الكلية ، غير انها في الوقت نفسه لا تتورط في اية  
عملية كبيرة قط ماله بناكد انني مستعد لمعاونتها في تلك العملية . وحين  
تسبقني الى صالة العمليات تسالني بصلافة  
- تأخرت !

فاجيبها

- كان علي ان انتهي من علاج مريضة في العيادة الخارجية ،  
فأقول لي باسئواء ونقد

- ظننت انك كنت في مستشفى ميرالياس !

وكننت في تلك الايام اشتغل بعقد في هذا المستشفى ، ولكن بعد اوقات  
الدوام فقط ، وشارتها الى هذا المستشفى فيها غيرة وحقد .

وسرعان ما عرفت مس ماكداول على حقيقتها بين اطباء المستشفى  
فسموها ( عباسية ) تناظراً مع لقب أخيها ( عباس المستعجل ) ، كما نشر  
أحد ظرفاء شعبيتي من الاطباء ورقة بعنوان ( استعمال الدكم في رفع  
الرحم ) اشارة الى عملياتها غير الناجحة في ترميم سقوط الرحم .  
ويحضرني مثل من تصرفاتها مس ماكداول الغريبة الكثيرة .

فقد ادخلت ذات يوم مريضة الى الردهة النسائية مصابة بالتهاب حاد  
في انسجة حوضها مع ارتفاع بدرجة حرارة جسمها ، والم ثقيل في بطنها  
السفلى ، وقد علمت من حماتها ان حالتها اعقبت معالجتها من قبل  
احدى ( الجدات ) لكي تحمل من زوجها ، وانها دفعت في مهبلها عشبة  
يعرفها العامة باسم ( شعفة العجوز ) وهذه العشبة تشبه الى حد ما  
اصابع ( اللاميناريا ) فاذا وضعت في الماء أو في مكان رطب كجوف المهبل  
امتصت الماء من رطوبته وانتفخت .

ومررنا بهذه المريضة أنا والدكتورة مس ماكداول فقالت : هذه حالة  
اسقاط جنائي ويجب ان ترفع خبره الى الشرطة ، فقلت لها : ان المريضة  
عقيم منذ زواجها قبل خمس سنوات ، وهي وراء الحبل باي ثمن وبأي

علاج ، فالتجأت الى طب العجائز والقوائل فعالجنها بوضع جذور نباتية في المهبل . فعارضتني مس مكداول تسأل : هل رأيت تلك الجذور ؟ ولم اكن قد فحصت المريضة لارى ما في مهبلها ، والمريضة قد ادخلت نوا الى الردهة ، فقلت لها

- لم افحصها بعد

فقلت : كيف تثق بما قيل لك ؟

وأصرت مس ماكداول على ان الحالة ( اسقاط جنائي ) ولا يصح علاجها قبل ان نخبر الشرطة عنها . وحاولت اقناعها انها غير ذلك ، وان المريضة تطلب الحبل لا للتخلص منه ، فقلت بحدة

- ان المريضة تكذب ، واني اشتغلت سنوات في البحرين وعرفت مايكفي لي جعلني لا اصلق ما تذكره المريضة عن نفسها .

ورأيت ان نقاشي مع المس ماكداول في تشخيص حالة هذه المريضة لاطائل من ورائه ، فقلت لها

- على اية حال فان المريضة في حالة تستدعي علاجها انياً . فأجابتني بحدة وعصبية

- ليس قبل ان نخبر الشرطة عنها !

فقلت لها ان الشرطة ستطلب منا تقريراً عن حالة المريضة ووجهة اتهامها لها بالاسقاط المتعمد ، فقلت لي :

- فليكن

فقلت لها ، والغیظ يغلي في صدري :

- كما تريدین

واتصلت بدائرة الشرطة التي في المستشفى الملكي ، فحضر أحد ( مفوضيها ) وسألني عن كامل اسم مس ماكداول وعمرها ومركز وظيفتها

في المستشفى ، فأجبت على كل ذلك . فسألني المس ماكداول

- سمعت اسمي تذكره لهذا ( البوليس ) ، فما الامر ؟

فقلت لها

- هذه هي الاصول الحكومية ، وأنت المخبرة عن هذه الحالة .

فقلت وهي تنتفض

- قل لهذا البوليس ان يرفع اسمي مما كتبه في ورقته . وحاولت اقناعها

ان ذلك اجراء حكومي لا يصح تفاديه

فقلت لي

- اعطهم اسمك

- وهذا لا يصح ايضاً يا استاذة

فقلت لي

- ولماذا لا يصح

فقلت لها

- لانني لا أعنفد ان هذه الحالة جنائية لاخير الشرطة عنها .

وانتبه مفوض الشرطة الى هذا الجدل . فاستفهم عما نتكلم فيه .

فابدى استغرابه من موقفها ، وقال لي

- أرجو ان تقول لها اذا لم تدل بافادتها فانها تعد متسترة على جريمة تدعى حدوثها .

فترجمت لها ما قاله مفوض التحقيق فثارت وهددت وغادرت غرفتها وتركنتني وحدي مع المفوض . وفي تلك اللحظات رن جرس التلفون وتناولته واذا الدكتور سندرسن عميد الكلية ومدير المستشفى الملكي يطلبني الى غرفته .

وسندرسن يعرف اية عقلية في رأس هذه الاستاذة . وحين دخلت غرفته ، كانت مس ماكداول واقفة الى جانب طاولته الكبيرة وهي ترتجف بغضب . وقصصت على سندرسن امر المريضة ومفوض التحقيق من اولها الى اخرها بدقة وأمانة . وكانت مس ماكداول تقاطعني بين حين وحين في جوانب شكلية لاتغير من صلب ما اقله . بينما كان سندرسن يكبت ابتسامة ذات معنى واضح . وشكرني سندرسن وطلب مني ان اعد الإخبار عن هذه الحالة المرضية ملفياً . وانصرفت من غرفته وانا اسمع اعتراضها على قراره . وبعد نحو شهرين انتهت الوزارة عقد مس ماكداول وغادرت العراق . واكثر الاحتمال ان سندرسن هو الذي نصح الوزارة بهذا الاحراء ستحاشي المزيد من اخطائها الطبية وتصرفاتها المشينة . واطرف ماسمعه في تلك مكانتها في المستشفى الملكي كانت على لسان الدكتور هادي لياحه جي ، قال

- بحكى ان لآحد الولاية العثمانين فيل مدلل ، فيدخل سوق المدينة ودهس السابلة ، ويعبت ببضائع الحوانيت ، فلا يجسر أحد ان يبهزه أو



معه عن أنفسهم وحلالهم ، ولما كثر الضرر علي اهل هذه المدينة من ذلك الفيل ، قرر جمع من اولئك المتضررين ان يرفعوا عريضة الى الوالي يسترحمونه ، ربط الفيل لابعاده عن اذاء الناس ، وتقدم الجمع من قصر الوالي ، فخاف بعضهم ان يغضب الوالي عليهم وهو سريع الغضب شديد العقاب فيامر جلاوزته بضربهم أو يزجهم في السجون ، فتراجعوا عن دخول القصر ، ولما صل الآخرون الى باب القصر لم يبق منهم إلا نفر قليل . ولما صاروا عند باب ديوان الوالي لم يبق منهم إلا واحد فقط وهو الذي يحمل العريضة التي اتفق الجمع على رفعها الى الوالي الغاشم ، فلما رأى انه سيكون وحيداً أمام هذا الطاغية بعد انه خذله أصحابه وانسحبوا عن مقابلته ، قرر ان ينتقم لنفسه منهم ، فاخفى العريضة في جيبه ، وتقدم من الوالي بوجه باش ، وقبل الارض بين يديه ، فسأله الوالي بوجه عبوس - ما الأمر يا رجل ؟

فأجابه

- الفيل يامولاي المعظم الرحيم ، الفيل !

وصرخ الحاكم بوجه الرجل

- مابه ، أصابه أذى ، تكلم

فقال له الرجل

- أبدأ يامولاي ، انه بخير وعافية وهو محبوب الجماهير قاطبة .

- اذن ماذا عن الفيل ، تكلم ؟

فأجابه الرجل

- اننا نحب فيلكم حباً جماً ، غير ان حبنا له لا يكفي

- ماذا تقصد ؟

- انه يحتاج يامولاي الرحيم المعظم الى ( فيلة ) معه ، وبدونها لا يهدأ له

حال ولا تنهنا معيشته .

فتبسم الوالي حينذاك وقتل شاربه وقال له

- فهمتك يا رجل ، وانت على حق واشكرك على اهتمامك براحة فيلى

واسعاده ، وسامر حالاً باستيراد ( فيلة ) زوجة له ووصلت الفيلة بعد ايام

وصار يهرج ويهرج في أزقة المدينة واسواقها فيلان لافيل واحد ، ومثل ذلك

صار في المستشفى الملكي ماكداول اثنان لاماكداول واحد .

ولم تجدد وزارة الشؤون الاجتماعية عقدها بعد انتهاء عام على غير

عادتها مع الاطباء الاجانب الاخرين ، فقادرت العراق هي وأحوها  
الاستاذ ماكداول . وفي سنة ١٩٦٤ حضرت المؤتمر النسوي في كلاسكو  
وكانت مفاجاة حين صرت أمام الاستاذة مس ماكداول وحها لوجه . وارب  
ان احبيها الا انها سبقتنى وستدارات بحركة عسكرية الى وراء فاختفت  
بين حشد من المؤتمرين . ودفع الله ماكان أسوأ .

### حالة مرضية مخربة جداً / ١٩٤٤

البنك العثماني مؤسسة بريطانية في بغداد ولها مدير انكليزي اسمه  
(جيمسون) ومدير عراقي اسمه عبد الله بطاط . وهذا الاخير من يهود  
بغداد الطيبين وصهر الدكتور البيرالياس .. وقد عرفتة عن طريق زوجته  
التي كانت احدي مريضاتي . فكان يسأ عدني فيما أريد تحويله الى بيروت  
حين اسافر الى لبنان في عطلات الصيف ، وكان تحويل الاموال يومئذ غير  
مقيد ولكنه معقد . ويوماً رجاني عبد الله بطاط ان استقبل زوجة مدير  
البنك العثماني في عيادتي ، وهذا معناه ان اهتم بها بشكل خاص ، وكانت  
هذه المرأة قد ناهزت الاربعين من عمرها ، هزلة البدن دون ماشكوى ، وهي  
أم اولد وبنث . وشكواها التي زارتني مر أجلها ألم مفاجي في بطنها  
الاسفل . ولد يكن هذا الألم فويأ ليحفظها في فراشها . كما شكت لي من  
اضطرابات معدية في كل صباح منذ نحو اسبوعين . وعند فحصها وجدت  
جذرة غليظة على بطنها داكنة نتيجة عملية لاورام رحمية اجريت لها قبل  
سنتين في ايرلندا كما وجدت اثناء الفحص ان الرحم قد استوصل غير ان  
عنقه لايزال في محله . ولم أجد بعد التحري الدقيق سبباً لشكواها ، ولا  
استطعت ان اقف على تشخيص مرضها .

وعادت في اليوم الثاني كما وعدت لاراها اعتماداً على احتمال ظهور  
علامات أخرى تقودني الى تشخيص مرضها . ولم ينقض ذلك اليوم حتى  
استدعاني زوجها تلفونياً لشدة ماتعاني زوجته من الام ، وهو يقول انها  
بحالة تخيفني فتعال رجاء على عجل . كانت في فراشها باهتة السحنة ،  
ضعيفة النبض ، فافترحت على زوجها ان تنقل الى المستشفى الملكي

حالا ، وسبقته الى المستشفى لاهيء لها غرفة أو سريراً في اي مكان فيه . وأنا افكر في الوقت نفسه في مايمكن ان يكون مرضها ، وخطري بالي ان تكون حالتها جراحية مصحوبة بنزف داخلي ، ولولا انها قد رفع منها الرحم لركزت في تفكيري على احتمال الحمل خارج الرحم ولفتحت بطنها على هذا الاساس دون تريث ، ومع ذلك رأيت ضرورة فتح البطن لاستقصي مصدر النزف البطني . وما أغرب ما شاهدت ، فقد كان جوف الحوض مليئاً بحويصلات الحبل العنقودي ، فكيف حدث الحبل وقد رفع الرحم ، وكان إتمام العملية سهلاً بعدان وجدت الحبل قد حدث في احد انبويي الرحم اللذين لم يرفعا مع الرحم ، كما وجدت المبيضين بحالتهما الطبيعية . فلابد ان حوين الزوج قد زحف صاعداً قناة عنق الرحم الذي لم ترم فتحته الداخلية كما يجب ، فحدث التلقيح داخل الجوف الحوضي . فالغربة في هذه الحالة ذات وجهين ، اولهما انها حدثت مع عدم وجود رحم ، وثانيهما ان التلقيح لم يحدث داخل أحد انبويي الرحم بل في الجوف البطني ، وهذا من أغرب حوادث الحمل البطني . وفي هذه الحالة انفرزت البويضة الملقحة في مكان ما على جدار الامعاء لتتغذى من دمه . وغادرت المريضة المستشفى بحالة جيدة لتسافر بعد أيام لتمضي دورة نقاهتها بين اهلها في ارلندا .

### مستر فيرونر في معسكر الحبانية / ١٩٤٤

وصلني نداء تلفوني من الحبانية ، كان المتكلم فيه فتاة كنت الى يوم قريب أعالج أمها من ألم تشكو منه في اسفل بطنها ، قالت تلك الفتاة وصوتها يرتعش .  
- دكتور ، أنا اكلمك من الحبانية ، أمي في حالة خطرة ، وهي الان برعاية طبيب المعسكر المسؤول عن المرضى النساء ، وها هو يكلمك .  
- وانتقلت المكالمة الى شخص آخر يقول أنا مستر فيرونر بمعسكر الحبانية .

وكنت اعرف ان لقب مستر بين الاطباء في بريطانيا يطلق على من يعمل منهم في الجراحة الطبية في اي اختصاص فيها ، وهو يقابل لقب (طبيب)

لمن يختص بالامراض الباطنية ، فأجبت .

- تفضلوا أنا السامرائي

- لدى حالة مرضية ، هي امرأة عراقية .. وحبذا لو انفصلتم بمشاركتي في معالجتها ، (واردف يقول) وباي حال فالمريضة تطلبك بالادات لفحصها . فأجبت

- بكل سرور ، ولكن كيف اصلك ، وقد قالت لي ابنتها ان حالتها مسنعة - ستكون طائرة (دوف) جاثمة في مطار المثنى ببغداد بعد أقل من ساعة وسيكون فيها من ينقلك الى المعسكر .

فتوجهت الى المطار ورأيت طائرة صغيرة جاثمة على أرضه ، وقد شرع يترجل عنها شاب بهيئة عسكرية ، وقدرت انه هو الرسول الذي جاءني من معسكر الحبانية ليحملني بهذه الطائرة اليه .

فتقدمت منه كما لو أنني متأكد من هويته ، فبادرني يعرّف نفسه - أنا المضمّد (سمت) من معسكر الحبانية ، وهذه الطائرة جاهزة لحملك اليه .

وكانت الطائرة مازالت مراوحها تدور بضجيج معتدل ، وما كدت استقر على مقعد فيها وراء الطيار الشاب والى جانبي المضمّد سمت حتى اقلعت وانا اهم بربط حزام الامان حول بطني ، وبعد أقل من نصف ساعة حطت الطائرة ، ونحن على متنها على مطار الحبانية ، واستقبلني على أرضه شخص ذو ملامح وهيئة هندية ، وبعمّة بنفسجية اللون داكنة وقدم لي نفسه باسم دكتور (شاه) ، وقادني الى داخل المستشفى الذي بدا لي بالرغم من صغره وبساطة محتوياته في لياقة تامة لاستقبال المرضى . كما كانت الردهة التي ترقد فيها المريضة بالغة النظافة ، وعلى المنضدة التي تتوسطها باقة من الزهور الندية ، وبعد لحظات دخل الردهة رجل مديد القامة أشيب الرأس ، بلباس عسكري وعلى كتفه ثلاث نجوم مصنوعة من خيوط الحرير ، وبادرني يقّم نفسه لي

- أنا مستر (فيوذر) المسؤول عن الردهة النسائية . ثم دار بيني وبينه حديث قصير عرفت منه انه من جامعة شفلد بانكلترا ويعمل معه الاستاذ كوردين لنن وله وئع بدراسة ومعالجة النواسير المهبلية ، ورأى ان يتطوع للعمل في العراق حيث تكثر (في ظنه) هذه الحالات المرضية . وفجأة

سألني :

- هل أن هذه الحالات تكثر حقيقة في العراق ؟

فاجبت

- نعم تكثر مع الاسف .

- حبذا لو أرى بعضاً منها ، وطريقة معالجتها

- تستطيع ان ترى ذلك في المستشفى الملكي ، ان أردت

ثم قال :

- لنعد الى موضوع هذه المريضة ، ثم بعد ذلك نتابع الكلام عن النواسخ

المهبلية ان تفضلت .

ومذ مستر فيروز يده وتناول لوحاً من المعدن اللامع كان معلقاً على

عارضة مؤخر سرير تلك المريضة ، وأخذ يقرأ فيه وينقل الى مافيه من

المعلومات الطبية .

- المريضة أنثوية ، في الأربعين من عمرها ، أرملة جاءت الى الحبانبة

لزيارة قريبة لها تعمل قابلة في هذا المستشفى ، وفجأة انتابها ألم حاد في

بطنها السفلى ، وصار يتكرر ويزداد حدة في كل مرة . وحيث هذه المريضة

باختصار وسرعة وأنا انظر الى وجهها الشاحب اللون بدرجة ملحوظة ،

ونبضها سريع وضعيف ، وضغطها الدموي واطيء ، وبطنها السفلى

منتفخة قليلاً وتتحسس للجس باليد ، وتأكدت بالفحص المهبل من

امتلاء الجوف الحوض بالدم ولم أر علامة تنقصني لتشخيص الحمل

خارج الرحم . فقلت للدكتور فيروز وأنا أخلع الكفوف المطاطية عن يدي

انها حالة نزف في الجوف الحوض سببه على اكثر الاحتمال انفجار أحد

انبوبي الرحم لحبل فيه ، فقال

- ولكن العادة الشهرية عندها اعتيادية وآخرها قبل اسبوع ولا تزال

تنضح دماً

فقلت له

- وهذا يؤكد الاحتمال الذي ذكرته ، فاستطالة العادة مع الألم المفاجيء

والبهت في سحنة المريضة فانهما علامتان قطعيتان على تشخيص هذه

الحالة ، والانتفاخ الجزئي في امعاء البطن السفلى علامة اضافية

وأدخلت المريضة الى غرفة العمليات ، ودخل المخدر وهو شاب بلباس

عسكري لم أر على كتفه ما يدل على انه ضابط وسحب من زاوية في صالة

العمليات عربة بعجلات كبيرة مربوطة على جوانبها اسطوانات ، وعلى سطحها خراطيم مطاطية وأقنعة سود ، سحب أحدها ووضع قناعه المتصل آخره باسطوانة على وجه المريضة . وهذه اول مرة بحياتي أرى جهاز تخدير بهذا الشكل والتعقيد ، فالذي ألفه في المستشفى الملكي ببغداد هورش مزيج من الكلورفورم والايثر على قناع من الشاش يغطى انف المريضة وفمها . ودخل الصالة من باب جانبي عسكري آخر في مثل زي العسكري الأول ، يدفع أمامه طاولة على عجلات وأخذ مما عليها قنينة ملأى بسائل تبنى اللون عرفت انه محلول البلازما وربط فوهتها بأنبوب مطاطي شفاف في نهايته أبرة دفعها في وريد اليد اليسرى لمريضتنا التي كانت على طاولة العمليات ، ودفع في وريد اليد اليمنى مثل هذه الابرة مربوطة الى أنبوب شفاف ينحدر اليه من قنينة ملأى بسائل مائي القوام عرفت انه محلول الملح . ثم تناول قنينة أخرى مملوءة الى نصفها بالدم ودفع ابرتها في وريد برجل المريضة . لقد كان أكثر مابهرني هو النظام والتوقيت والهدوء في ما تم بهذه الصالة لتحضير المريضة للعملية . كما أعجبني الدكتور فيرونر في تسهيل خطوات العملية وتنسيق حركات يده واصابعه وهو يعاونني في تنشيف الدم في ساحة العملية ، وقطع أو ربط خيوط الجراحة . وانتهينا من العملية بسرعة وارتياح . وأخذني فيرونر الى (الميسر) وهو مقصف حسن الهندسة والتزويق . وعرفني فيه على جمع من أترابه ، وتحدثنا معاً عن امراض العراق بشكل عام والامراض النسوية بشكل خاص ، وهي ماكنت اريد التحدث فيه بتعمد بوصفه اختصاصي واعرف فيه أكثر مما اعرف عن الامراض الأخرى ، كما الخ الدكتور فيرونر في الاستعلام مني عن النواسير المهبلية في العراق ، وقال

- المفروض ، بوجود العناية في الحوامل في بريطانيا ، ان لاتحدث نواسير مهبلية ، الا ان هذا لانراه الا في المدن ، أما في القرى وهي كثيرة في انكلترا واسكوتلندا ، فحالات النواسير المهبلية ليست نادرة بل ليست قليلة ، واعتمادنا لدراسة موضوعها محصور على كتاب (جاسر موبير) وفي هذا الكتاب وصف لحالات من النواسير المهبلية مالا تصدق ان يحدث في بريطانيا . وسألني .

- هل عندكم حالات كثيرة من هذا النوع من النواسير المهبلية ؟  
فأجبته

- في الردهة ( ١٠ ) ثلاثة اسرة في الاقل مخصصة لحالات النواسير على طول السنوات

- المريضات من داخل بغداد أم من القرى ؟

- الاغلبية من الارياف والقرى .

- ( حاسر موير ) شاهد حالة ناسور اندلقت من خلاله المثانة ، وهذه الحالة صوّرها بالالوان ونشرها في كتابه عن النواسير المهبلية ، عندك هذا الكتاب ؟

- رأيت هذه الصورة . ورأيت امثالها من الواقع في المريضات العراقيات . فالنواسير بسعات مختلفة ، وقد تكون احياناً من الصغر بسعة لاترى ولا تلمس بالفحص المهبلي ، وقت تكون مختلطة بناسور مهبلي - مقعدي في الوقت نفسه

سألني

- اذا كان الناسور واسعاً لايمكن ترميمه فكيف تعالجون هذه الحالة ؟

- هذا الصنف من النواسير ليست غالبية في الكثرة ، ونعالج بعضها بتحويل الحالبيين الى الامعاء الغليظة .

وبحثنا اموراً أخرى في موضوع النواسير المهبلية منها استعمال خيوط من الحرير ، والمعمولة من اسلاك الفضة واختتمنا حديثنا بوعده ان يزور فيروذر المستشفى الملكي في كل يوم أحد لمشاهدة طريقتي في ترميم النواسير . وداوم اكثر من ثلاثة اشهر رأى فيها مايزيد على العشر عمليات ثم ساعدني مرتين فيها . وودعني ذات يوم على التلفون لأمر وصله ان يلتحق بمعسكر بطهران .

وفي سنة ١٩٤٦ ، اي بعد سنة من انتهاء الحرب العالمية الثانية بعث لي بنسخة من مجلة B.M.J. وفيها بحث له بعنوان النواسير المهبلية في العراق وكان بحثاً ممتعاً اكثر مما كان مفيداً لي ، فقد رد فيه ماسبق ان بحثناه معاً . فهو بضاعتي ردت الي ، وقد استهله بمقدمة نسيب في نهر دجلة وصفاء جو العراق وطيبة أهله ثم ذكر العمليات التي شاهدها في المستشفى الملكي لترميم هذا المرض .

وتترابط أطراف هذه الأحداث ، واذا القابلة كاسرين النى استضافت المريضة المصابة بحبل خارج الرحم تطلب العمل كقابلة في مستشفى السامرائي . وفي مقابلتي معها أخرجت من جيبها مدالبة برنزية منحتها

لها هيئة عسكرية في لندن اثر مغادرة القوات البريطانية العراق تقديراً لما قدمته من خدمات في القبالة للرعايا البريطانيين في معسكر الحبانية وتوابعهم من العراقيات وفي سنة ١٩٧٠ كنت في مؤتمر طبي بلندن . وبينما كنت بين حلقة من الاطباء الانكليز ناداني أحدهم يقول - اسمع انهم ينادونك بالمكروفون

فقصدت ركن الاستعلامات واذا بالصديق القديم فيرونر يستقبلني بابتسامة وسيدة وهو يقول .

- هذه هي فوائد المؤتمرات الطبية ، انها تستقطب الاطباء من كل مكان لأرى الاستاذ السامرائي .  
وسالته

- وكيف عرفت انني في هذا المؤتمر .

- جريت حظي دون سابق علم بوجودك ،

وهذا يعني انني لم انسك وقد مضى على تعارفنا ربع قرن . ولم أر هذا الصديق قد تغير كثيراً إلا بكثرة الشيب في جمته ، وقادني بين زحام المؤتمرات يقدمني الى بعضهم فعرفت منهم من لم اكن اعرفهم ، ستول ورثي ، وجيف كوت وديوهريست ، وماكلور براون ، ويل ماكريكور . وهو يقول لهم : هذا هو السامرائي الذي علمني ترميم النواشير المهبلية . وصرت اردد لكل واحد منهم :

- وكان الاستاذ فيرونر تلميذاً نجيباً وفي عرف اهل بغداد ان (صانع الاستاذ استاذ ونص)

### بير طيلة / ١٩٤٤

العائلة التي أتحدث الآن عن حكايتها يهودية معروفة في بغداد منذ العهود العثمانية ، ويعمل اكثر افرادها بتجارة الساعات السويسرية ، ويسلع أخرى يستوردونها من بريطانيا واليابان . وقد ربطت بيني وبين هذه العائلة صداقة عن طريق نساها اللاني يستشرنني في مشاكلهن الطبية . وكبير العائلة (ع) في الستين من عمره او أكثر . قصير القامة متين الجسم ، وفي مقابلاته تسامح وتواضع وتودد . كما كان متديناً ، وربما كان



له مقام في الكنيسة اليهودية ببغداد . وقد خدمت زوجته بعملية جراحية وشملت وعمقت علاقتي به وبأفراد عائلته الكبيرة من الابناء والاحفاد والأصهار وكانت له ابنتان الكبيرة منهما متزوجة من (خالها) وأما الصغيرة واسمها (ف) فهي في التاسعة عشرة من عمرها يوم كتبت عنها هذه الذكريات . وهي كزهرة الصباح في بهائها وطراوتها وأريجها ، وقد اكتسبتها النذبة الصغيرة التي على خدها الأيسر ، والبحة الخفيفة في نطقها فيضا آخر من جمال الشباب والانوثة الفوارة . وفي يوم من شهر شباط سنة ١٩٤٤ طلبني أبوها (ع) الى بيته في عقد الكنيسة لأفحص ابنته إذ كانت تشكو من ألم حاد ومفاجيء في بطنها ، وهناك على سرير في غرفتها الانيقة كانت (ف) تتلوى من الألم ، وسألتها ان تصف لي هذا الألم وموضعه وشدته ونمط بدايته وتناوبه أو استمراره ، وعما اذا كانت قبل هذه النوبة تشكو من مثلها فيما سبق ، كما سألتها عن بعض الاعراض النسوية فلم المس في أجوبتها مايساعدني على تشخيص مرضها . ولأن آلام بطنها بدأت في الجانب الأيسر من بطنها السفلى وبقيت محصورة في هذه المنطقة ، فقد استبعدت بتحفظ التهاب الزائدة الدودية ، كما استبعدت التهاب انبوبي الرحم . وكانت كل اطراف البطن السفلى حساسة للتمس بشكل متساو ، فوصفت لها دواء لانفع منه ولا ضرر على ان اعود واراها بعد بضع ساعات عسى ان تبين لي اعراض أخرى تساعدني على تشخيص مرضها . غير ان آلام بطنها ازدادت شدة وتواصلت نوباتها ، فاستنجد بي أبوها تليفونياً لأعود فوراً وافحصها مرة أخرى . واجتذب أنتباهي حين ولجت حجرتها الشحوب الذي طغى على سحنتها ، فكان من ذلك اشارة ساعدتني كثيراً على تشخيص انصباب دموي في جوف بطنها ، وتأكدت من ذلك بفحص بطنها ، وتحقيقاً لما جال بخاطري عن سبب شكواها طلبت من أمها وأبيها ان يفادرا حجرة ابنتهما المريضة لاتكلم معها في ما لا يستسيغ ان يسمعا . وحين صرت وحدي معها ، سألتها

- هل انت مخطوبة ؟

فاجابتنني

- لاغير مخطوبة .

وعدت أسألها بتردد

- هل لك علاقة بشاب ؟  
فسألتني
- وماذا تقصد بالعلاقة ؟  
فقلت لها بتردد اكثر
- أقصد بالعلاقة ، التلاقي الجنسي  
فاجابتني بلا تردد ولا استحياء
- نعم لي علاقة من هذا النوع  
لقد كانت (ف) بهذا الجواب جريئة بحيث ارهبتني لكنها شجعتني ان  
استمر اسألها بهذا الاتجاه
- اية درجة من العلاقة ؟  
فاجابتني بكل بساطة
- علاقة حب  
وسألتها
- علاقة حب فقط ، أم اكثر من ذلك  
فاجابتني بما يشبه الاستهزاء ، تقول
- استغرب من سؤالك يا دكتور ، فالحب يعنى كل شيء يدور بتفكيرك مما  
يمكن ان يحدث بين شاب وشابة
- يا الهي ، ماهذه الجراءة ؟ غير ان جوابها هذا أكمل الصورة السريرية  
لتشخيص (الحبل خارج الرحم) والنزف الدموي في جوف بطنها . ويبدو  
انها حزت ماكنت ألوكه بتفكيري والحيرة التي اذهلتني بجوابها ،  
فدفعنتني الى مزيد من الاستفهامات ، فسألتها
- هل ماتزالين باكراً ؟ اقصد هل استطيع ان افحصك من أمام ؟  
فاجابتني باستخفاف
- دكتور ، كيف ابقى باكراً وبينني وبين صديقي علاقة جنسية !  
فاغاظني ما في جوابها من قلة حياء ، فعزمت مقابل ذلك ان افاجئها  
بحقيقة حالتها المرضية ، وقد قدرت مخطئاً انها ستفزع منها ، فقلت لها  
دون مقدمات .
- انت حامل يا بنت !  
فردت علي بلا اهتمام ، وكأنها تستخف بعلمي
- اعرف انني حامل ، ولكن هذه الآلام ارهقتني فخففها علي

فرأيت ان أظهر لها اني اكثر علماً منها ، فقلت لها :  
 - ان الحمل خارج الرحم لاني داخله  
 فسالتني وهي ماتزال متعالية  
 - وماذا يعني ذلك ؟  
 فقلت لها بشيء من التشفي  
 - لابد من اجراء عملية جراحية مستعجلة  
 وفزعنا إلا انها تماسكت ، وسالتني  
 - وما هي العملية ؟  
 فقلت لها  
 - المهم ان تعرفي عنها انها ستكون من البطن .  
 وسالتني بتخاؤل  
 - ولماذا من البطن ، وأنا غير باكر ؟  
 فأنفت ان أجيبها على سؤالها ، اذ ليس في جعبتي عبارة اولهجة بقبح  
 ماسمعه منها ، وانقلب جمالها في عيني ، وداهمني هم أبعدني عن  
 طريقة أخبر بها أمها عن حالة ابنتها ، وما يستلزم لها من علاج ، فقالت  
 وكأنها قرأت افكاري  
 - أمي تعرف علاقتي بـ ( جيمس ) وتعرف كل شيء في ما بيننا .  
 فقلت لها  
 - اذن سأقول لابيك انك مصابة بالتهاب الزائدة الدودية ومن الضروري  
 حملك الى المستشفى لاجراء العملية التي تنقذ حياتك .  
 فاعترضتني تقول :  
 - لا يادكتور اريد ان تقول له الحقيقة كما هي .  
 وهممت ان اقول لها  
 - حرام اني أوّلم اباك لسبب من صنع يدك .  
 إلا انها ادركت ما اردت ان اقلوه ، فقالت  
 - أرجوك يادكتور ان تقول له الحقيقة ، فكل ما حصل لي الآن هو من  
 صنعه .  
 ولم افهم ما كانت تقصده بذلك ، كما لم أشأ ان افهمه ، فقد برق في  
 فكري احتمال ان تنتهم أباهما بما في أحشائها . فامسكت عن المزيد من  
 الاستفهام منها . وحين استدعيت أمها وأباهما الى حجرة ابنتهما ،

اعتدلت هذه في قراشها وهي تقول : - هيا يادكتور اخبر ابي عما انا فيه .  
وعن العملية التي نتطلبها حالتني .

والتفت الى أبيها مخاطباً

- ابنتك ياسيد (ع) مصابة بالتهاب الزائدة الدودية ، فقاطعتني المريضة بعصبية وغضب قائلة .

- لا يادكتور ، أرجوك ان تخبره بحقيقة مرضي وإلا أنا ساقولها له .  
واتجهت بوجهها صوب أبيها وقالت له

- أنا حامل ياأبي ، حامل من جيمس

أما ابوها فتسفر في مكانه عند مدخل حجرتها ، واختلف لونه ، واختلجت شفقاته ، وتهدل حنكه ، وتسارعت انفاسه ، وبدأ ينشج . فبرز الموقف مشاعري وهممت ان اتقدم من المريضة واصفعاها واقول لها :  
ياقليلة الحياء يا فاجرة . انت اهنت كل فتاة في الدنيا وانت عار عليهن .  
فما جريرة ابيك يا عاقبة ؟ ولكنني لم اقل لها شيئاً من ذلك وغلبني الحلم فكظمت غيظي وأنا الملم ادواتي الطبية لاهرب من جو حجرتها الخانق .  
وسمعت في تلك اللحظات المريضة (ف) تخاطب اباها بحماس وشماته -  
أهذا الذي أردته ؟ ألم يطلب منك جيمس يدي للزواج ، فرفضته لانه مسيحي ؟ . وقدّم طلباً الى الحاخام فطلب منه ان يختن وان يغتسل في بير طبيلة التوارة ليدخل في ديننا ، ففعل كل ذلك طوع ارادته ، فماذا تريد منه اكثر من ذلك ؟

انت الذي سعيت الى هذه الفضيحة فتحمل وزرها . وفجأة التفتت (ف) نحوى وقالت لي بتخاذل ورجاء

- خذني يادكتور الى المستشفى فانا جاهزة .

فتجاهلتها وأخذت طريقي الى خارج الحجرة لا غادر البيت ، فواقفني ابوها متوسلاً وعلى وجهه اوضح علامات الألم والاسى وهو يقول  
- دكتور استر علينا ، الله يستر عليك وعلى عرضك . والستر يا ولدي عبادة

واحترت وأنا في غمرة ارتهاكي فيما يتعين على ان أفعله وأنا اسمع من هذا الشيخ اليهودي هذه العبارة الاخيرة وأنا اعرف مكانتها التراثية والدينية عندنا نحن المسلمين . وتذكرت حالاً ان هذا الرجل كان ينتظر اذاعة القاهرة في الساعة العاشرة من كل مساء يوم الاثنين لينصت

باهتمام الى تلاوة من القرآن الكريم يترتلها المقرئ محمد رفعت . وفي يوم  
سألته عما يحذو به الى الاستماع الى هذا المقرئ فاجابني : في قراءته  
انغام مقامية شجية تسحرني .

وانتبهت الى (ع) حين خاطبني وأنا على باب داره  
- دكتور ، أرجوك خذها بسيارتك الى المستشفى ، وأنا عبدك طول  
حياتي .

وحملت ابنته المريضة الى دار التمريض الخاص بالمستشفى الملكي .  
وبعد بضعة أيام من العملية غادرته متعافية . وتناسيت لكثرة اعماله  
حكائية هذه المريضة لولا ماكان فيها من الأمور الا أخلاقية والنفسية  
المثيرة ، وقولة ابوها (الستر عبادة)

وبعد مايقرب من الشهر دخل عيادتي شاب في نحو منتصف العقد  
الثالث من عمره ، احمر الشعر ، وردي البشرة ، وفي وجهه كثير من النمش ،  
ويرتدي سترة سنجابية اللون وسروالاً رمادي اللون . خلته لأول نظرة  
أثورياً لولا انه حيائي بانكليزية فصيحة صافية قائلاً  
- أنا جيمس ، ادوارد جيمس صديق مريضتك (ف) وأنا اعمل ميكانيكياً  
في الطيران العسكري العراقي بمعسكر الهندي ، وقد تهودت حسب طلب  
الحاخام لاتزوجها ، غير ان أباه يعارض باصرار زواجنا . وبصفتك طبيب  
عائلتها فباستطاعتك ان تساعدنا على اقناع ابوها بزواجي منها . فان  
ظل متمسكاً بعناده فأننا باي حال سننتزوج . فأرجو ان تنقل اليه هذا  
الانذار . ولما نهض لينصرف من عيادتي قلت له  
- ولماذا لاتوجه له هذا الانذار بلسانك

أجابني

- هذا الرجل عنيد كالبعل ، يقول ولايسمع . وكنت ولازال اكره اليهود قد  
ضاعف أبوها كرهى وحنقى على اليهود جميعاً .

وعلمت بعد ذلك باشهر ان (ف) وصديقها جيمس قد غادرا العراق  
بطائرة واحدة الى لندن ، وفي (برايتون) تزوجا على الشريعة اليهودية . أما  
أبو (ف) فقد اصيب بالسرطان بعد اشهر معدودات من مفارقة ابنته  
العراق ، فقصد لندن للعلاج وفيها لفظ انفاسه الاخيرة ورأسه على صدر  
ابنته (ف)

\* \* \*

وفي صيف عام ١٩٨٤ ، بينما كنت أتسلى في ساحة بيكادلى بلندن توقفت عند حانوت بواجهة وسيدة معروض فيها انواع من العصي ، وانا مولع باقتناء مثل هذه العصي ، وكان فيها واحدة بمقبضين معمولة من عيدان الخيزران ، وقد ربطت بها بطاقة كتب فيها (لعروس وعريس او لهما بعد العمر الجديد) .

ودفعت باب الحانوت لادخله واختار واحدة من تلك العصي . ولما رن جرس مدخل الحانوت فتح باب صغير في عمقه وطلع منه رجل في أواخر الستينات من عمره . كان هو جيمس 'زوج' (ف) ، فلم اخطيء في تمييزه بالرغم من سقوط الكثير من شعر رأسه ، والعوينات الطبية التي تغطي عينيه ، فلم يبق من ملامحه الاولى الشابة إلا لون بشرته والشمش المتناثر عليها . ولم أنبس بكلمة خشية اصمم على شراء واحدة من تلك العصي فيعرفني وأخرجه عند المساومة على شرائها : "وتقدم مني ذلك الرجل (جيمس) وسألني بدهشة

- انت لابد ان تكون الدكتور السامرائي ؟

فاجبت

- نعم أنا هو ، ولكن كيف عرفتني يامستر جيمس ؟

فتقرس في وجهي ، وأجابني بنبرة حزينة

- أنا لا انسى قط من كان صديقاً لحبيبتتي (ف) فكيف لا اعرف طبيبتها السامرائي

وترددت ان أسأله عن (ف) خشية ان يكونا قد افترقا أو حصل بينهما شيء من هذا القبيل ، فلما ذكر اسمها ، جاءت المناسبة بنفسها لأسأله عنها

- وكيف (ف) يامستر جيمس ؟

فاجابني بلهجة حزينة كأنها خرجت من صدر ميت

- (ف) توفيت قبل شهر ، الا ترى ذلك في لون رياطي ؟ فداريت خجلي بابداء أسقى لفاجعته ، وارتدت ان أسأله عن أشياء أخرى تخصها فامسكت لأجاريه في حزنه . إلا ان ما اردت ان اعرفه جاء تلقائياً ، إذ قال - توفيت وهي مرتمية على صدرى ، وكان آخر ما نطقت به هو ان أعود الى بيني الاول النصرانية ، فاجبتها ان ذلك لن يكون وسابقى على دينك الى ان أموت ولما رأى الدهشة والتقدير على وجهي قال

- لم يبق لي في الحياة شيء استمتع به إلا ذكرها ، ولا أظن أننا لو انحبنا  
لصار لي منها ما يواسيني وينسيني فقدائها (وسكن قليلا ليستطرد)  
- يؤسفني ان اكون قد نقلت اليك خبراً سيئاً . يادكتور سامرائي ، فلست  
قادراً ان امسك عن الحديث عن حبيبتي حين نرحمني المناسبه  
تم سألني بجد  
- والآن ، هل استطيع ان اقدم لك خدمة ؟  
فاجبته بامتنان  
- لا شكراً يامستر جيمس  
وصافحته مودعاً وغادرت حانوته وأنا استرق النظر اليه من خلال  
واجهه حانوته الزجاجية الواسعة ، فرأيت به يتابع خطواتي وهو ساهم  
بوجه حزين .

### حالة تطريح جنائي في المحكمة ببغداد / ١٩٤٤

وصلني خطاب من محكمة بغداد بتوقيع الحاكم شفيق الماني بطلب  
مني ان احضر في الساعة العاشرة من يوم ١٢/٤/١٩٤٥ الى المحكمة  
لاداء شهادة عن حالة اسقاط جنائي . ولم تكن لي يومئذ خبرة في مثل هذه  
الحالة . وتوجهت الى ديوان المحكمة الواقعة جوار سوق السراي من  
جانبه الغربي . وانتظرت وقتاً غير قصير ، كان مملاً بالندبة لي . وسألت  
شرطياً يقف عند باب قاعة المحكمة عن وقت استدعائي الى القاعة ،  
فاجابني

- انتظر وسوف انادي عليك حين يجيء دورك بأمر الحاكم . ودخلت  
القاعة حين إرتفع نداء هذا الشرطي باسمي .

لم تكن القاعة كبيرة غير ان سقفها عال ، ونافذاتها اللتان تعابلان  
مدخلها عاليتان أيضاً ، وفي صدرها منصة تعلو قليلا على ارض القاعة .  
ويملا الكرسي الذي وراءها شخص حنطي البشرة ، وعلى ابعه عوبسان  
سميكتان . كما طالع عيني كتابان على حاشية هذه المنضدة احدهما  
مكفّن بكساء أخضر اللون . أما الآخر فكان غلافه على ما بدا لي من الحلد  
الرخيص ، وتلفت حولي كما بنلفت الغرب حين يدخل ارضه مدينة

لا يعرفها . وإذا إلى جاسي الأسر الدكتور (ع ح) داخل حيدر محمد بساج  
وطيء من خشب الساج . والقف إلى من كان على الكرسي الذي وراء  
المنضدة وكان هو الحاكم الذي أمرني خطباً بالحضور أمامه . القف نحوه  
حين سمعته يسألني عن كامل اسمي . وعصري . ومهني ومحل اومسي .  
ثم طلب مني أن أتقدم من منضدته . ونهض ليقول لي . ضع كفك على  
القران الكريم . وأشار بسبابه يده إلى الكتاب ذي الكفن الأخضر . وقل  
والله أقول الصدق .

وعاد إلى كرسيه وراء المنضدة . وسألني

- دكتور كمال السامرائي . أمامي الآن قضية تطريح حامل ماء بها أحد  
زملائك . وهو الواقف بقفص الانهام واسمه (ع ح) فهل في علم الاطباء  
ان هذه العملية ممنوعة قانونياً ؟  
- ممنوعة قانونياً ان لم يكن لها دوافع طبية  
- ماذا تعني بالدوافع الطبية  
- كأن تكون الحامل مصابة بمرض قد يسبب لها استمرار الحمل ضرراً  
جسيماً .

- اين تعمل عمليات التطريح لسبب طبي ؟  
- تعمل عادة في مستشفى  
- لماذا يجب ان تعمل في مستشفى ؟  
- تحاشياً من الالتهابات لو انجزت في غير هذا المكان .  
وسألني الحاكم .

- دكتور كمال السامرائي . القضية التي أمامي . اثارها (الدكتور (ع ح)  
الواقف إلى جنبك . والمريضة التي اسقط حملها (هذا) الدكتور تدعي  
انها زارتك يوماً قبل عملية الإسقاط التي اجراها الدكتور . كما زارتك بعد  
ذلك . فماذا كان الداعي إلى الزيارتين ؟

- اعرف هذه المريضة كزوجة للسيد (صباحي) اخو زميلي الدكتور تحيب  
اليعقوبي . وزارتنى مع زوجها وهي حامل . وطلبنا مني اسقاط الحمل .  
فامتنعت . وكلمتني الدكتور نجيب اليعقوبي لاعمل ما يطلبانه مني  
فاعتذرت . ثم زارتني المريضة مع زوجها بعد بضعة ايام يشكو من الام  
مبرحة في جوفها الحوضي وضح لي بالفحص انها بسبب الداحله القسرية  
لاسقاط حملها في عيادة الدكتور (ع ح) . وهذه المريضة هي التي



اخبرتني باسم هذا الطبيب  
والتفت الحاكم الى الدكتور (ع م) وساله  
- ماذا تقول يادكتور عن هذه الشهادة ؟

فاجابه

- ماقاله الدكتور كمال ، انما هو بتحريض من الدكتور سندرسن !  
- مادخل سندرسن في موضوع اسقاط حمل هذه المرأة ؟  
فقلت للحاكم

- والحقيقة ان الدكتور سندرسن بوصفه رئيسي الاعلى فقد مرّت عليه  
ورقة إستدعائي الى المحكمة ، فطلبني اليه . فاوضحت له الهدف من  
استدعائي الى المحكمة ، وبدا لي ان الدكتور سندرسن لايعرف الدكتور  
(ع م) ولا المريضة أو زوجها صاحبي الشكوى ، وكل ماقاله لي لم يكن  
اكثر من ( ان اقول الحقيقة وليس اكثر ولا أقل منها ) .

واراد الدكتور (ع م) ان يسترسل في الهجوم على الدكتور سندرسن  
ولكن الحاكم أسكته

- ماتقوله ليس له علاقة بموضوعنا يادكتور ؟ هل تعترف أم تنكر انك  
اجريت عملية التطريح على المدعية ؟  
فاجابه

- عملت (الكرتاج) لان الدكتور كمال هو الذي أجرى عملية التطريح غير  
انه لم يكملها فاستنجدت بي لاوقف النزف من الرحم .  
ماهذا الاتهام يا إلهي ! وارتحت حالاً لانني رأيت الحاكم يبتسم  
استهزاءً بدعواه ، وارت ان ادافع عن نفسي ، فطلب مني الحاكم برجاء  
ان أمسك الصمت ، وحزرت فجأة ان قناعة الحاكم اقوى احياناً من أية  
افادة أو شهادة والتفت الحاكم الى وقال لي  
- كفى يادكتور كمال واشكرك على تعاونك مع المحكمة وغادرت القاعة .

### البريگادير نونتن موركن ١٩٤٤

وهو أحد اطباء الجيش البريطاني الذي رابط في الشرق الاوسط خلال  
الحرب العالمية الثانية ، ويوم عرفته في بغداد كان في نحو منتصف العقد  
الخامس من العمر ، وهو مشهور في بريطانيا وفي اكثر اقطار أوروبا الغربية

لنطسه في جراحة امراض المقعدة والقولون . وهو ربح القامة بامتلاء  
يسير ، ووجه وردي ضاحك ، وجرس رجولي ، وروح مرحة ، ويجيد نقل  
النكته ، وكان يستدعى من كليات الطب بمصر وايران ليشارك في امتحان  
طلاب صفوفها النهائية ، وقد دعت كليه طب بغداد حين كان يرافق  
الحمله البريطانيه نحو ايران ، وكرمته بدعوة عشاء في فندق سمير  
اميسر ، وكان هو قطب الرchy في كل مآداري ذلك اللقاء ، كما كان متحدثاً  
لبقاً ومستمتعاً بوظيفته كاستشاري للمستشفيات العسكريه في الشرق  
الأوسط ، ويبدو أكثر جذلاً حين يتكلم عن الجرأة التي يتمتع بها الجيش  
البريطاني ، ثم يستدرك ويقول وهو يبتسم (نحن بصراحة نقلد الجندي  
الألماني الجريء ونسعى الى ان نكون مثيلاً له) وقد سرد لنا أمثله  
شاهدها في تلاحم القطعات الألمانية بالقطعات الانكليزية قرب طبرق .  
وبدا لنا انه يريد ان يسمع منا أحداثاً فيها مرح الشرق ولطائفه ، وتوقعنا  
ان نخذل حين يسيطر علينا من أول جولات اللقاء متحدث واسع الخبرة  
كهذا الاستاذ الكبير ، وحرنا فيما يجب ان نتكلم فيه لنجاري قدرته في سرد  
الاحداث المثيرة . فكسر جمودنا وهو يسأل عن عدد الطالبات الى عدد  
الطلبة في الكليه الطبيه ، وكان هذا الموضوع يكاد يكون عالمياً ، وهو يعين  
درجة تطور المجتمع واشتراك المرأة في جوانبه العمليه . ونفذ مونتن موركن  
من هذا المنطلق وتكلم عن الامتحان الذي شارك فيه قبل أيام في جامعه  
عين شمس بالقاهرة ، قال : كنت أمتحن احدى الطالبات ، وكانت المريضة  
التي تتولى فحصها الطالبة مصابة بتخثر الدم النفاسي في رجلها  
اليسرى ، فسألتها عن مكان وريد (السافينوس) في الرجل ، وشد ماكانت  
دهشتي حين رفعت ثوبها ، وهو أصلاً بطول فتر ، ومدت ساقها الابنوسي  
ومرت بطرف إصبعها ، دون ان تنبس بحرف واحد ، على طول هذا الوريد ،  
وهي تقول لي :

- انظر يا بروفيسور هذا هو مكان هذا الوريد ، انظر . ونظرت بارع عيون  
الى فخذ تلك الشابة فاذا هي على صواب ، ولم أسألها أكثر من ذلك ،  
واستدريت الى زميلي الاستاذ (على شعبان) وطلبت منه أن يأخذ دوره في  
امتحان هذه الصبية لاتفرغ الى مشاهده خلقتها الجميله . كانت سمراء  
داكنة السمرة ، وكلها حياة ، ونشاط . يا إلهي . لقد نجحت في الامتحان ،  
أما أنا فقد فشلت في ضبط أعصاب شخصيتي وهيبتي .

وانفتح باب العكاكات بعد تناول العشاء ، وبدأ انه يعشق حوص هذا الموضوع ، فهاجم بخل أهل اسكونلندا ، وذكر مثلاً على شاب من أيرلند اسمه جون . وقد دخل مآخورا في لندن ( الشريفة ) ، وكان قد وصلها بوا بعد سفرة طويلة ، فبدأ تعباً مشعث الرأس ، عنده من فناء تنبع اللذة وساوئها على ليلة في مآخدعها . فارادت ان تدفعه عنها بتبرم لقذارته ، فطلبت منه مائة ياون ، وهو مبلغ ضخم بالنسبة لسعر بضاعتها ، فخر ان ذلك الشاب أجابها بعد حساب سريع في ذهنه ، طلب شريطه ان اعصب عينيك كلما أتيتك ، فبدأ لها ذلك شرطاً عربياً ، ومع ذلك قالت لنفسها وما في ذلك ؟ والمبلغ الذي طلبته منه حياي لأحصل عنه شهر . وصاحبها الشاب مرة ثم مرة ثانية وثالثة ورابعة والليل مارال في اوله ، فارادت ان تعرف ما آل اليه شكل هذا الشاب ، فرفعت بعضاه عن عديبه ، فارتعبت اذ كان فوقها شاب غير (جون) الذي ساومها على هذه المعليات ، فالت له بفرع

- انت لست جون ، فمن تكون

فاجابها

- أنا ادوارد

- واين جون ؟

- هو عند باب المآخور يبيع البطافات للشباب الذين ينتظرون دورهم بعدي .

### قبول خمسين طالباً الى الصف الاول بكلية الطب / ١٩٤٤

لم يكن عدد الطلاب الذين يقبلون الى الصف الاول بكلية الطب محدداً غير انه لم يكر في انة سنة يزيد على اربعين طالباً . فخر ان عدد المتقدمين الى الكلية صار يزداد سنة بعد أخرى فقرر مجلس الكلية يوم ١٦/٩/١٩٤٤ قبول خمسين طالباً في هذه السنة .

## ايفاد اطباء للتخصص في العلوم الطبية ١٩٤٥

في اجتماع مجلس الكلية يوم ١٢/٥/١٩٤٥ بحث الاعضاء حاجة الكلية مستقبلاً الى تدريسيين من العراقيين لتدريس الاختصاصات الطبية بدلاً عن الاساتذة الانكليز اذا ماغادروا العراق . وافترحوا ايفاد الدكتور على الحمامي الى القاهرة لدراسة امراض الطفيليات على الاساد عبد الخالق واحمد الحلواني

وايفاد محمود الهاشمي لدراسة امراض العين بانكلترا والدكتور يحيى محمود لدراسة امراض الاذن والانف والحنجرة بانكلترا والدكتورة توكاتليان لدراسة الامراض الجلدية والزهريه بانكلترا والدكتور كمال السامرائي لدراسة الامراض النسائية والتوليد بانكلترا والدكتور صالح عبد المنعم لدراسة جراحة ابصير بانكلترا والدكتور ناجي مراد لدراسة امراض الدم بانكلترا والدكتور ابراهيم حيالي لدراسة امراض القلب بانكلترا ورفع هذا المقترح الى وزارة الشؤون الاجتماعية فوافقت عليه بكتاب بتاريخ ١٩٤٥/٦/٥ ، غير ان لايفاد لم سم بسبب الضائقة المالية التي كانت تعاني منها الدولة .

وسام الاستقلال من الامير عبد الله بن الحسين (أمير الاردن) ١٩٤٥/

قمت بخدمات طبية للأميره مقبولة زوج الشريف حسين . وقد رار أبوها الامير عبد الله بن الحسين ابنته في دارها الواقعة في الشارع العسكري المحاذي لنهر دجلة بجانبه الشرقي ، فتشرفت بلقائه واستمنعت بحديثه القصير معي ، كما شكرني على الخدمات التي قدمتها لابنته الاميرة مقبولة . وفي يوم ١٩٤٥/١١/٢ وصلني كتاب بالبريد هذا نصه :

**عبد الله بن الحسين**  
**نحن عبد الله بن الحسين أمير شرق الاردن**

تقديراً للصفات الحميدة والمزايا النبيلة التي اتصف بها الدكتور كمال السامرائي ، ولما عرفنا فيه من اخلاص لنا وولاء لبيتنا الهاشمي وود أكيد فقد منحناه وسام الاستقلال من الدرجة الثالثة ، وامرنا باصدار البراءة ايذاناً بذلك . صدر عن قصرنا رغدان في عمان في اليوم الواحد والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٦٤ الهجرية ، واليوم السابع والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٥ الميلادية

بامر سموه العالي  
رئيس الديوان الهاشمي  
التوقيع

**اخ يقتل أخته ١٢/٥/١٩٤٥**

في احدى ليالي تموز الحارة الرطبة التي يركد فيها الهواء فلا يحرك حتى اطراف أغصان الاشجار العالية ، رن جرس باب داري فخرجت اليه فاذا شاب يلبس الزيون ، ويعتمر اليشماغ ملفوفاً بالطريقة البغدادية الاصيلية المشهورة بين الطبقات الشعبية .  
- دكتور ، من فضلك عندي مريضة بحالة مستعجلة ، أرجو منك ان تأتي معي لرؤيتها .

ولامناقشة في مثل هذه الحالة ، فسألته

- اين المريضة ياأخي

فاجابني

- قريبة ، هي في بيتنا بفضوة عرب .

وكنت يومئذ اسكن بمحلة القشل ، فابدلت ملابسي بسرعة وعدت اليه ، فاوسع خطاه وانا اقتفي اثره وكلانا صامت في أزقة ضيقة لا تكفى أن تمر بها سيارة أو عربة . حتى انتهينا الى بيت في قعر دربونة لاننفذ ، فتقدم من باب ذلك البيت ، وكان من خشب ثقيل محلى بالمسامير الحديدية السوداء

الضخمة . ودفع الشاب هذا الباب دون ان يطرقه مانعتح بسهولة . وفي هذه اللحظة تناهى الى سمعي صراخ مكتوم فالبت الى وقال

- تسمعها يادكتور ، هي أختي التي تصرخ

وتقدم الشاب أمامي الى فناء البيت المعتم . وكان على جانب منه فانوس نفطى على منصدة وطينة ، إلا ان ضياءه لم يكن كافيا لالتمس طريقى بسهولة . وتبين لي بعد لحظات باب غرفة على يمين الفناء ينبعث منها ضياء خافت ، ومنه ابدأ ينبعث الصراخ اندي أسمعه وطلعت على من باب هذه الحجرة بموّه لعودني الى داخلها ، وهناك رأيت شابة تستلقى على حشبة خضفة وعند رأسها امرأة في العقد الخامس من عمرها ، حسبت انها أم هذه الشابة ، وقامت هذه المرأة وصدت الشاب الذي قادني الى البيت . وخرجته من الحجرة ، وأوصدت الباب وراءه . وكانت هذه المرأة تنصرم كاسلها ، وتتحرك باريبال . وتقول ماتقوله بلا وعى ، وبهذر غير مفهوم . كما لاحظت في ضوء الفانوس الحافت خدوشاً على خديها وعليها دغ عري . كان ذلك دون ريب من فعل أظافرها حين تمر بها على خديها بحركات هستيرية ، والشابة التي على الحشبة تتلوى من الألم . وتحاول ان تصرخ فتسد هذه المرأة فمها براحه يماها كما لوأنها تريد أن تخننها . وجلست الى جانب الشابة لالتمس بطنها المنفخة ، فوضح لي أمرها بجلاء ، ومع ذلك سألت المرأة التي حسبتها أم الشابة - اينتك متزوجة ؟

فكان جوابها سكوت مطبق . وما كان لي حاجة بسؤالها فهي غير متروحة . وسألتها هل تعرفين ما بأبنتك ؟

والأمهات يوماً اول من يعرف اسرار بناتهن قبل الزواج !

ورأيت هذه المرأة نخرط باظافرها خديها الدامين . وهذا دليل قاطع على انها تعرف ان ابننها البكر حامل ، فارتمت على حذائي تقبله وقالت - هسه أخوها يقتلها اذا عرف المصيبة ، أنا أعرفه

واردت ان انقذ موقفى واغادر هذا البيت بأسرع وقت فقلت لها :

- انقلوها الى المستشفى حالاً لاحتياجها الى عملية فقلت لي وهي مستمرة بحرط وجهها باظافرها .

- الى المقبرة أنا وهي . استرعلينا ياابني ، انقذ شرفنا يا صاحب الشرف . وكنت في هذه اللحظات افكر في حل لموقفى وأخوها لابد انه ينتظرني

دقيقة دقيقة ، والله وحده يعلم ماذا سيحل بي اذا علم بحقيقة ما  
مباخته ، فماذا اعمل لاتخلص من ثورته المحتملة علي في ساعة طيشه .  
وخرجت من حجرة الشابة واذا بأخيها يقابلني لدى بابها وعيناه تقدحان  
شرراً مخيفاً . فقد يكون قد سمع حين كنت في الحجرة ماداربيني وبين  
المرأة التي حسبتها أم المريضة الشابة . فسبقتة الى الكلام وقلت له  
- مابك مرتبكاً يا أخي !

فقال يسألني

- ماباختي يادكتور ؟

فقلت له والخوف القاتل يملأ صدرى

- هوّن عليك يا أخي ، واستهدي بالرحمن

- ماذا بها يادكتور ؟

- آلام بطنية

- وسبب الآلام ؟

- كيس في المبيض ملتو ، وتحتاج الى عملية جراحية مستعجلة . ولان

الشاب قليلاً ، ومع ذلك سألني

- كيس في المبيض فقط ؟

- فقط

- لاغير شيء ؟

- لا غير شيء

- اقسم بشرفك

واقسمت مكرها بشرفي . كم تتبدل المواقف العاطفية بسرعة . كان قيل

قليل كالمجنون المتحفز لارتكاب عمل جنوبي ، فاذا هو الآن شخص اخر ،

فضحك ثم بكى ، ثم ضحك ثم بكى ، ثم انحنى ليقبل يدي ، وعاد يسألني

- يعني كيس مبيض فقط ؟ ولاشيء آخر ؟

فاجبته بتقية

- لاشيء آخر فاسرع وانقلها الى المستشفى سقته حيايتها .

فاجابني

- حالاً ، حالاً يادكتور حالاً

وأتجهت نحو مخرج البيت . فقال لي

- تحتاج ارافك يادكتور ؟

فأجبت

- لا ، أبدا

وغادرت البيت وكانني بجوت من نهلكه ، وسمعت ذلك الشاب يسألني  
اجرتك يا دكتور . فكان جوابي السكوت .

ومرّ على هذا الحادث زهاء اسبوعين . وبعدها كلمني الدكتور شوكت  
الزهاوي . يسأل

هل استدعيت قبل بصعة اسبوع لفحص مريضة في محلة فضوة  
عرب ؟

- نعم ، اذكر ذلك

- ان الشاب الذي استدعاك لفحص اخنه في بيته هو ابن عم (محمود)  
الفراش بدائرتي ، وسوف تطلبك المحكمة للاستشهاد بافادتك ، فليكن  
ذلك في علمك .

وسألته

ولماذا تطلبني يا استاذ شوكت

سألت ذلك وانا اعرف ان ذلك الشاب لا بد قتل أخيه بعد ان انصرفت من  
بيته .

### سندرسن يستقيل ويغادر العراق / ١٩٤٦

في منتصف شهر ايلول من سنة ١٩٤٦ قدم الاستاذ سندرسن  
استقالته من وزاره الشؤون الاجتماعية كموظف فيها ، أما عمادة كلية  
الطب التي كان يتولاها بحسب قانون تاسيس الكلية فلم تكن إلا وظيفة  
فخرية بلا راتب . ومثل ذلك كانت خدماته للعائلة الملكية . وقد أقيمت على  
شرفه حفلة توديع فخمة في حدائق فندق (تايكرس بالاس) بشارع  
الرشيد ، واكثر الاحتمال ان امامه هذه الحفلة بنوجه من وزير لشؤون  
الاجتماعية جميل عبد الوهاب ، وهذه الوزارة هي التي انفقت عليها ، وقد  
حضر الحفل وزير الشؤون الاجتماعية ومدير الصحة العام الدكتور حن  
خياط وبعض موظفي وزارة الخارجية العراقية ، ورئيس لديوان الملكي  
وبعض اساتذه كلية الطب وبعض خريجي كلية الطب ومنهم الدكتورة ملك



غنام ، والسفير البريطاني وبعض من ملاك سفارته . وكانت الموائد مثقلة بما طاب من المأكول والمشروب ، وكان كرسي الدكتور سندرسن بين وزير الشؤون الاجتماعية والدكتور حنا خياط . ولم تحضر عقيلة الدكتور سندرسن (الزبي) بينما الحفل لزوجها ، فأثار ذلك انتباه المدعوين وعلى الموائد تبودلت الانخاب . ثم نهض سندرسن وشكر بحرارة وزير الشؤون الاجتماعية ومن لبي هذه الدعوة لتوديعه . ثم اشار الى الكلية الطبية وقال : ان له شرف في تأسيس هذه الكلية ، وصبره المضنى على ايصالها الى مايقرب من الكمال . ثم قال : وهذا هو كل ما قدمته لهذا القطر النبيل ، واترك تقدير اهمية هذه الخدمة لكم وللاجيال القادمة ، (واستمر يتكلم بهذا الخط حتى قال : ) أما ما قدمه العراق لشخصي فهو بمثل عظمة تاريخه الجسيم ، فقد خلق في قلبي حباً لتعليم مهنتي الطبية وحباً عميقاً لاهله الطيبين ، والقلب بلا حب كالحياة بلاسعادة ، أو كالتواصل بلا عاطفة (ثم قال) : ويسليني حين اغادر العراق أمران أولهما انني استطعت بمساعدة المرحوم الملك فيصل الاول ان استحدث الكلية الطبية في بغداد ، وثانيهما أنى اترك هذه الكلية وأنا مطمئن ان الذي سيخلفني على عمادتها من هو مثلي أو أفضل مني في ابدائها . ذلك هو الاستاذ هاشم الوتري . (ثم ارفع في صوت متهدج) اني طلبت من وزارة الشؤون الاجتماعية ان تستدعى الى هذا الحفل اول فتاة دخلت كلية الطب التي هي أيضاً أول طبيبة تخرجت فيها . تلك هي الدكتورة (ملك غنام) . كما طلبت من السيد الوزير ان يدعو بعض الاطباء الذين درسوا علي لكي لا أحرم عيني من رؤيتهم حين اغادر بغداد العظيمة غداً صباحاً ، وأنا اتمنى لو يتاح لي ان أودع كل طلابي واحد واحداً فانقلوا اليهم حبي .. وقبل ان يعود سندرسن الى كرسيه نادى على الدكتورة غنام ، وقبلها من وجنتيها وضمها الى صدره بحنان وهو يمسح بسبابته دموعه انحدرت على خده ، وقال وملك غنام لازالت على صدره . هذه قبلة الوداع لزملائي وطلابي جميعاً .

ونهض الدكتور هاشم الوتري ، وقال كلمة مختصرة شكر فيها الدكتور سندرسن على ترشيحه لعمادة كلية الطب ، واثنى على ما قدمه للكلية من الجهود لرفعها الى المستويات اللائقة . وانتهى الحفل في نحو الساعة الحادية عشرة ليلاً ، والدكتور سندرسن

يقف على حافة ثيل الحديقة ليصافح كل واحد من المدعويين وهم يغادرون الفندق .

### اطباء الجيش البريطاني في كلية الطب ١٩٤٦

إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وتسريح الكثيرين من اطباء الجيش البريطاني ، حصل قسم من هؤلاء على وظائف مدنية في كثير من الاقطار التي عملوا فيها . وكانت لهم خبرة واسعة في حالات الطوارئ الطبية والطب العسكري . وأول طبيب عسكري التحق بكلية الطب العراقية هو الدكتور دوكلاس ، وكان في الاربعين من عمره ، معروق الوجه ، ممشوق القوام ، وعلى أنفه عوينات باطار بلاستيكي اسود دقيق .

وكان هادي الطبع ، ومتانياً في كلامه وحركاته . وقد ظل طيلة حياته في بغداد يلبس اللباس العسكري ، ولم تكن بينى وبينه اية علاقة سوى بعض اللقاءات العابرة في كريدور المستشفى الملكي ، وغادر دوكلاس الكلية الى أدنبرة . وعلمت بعد ذلك انه أشغل كرسى الاستاذية في الجراحة في كليتها الطبية . والطبيب العسكري الثاني من دول التحالف الذي التحق بكلية طب بغداد هو ( روجرز ) وهو من أصل نيوزلندي بعمر جاوز الثلاثين سنة بقليل ، غير انه يبدو اكبر من عمره الحقيقي بسبب التجمعات والنقر التي في وجهه ، مما اكسبه عدا ذلك امارات الخبرة . كما في ملامحه ونطقه وحركاته ما يدل على الجرأة ، والمباغته والصمود . وهو في طوله أقرب الى القصر ، وفي جسمه أقرب الى الامتلاء . وجرس كلامه أجش أمرى . ويوم التحاقه بكلية الطب كان قد افتتح مستشفى أهلي بمحلة السعدون بإدارة الدكتور هادي الباجه جي ومشاركة ممول يهودي اسمه ( سليم ربيع ) ولما رفعت لافتة على ناصية المستشفى باسم مستشفى السعدون علق تحتها مباشرة قطعة خشبية صغيرة كتب عليها عبارة باشراف ( البروفسور ) روجرز وقد اختار روجرز الدكتور خالد ناجي ليساعده في العمليات الجراحية في هذا المستشفى فكان اختياراً موفقاً لما اتصف به الدكتور خالد من نشاط واستجابة سريعة لما تتطلبه الحالات المرضية الخطيرة ، تماماً كما كان الاستاذ روجرز . ولم يعثر مستشفى

السعدون طويلاً بعد سفر روجرز ، فبيع أثاثه وآلاته واغلق نهائياً في آذار من سنة ١٩٥٠ .

وكانت باكورة تعارفي مع الدكتور روجرز غير ودية فقد حدث ان فحصت مريضة مصابة بخراج حوضي ، ولم اكن أعرف انها قد سبق ان استشارت الاستاذ روجرز قبل يوم واحد ، فنصحها بدخول المستشفى لرفع ورم ليفي عدته سبب شكواها ، وبطريقة لم أعرفها وصل الى علم الاستاذ روجرز أنني اعارض اجراء تلك العملية ، لان الورم النهائي ، ولا يمكن رفعه بل يجب ان يكون علاجه بالادوية فقط ، أو على الاكثر الانتظار حتى ينحول الالتهاب الى خراج ليفتح عن طريق المهبل . فاتصل بي روجرز تلفونياً وأنا في غرفتي بالمستشفى الملكي

- روجرز يتكلم

وقبل ان اقبله بتهية الاحترام قال :

- هل لي ان اراك في غرفتي يا استاذ كمال .

فأجبت

- أنا قادم اليك حالاً

وكان حين دخلت غرفته لا يزال بلباس العمليات ذى اللون الأخضر . وتلكا في افتتاحية كلامه فادركت حالاً انه يستحضر ما يجب ان يقوله لي

- تعرف يادكتور سامرائي انني مندب من القوات البريطانية لاشغل منصب رئاسة الوحدة الجراحية الاولى في هذا المستشفى بما فيها ردهتى الامراض النسائية والولادة ؟

واذ انه فاجاني بدائرة انتدابه الواسعة التي شملت الامراض النسائية والتوليد ، قلت له

- لا اعرف انك بوظيفتك ترأس شعبة الامراض النسائية والتوليد ، وإن اني عرفت ذلك الآن منك ، فانا ارحب بك يا استاذ روجرز

ثم قال متعجلاً ليقاطعني

- أنا لا أريد ان اكون رئيساً بالمعنى العسكري بل ان تكون الرئاسة لإدارة التعاون فيما اوكل الي .

كان روجرز يتودد بهذه المقابلة فسيطر على ، غير اننى لم اهتم بعد هدف هذه المقابلة التي طلبها هو .

- استاذ روجرز يسرني ان اطلب مساعدتك حين احتاجها ، وهذا هو

التعاون الذي أفهمه

ونظر الى بابتسامة الرضا ، وفي عيبيه الررفا ومن بريق بهذا المعنى نفسه أو اكثر . وسألني فجاء

- تعرف المريضة أخت ممرضة العمليات نزهت ؟ فانسيت حالا الى الهدف الذي طلب مقابلتي من أجله ، وأنه يشير الى عدم اقتناعي بتشخيصه لحالتها المرضية ، وكشف عن قصده حين سألني :

- ألم تعرف انني سبقتك الى فحص هذه المريضة ؟

فاجبت

- كلا أبداً ، لم أعرف ذلك .

فعرقت من سؤاله ان الممرضة نزهت هي التي أخبرته بتشخيصي لمرض أختها ، فقلت له

- كان على نزهت ان تخبرني بذلك مقدماً لاشاورك بموضوعها .

فقال لي بارتياح ظاهر

- هذا جيد ، وهذا هو التفاهم الذي اريده (واضاف قائلاً) وبدعني

السلوك المهني الى أن أخبرك الآن انني قد انتهيت توأ مما عملته للمريضة

فسألته

- فتحت بطنها ؟

- نعم فتحتها واكتشف انني كنت مخطئاً في تشخيصي ما احسسته في الحوف الحوضي ، وانت كنت مصيياً في تشخيصه ، فان الكتلة كانت التهابية لا ورمية ليتمكن إستئصالها . فقلت له وأنا في سرى في زهو من هذه النتيجة

- وما في ذلك يا استاذ روجرز

وحبذا لو أنه عد ذلك مني عن حسن تقدير لا مجاملة أو نقد وعرفت بعد ايام قليلة ان روجرز نشط وملقزم باداء واجباته فكان أول طبيب يدخل الردهة رقم ( ١٧ ) وهي الردهة التي يتولى رئاستها ، كما كان آخر طبيب يغادرها بعد انتهاء الدوام الرسمي ، ولا يتزد فقط ان يعود الى الردهة اذا نهض ما يستوجب عودته وبخاصة اذا طلبه مساعده النشاط الدكتور خالد ناجي .

ومن الامانة ان أذكر مساعده لي في اسعاف مريضة لي بدار المريض

الحاص . واسى لاعترفي به بهذا الحمل . كانت مريضة بدنة كثيرة  
العمر وهي تشكو من نرف رحمر مستمر منذ أكبر من شهرس . وظهر لي  
بعد فتح بطنها ان الرحم منصحد بكبر من الاورام اللدنة وحمضها  
مغطاه وملبصفة بلعائف من الامعاء الدنية والعلبظه . وشد عرقبها  
لك ان الاورام الليفية كثيرا ما تخالضها (الاندومير بوسر) وان فصل  
الالتصاقات التي تسبها مع الامعاء لانسهل اتمامه دون خطورة في  
حالات كثيرة . ولكنني لم اقدر كم كانت تلك الالتصاقات واسعة . وعمدته .  
وكانت النتيجة ن ظهرت علامات نسل الامعاء في اليوم الثبر بعد  
العملية . وهو اختلاط يخيف كل جراح . ونداب المريضة نفعيا . واستمرت  
تنقيا . وارتفع نبضها وانتفخت بطنها وضاق صدرها على تنفسها .  
وكانت هذه المريضة زوجة رجل من اعيان بغداد . ومن عائلة كبيرة .  
وقدرت كم يكون موتها اليما عليهم وقاحه لي . بوصفي طبيبيا ناشئا  
فقد صرت بمفترق طريقين في هذه العملية إما الشهرة الحسنة في الطب او  
السيئة التي قد تحطم أيامي القابلة . وتذكرت روجرز وما عناه بالتعاون  
فيما بيني وبينه . فطلبته ليلا . فجاءني سرعة مذهلة بلباسه العسكري  
الخشن . واستمع الى وانا امرا أمامه ماسجلته على استمارتها المرضية .  
كما ذكرت له خطوات العملية التي انجزتها في بطن هذه المريضة وحوضها  
وانتظرت من روجرز مايسطيع ان يرفع عني كابوس الخوف الذي يخنقني  
دون رحمة . وقال لي فجأة وباختصار

- الى العمل ياسامرائي

وهذه هي لغته العسكرية . وطلب قنينة (ونجستر) الكبيرة وصلها  
بانبوبين من المطاط دفع أحدهما الى معدة المريضة . وترك الثاني يتدلى الى  
سطل وضعه على الارض . وسرعان مابدأت محتويات المعدة الفذرة تخرج  
قليلا قليلا . ثم بكثرة . وبقي روجرز يراقب المريضة حتى منتصف الليل  
حين انخفضت سرعة نبضها وارتاح تنفسها . وارتسم على وجه روجرز  
مايدل على إرتياحه فقال بغبطة

- كل شيء جيد . وتستطيع الآن ان تذهب الى فراشك ياسامرائي . فانا  
اعرف كم انت الآن قلق وتعب . وانك في حاجة الى راحة . والمعرضة وحدها  
تكفي لمراقبة المريضة واستمرار خروج محتويات المعدة الملأى بالافرازات .  
وشكرت الاستاذ روجرز . وأنا أصحبه الى سيارته . وحين استقلها قال

- اذهب الى فراشك ياسامرائي  
فقلت له

- نعم ، سأفعل واشكرك كثيراً  
ودرجت سيارته وانا اتابعها بنظري حتى اختفت في منعطف باب  
المستشفى الكبير ، أما أنا فلم اذهب الى فراشي لانام فيه ، بل عدت الى  
غرفة المريضة وأخذت محل الممرضة في مراقبة نبضها وعلائم التحسن  
التي تسلسلت دون إنقطاع ، والحمد لله .

\* \* \*

وكان روجرز محدثاً لبقاً ومحاضراً يشد الطلبة اليه ، كما كان نشطاً  
يحسن التحرك ، فيبدأ عملياته في الساعة السادسة صباحاً بينما كان  
بداية الدوام الرسمي يومئذ في الساعة الثامنة وبسبب ذلك كان موظفو  
صالة العمليات لا يرتاحون الى يوم عملياته ، وفيما عدا ذلك كانوا يحبونه  
ويحترمونه . وكان روجرز حريصاً على ابراء المريض فاذا اكتشف ان  
مريضاً فقير الدم ، أو قد نزف اثناء العمليات ، فيطلب طاولة يمدونها الى  
جانب طاولة العملية ويستلقي على طولها ويمد ساعده ليفصدوه  
ويسحبوا من دمه ما يحتاجه المريض ويكون ذلك طبعاً بعد فحص دم  
المريض للتأكد من تلاؤمه مع صنف دمه ثم ينهض منتصباً ويغير ملابسه  
بأخرى معقمة ويعود الى طاولة العمليات لاتمام العملية .

ومجالس الاستاذ روجرز ممتعة وهو لا ينسى قط ان يتكلم فيها عن  
مشاركاته الطبية في شمال افريقيا ونشيكوسلوفاكيا واتصالاته المباشرة  
بالزعيم تيتو ، فقلت له ذات يوم : لماذا يااستاذ روجرز لا تتكلم الى طلاب  
الكلية وهيئة التدريس فيها عن حياتك كجراح في الجيش البريطاني ؟  
فاجابني ؟

- سجلتها بكتاب بعنوان (طبيب وراء خطوط القتال)  
- فقلت له

- نريد ان نسمع منك ماكتبته في ذلك الكتاب  
فقال لي

- انها فكرة جيدة وساعلم عن يوم القائها في الاسبوع القادم .  
وفي اليوم الثاني جاءني روجرز الى غرفتي بالمستشفى وبيده الكتاب  
الذي اشار اليه ، وصورة له عملها رسام قدير بقلم الرصاص ، ومع ذلك من

يظهر اليها يعرف بسهولة ان لون عذسه أرقى لا اسود ما هب . كانت الصورة متقنة الى حد كبير من الاتقان . وقال روجرز وهو بقدمها هديه الى - سوف اشير الى هذه الصورة في خلال محاضرتي .

كان روجرز اثناء محاضرتة يبدو قاصاً واديباً اكثر مما هو طبيب او مخبر صحفي . فقال فيما قاله - انه كان جراحاً بجيش (مونت گومري) بشمال افريقيا وكان يصحبه طبيب آخر استرالى اسمه روبرت ربطت بينهما صداقة حميمة ، وكان هذا الطبيب جراحاً قدراً كما كان جريئاً في اخلاء الجرحى ، ثم قال روجرز

- وذات يوم بينما كنت أنا وصاحبي الدكتور روبرت نتحدث وراء سائر رملي واذا بطائرة المانية تزار في سماء المنطفة ، وتنقض بشكل مفاجئ على مكاننا ، كان روبرت مرحاً ذا نكتة حتى في مثل هذه الحالات الحرجة (فعفظ) على هذه الطائرة ، وضحكت على ما فعل تأييداً له وحقداً على الالمان ، وكان رذاذ الرصاص قد نثر الرمال على وعلى صاحبي بكثافة حتى انعدمت الرؤيا فيما بيني وبينه ، كما توقف فجأة استهزاؤه على الالمان ، ويحس ضمنى خفت ان يكون قد اصابه مكروه ، فناديت مرة ومرتين فلم اسمع منه رداً فمددت يدي لأتلمسه فاحسست بدبق على راحة يدي ، فاذا ذلك كان دم صاحبي الغالي روبرت . فنهضت وقلبتة على ظهره لاكشف عن مدى إصابته ، فوجدته قد فارق الحياة ، فجننت حزناً على فقدى لهذا الزميل العزيز على ، وحنقت على الالمان ، وقصدت في اليوم التالي القيادة العسكرية وقدمت اليها طلباً لاعمل جندياً وراء خطوط القتال بأوروبا ، لانتقم لصديقي روبرت . وتسلمت الاوامر والخرائط والتعليمات بحسب ذلك (واستمر روجرز يقول) وحملتني طائرة من نوع ولنكتون بعد منتصف ليلة ظلماء الى غابة قريبة من مركز قيادة الجنرال (تيتو) . وقبعت في مكاني حتى بزغ نور الصباح . فتسللت عبر الاشجار ثم على حرش من الاعشاب البرية حتى اقتربت من مركز القيادة ، فأمسك بي جندي مسلح لم يكن يعرف اللغة الانكليزية ، فانقذني البديهة فوجدت نفسي اصيح بوجه الجندي «تبتو ، تبتو .. أنا انكليزي ، انكلترا» فقادني وهو يومي براسه ما بمعنى انه فهم ما أقوله ؟ ثم إبتسم . كان مقر القيادة في عمق كهف غطي مدحله بأغصان الاشجار الطرية ، وكان تيتو لحظة دخلت الى وكره يرتدي سروالاً من الخاكي محمولاً (بشيال) يعبر

كتفيه الى أمام وإلى خلف جسمه وفي رجليه حذاء بني باهت اللون ، وعلى مافوق محزمه فاثيلا بكمين قصيرين .

وقد كسا وجهه برغوة كثيفة من الصابون اسنحصاراً لحلق ذمه وهو ينظر في مرآة صغيرة مثبتة على حدار الكهف .

ولم يلتفت تيتو الى إلا بعد ان خاطبه الجندي الذي قادني الى هذا الكهف ، فاشار تيتو الى الجندي المسلح ان يخفض سلاحه ويعاد الكهف ، ثم التفت نحوي وهو يرحب بحرارة ويقول ان له عم بقدمي وانه ينتظرني ساعة بعد ساعة . ثم سألتني فجأة ان كنف نفاولت فطوري ، فنادى على الجندي الذي غادر الكهف ثواً ان يهيئ فطوراً لي وله ، فتناولناه معاً وهو يزدوني بواجباتي في المهمة التي أقدمت عليها . ولم اشعر قط في يوم من ايام عمري بشعور مثل ذلك الذي تملكني في تلك اللحظات فقد شعرت كأنني قد أدبت كامر مهمتي التي ترضي تقدي روبرت بينما لم اكن بعد قد بدأتها .

(ثم قال) وفي حركة عابرة حرحت في عضدي الابرمن واسفل بطني فادخلوني مستشفى عسكرياً بقرية صغيرة تختفي تحت اشجار كثيفة ، وفي هذا المستشفى تعرفت على عريف يولوبي ، يعمل في قوات تيتو ، وقد فاحاني يوماً هو يرسمتي بقلم رصاص على ظهر ورقة دعاية ضد الالمان فاعجبتني مهارة هذا الفنان فاستنسخت من هذه الصورة خمسين نسخة وأنا احتفظ الآن بالصورة الاصل وهديت الباقي الى الاصدقاء ، كان منهم تيتو ، وكان هو الذي طلبها مني بعد ان اطلع عليها .

وختم روجرز حديثه الممنع بعموه . قبل ان اتشافي تماماً من جروحي منحت إجازة شهر كامل للنفاهة في جبل لبنان بمنطقة (عالي) وكانت الحرب يومئذ على وشك نهايتها بانتصار الحلفاء ، فخطبني وأمره ان أقدم طلباً للعمل بكلية الطب العراقية .

\* \* \*

وفي الأشهر الثلاثة الأخيرة من وجود روجرز في العراق حدث ما عكر حبه هذا الجراح الكبير ، فقد حدث ان أصيبت ايته الاستاذ هاشم الوثري الصغيره بالسعال البرئدة السوداء فدخل حالها روحر باستنصار الراسد ، فتوفيت المريضة الشابة في اليوم الرابع بعد العضة متأثرة . وبعد الحوض الحاد ، فسخط الاستاذ الوثري على روجرز وكأنه في ظنه قد فذر



ابنته عامداً حتى انه رفض يوماً مقابلته حين جاءه روجرز لابتداء إفسه على ما حدث لابنته . فلم يطق روجرز هذه الإهانة فقدم طلباً لمنصب الاستاذية بجامعة في نيوزيلندا ، وهياً نفسه ليغادر العراق بعد شهر واحد وهي المدة التي منحها لوزارة الشؤون الاجتماعية لتجد بديلاً له في الكلية الطبية ببغداد ويبدو ان هاشم الوتري قد اتفق بالمكاتبة مع (لورد موران) لتعيين جراح بريطاني من أهل لندن ، ويوماً وصلت برقية من اللورد موران الى الاستاذ الوتري فيها ان ذلك الجراح قد اعتذر عن قبول منصب الاستاذية في بغداد ، ونصحه بتجديد عقد الاستاذ روجرز . ولما ادرك الاستاذ الوتري انه لم يستحضر استاذاً للجراحة ، طلب مني ان أكلم روجرز ليقدم طلباً لاعادة تعيينه في الكلية ، وكلمت روجرز بهذا الامر فرفض العمل برأي الوتري وهو يقول لي - ان التحرك يجب ان يبدأ من جانب العمادة لامن جانبي ، وإلا فانا مصر علي مغادرة العراق .

ورفض روجرز ان يودعه أحد من اطباء الكلية ، ولاهو ودع الوتري يوم سفره ، وكان الوحيد الذي أوصله الى مطار المثني هو مساعده الاول الدكتور خالد ناجي .

وبلغني بعد اشهر من سفره الى نيوزلندا انه قتل بحادث سيارة في ذلك القطر بعد ان عجز الموت عن ان يئالة بقنابل هتلر .

x x x

وزامن الاستاذ روجرز في اوائل أيامه في العراق الاستاذ (باربر) ، وكان هذا في أواخر العقد الرابع من عمره ، له وسامة النبلاء الانكليز القدماء الذين يظهرون في الافلام السينمائية ، بعينين واسعتين ، وعلى جسر أنفه عوينات باطار ذهبي اللون لماع ، وهو بطول معتدل ، وباندفاع يسير الى امام في اعلى ظهره ، وبشرته وردية ، وأنفه فيه شيء من الضخامة والحمرة لكثرة مايتناول من المشروبات الكحولية .

وكان في عمله الجراحي يبدو متباطئاً ، وعلى عكس زميله الاستاذ روجرز الذي كان سريع الخطى والعمل . وقد استوقفه باربر يوماً وهو يمشى مسرعاً الى صالة العمليات واراد ان يكلمه ، فاسكته روجرز قائلاً . مشغول ، أراك بعد ان انتهي من عملي . فقال له باربر ببرود بالغ . وما

## لعجلة في انهاء ٦

واعتادت الكلية ان تقيم حفلاً متواضعاً لمن يلحق بكادرها التدريسي . فكانت حفلة استقبال بارير في الجمعية الطبية العراقية الواقعة الى الجانب الايمن من عمارة بيت لنج برأس القرية من شارع الرشيد . وكان رئيس الجمعية الطبية يومئذ الاستاذ هاشم الوتري ، فكلف صديقه الزعيم عبيد المضايقي وهو المرافق الاقدم للملك فيصل الثاني ، ان يدعو الامير عبد الاله لحضور الحفلة . وحضر المحنفي به الاستاذ بارير ومعه سيدة برشاء ذات سحنة باهتة ونحافة تبرز تحت لباسها الخفيف عظامها الدقيقة ، وقد قدّمها الاستاذ بارير الى الاستاذ الوتري باسم زوجته (الس) فرحب بها الاستاذ لوتري ، وحين قال لهما ان الامير عبد الاله سيكون معنا بعد قليل ، قالت الس بلهفة الاطفال : ان هذا ما أحلم به لأكلم أميراً عربياً . ولما حضر الأمير عبد الاله لم تحط بمكالمته بل بمصافحته فقط حين قدمها الاستاذ الوتري كزوجة لضيف الشرف الاستاذ بارير . وبقي الأمير جالساً الى جانب الاستاذ الوتري على مدى ساعة الحفل ، ولم تقترب منه زوجة المحنفي به ، غير انها ما انفكت تنظر اليه بتلهف وهي تستحضر ابتسامة لتقابل بها وجه الأمير الجميل اذا تقابلت عيونهما الا انها لم تنل هذا التلاقي . وحين استعد الأمير لمغادرة الحفل ، تدافعت لتصافحه ، إلا ان الأمير لم يصافح احداً من الحاضرين باستثناء الاستاذ الوتري وخرج مبتسماً للجميع .

كان الاستاذ بارير يقاسم زميله الاستاذ روجرز القاء المحاضرات بالكلية الطبية ، ولم تكن محاضراته جذابة الا للطلبة ، وذلك لانه كان بطيء الكلام ويخرج حروف الكلمة بوضوح وكأنه يهدف بذلك الى ان يفهمه الطلبة بعد ان ادرك ان معرفتهم بالانكليزية ضعيفة ، ومناصرة افكارهم لمادة المحاضرة بطيئة . أما اعماله الجراحية فكانت مثل ذلك تتصف ظاهراً بالبطء غير انها في الحقيقة لاتستغرق وقتاً اكثر مما يتوقع من ذلك . كما كنت الاحظ انه لا يكرر الحركة ولا يتباطأ في اختيار موقعها والبدء بها ، وربما كان هذا سر السرعة غير المتوقعة في اتمام عملياته . وقد التحق الاستاذ بارير بمستشفى العلمين بتأثير الدكتور ماكس كروباخ والمرضة النشطة رينة التي كانت هي (المترن) في هذا المستشفى . وبمدة غير طويلة صار لبارير ريانن كثيرون من المرضى . كما

صار لزوجته (الس) أصدقاء كثيرون لم أعرف منهم إلا الرجال ، وصارت  
تطيل السهر مع أحد تجار السيارات (ح ق) وكثيراً ماتشاهد نسوق  
سيارته اللنكلن الفخمة والى جانبها ذلك التاجر الذي أشرت اليه . وبوما  
فوجئنا بخبر غريب ، الاستاذ باربر منع من حق الممارسة بامر من  
الجمعية الملكية للجراحين بانكلترا لمدة خمس سنوات ، والطلب من  
الحكومة العراقية انهاء عقده حالاً . وانتشر هذا الخبر الغريب بين زملائه  
من الاطباء وغير الاطباء في بغداد ، وجاء التفسير سريعاً لهذا الخبر ، وهو  
ان باربر أجرى عملية في مستشفى العلمين لسيدة انكليزية وصارت بينه  
وبها علاقة تطورت حتى أغاضت زوجها الذي كان يعمل يومئذ في شركة  
النفط العراقية ، فرفع شكوى الى الجمعية الملكية للجراحين بانكلترا  
وسرعان ماكلفت هذه الجمعية سكرتير السفارة البريطانية في بغداد  
بتشكيل لجنة تحقق في هذا الموضوع ، فاعترف الاستاذ باربر بعلاقته بتلك  
السيدة ، كما اعترفت هي بذلك ، فعدت الجمعية الطبية البريطانية باربر  
قد استغل مهنته لإغواء مريضته .

وكانت النتيجة ان اختفى الاستاذ باربر بضعة أيام سافر بعدها الى  
انكلترا ، وعلمت انه بعد خمس سنوات اباحت الجمعية الطبية له ان  
يمارس الطب ، فحصل على كرسى الاستاذية في جامعة (جوها نسبرغ)  
بجنوب افريقيا ، وانقطعت اخباره عنا حتى سنة ١٩٧٢ ، فاستدعاه  
استاذ الجراحة عبد اللطيف البدرى الى بغداد ليشترك في الامتحانات  
النهائية في كلية طب بغداد . وحضر في الوقت المقرر ضيفاً على جامعة  
بغداد . وقد بان عليه تقدم العمر ، وغطى الشيب رأسه وأبدل عويناته  
الانيقة باخرى سميكة ، ولايخطو في مشيه إلا بحذر وهو يمسك بيده  
اليمنى عصاً من الابنوس الاسود بمقبض من العاج ، وتمسك يده  
اليسرى سيدة صغيرة الجسم والعمر . وكان لايزال يحتفظ بمظهر السيد  
النبيل ولا ينقصه في ذلك الا النحنحة التقليدية التي يتعزز عليها نبلاء  
الانكليز عند التحدث واصدار الاوامر لخدمهم وحشمهم . وقد دعوت باربر  
الى بيتي ودخل بيتي ومعه تلك السيدة الصغيرة التي ذكرتها وقدمها الى  
باسم زوجته ، وهي انكليزية الاصل ومن مواليد جنوب افريقيا . وقال لي  
انها كانت تعمل ممرضة في عيادته متزوجها بعد ان وهن وشاح .  
غريب كيف تنرى الاحداث ودرابط فلا تبدأ حتى نستمر ذلولها تنض

ولو بعد حين طويل . ففي عام ١٩٧٦ دخلت عيادتي سيدة تنحو السنين  
من عمرها ، ووقفت أمامي بلا سلام ولا حراك ، فقلت لها هل من خدمه  
اقدمها لك ياسيديتي ؟ ولم تتحرك بل ابتسمت وهي تسألني

- اما عرفتني يا كمال

وعرفتها من صوتها الأجلش

- ألس ؟

- طبعاً الس ، قلت لنفسي سيكون كمال اول من أزوره في بغداد . وقد

وصلت البارحة ليلاً ، كيف انت وكيف (لامية) بعصد زوجني لمعه

- وكيف انت يا الس ؟ اخبارك ؟

- على مهل في جميع الأمور ؟

وأخرجت من محفظة يدها صورة بمغلف من النايلون الشفاف تمثل

طيراً بحجم العصفور مربوطاً بسلسلة حديدية ضخمة تتصل بكرة ضخمة

من الحديد . وتحت الصورة عبارة TAKE IT EASY وقالت وهي تعرض هذه

الصورة علي :

- نعم ، أنا الآن اعمل بهذه النصيحة .

وفهمت ما قصدته ، فقلت لها ، وماذا اقدم لك الآن يا عزيزتي الس

فاجابتني بسرعة

- ادعني الى عشاء في بيتك .

فأجبنيها

- سترحب زوجتي بك في هذه الدعوة .

فقلت لي وهي تبسم

تخافها ؟

فأجبنيها

- الذي لا يخاف لا يخوف

وختمت كلامها معي قائلة

- انا في فندق بغداد . وغرفتي برقم ٢١٤ .

سوف لا انتظر دعوتك تليفونيا ، بل سأحضر الى بيتك مساء غد دون انذار

وغادرت عيادتي

## زواج مس كنكستون / ١٩٤٧

مس كنكستون بريطانية الجنسية . بعمر السبعين . وكانت رئيسة  
ممرضات المستشفى الملكي على مدى تسع سنوات بعد دخولها العراق في  
سنة ١٩٢٨ ، بعقد مع مديرية الصحة العامة . وهي طويلة العامة  
بضخامة وترهل ، وردية الوجه ياسفاخ قليل . كما كانت ساقاها متبندان  
وتتفرع تحت جلدها دوال من الاوعية الدموية . كما كانت نذبت بسبب  
عمرها بعض الشعيرات على حنكها وشفتيها العليا فلا يحلها حتى اذا  
طالت بشكل ممجوج . على أنها كانت ذات همه وتعمل بنشاط دون كلل أو  
ملل حين تتفقد ردهات المستشفى الملكي طوال النهار وبعضا من ساعات  
الليل الأولى . ويحكم مقابلاتي معها في ساعات الليل حين استدعى لعلاج  
مريضة في إحدى الردهتين النسائيتين فقد كنت في بعض هذه المقابلات  
اشم رائحة الخمر من فمها اذا اقتربت مني . غير انني لا اذكر انها يوماً  
فقدت سيطرتها على ذاتها . أو زلت في تصرفاتها الاخلاقية أو المهنية .  
فهي في الحقيقة دوماً مؤدبة . ولا تتكلم الا في نطاق واحداثها في التمريض  
ومراقبة أعمال الممرضات . غير انني اكشف يوماً ان مس كنكستون  
كممرضة هي غيرها كإمرأة . فقد استعارت مني سيارتي ذات لبله رأس  
السنة الميلادية لحضور حفل في نادي العلوية . فاحببها الى طلبها  
بامنان ، وقاد سائق سيارتي (هجوم) السيارة الى دار الممرضات  
البريطانيات اللصيقة بدار التمريض الخاص في المستشفى الملكي حيث  
تسكن مس كنكستون وأخريات من الممرضات البريطانيات . ليكون هجوم  
في خدمتها في تلك الليلة . وفي الساعة العاشرة ليلاً عاد الى هجوم راحلاً .  
فاستغربت من ذلك والليل في اوله ولما سألتني عن السبب قال لي . انها  
أخذت مني مفتاح السيارة وقالت لي عندي سائق . واشكرني بأي حال .  
وفي الساعة الرابعة صباحاً دق جرس باب بيتي . محطرباً الى احتمال  
طلب من يريدني لأرى مريضته في داره . ومثل هذا الطلب ليس غير غريباً  
في مثل هذه الساعة . فنهضت من فراشي بينكاسل وفي عيني وسن ثقل .  
ونزلت السلم الى مدخل البيت . فاداً على مدخله مس كنكستون ومعها  
رجل في مثل عمرها أو اكثر . وهما يرنحان من سده السكر . فترمي على

صدره ثم يقومها ويرتمي هو عليها في هذه المرة ، وبادرتني تحملق في وجهي بعينين زائفتين ، وتقول

- كمال ، أسفة ان ازعجك في هذا الوقت (ثم استدركت تقول) أوه ، ومدت يmanها الى الرجل الذي كان يصحبها وهي تقول  
- هذا هو وليم خطيبي ، واريدك أن تعرفه .

ثم تحولت نحو هذا الرجل وجذبتة الى صدرها المنتفخ بنهديها الضخمين وكأنها عدلان من القرب على ظهر دابة . ثم دفعته عنها وارتمت على صدرى وهمست في أذنى

- ان وليم يصّر على ان يتزوجنى هذه الليلة ويبدو ان وليم هذا قد سمع ماأسرت به الى ، فقال  
- نعم هذه الليلة وليس غداً

ولم أر لنفسي في هذا الموقف إلا ان اتجاهل سرهما ، فقلت لمس كنكستون

- كان في استطاعتك ، ان تبقى السيارة في المستشفى فلا تتحملى مشقة المجيء الى هنا  
فقلت

- جئت بالسيارة اليك لانني أريدك ان تكون شاهد زواجي ياكمال فقلت لها مجاملاً

- يسرني ان اقوم لك بهذه الخدمة يامس كنكستون ، ولكن شهادة الزواج يجب ان تكون علنية  
فقال صاحبها وليم معترضاً

- هذا لا ، وإلا فسدت المتعة من الحب ولما رأيت ان موقفى من مس كنكستون وصاحبها عند باب دارى لا يصح ماكان مني إلا ان اقول لها .

- هيا اوصلكما الى دار المرضات أولاً  
فقلت

- هيا

وعادا الى سيارتي ودخلا مقعدها الخلفي ، ولما وصلنا الى دار المرضات ، فتحت باب السيارة الخلفي لادعوهما الى الترحل والتوجه الى دار المرضات ، فاذا هما يغطان في نوم عميق ، وتركتهما يحلمان . وطرقت

باب دار المعرضات وطلع على طباخ هذه الدار ، فطلبت منه ان يوقظ من في سيارتي . وهكذا انتهت هذه المسرحية المضحكة .

### طلبة كلية الطب يقلدون اساتذتهم / ١٩٤٧

أقام طلاب الكلية حفلة سمر بقاعة السنما بكلية الطب يقلدون فيها اساتذتهم حضرتها الهيئة التدريسية بكاملها بمن فيهم العميد ، وكانت المادة الاولى في هذه الحفلة تمثل قهوة (عزاوي) الشعبية . وعلى اثر الدقات التقليدية الثلاث المعروفة في المسارح العامة رفعت الستارة عن شلة من الاصدقاء بملابس بغدادية كالجراوية والزبون واليمنى والنعل ، وهم يحيطون بكراسيهم منضدة قديمة لالون لها ، ويتقدرون باحداث يومهم الحافل بالمغامرات ، وعن طيور الحمام التي بريونها فوق سطوح بيوتهم ، وفي احاديثهم القسم بالله والتباهى بما في ابراج طيورهم من انواع الحمام كالاورقلى والرمادي والعنبري والمسكى والالاج . وحين علا صياحهم وصخبهم ، دخل مجلسهم (شرطي الاخلاق) المسؤول عن سلوك الملامى والمواخير والمقاهي ، بوجه عبوس . ورشقهم بنظرة غير راضية ، فنهض أحدهم وهو أبو زكية (مكي الواعظ) وتقدم من الشرطي وأخذه جانباً ودس في يده شيئاً ، فابتسم له الشرطي وعاد من حيث جاء ، وعاد أبو زكية (مكي الواعظ) الى كرسيه حول المنضدة وهو يتمطى ويمد ساقيه من بين فرجة زبونه فتظهر ساقاه العاريتان ، ورفع أحد (الشياش) التي انتهى من أكل ما كان عليها من قطع اللحم و(المعلق) وخلل بطرفها المدبب ويصق ما أخرجه من بين اسنانه من نتف ، الشواء . وقال يتم حديثه عن طير الحمام قائلاً وهو يزعم بصوت عال . - أنه الطير لذي لايبست في السماء ماياكل لفظ عندي ، وثاني يوم املص عنقه وكان صالح (جابر محسن) ينظر اليه بتحدٍ ، فأدخل يده في (عب) ربونه الذي يلبسه على حبلده وأخرج منه طيراً رمادي اللون ، وصار يدغدغ باصبعيه ماتحت منقاره باعزاز وبفاخر ، وهو يقول مشيراً الى هذا الصر - أبوهم ، صار له يومين وهو فوق الغيم ويلتفت الى ابي حسين (عزيز محمود شكري) ويسأله

- تمام ؟... ماتنطق ، سوهذا على أيدك ؟  
فبجيبه أبو حسين
- والله يابه تمام ، شوف العين  
ويسأل (جموري) صديقه صالح
- هسه شد كول ؟
- ويسكت (أبو عليّة) على مضض ثم ينفجر بصوت أبج
- اذا تريد طير صدك عليك بالحمام الزاجل  
ويرد عليه جسام (تحرير الكيلاني)
- هذا مو طير ، هذا حمام  
فيقول له أبو عليّة
- هذا طير ونص ، وأبو الطيور كلها  
ويعود جسام يسأله
- اسالك ، الزاجل يكلب ؟  
فيقول أبو عليّة
- لا مايكلب ، اسمعنى الزاجل الذي عندي ، المحل مو الطيرة غابت  
ثلاثة ايام ، وفي اليوم الرابع عادت الى برجها ويّه أذان المغرب . اسألني  
وين جانت ؟
- وين جانت يابه ؟
- جانت بجزيرة هيلانة
- فساله ابو عليّة باستهزاء
- جزيرة هيلانة وبين يابه ؟
- فوق البصرة
- زين شلون عرفت جانت بجزيرة هيلانة ؟
- المسألة هينة ، عصرت تغرتها وزوعتها فطلعت من حلكها اربع حبات  
هيل .
- فأحابه جسام مكسوراً
- لا اذا هيچى ، فسالفتك صحيحة .
- وفي اثناء هذا النقاش دخل مجلس هؤلاء الاصدقاء أحد رفاقهم فهموا  
جميعاً لاستقباله
- هذي وديت بأبو المصالح



- الصحيح كنت بالتوقيف طول هذا الاسبوع  
وساله اصدقاؤه مرة واحدة

- زين ، السبب ؟

فتنحني أبو المصاييب ، وقال

- كنت أنى ويا ابن خالتي نشرب بمطعم (هرمز) ، وسمعت البوى وهو  
واقف على البار يضحك ، فقال لي ابن خالتي هذا البوى يضحك علينا  
ولازم ناديه ، فقممت من مكاني وجرخته بأم الياي (يقصد سكيئة أم  
الياي) وخليت دمه بطوله .

فقال له اصحابه بحماس

- حيل ، چان خلصت عليه ، والحبس للرجال يابو عليوى

وقال أحدهم ، لاتصيحون دخيل الله ، الشرطي يسمعنا وأخاف يسجل

علينا دعوة تهديد بالقتل . فقال أبو زكية بثقة واعتداد

- هذا الشرطي بعد مايجى ، دسيت بيده واشر (خمسين فلساً)

واذا جاء افصم خشمه بجمع واحد

وفجأة ظهر الشرطي على الباب ، فتاداه ابو زكية تفضل باش . انت

عزيز علينا

وفجأة دخل ذلك الشرطي ، وسال بتبرم

- ماهذا الصياح ؟

فقام له (أبو زكية) تحرير الكيلاني وقال له بتوسل

- باش العفو ، بعد ماتسمع نفس من عدنا . تفضل اشرب ويانه !

فاجابه الشرطي

- لا مايصير أنا بالواجب

- ابي واجب يامعوز

- شنو هالزحمة

- ماكو زحمة ياباش

- طيب أشربه وكافى

وأخذ الشرطي كأس العرق من يد أبي زكية وعبه دفعة واحدة واسدلت

الستارة .

وارتفعت الستارة في المشهد الثاني بعد استراحة نصف ساعة ، وفيه

يقتلون كلا من الاستاذ چويانيان والاستاذ جلال المزايي . فعبر المسرح

رجل مربع القامة ، اشيب الرأس وهو ينس أربعة أصابع من يده اليمنى في جيب ستورته ، فضج المشاهدون بالضحك ، فقد كان ذلك الرجل أحد تلامذة الكلية وهو يقد هيئة الاستاذ جويانيان وطريقة مشيه ، كان مثيلاً له بشكل عويناته ومشيته الخاصة وبشيب رأسه الذي أصطنع بمسحوق الطباشير . وجلس هذا الاستاذ (جويانيان) وراء منضدة تمثل العيادة الخارجية للأمراض الجلدية ، وهو اختصاص الاستاذ جويانيان . وطلب من الفراش ان ينادي على مريض قائلاً بلفته التي هي خليط من التركية والعربية والارمنية : - محمد انتي جيبي سخنة آخر وتقدم منه الفراش وهو يمسك بعضد مريضة ؛

فقال لها الاستاذ وهو يؤشر باصبعه على كرسي قريباً من منضدته - انتي (بره) اقعدى وعرضت عليه شكواها  
فسالها

- انت تحكين بين زوروى ؟

فاجابته بامتعاض

- دختور ، شنو هالجى الماصخ

وتعلم عباتها على رأسها وتغامر عيادة الدكتور جويانيان

وتنسدل ستارة المسرح ليظهر الاستاذ جلال المزاولي

(الطالب حميد البستاني) بطوله الفارع وشعره الاشيب وشاربه

المبتور وعوينتيه نواتي الاطار السميك ، فكان المكياج ناجحاً بامتياز .

ودخل شخص قصير القامة داكن السحنة ، فصاح الدكتور جلال

- وينك مهدي افندى ؟

فاجابه

- يمك عمى

ومهدي (افندى) هو المضمد الافضل في شعبة العيون التي يرأسها جلال

المزاولي .

- شنو عدنا اليوم ؟

- عملية ماء أبيض .

- شنو عملية ، أني أسال عن (ريوكى) ، كبة ابن جون لو تشريب ؟

ويلتفت الدكتور جلال الى طلاب العيادة الخارجية ويقول

- رحم الله جون ، لانه خلف ابن جون ، لو ما هو وين أولى لاكل الكبة ؟
- ويقول مهدي (أفندي) وهو يخاطب الدكتور جلال
- عسى لو تاكل بعد العملية أحسن
- فيجيبه الدكتور جلال
- هيچی تشوف ؟ زين مثل ماتكول .
- وانسلت ستارة المسرح .
- كان تقليد طلاب كلية الطب لاساتذتهم متقنا خيراً ومخبراً حتى ان
- الاستاذ روجرز لم يستطع ان يلتزم بزيونه وصار يضحك وهو يضرب بكفيه
- على فخذه .

### شيتا ويزن / ١٩٤٧

سافرت زوجتي ومعها اطفالي الثلاثة الى لبنان ، ولم يبق معي في بيتي التي اسكنها في الصليخ الا الخاتم (على) ليطهو لي طعامي ، ويهييء لي ما احتاجه لراحتي ، ومعنا أيضاً القردة (شيتا) والقطعة (بزن) . وهؤلاء القوات الثلاثة هم اعضاء اسرتي في الوقت الحاضر ، واني لاعدتهم ايضاً من اصدقائي ، اثنان منهم يشاركانني حجرتي التي انام فيها ، وينامان قرب سريري ، كما يتناولان طعامهما على مائدتي احياناً ، وليس لي صديق من بني الانسان حظي مني بمثل هذه العلاقة الوثيقة باستثناء زوجتي طبعاً ، على ان الزوجات لا يرين ان يكن من الاصدقاء ، والزوج في الحقيقة لا يعرف ماذا تريد زوجته اذا رفضت هذه الزوجة ان تكون لزوجها صديقاً . وانا اعد (على) وشيتا ويزن من اصدقائي المحبين المخلصين . وقد اطلق ابني الصغير اسم (بزن) على قطته ، وكان يوم خلع عليها هذا الاسم لا يحسن النطق ولا يعي معاني الاسماء وارتباطها بالمسميات . ونحن ، أنا ومن في بيتي مثل كل الناس نسمى القطة (بزونة) ، ويبدو ان الفهم اختلط على ولدي الصغير فسماها بزن لسهولة نطق هذا الاسم . ولیمیزها عن (البزازين) الآخر .

والقطعة بزن جميلة الوجه والتكوين ، وذات انف دقيق وفراء كثيف بلون

القبر ، وذيل منفوش منتصب كسوارى الاعلام ، وهي ايضاً بمشييتها  
 المحتشمة تجمع بين التواضع البشرى ويدائية الحيوان . ويزن اليوم أم في  
 النفاس لثلاث قطط صغيرة لاتزال مغمضة الميون ، وتحبو على بطونها  
 متمايلة وبلا اتزان . وكانت قد وضعت بزن ثلاث قطط قبل عام ، أكل هز  
 منها اثنتين ؛ وأكلت الأم طفلها الثالث !! وهذا الحادث مألوف بين  
 أخوانها من القطط ، ويعرفه كافة الخلق ، ولكنه ألمنا ان تاكل ( بزن )  
 الجميلة ، ذات العينين الخضراوين الحاملتين والطباع الوديمة ، التي  
 لاتعرفه العض والخرشة اصلاً ، ولاتاكل طعامها من اللحم إلا ما هشر منه  
 ولان .. وفي ماعون نظيف .. فلم تتوقع منها ان تاكل فلذة كبدها ولما  
 يعد الفطام . وكنا نظن ان الخلقة والخلق يتلازمان ، فلا يكون من جمال  
 الخلقة قبح في الخلق ، فاذا ابدع الله في صورة اودع فيها اسمى الخصال  
 واحمدها ، فلما وضعت بزن ( اطفالها ) في هذه المرة بدأنا نرقبها ، وقتلنا  
 لها حذار يا بزن ان تعيدي سيرتك الاولى فاننا نغفر مرة لا أكثر من مرة ،  
 فلما اغمضت بزن عينيها بهدوء عندنا ذلك منها طاعة وامتناناً ؛  
 أما القرية ( شيتا ) فهي من فصيلة جنسها الصفار . وهي ذكية ككل  
 القرية ، ويعجبني منها ان تتوسط على طرف فراشها وتغطي جسمها  
 بالطرف الآخر ، ثم تخرج وجهها تتطلع متفرجة علي كما يتطلع الانسان  
 من بين القضبان الى القرية الحبيسة في أقفاص حدائق الحيوان . وفي يوم  
 دخلت بيتنا قطعة غريبة ، وكانت هزيلة ذات فراء قصير أغبر وجذع نحيف  
 طويل معوج يتلوى حين تمشي كما يتحرك الديدان الجائعة ، ولها وجه  
 يذقن مدبب ، وذيل رقيق تسحله وراعاها وكأنه قد ربط اليها ربطاً . فلما  
 رأيناها أول مرة نهرناها باشمئزاز غيرانها استمرت تنور حول البيت حتى  
 وصلت الى شيتا ، ونشأت بين الاثنين صداقة اشبه بالمحبة التي تكون بين  
 الادميين . واستغربنا ان تميل شيتا الى هذه القطعة القبيحة ، الشريفة ،  
 الدخيلة التي لايعرف أصلها ومنشؤها ، بينما في البيت قطعة أخرى آية في  
 الجمال والكمال ، ولكن يبدو ان هذه المسألة ليس لها قاعدة ، وان الجمال  
 قبح في عين ، والقبح جمال في عين أخرى . وقد تكون ( شيتا ) قد لمست  
 في هذه القطعة الغريبة ما لم تلمسه في قطتنا بزن . فصارت شيتا تحفظ لها  
 الطعام وتلعب معها وتغلى قراءها وتقبل وجهها وعينيها وفمها وكل  
 موضع من جسدها .

أما خادمي (علي) فهو طويل القامة معروق العود ذاكن البشرة ، ونو رقة رقيقة طويلة . وهو يخدمني باخلاص ، ويفسل ملابسي ويكويها باعتناء وحرص .

وهو أيضاً الى جانب هذه الاعمال تلميذ في مدرسة ليلية ، ولكنه صار مكملًا في موضوع الحساب الذي كان يدعى انه يعرفه بسيطرة ، ورأيت من اللياقة ان أعزيه ، فابديت له اسفى على نتيجة امتحانه ، إلا ان عليا رفض هذ المجاملة واكد لي ان اجوبته كانت صحيحة وكاملة ، ولكنه على ما يدعي ليس له حظ ، فقلت له مواسياً ان الحظ في بيتي لايعتر مرتين ، وسوف تنجح في امتحان المكملين ، غير انه عاد فقال : ليس لي واسطة ! ولما سكنت ولم اعلق على ما قال قال هو مقسماً انه اذا لم ينجح في امتحان الاكمال فسوف ينتحر . فأخافنى هذا التهديد ، وشعرت انه قد هدد بقتلى ، لانني اعرف ان علياً على طبيته ليس متزناً أو على الاصح ليس عاقلاً تماماً ، وعندى على ذلك ابلة كثرة ، فقد رأيت مرة يلبس برنيطة (تحفية كما يسميها) ليلاً وداخل البيت فلم التفت الى هذا التصرف الغريب في بادى الامر ، ولكنى انتهت الى غرابته بامعان حين رأيت انه اذا خرج الى الحديقة يرفعها عن رأسه ويضعها على حافة نافذة المطبخ ليعمل ما يريد تحت الشمس الحارة فاذا انتهى من عمله عاد الى برنيطته ووضعها على رأسه قبل ان يلج الدار . كما اني سمعته اكثر من مرة يكلم بزن معاتباً او محابياً ، ويرد على نفسه بلهجة ليست مثل كلام الانسان ولا مثل مواء القطط ، فيقوم بدور نفسه وبور القططة في آن واحد ، افليس لي انن ان اشك في صحة عقل علي وأخاف منه ان ينفذ قراره فيقتل نفسه منتحراً او يقتلني غاضباً ، ولهذا رأيت ان اشجعه على الدرس ، ومن

يومها لم اطلب منه خدمة تلهيه طويلاً عن مراجعة كتبه ولما دخل امتحان المكملين شعرت كانني على شفا هاوية اذا مافشل في امتحانه . ورسب علي للمرة الثانية لسوء حظي ، وقد عرفت بهذه النتيجة قبل اعلانها ، فلما عدت الى البيت وقت الظهر استقبلني علي لدى الباب وكنت في تلك اللحظات افكر في طريقة انقل بها هذا الخبر السيء . وفاجأتني

علي يسأل :

- تعرف ؟

فقلت على عجل وبلا تحضير

- اعرف ماذا ؟

فاجابني ببرود وهو يميل البرنيطة الى جانب رأسه

- لقد رسبت في الامتحان :

ولما سكنت معتمداً على ما تظاهرت به من الاسف على هذا الخبر .

سألني

- كيف تقول ان الحظ لا يعثر في بيتك مرتين ؟

فاجبته

- كان حظي أنا هو الذي عثر في هذه المرة

وقطع الكلام معي ، وسكت أنا ايضاً . ورأيت أنه وانا اتناول غذائي يلبس

ملابسه كلها ، فيرتدي بنطلونا فوق بنطلون وثوباً فوق ثوب ، ويظهر أمامي

والبرنيطة على رأسه كبالون دعاية لاطارات مشلن ، قال

- انتي ذاهب

- الي أين يا على

- الى بيت اختي

ولما أيقنت أنه ابدل قراره الاول المخيف واكتفى بمفارقة بيتي فقط ،

قلت له بلهجة المتأسف

- لك ماتريد يا على ، وانت على حق فموضوعك يتطلب حظاً

فقال لي على الفور

- وواسطة ايضاً

ولم اعارضه فقلت

- وواسطة ايضاً

ورأيت أنه يغادر البيت وهو يرفع برنيطته عن رأسه كما اعتاد ان يفعل

ذلك في كل مرة حين يغادر داري

وهكذا انتهت حياتي مع علي ، واني لجد أسف على فراقه ، فقد كان

أميداً مؤنساً هيا لي جواً هادئاً مريحاً في بيتي طالما كنت اتمناه ، فلم اكن

اختلف في شيء معه ، ولا هو اختلف معي في شيء وأنا بطبيعتي اهوى

الهدوء واكره الجلبة ، والشكليات التي تتكرر بون معني في الكلام . و

(علي) على كثرة عمله قليل الصخب والحركة ، وأؤكد أنني لا اذكر بوضوح

نغمة كلامه بشكل واضح . أما بزن فلا أحس بوجودها إلا لبضع لحظات حين ادخل البيت فتفزع الى لتتمشح بذيل سراويلي وحذائي ، ولا اسمع شيئاً إلا حين انابها فتجيبني كما ترد العروس على زوجها حين ياخذها النعاس . ثم ان العيش مع شيئاً ويزن يضطرنني راضياً ان اتجرد من قيود مصطنعة ليست انسانية ولا طبيعية فانا العبد مع هذين الصديقين تماماً كما يلعب ابني الصغير معهما أو مع اترابه من الاطفال الصغار .

### اعلى اجر عن عملية . في حياتي / ١٩٤٨

طلبني وكيل سيارات فورد (ابراهيم عدس) لتخص سيدة في بيتها ، اسمها (كرز) وهي مثله يهودية وكلاهما في الاصل من لبنان ، ولم اكن أعرف أية علاقة بين الاثنين سوى ان كليهما جاران في المحلة ، وكانت في نهاية الثلاثينات من عمرها ومتزوجة ولها من الاولاد بنت واحدة . أما ابراهيم عدس فكان ارملاً في نحو منتصف الاربعينيات من العمر . وجدت المريضة مصابة بوزم حوضي فنقلتها الى مستشفى العلمين حيث كنت أحد الاطباء الذين يشتغلون فيه . وكانت تجارة ابراهيم عدس باستيراد سيارات فورد رائجة ، وقد تكون أكثر السيارات استعمالاً في العراق بين العامة والخاصة . وكان ذا حظوة لدى المسؤولين الكبار في الدولة بسبب كرمه وتساهله حين يشترون منه السيارات . كما كانت له طريقة ذكية في الدعاية لسياراته ، فيبيع السيارة لوزير أو مدير عام ثم يسترجعها منهم بعد عام واحد ليمطليهم سيارة أخرى جديدة . ويبيع التي استرجعها منهم الى أصحاب سيارات الأجرة بعد ان يتأكد من حسابه انه يربح من هذه العملية دعاية لسياراته التي تبقى في نظر الناس مفضلة عند كبار الدولة على غيرها من انواع السيارات الأخرى ، فضلاً عن أرباحه من بيع السيارات التي يسترجعها منهم ، بالاقساط .

كانت العملية التي أجريتها للسيدة (كرز) سهلة ولم يستغرق انجازها أكثر مما تستغرقه مثيلاتها من العمليات . وغابت صالة العمليات بعد ان اعطيت توصياتي عنها لرئيسة الممرضات رينة اسحاق . ثم نقلت المريضة الى غرفة خاصة كانت قد اعدتها رينة باهتمام وعناية . وفيما أنا اتوجه لاستقل سيارتي الى عيادتي سمعت ابراهيم عدس يقول لي :

- الى اين ياكطور سامرائي ؟
- فاجبته ببساطة
- الى عيادتي طبعاً .
- فقال لي بتقة
- لا ياكطور ، تبقى هذه الليلة في المستشفى
- فقلت له
- لاضرورة لذلك ياسيد عدس
- فقال لي باعتداد
- ولكني أنا أريد ذلك ، ولو لم يكن له ضرورة ، غير انه يدخل العلماتينة الى قلبي .
- فقلت له
- ساعود بعد عيادتي لاراها
- أرجوك ، وأنا ادفع لك اضعاف ماتحصل عليه في اليوم
- ليس الامر بهذا الشكل كما تتصور ياسيد عدس
- وكانت رينة قد رأتنا نتكلم فيما بيننا متقدمت منا تريد ان تقدمه ليرضى
- عن مفادرة المستشفى ، ورينة ليقة وساحرة حين تقصد الاقناع ، غير ان
- السيد عدس لم يقتنع ، وظل يلح على بقبول طلبه حتى صار يتوسل الي
- بخضوع واسترضاء .
- وأخيراً لم أجد بداً من العمل بطلبه . ونمت تلك الليلة في احدى الغرف
- الشاغرة بالمستشفى . أما ابراهيم عدس ففضل ان يبقى الى جانب سرير
- المريضة وهو مضطجع على كرسي وبعد نحو نصف ساعة ، دخل ابراهيم
- عدس الى غرفتي وهو يقول لي بهلع
- دكتور ، (كرز) تتحرك وبدأت تقنف !
- اليس الى جانبها رينة ؟
- نعم هي الى جانبها
- إذن لاتخف
- وتبعته الى غرفة المريضة ، ولم يكن فيها ما هو غير اعتيادي بعيد مثل
- هذه العملية ، فقلت له
- كل شيء اعتيادي ، والممرضة رينة تعرف متى تطلبني اليها .
- ونمت تلك الليلة ولم تطلبني رينة لارى المريضة . وزرت المريضة في



الصباح الباكر ، وكانت تغط في نوم عميق ، وإلى جانبها السيد عدس بكامل ثيابه كما كان ساعة العملية ، والوسن يثقل جفنيه إلا أنه لم يمنع إبتسامة الفرح من أن تطفح على وجهه .  
- دكتور سامرائي ، عاشت أيديك

وفي اليوم الرابع بعد العملية أجزت المريضة ان تغادر المستشفى . فتقدم مني والتصق بجابني وبنس في جيبي مظلوما وهو يقول - تستاهل أكثر ، وأنا حاضر لكل خدمة ، واعتدت ان اعرف مقدما ان في المظروف مكافأة لي ، وحين صرت في سيارتي فتحت المظروف فاذا فيه نضدا من الدنانير ، وعدتها فاذا هي خمسمائة دينار !! ولم اكن اتقاضى يومئذ أجراً عن مثل هذه العملية أكثر من سبعين ديناراً .

بعد شهر تقريباً ، رأيت السيد عدس في مكتب الدكتور ماكس كروباخ بمستشفى العلمين وهو يشكو الى الدكتور ماكس من ان السكارة تحرق اطراف أصابعه فلا يحس بالم نارها ، وكان السيد عدس يدخن السكاير دون انقطاع . وبعد ثلاثة اشهر تقريباً سمعت ان السيد عدس قد حجز في داره ومنع الناس من الاتصال به لاصابته بالجذام ، وكان جزع كرز وراشيل ابنة السيد عدس من زوجته المتوفاة شديداً لا وصف له ، وبعد أيام سمعت ان السيد عدس قد وجد ذات صباح قتيلاً في فراشه بسكين أخذها الجاني من مطبخ بيته ، ولم تجد الشرطة شيئاً مسروقاً من بيته سوى دفتر الصكوك الصابر من البنك العثماني ، وهي غير موقعة . والقي القبض على خادمه الوحيد ( ازيق ) ولم تثبت عليه التهمة لانه كان في تلك الليلة قد سافر الى أهله في العمارة . وفي ذلك الشهر نفسه أعدم أخوه شفيق عدس في البصرة لتورطه مع اسرائيل . وكان شفيق عدس شقيق ابراهيم عدس ووكيله في البصرة كما كان يتاجر بقطع غيار السيارات بجميع انواعها . في شهر واحد زال من الوجود الاخوان شفيق عدس وابراهيم عدس ولا اعرف أحداً تألم لوفاتهما ، وقد يكون فرح له بعض من قاسى من جشع ابراهيم عدس في ابتزاز أموال الناس بشتى الطرق غير المشروعة .

### عضو في مجلس العمادة وموقف من مواقفنا الادارية ١٩٤٩

كنت اول من تخرج في كلية الطب ووصل الى مرتبة الاستاذية . وفي وزارة نوري السعيد أصدر وزير الشؤون الاجتماعية بهاء الدين نوري أمراً ينص

على تسمية اعضاء مجلس العمادة برئاسة عميد الكلية الاستاذ هاشم الوتري وعضوية كل من مدير الصحة العام الدكتور حميد الطوخي ، ومدير المستشفئ الملكي عبد الرحمن الجوريه جى وممثل الدروس الاساسية الدكتور منظر وعميد كلية الصيدلة يحيى الصافي ورئيس قسم النسائيات الدكتور كمال السامرائي . وقد تهييت هذا التعيين لكوني أصغر أعضاء هذا المجلس ولانني أجهل اكثر القوانين والانظمة التي صدرت بحق بوائر ومدارس العمادة ، غير انني سرعان ماالفت ضروب أعمال هذا المجلس والتصرف بالامور الى تحال اليه . وجلب نظري مبكراً ان مقررات هذا المجلس لاتصبح نافذة المفعول إلا بعد موافقة وزير الشؤون الاجتماعية عليها ، بالرغم من ان اكثر هذه المقررات علمية ، فلا مسوغ للوزير ان لايصاق عليها إلا اذا أشار اليه مدير الصحة العام بالاعتراض عليها ، وصار معلوماً ان مايعترض عليه الوزير هو آت من دائرة مدير الصحة العام . ولم يفت علاج هذه الحالة على عميد كلية الطب الدكتور هاشم الوتري فسعى الى ترسيخ صداقة بينه وبين مدير الصحة العام الدكتور الطوخي .

كما لم يكن بين الوزير وعميد الكلية الطبية تحابب وتغاهم لاسباب شخصية في ماضى حياتهما كان لا يخفيها الدكتور الوتري أحياناً في القمص المناسبة بين اصدقائه المقربين اليه ، وقد عرفت قسماً منها من الدكتور الوتري نفسه . وفي هذه الظروف كان يفكر الوتري بتشكيلة تضم بوائر العمادة بما فيها كلية الصيدلة ومدرسة طب الاسنان ومدرسة الممرضات ومدرسة الموظفين الصحيين .. يطلق عليها اسم (بيت الحكمة) تيمناً ببيت الحكمة الذي انشاء هارون الرشيد العباسي ، ببغداد ويكون من نظامها سلطة مطلقة لمجلس العمادة في تصريف الشؤون العلمية . غير ان فكرة الدكتور الوتري هذا لم تتحقق إلا في الاشهر الاخيرة التي سبقت ثورة ١٩٥٨ . وبالرغم من ان وزارة الشؤون الاجتماعية كانت لها السلطة العليا في ابرام أو نقض مقررات الكلية الطبية غير ان مجلس العمادة لايتريد ان يؤكد على ضرورة تطبيق نظام الكلية ومقررات مجلسها مع علمه مقدماً باعتراض الوزير على بعضها .

وفي وزارة نوري السعيد العاشرة سنة ١٩٤٨ طلب رئيس الوزراء من وزير الشؤون الاجتماعية بهاء الدين نوري ان يقبل الطالب (كمال بطي)

نجل روفائيل بطى صاحب جريدة البلاد ، الى كلية الطب ، وكان يومها قد انتهى موعد قبول الطلاب الى هذه الكلية . وكان عميد الكلية الدكتور هاشم الوترى موفداً الى سويسراً فأناب عنه في رئاسة مجلس العمادة الاستاذ ملز ، فعرض هذا كتاب الوزارة في جلسة استثنائية على مجلس الكلية ، فرفض المجلس قبول الطالب كمال بطى استناداً الى نظام الكلية الذي ينص على عدم قبول الطلبات للالتحاق بصفوف الكلية بعد اليوم العاشر من بداية التدريس في كلية الطب ، بينما كان طلب الوزير قد وصل الى الكلية بعد خمسة عشر يوماً من بداية الدراسة فيها . فطلب وزير الشؤون الاجتماعية الاجتماع باعضاء مجلس الكلية في دائرة العمادة . وحين حضر الوزير كان نكياً في هذه اللعبة ، فافتتح حديثه مع اعضاء مجلس العمادة بقوله

- انني الان اجتمع باعضاء مجلس العمادة بصفاتهم الشخصية لا بصفاتهم اعضاء في مجلس عمادة الكلية . واستطرد يثني على مواقف ابي الطالب كمال بطى من الاعمال الصحفية واسناده لمواقفه الوطنية والعربية ، وانتهى بحديثه الى ان طلبه بقبول الطالب كمال بطى هو في الحقيقة برجاء من رئيس الوزراء توري السعيد . ونهض ليفاير الدائرة وهو يقول

- ان القرار الاخير لكم وارجو ان تتخفوه بما يحقق قبول الطالب كمال بطى ، وانا اترقب وصول قراركم الي تلفونيا .

وتشاء الصدفة ان تصل برقية من عميد الكلية الاصيل هاشم الوترى بعد مغادرة الوزير مباشرة تفيد وصوله الى بغداد مساء ذلك اليوم بالذات ، فارتاح اعضاء مجلس الكلية والدكتور ملز بشكل خاص لهذا الخبر . وفي اليوم التالي انعقد مجلس العمادة استثنائياً برئاسة الدكتور هاشم الوترى للنظر في طلب الوزير قبول الطالب كمال بطى فقرر اعضاء المجلس بالاجماع التمسك بقراره الاول تطبيقاً لنظام الكلية المعمول به منذ تاسيسها وحتى وصول امر الوزير . ولا شك ان هذا القرار قد اغاظ وزير الشؤون الاجتماعية ، فسخط على عميد الكلية واعضاء مجلسها عموماً .

وحدث بعد نحو شهرين ان اقام الزعيم عبيد عبد الله المضايقي رئيس اللجنة الاولمبية الرياضية حفلة في بهو الامانة باسم لجنة (صيد ابن آوى) ، وكنت واحداً ممن كان في هذه الحفلة . وبعد ان استقر المدعوون

حول مناظرتهم بخل رئيس الوزراء نوري السعيد ، وكان طريقه الى صدر البهو محاذياً للمتضدة التي كنت أنا والدكتور هاشم الوتري والدكتور اسماعيل ناجي والدكتور مهدي فوزي نحيط بها . ولما اجتاز نوري السعيد منضدتنا ببضع خطوات استدار فجأة نحونا ، واتجه نحو هاشم الوتري ، فقمنا له جميعاً ، فوضع نوري السعيد يمينه على كتف الوتري وهو يقول بمرح لا يخلو من الجد .

~ استريح يادكتور ، انا ما اعرف انت اكبر مني (لو) أنا اكبر منك ؟ فلنقل أنا وانت بعمر واحد أو متقاربين في العمر ، (واضاف) هذا غير مهم ، والعمر بالعلم لا بالكبر . وأنا جئت اليك لاقول لك أنا ارتحت لصمودك تجاه وزير الشؤون الاجتماعية ، فاثبتت انك (رجل) ، وياليت ان يكون في نواترنا من يدافع عن مصالح دائرته كما فعلت أنت حين رفضت قبول الطالب كمال بطي فمن يعارض نوري السعيد رجل اهنتك يادكتور هاشم . واستدار نوري السعيد واستمر يخطو الى مكانه في صدر القاعة .

### ناظم ونظيمة / ١٩٤٥

في صباح يوم الجمعة بتاريخ ١٢/٦/١٩٤٥ استدعتني ممرضة يهودية كنت عرفها في مستشفى ميرالياس لفحص ابنتها المريضة في دارها. وهذه الممرضة أرملة تعيش على راتبها من المستشفى كما تعمل ليلاً بخياطة الملابس الشعبية . وكانت تسكن في بيت قريب جداً من دائرة التحقيقات الجنائية الواقعة خلف (اورزدى باك) بشارع النهر . ودخلت فناء البيت فاذا هو جد صغير ومن نوعية رديئة البناء وعليه كل علامات القمم والاهمال ، ولما صرت في داخله بدا لصغر فئاته وكأنه بئر وأنا في قاعه . وعلى الجانب الايمن منه (نيم سرداب) لمحت فيه وأنا أعبر وراء تلك الممرضة في اتجاه سلم ضيق يصل الى الطابق الاعلى من البيت رأيت في النيم سرداب شاباً في نحو العشرين من عمره منهمكاً في ربط نطاقه على محزم سرواله ، فلما رأيته اصابه الارتباك فاولانى ظهره . وقادتني الممرضة الى مخدع ابنتها المريضة ، وهي حجرة صغيرة بنافذة صغيرة تطل على فناء البيت بما فيه (النيم سرداب) الذي يقابلها من تحت ، ومن هذه

النافذة رأيت عفويًا ذلك الشاب وقد أكمل ارتداء سرواله ، فرفع رأسه يتطلع إلى باهتمام وقلق كانت المريضة صبية في نهاية عقدها الثاني من العمر ، نحيفة القوام ، شاحبة السحنة ، تستلقي على سرير منخفض . وسألته . ما اسمك يا حلوة ؟ وهو سؤال لا بد منه كمفتاح للحديث مع المريضة فاشاحت بوجهها غني وشرعت تبكي بصوت خافت ، ولم تجبني فتدخلت أمها فيما بين ابنتها وبينني

وقالت تجيب عنها

- اسمها نظيمة

- انت أمها ؟

- نعم أنا أمها

وعدت أسأل الصبية عن شكواها فارتفع رنشح نحيبها ، ولم تجبني ، فقالت أمها

- هي تنزف منذ يومين ، وقد ازداد النزف في صباح هذا اليوم ، وكذلك اشتدت أوجاع بطنها .

وبلمسة سريعة وخفيفة على بطنها السفلى المنتفخة ، عرفت كل ما بها ، وظننت أن ذلك الشاب الذي رأيته في النيم سرداب زوجها ، فسألت أمها

- متزوجة ؟

- فأجابتنني

- لا غير متزوجة

- ومن ذلك الشاب الذي رأيته في النيم سرداب ؟

- أخوها ناظم

وفاتني أن أعرف ذلك قبل أن أسألها ، لما بينهما من التشابه . وفحصت الصبية ، صدرها ناهد بما فيه من اللبن ، والحلمتان داكنتان ، وبطن منتفخة ، ونزف رحمي جعلني لا أتريد أن اعتقد أنها حامل ، وأنها في حالة تهديد بالانقطاع ، فاردت أن أتأكد من ذلك ، فقد يكون ثمة سبب آخر لشكواها غير الحبل كورم ليفي في الرحم مثلاً ، فطلبت من أمها أن تغادر الحجرة . وفاجأت الصبية أسألها .

- هل انت مخطوبة ؟ ، فنفت ذلك .

ثم سألتها :

- هل لك علاقة بشاب ؟

فتلكات وغطت وجهها براحتي يديها ، وعادت تبكي من جديد ، فكان هذا آخر دليل قاطع على انها حامل

- اسمعيني يا نظيمة ، يجب ان انقلك الى المستشفى لتوقيف النزف الدموي ، ولن أتيح مجالاً لاحد ان يعرف حقيقة مصابك ، فوثبت عن مخدعها وتناولت يدي على عجل وقبلتها واحتفظت بها الى صدرها وهي تتوسل

- أبدالك<sup>(١)</sup> ما أريد أُمي تعرف

وفي سرى قلت وكيف لا تعرف وهي ممرضة ولها خبرة بمثل هذه الحالات المرضية والام تعرف عن ابنتها مالا يعرفه غيرها .

وطلمت على أمها التي كانت تنتظرني على مدخل الحجرة من خارجها ، وكان وجهها كالحأ ومعاله ذات معنى غير مريح ، يستدعي العطف وأخبرتها بما اقترحته على ابنتها ، فسهمت قليلاً ، ثم سألتني - عملية كرتاج ؟

ولم تنتظر مني جواباً ، بل لطمت وجهها براحتي يديها بقوة . ولما انحدرنا على درجات السلم الى فناء البيت كان ذلك الشاب يتهاى لمفادرتة ، فعاجلته أمه وقبضت على قميصه من بئر وصارت تلطمه بغضب جنوني وهي تقول له

- وقع (مزالك)<sup>(٢)</sup> الحيوانات ماتعمله ، وفهمت من ذلك كل شيء قبل ان اغادر ذلك البيت .

### علاقتي بالسيد صالح جبر/ ٨ حزيران ١٩٤٧

طلبت مني الانسة فيوليت أخت الدكتور كرجي ربيع موعداً لفحص السيدة فضيلة زوجة السيد صالح جبر ، وكان الدكتور كرجي طبيب صالح جبر وزوجته فضيلة ، ومن هنا كانت علاقة فيوليت بزوجة رئيس الوزراء

(١) ابدالك كلمة بلهجة اليهود العراقيين معناها نفسي هداء لك

(٢) وقع مزالك عبارة باللهجة نفسها معناها يشبه معنى العبارة العامية (طاح حظك) .

صالح جبر . والسيدة فضيلة في العقد الرابع من عمرها . وهي نكية ونشطة ، وقد سافرت ذات سنة الى لندن وبصحبتها فيوليت ، وعادت الى بغداد بعد ثلاثة أشهر وهي تفهم ماتسمعه بالانكليزية واستهوتها هذه اللغة وشرعت تتعلمها على (فيوليت) حتى صارت تعبر بها عما تريد بنطق يكاد يكون سليماً ، ولا يعوزه إلا اللهجة الانكليزية . وفضيلة بنت عداى الجريان ، أحد شيوخ عشية البوسلطان بلواء الحلة . وكان صالح جبر يوم زواجه منها أرملًا ، وله ولدواحد اسمه سعد من زوجته الاولى التي توفيت قبل سنين . وهو ممتلئ الجسم بقصر ، وقد درس القانون في كلية الحقوق في سنيها الاولى ، كما يجيد اللغة الانكليزية ويقال انه تعلمها في صباه يوم كان بخدمة الانكليز حين كانوا في الفرات الاوسط . وتأخر حمل زوجته فضيلة ، فسافرت مع زوجها الى لندن لتستشير أحد الاختصاصين فيها ، وعادت بعد شهرين الى بغداد بياس من أمها ، ثم شمرت فجأة انها حامل ، وثبت لي بالفحوص السريرية والمختبرية انها حامل فعلاً ، فكانت فرحتها بالحبل عظيمة . ومرت حملها طبيعياً بون شكوى حتى يوم المخاض بتمام الشهر التاسع من حملها ، وتوليت أمرها بخيفة حسبت له عوامل جعلتني ارى ان تكون ولادتها بالعملية القيصرية ، فاتصلت بزوجها السيد صالح جبر تلفونياً ، وكان يومئذ رئيساً لمجلس الوزراء ، وبدأت أشرح رأيي في حالة زوجته فضيلة ، فقاطعني بادب ولين يقول .

- هل لك ان تشرفني في بيتي يادكتور لنتكلم في موضوعها ، وسأرسل لك سيارتي لتحملك ، الى ، فقد لاتجد بيتي بسهولة .  
ونقلتني سيارة صالح جبر عبر طرقات في منطقة الصالحية القريبة من محطة الاذاعة بالكرخ . كان بيته متواضعاً ولصيقاً ببيت جاره من الجهة اليمنى ، وحين دخلت صالون البيت كان صالح جبر منهمكاً بالتحدث الى جلسيين هما السيد جواد جعفر ، وشخص آخر اكبر منه عمراً يعتمر سداً على رأسه الحليق . وقطع صالح جبر حديثه مع جلسيه حين رآني أدخل صالونه ، ونهض ليتقدم مني ، وهو يرحب بي بتواضع لا يخلو من الوقار . وسألني وهو يقدمني الى ضيفيه .  
- تعرف ابا جعفر (يقصد جواد جعفر) ؟  
فاجبت

- أبو جعفر صديقي  
وانا أعرف هذا الصديق عن طريق زوجته السيدة رحبية ، وهي أحد  
مريضاتي في حملين متعاقبين .  
وسألني صالح جبر عن ضيفه الثاني .  
- تعرف حاجي رضا ؟

ولم اكن اعرف يومئذ هذا الشخص فمدت يدي لاصافحه فتقدم مني  
فاذا هو أقصر قامة مما بدا لهم وهو جالس على كرسيه الوثير . وسدارته  
تلحدر حتى تمس صواني أذنيه . وعلى انفه عوينات بزجاجات سميقة  
واطار معدني دقيق لماع ، وقال لي بلهجة ملائية  
- تشرفنا بامولانا

وبخل صالح جبر بيننا وقال لضيفه  
- تسمعون لي بضع دقائق مع الدكتور كمال  
وقادني وهو يمسك بمعصم يميني الى حجرة تنفذ من الصالون . وفي  
هذه الحجرة صرت اشرح الاسباب التي تدعوني الى التفكير بتوليد السيدة  
زوجته بالعملية القيصرية . وكنت صريحا بذكر هذه الاسباب فذكرت له ارتفاع  
ضغطها الدموي وكونها لم تحمل الا بعد سنين من زواجها ، وحملها ، هو البكر ،  
وعمرها الذي يقرب من الاربعين .

وهنا قاطعني صالح جبر يقول  
- لا ياكنتور هي في الاربعين ، أو اكثر . وعدت أقول  
- وهي حريصة على الحصول على هذا الطفل  
فقال صالح جبر  
- وانا أيضاً حريص عليه

ثم سألني  
- هل في هذه العملية خطورة على حياة الام ؟  
فاجبته باختصار

- خطورتها كخطورة اي عملية فتح بطن تقريباً .  
ثم سألني وهو يبتسم بمعنى ضمنى  
- هل حدثت وفاة بيبك في مثل هذه العملية ؟  
فاجبته بصلى وصراحة .

كلا بالتأكيد ، ولكن هذا لايعنى انني أنفى احتمال الخطورة في هذه  
العملية ..



ويبدو انه توجس حينئذ خيفة من هذه العملية ، فسألني  
- واذا تركناها تلد بلا عملية ؟

فاجبته

- قد تلد طبيعياً

وسألني ايضاً

- والجنين ؟

- قد يولد حياً

فقال

- وقد لا يولد حياً

فقلت له

- نعم وقد لا يولد حياً

وسألني

- ولماذا لا يولد حياً ؟ احتمالاً

فقلت له

- لانني لا أعرف كم سيطول الطلق ، وعمرها وضغط دمها عاملان آخران

يسيرا في صالحنا

وفجأة قال السيد جبر يسألني وكأنه قد تذكر شيئاً مهما

- وماذا عن عملية السحب

وفهمت انه يقصد عملية الملقط فقلت له

- هذه العملية لاتطبق إلا بعد ان ينفتح عنق الرحم كلياً ، وهذا لا يحدث

إلا بعد استئطالة الطلق ، وهو مايقودنا الى احتمال فقدان الطفل ولم أكمل

هذه العبارة الاخيرة حتى قال لي

- دكتور كمال ، أنا اثق بك واعتمد عليك فاعمل على بركة الله ماتراه

مناسباً .

وانهيت اجراء العملية ، وكان الوليد ذكراً ، وهو ابن فضيلة الوحيد وقد

سماه أبوه أحمد .

ولم يزر صالح جبر زوجته في المستشفى ، إلا انه كان يتصل بها تلفوذاً

في صباح كل يوم ، كما اتصل بي مرة بعد انتهائي من العملية ومرة أخرى

عند خروجها من المستشفى . وفي المرتين يطرييني بالثناء على خدمتي

لزوجته .

وفي اليوم العاشر بعد الولادة طلبتني السيدة فضيلة الى بيتها لارى جرح العملية ، فلم أجد ما يحتاج اليه من علاج ، وعندما ودعتني على عتبة دارها كانت قد وصلت سيارة زوجها توأ وكان في داخلها صالح جبر فتقدمت منه لاصافحه فامسك بيدي وهو يقول  
- لا ياككتور ، هذا وقت تناول الغداء ، وعليك الحشم اذا لم تشاركني في تناوله

والتفت نحو سيارتي وسألني

- هذه سيارتك ؟

فاجبت

- نعم ، هي سيارتي

- انكليزية على ما يبدو .. اسمها ؟

- نعم انكليزية ونوعها (ستاندارد) وهي صغيرة جداً ، وذات بابين لا اربعة أبواب وقديمة . فقال

- انت ياككتور تحتاج سيارة تريحك

وكنت على علم بان في كراج (شركة لاوى) للسيارات الامريكية سيارتان احدهما من نوع (بيوك) مسجلة باسم الزعيم غازي الداغستاني ، والثانية من نوع شفروليت لاتزال تنتظر أمر رئيس الوزراء ليأخذها صاحب الحظ الكبير ، وكانت السيارات الجديدة قد توقف استيرادها الى العراق ، فوصلت اسعارها الى أرقام خيالية . فقلت للسيد صالح جبر

- في كراج شركة لاوى للسيارات الامريكية سيارة شفروليت لم تسجل باسم أحد بعد ، ولاتباع الا بترخيص منكم .

فاجابني وهو يبتسم

- هذه السيارة لك ان شاركتني الان في تناول الغداء ، وكان الطعام شهياً على مائدة رئيس الوزراء ، كما تسلمت في اليوم التالي السيارة التي كانت اكبر من ان تدخل في احلامي .

## حالة نزف مهبلي غريبة / ١٩٤٧

المريضة فتاة في نحو السادسة عشرة ، ذات ملامح قروية ، قدمت مع أهلها من العمارة الى بغداد لتخدم في احد البيوت الميسورة الحال وتزوجت من شاب يقربها فاصييت بنزف مهبلي لم يكن غزيراً ولكنه مستمر لا ينقطع ، فاحالها مستوصف بغداد الجديدة الى الردهة النسائية بالمستشفى الملكي . على وجه هذه الفتاة علامات الزواج الحديث من اصباغ متنافرة على وجهها ، وكانت مضطربة ، وأما لاتنكك تولول : ياريتني مازوجتك يابنتي . وسمعت بلسان هذه الصبية ماحدت ليلة الزفاف ومنه الدم الذي انحدر أثناء العلاقة الزوجية ، وتوقعت ان يكون مصدر الدم من تمزقات في غشاء البكارة وهذا ليس قليل الحدوث في ليلة الدخول (ليلة الزواج) ، بيد أنني لم أر في غشاء البكارة او قريباً منها مصدراً للنزف ، بل رأيت الدم ينحدر من اعالي المهبل . ولم أستطع فحص عمق المهبل كما يجب لما كانت عليه هذه المريضة من خوف ، فامرت بتخديرها بمزيج من الكلوروفورم والاثيرفتبين لي ان الدم ينحدر من الرواق الايسر وليس من اي مكان آخر في المهبل ، وبعد تحريم يطل ، اكتشفت وجود تمزق بطول اكثر من انج في قمة ذلك الرواق . وخطت التمزق فتوقف النزف في الحال . ولاني لم أر مثل هذه الحالة المرضية قبلاً عندتها نادرة بالنسبة لي واخبرت عنها الاستاذ روجرز كحالة غريبة فانصت الى وهو يصفر وطلب مني ان أطلع على حالة مماثلة . وبعد نحو شهر أو اكثر قليلاً اتصلت تلفونياً بالاستاذ روجرز وانبأته عن حالة نزف مهبلي يحتفل ان يكون مصدره من اعماق المهبل ، فجاءني الى ردهة النسائيات على عجل ، وكانت المريضة صغيرة العمر ايضاً ، وفلاحية الهيئة ، وقد ظهر النزف عندها ليلة الزفاف الذي حدث في الليلة السابقة . وخذرنا المريضة وتأكدنا سوية من مكان الإصابة ، واراد روجرز ان يرى زوجها ، وكان هذا شاباً ذاكن السحنة مفتول العضل وطلب منه روجرز ان يرى (عضوه) فاستقرب الشاب من طلبه وامتنع في البداية ثم رفع بشداشته وكشف عنه بعد الحاج روجرز على طلبه . . . . . وحين رأى روجرز عضوه صفر متعجباً من طول وحجمه ، وهو يقول

- لا غرابة منه ان يمزق المهبل اذا انتصب .

لقد شاهدت حتى نهاية العقد الخامس نحو أربع حالات مرضية من هذا النوع ، وصار لي مبدأ أن الفحص كل حالة نؤف من غشاء البكارة وأن لا أهمل فحص جدران المهبل اذا مارأيت الدم ينحدر من مكان أعلى في المهبل ، ومنذ نهاية الخمسينات لم أر للفرابة حالة مماثلة أخرى

### دعوة في بيت مولود مخلص / ١٩٤٧

في اليوم العاشر من شهر تموز وأنا يومئذ في مستهل حياتي الطبية دعاني استاذي الدكتور جميل دلالى الى تناول الغداء في داره وكان بينه وبين مولود مخلص صداقة متينة ، وكان جل المدعوين من الاطباء الاحداث ، فبدأت في هذه الدعوة قد رتبت من قبل ولده سليم دلالى الذي كان حينذاك طبيباً مقيماً في دائرتي بالمستشفى الملكي ، وحضر المدعوون متفرقين ثم دخل صالة الجلوس مولود مخلص بتمام الساعة المقررة في الدعوة . وقمنا له باحترام وتهيب ، وهو يتلو علينا تحية السلام بلهجة تكريمية واضحة . وخطا نحو صدر الصالة وأحتل كرسيّاً على طرف منها ، وهو مازال يريد (حيا الله الشباب ، حيا الله الشباب) ، ولما استقر في مجلسه شكاً قليلاً من قيظ الصيف ، وأريف قائلاً : الحر نفسه في كل سنة ، غير أننا نستمتع حين نشكو منه وحين نقول اننا لم نر صيفاً في مثل الحر الذي نمر به في هذه السنة . ثم قال : ان الانسان حين يتقدم في العمر يقصر عن احتمال الحر ، أما الشباب امثالكم فلا يهتمون بهذه المقارنة . وكنا انصت الى مولود مخلص باهتمام واندفاع ونحن ندير نحوه وجوهنا ، ولهجته لاتخلو من نفحة البداوة المحببة . وسكتنا ولم يتكلم أحد منا وكاننا تلامذة يتلقون درساً في مدرسة ابتدائية ، فقال مولود مخلص : تكلموا يا أولادى ، فان احاديثكم منعشة لمن هو اكبر منكم عمراً ، وكل ماتقولونه الان بالنسبة لي كالمقبلات التي تقدم قبل وجبة الطعام لإثارة الشهية الى تناول المزيد منه ، وأنى اليوم سأكل اكثر منكم بالتأكيد . وتكلم الدكتور عبد الرحمن الجوريجي وقال يخاطب مولود مخلص : يا عم احاديثكم عدا انها ممتعة فهي ايضاً تروى وعبر ، فاجابه مولود مخلص على الفور : طيب يا ابن أخوى أريد اسمع ماتعلمتوه من

اخبارنا .

وننهضنا الى مائدة الطعام ، وكان يملأ وسطها منسف ممدد عليه قوزي تسيل للونه الاحمر لعاب الجوع . ونهض مولود مخلص ، وخلع عنه ستورته وشمر رदन قميصه الابيض وتقدم من القوزي وهو يقول : ان أكل القوزي بالايدي له طعم خاص لاتوفره الملاعق والسكاكين . وتقطيعه من اختصاص الاطباء الذين درسوا التشريح ، و اضاف وهو يبتسم : ان القصاب يجيد تقطيع لحم القوزي قبل طبخه ، أما الاطباء فيحسبون تقطيعه بعد نضجه ، فهيا اليه يا اولادى . وصار يدفع قطع اللحم في فيه ، ويتبعمها بقبضة من الارز ويمصرها بين اصابع يده حتى يسيل منها النسم ، ولم يكن قد انتهى بعد من مضغ اللحم الذي سبقها الى حلقه . لقد كان لمولود مخلص في هذا اللقاء هالة من الشخصية القوية بكثير من التواضع والتصرف الابوي الحنون الذي لم تفسده نواغم المدنية .

### تناوب الحبل في ازدواج الرحم / ١٩٤٨

في الحالة التي سأتكلم عنها فيمايلي غرابة نادرة ، والحالة هي وجود رحمين في حوض امرأة ، وقد راجعت هذه المريضة العيادة النسائية الخارجية تشكو من نزف رحمي ، وهي متزوجة وقد أسقطت حملها قبل سنة تقريبا في الشهر الثالث تقريبا . وفي صالة العمليات اكتشفت بالفحص المهبلي ان لهذه المريضة رحمين لكل منهما عنق منفصل عن الآخر ، وان الرحم الايسر هو الذي يلفظ حمله ، أما عنق الرحم الايمن فكان متوسعا مما يدل على انه قد توسع في الحبل السابق أو اثناء عملية جرف الرحم حين اسقطت قبل سنة . وهكذا ثبت لى ان هذه المرأة قد حملت أولا في الرحم الايمن . ثم حملت في الرحم الايسر وهو الذي دفعها الى مراجعة المستشفى لمعالجة النزف الرحمي . وللمريضة إضبارة كتب على صدر اوراقها عبارة (رحمين) . وبعد خمس سنوات عادت المريضة نفسها تشكو من ألم مفاجيء في بطنها السفلى ، وكان سهلا علي ان اعرف سبب هذه الشكوى وهو كيس مبيض ملتق ، فكان لمعالجتها ان يقلع هذا الكيس الملتوي بعملية فتح البطن . وارتأيت ان أصور الرحمين وموقعهما

في جوف الحوض ، فاستدعيت المصور (ارشاك) لتصوير محتويات الحوض . وشرحت له مقدماً الهدف من هذا التصوير والمضو الذي يجب أن يركز على تصويره . والبسنا ارشاك ثياب العمليات المعقمة بما فيها قلفسوة الرأس ولثام الانف والفم ، وادخلناه صالة العمليات وبيده آلة التصوير . ولما فتحت بطن المريضة وضع لي بجلاء وجود الرحمين في الجوف الحوض . وانتبهت المريضة (مركريت) ان ارشاك بدا عليه الغثيان منذ بدأ الدم يندلق من جرح البطن . ولما التفت اليه رأيت وجهه باهتاً خافئ ، وحاول ان يفاير الصالة ، غير أن المريضة شجعتة على اتمام مهمته فتماسك واتمها .

### في لبنان ومقلب مع صديق في بيروت ١٩٥٠/٧/٢٠

اعتدت منذ سني الاربعينيات ان أسافر في كل صيف الى لبنان ؛ وفي هذا القطر العربي كل مستلزمات الاصطياف ، من اجواء مريحة وطعام شهي ، كما ان في بيروت مسابح بحرية دافئة ، وفي مدن جباله وقراها ما يتوجب لبرودتها ارتداء الالبسة الثقيلة . . كما ان في بيروت جميع أنواع بضائع الدنيا ، ولبنان بعد كل ذلك ضمن امكانيات اكثر موظفي الحكومة العراقية والطبقة المحدودة الدخل الشهري ، فتقصده هذه الطبقات ليمضوا فيه شهراً أو اكثر ثم يعودون الى العراق فيصلونه بعد ساعة في الطائرة أو بعد ست عشرة ساعة في السيارة على اكثر تقدير .

وفي يوم ٢٠ من شهر تموز ١٩٥٠ كنت في بحدون ، وهي مدينة على مرتفع جبلي يشرف على واد عميق من جهتها الشرقية وعلى البحر الابيض المتوسط من جهتها الشمالية . في صباح ذلك اليوم نهضت مبكراً لأقصد بنك ( انقرا ) في بيروت لأصرف ما كنت أحمله من صكوك المسافرين . وأخذت موقفي أمام أحد الشبايك المعدة لهذا الغرض في هذا البنك . الا ان صراف الشباك لم يلتفت الى بل ركز نظراته على شابة كانت تخطو في بهو البنك . كما لاحظت ان الصراف في الشباك الذي يلي الشباك الذي وقفت عليه هو الآخر صار يتابع خطوات تلك الشابة باهتمام وشغف ، وهو يقول لنفسه - ( يخرب ) بيتك ، شوها لخلقلي ؟

كذلك لاحظت آخرين ممن كان في بهو البنك ينظرون الى تلك الشابة  
بعيون نهمة تتمنى لو تصل اليها . وتجاسرت وسالت صراف الشباك الذي  
وقفت عليه من تكون هذه الشابة فلم يعر سؤاله اهتمامه واكتفى بدفع  
مبلغ الصك الذي طلبت منه صرفه لي ، وانصرفت عنه . ولكنني بدافع حب  
الاستطلاع لمعرفة هوية تلك الشابة ، وقفت على الطريق الذي سيمر به  
إذا غادرت البنك . واقبلت من كنت أنتظر رؤيتها عن قرب فاذا هي  
مخلوقة بصفات غريبة فيها كل معاني الانوثة والشباب ؛ قد ممشوق كأنه  
تمثال نحته فنان مرهف الحس ويثمن الجمال ، نحر وصدر يفتدي  
بالارواح ، وعينان وسيعتان بلون ماء البحر الازرق ، أما بشرتها فسوداء  
ابنوسية اللون سبحان من جمع بين لون سحنتها الاسود ولون عينيها  
الزرقاوين . كانت هذه الشابة حورية من شكل فريد . فمن تكون هذه  
الشابة ؟ وأخيراً عرفت هويتها من ( شوان بابان ) ، انها سكرتيرة السفير  
الصومالي ، وهي صومالية الاصل ، ولا تزال غير متزوجة . وغادرت البنك  
وليس ما يشغل بالي إلا الاحتفاظ فيه بصورة تلك الشابة . وقصدت مقهى  
( حدوة الحصان ) بشارع الحمراء ، وارتعيت فيه على كرسي على ناصية  
الشارع ، واسترعى إنتباهي حانوت صغير كأنه قد حفر في جدار ، وكان  
الشباب يتجمعون حوله ليقل لهم ( الفلافل ) فيأخذونها منه في قراطيس  
ويقضمونها واحدة بعد الأخرى وهم بنضاحكون ويتميلون فتحسك  
اكتافهم وتتحرك اقدامهم بتخبط . كانت هذه الفئة من الشباب تلفت  
النظر وقد تثير الاشمئزاز وكنت اجلس في هذا المقهى على حافته المظلة  
مباشرة على ممشى السابلة في شارع الحمراء . لاحظت شابين من تلك  
الفئة الطائشة الباهشة وهما يتحفران لعمل شيء ما ، ويلتفتان بلهفة الى  
كل الجهات ، وعيونهما لا تستقر على أي اتجاه . ومرت بهما في تلك  
اللحظات شابة ذات وجه فتى وشعر أشقر وترتدي سروالاً يضيق على  
فخذيهما الممتلئتين ، وقميصاً ينحدر عليه مدلولاً ليكشف عن نهديهما  
النافرين ، ورأيت أحد أولئك الشابين يكلم صاحبه ثم يلحق بعجلة بتلك  
الشابة ويمشي حذاءها جنباً الى جنب وبجراً وحماس . وتابع النظر  
اليهما فرأيته من بعيد يحرك يديه وكأنه يدلها على طريق تجهله ، غير ان  
تلك الشابة ظلت لا تلتفت اليه ، ثم رأيتها يغادرها فجأة ويعود ادراجه الى  
صاحبه الذي وقف ينظر اليه على ناصية الشارع وهو لا يعد عني إلا

بنحو متر واحد ، وحين وصله سمعته يقول لصاحبه الشاب ،

- بفت كلب !

فقال له صاحبه

- شوبها ؟

فاجابه الثاني

- كلمتها بالفرنسية فلم تجبني ، وكلمتها بالانكليزي فلم تجبني كمان

فقال له صاحبه

- انت لا تعرف إلا بضع كلمات بالفرنسية وإقل منها بالانكليزية فماذا

قلت لها وقال

- قلت لها : أي لف يو !

- هكذا بهذه السرعة صرت تحبها ؟

- نحن في عصر السرعة يا ( روف ) وانت لو كنت بمكاني ماذا كنت تقول

لها ؟ وانت لا تعرف لغتها ؟

وقد يكون اسم صاحبه ( روفائيل ) قدلعه اختصاراً باسم ( روف ) أما

اسم صاحبه فلم يمر على لسانيهما ولا اعرفه

وفجأة رأيت الحاج ( ش ) ولم اكن اعرف انه في بيروت فرحبت به

الى المقهى وسالته :

- متى القدوم ؟

فاجابني

- وصلت البارحة .

- ان شاء الله كانت سفرتك مريحة

- جئت بسيارات ( الانكلي ) الى دمشق ، وصليت الظهر في الجامع

الاموي ، ثم أخذت سيارة ( البوسطة ) الى بيروت

- يا مرحباً بك يا حاجي ( ش ) ، وأرجو لك إقامة سعيدة في هذا البلد

المريح ، وسترى فيه الأعاجيب ، مال وجمال واطياب في الحياة .

وقد تعمدت ان اثيره الى الكلام بهذه العبارة ، لاكشف حقيقته ، وأنا

واصدقاؤه المقربون، اليه الذين يعرفون أي متدين هو . ورأيت مجالاً للكلام

بهذا الموضوع ، وسبقني هو ففتح الباب للتحدث فيه . قال

- اسمعني يا ( أبا نيمان ) ، أنا دائخ الآن

- لايد ان ذلك من تعب الطريق



فنفى ذلك قائلاً

- اي طريق اي بطيح !

- خير ان شاء الله ؟

- اسمعني . صعدت الى سيارة ( سرفيس ) لتوصلني الى هذا المقهى  
حيث سينتظرنني فيه شوان بابان ، وما كادت تتحرك السيارة حتى  
أوقفتها فتاة تقف على ناصية الشارع . وفتحت بابها الخلفي وصعدت  
اليها ثم زحفت جانبياً حتى صارت تلاصقني  
وسأله متخابثاً

- حلوة ؟

- سبحان الخلاق ، عيون ، صدر ، المهم أنها من أجمل ما رأيت من النساء  
في حياتي

فقلت له ، لائحة على المزيد من هذا ( الخرط )

- انت محظوظ يا حجي ومحبوب صورة

- اسمع بعد اكثر ، سألتني إنت عراقي ؟

ولما أجبتها نعم انني من العراق قالت لي

- انا عرفتك عراقي ، وانا ادعوك الى الشاي في بيتي .

ولاستحنه على المزيد عن الكلام عن موقفه من تلك المرأة المزعومة ، كررت  
ما قلته له

- انت محبوب صورة يا حاج ، اكمل

- تعوذت من الشيطان فقلت لها أنا مشغول اليوم ، فأوقفت السيارة  
وترجلت منها بفضب

فقلت للحاج

- زغلتها ، هذا غير صحيح يا حجي

فقال لي

- هذا ما قاله لي سائق السيارة فقد سأله

- من تكون هي ؟ فقال السائق :

- انت ما تعرف هذي مين ، هذه مجننة شباب بيروت وكلهم يركضون وراءها

ولا يتردد عليهم ، فكيف رفضت دعوتها ، يا رجل ؟

فقلت للحجي ( ش ) وانا اعرف بديهاً وبقيناً ان كل ما ذكره لي

ليس له نصيب من الصحة باي قدر ، مع ذلك قلت له

- تسمع لي يا حجي ، انت قُصرت ، وكان لازم عليك ان تعطيتها وعد لنناول  
الشاي معها

- هكذا ترى ؟

- نعم بالتأكيد يا حجي

ورأيت الفرصة قد سنحت لالعب لعبتي معه ، وأنا اعرفه لا يبالي اذا  
قسوت عليه ، فقلت له ،

- أنا ايضاً داخ وخف عقلي ، فالفتاة التي رأيتها اليوم سلبت من قلبي كل  
ما فيه من حب لاية امرأة أخرى

فسألني بلهفة

- شابة

- نعم واية شابة ، غصن بان ، عيون غزلان ، زرق حجي زرق .

ولم يمهلني لأصف تلك النساء السوداء التي رأيتها في بنك انترا حتى صار  
هو يصف لي ما يجب ان نراء في المرأة ، فسألني : ونهوها ؟ يعني بارزة ،

يعني بارزة ، مو مهذلة ؟

- شيء لا يصدق ، رمان أول نزلته

وكوّر الحجي كفيه ووضعهما على موضع نهديه في صدره وسألني

- يعني هكذا ؟

- نعم هكذا

- وظهرها ؟

وحرك راحة يميناه في الهواء ليخطط منظر الظهر كما يجب ان يراه وسألني

- هكذا ؟

فقلت له

- مراية ، وطوله فتر

- وبطنها ؟

- حجي ، كافي لا تثيرني .

وهكذا أخذ الكلام مني لوصف تلك الشابة الصومالية كما يتخيل ويحلوه

ان يرى المرأة عارية ، ولكنني لم اذكر له انها سوداء ، فانا أعرف ذوقه ،

فانه يحب المرأة البيضاء حتى لو كانت بلون الشجر .

ووصل شوان يابان الى المقهى ، وجلس الى جانب الحجي ( ش )

وسألته ان يصف له شابة بنك انترا الصومالية ، ولم انتظر ما سيقوله

عنها فنهضت وغادرت المقهى قبل ان يفسد وصفي لها بذكر لونها  
الابنوسي

### مستشفى السعدون ثم مستشفى السامرائي

حتى نهاية سنة ١٩٥٠ لم يكن في بغداد من المستشفيات الاهلية سوى مستشفى ( سانت روفائيل ) بادارة الراهبات الفرنسيات وهو خيري لا تجاري ، ومستشفى العلمين لصاحبة التاجر ( عباس التميمي ) ، ومستشفى مير الياس وهو أقدم المستشفيات الاهلية في بغداد ، وتديره هيئة يهودية ومستشفى السعدون بادارة الدكتور هادي الباجه جي ، واصحابه عدد من التجار اليهود وطبيب واحد هو الدكتور أنور حنيئا ، وكان هذا يمارس كل أنواع الجراحة بما في ذلك العمليات النسائية والولادية أما مدير المستشفى الدكتور هادي الباجه جي فقد أعطيت له هذه الوظيفة ليتابع شؤون المستشفى في دوائر وزارة الصحة . وأصل بناية هذا المستشفى دار واسعة يملكها ( داود باشا الحيدري ) وقد ساءت أحوال هذا المستشفى في مطلع الخمسينات ولم يكن عمره يتعدى أربع سنوات . وحاول المشاركون في المستشفى إغراء عدد من الاطباء الاختصاصيين بالدخول في شركة هذا المستشفى غير أن هؤلاء ترددوا في قبول الدعوة ، وكنت واحداً منهم . فقد زارني مدير المستشفى الاداري ( سليم ربيع ) ، وهو تاجر يهودي وأحد المشاركين في شركة المستشفى ، واجتهد ان يقنعني بالانضمام الى الشركة ، فرفضت عرضه باصرار ، وفاجاني حين قال لي : - تدخل الشركة بلا ثمن مقابل على ان تحيل مرضاك الى مستشفى السعدون لا الى مستشفى مير الياس أو مستشفى العلمين ، وكان بيني وبين هذا المستشفى الأخير تعامل يرضيني ، بينما جاء عرض مدير مستشفى السعدون مغرياً ايضاً ، ولكنه بدا لي وكأنه ملغم بمتفجرات ، فازداد نفوري منه واصراري على رفضه . كما خطر ببالي الدكتور أنور حنيئا ، وهو جراح ومشارك في شركة المستشفى ، وله مرضاه بين يهود بغداد ، وقد يسبب لي مشاكل طبية في

معالجه المريض الالاسى يدخلن المستشفى دون إحاله من طبيب مفى  
مقلت لصليم ربيع لاحسم موفى معه  
- ان دحولى مشاركا هذا العرض لا أطبه بواقى الشركاء الاطباء ، كما مد  
يعارضنى بعض هؤلاء ان أشاركه فى اخنصاصه ، وكنت اعصد بهابن  
الاشارتين الى الدكتور ( حنينا ) ، فقال لى  
- اذا انت تقصد بذلك الدكتور أنور حنينا فأنا اضر لك موافقة  
تحريراً .

فاستغربت جداً من هذا التساهل والاغراء الملح ، وهذا مما زاد فى  
تخوفى من المشاركة فى مستشفى السعدون ، وبذلك انتهت زيارة سليم  
ربيع بالفشل . وسمعت بعد نحو شهر ان مستشفى السعدون قد اغلق ،  
وان شركته قررت بيع ممتلكاته من الاثاث والالات والادوات وفى تلك الايام  
بالتحديد زارتنى فى بيتى الانسة ( نجيبه عبد الاحد ) وكنت أعرفها منذ  
كانت طالبة فى مدرسة التمريض فى المستشفى الملكى ، وحين عملت بدار  
التمريض الخاص بهذا المستشفى . وكانت فتاه فى وسط شبابها ، ممتلئة  
الجسم ، قوية البنية ، ذكية وتحب مهنتها فى التمريض والقبالة ، وذات  
طموح واسع ويعيد ، وقد حققت لنفسها بهذه الكفاءات منزلة طيبة  
 واجتماعية مرموقة من اترابها اللاتى يعملن فى التمريض والقبالة  
وتوصلت أخيراً ان تكون احد مشاركي مستشفى السعدون ورئيسة  
المرضات فيه . وقد عرضت على فى زيارتها فكرة تأسيس مستشفى اهلى  
باسمى . وبالرغم من ان هذه الفكرة كانت تداعب طموحاتى وأمانى دون  
انقطاع ، فقد فوجئت باقتراحها وترددت فى قبوله ، فقالت لى  
- لقد أغلق مستشفى السعدون أبوابه ، وعما قليل سيفلق مستشفى  
العلمين بعد وفاة طبيبه الدكتور كروياخ واضافت تقول : ان الناس بدأوا  
يطلبون المستشفيات الاهلية ؛ ويفضلونها على المستشفيات الحكومية ،  
وطلباتهم اليها فى زيادة مستمرة ،  
فقلت لها محاججاً .

- ان مستشفى السعدون اغلق ابوابه بسبب قلة المرضى فيه ، وانه كان  
يخسر فى الاشهر الاخيرة  
فأجابتنى  
- انه صار يخسر لأن الطبيبين اللذين ساهما فى تأسيسه ليس لهما مرضى

يحتاجون الى دخول المستشفى إلا بعدد قليل ، كما لم يكونا من الممارسين في الجراحة ، وسبب آخر هو ان التمريض فيه لم يكن بالمستوى المطلوب فقلت لها

- انت ترأست التمريض في هذا مستشفى ، فهل استطعت ان تعلمي شيئاً لتحسينه ؟

فاجابتنني

- عرفت انني لا أستطيع تحسين التمريض فيه بعد الالتحاق به لا قبل ذلك ، ولم أستطع ان اجعل مدير المستشفى يتفهم ما أبدى له من أفكار لرفع مستوى التمريض ، فسألت سمعة المستشفى من هذه الناحية وأقترحت على مدير شركة المستشفى اعطاء حصص ضئيلة أونسب معينة للممرضات من ارباح المستشفى فعاب هذه الفكرة ونبذها ! ، وخضعت الادارة لفكرتي بعد فوات الاوان . وقطعت نجبية حديثها في هذا الخط وقالت : بحماس - اسمعني يا دكتور كمال ، واقدم على تأسيس مستشفى وأنا أضمن نجاحه !

وكنيت راغباً أشد الرغبة في تأسيس مستشفى ولو بتخوف فقلت لها - ليس عندي مال يكفي لهذا المشروع . ، وبتقديري انه يحتاج الى مبلغ لا يقل عن خمسة آلاف دينار

فقلت نجبية

- وربما اكثر ، وأنا اشاركك . ثم اردفت : ادارة مستشفى السعدون مستعدة ان تبيع اثاث مستشفاهها وادواته صفقه واحدة بالفي دينار . وعدت اقول لها

ليس عندي بقدر ما تملكين لنشتريك في تأسيسه ، فقلت بحزم - إرهن بيتك !

وفي ساعة حماس قلت لها :

- قبلت تطبيق الفكرة

ورهننت بيتي لدى مدير معارف عام متقاعد بالفي دينار ، وهكذا شرعنا نهيه ما يلزم لتأسيس المستشفى ، واشترطت ان يكون المستشفى باسمي فقلت نجبية

- هذا هو ما أريده

ثم قلت لها

- ولا أريده ان يكون في بداية مستشفى السعدون اذا ما أغلق .

فاجابتنى

- كما تريد ، ولو اني لا ارى مكاناً لانشاء المستشفى افضل من مكان

مستشفى السعدون

وحصلنا على إجازة من وزارة الصحة لفتح المستشفى ولم يكن بعد  
قد وجدنا مكاناً ملائماً لا ستجاره لهذه الغاية ، وأخيراً وجدنا ضالتنا في  
بيت بمحلة السعدون لصاحبتة ( حسيبة خان ) زوجة السيد امين  
خالص باجار سنوي قدره سبعة مائة وخمسون ديناراً ونقلنا اليه كثيراً مما  
اشترينا من مستشفى السعدون . واشركنا فيه القابلة لطيفة سمرجي  
والطبيب المقيم فرحان باقر . واعلنا عن اقسامه بجريدة صوت الاهالي  
يوم ٢٠ شباط سنة ١٩٥٠ بهذه الصيغة

### ( مستشفى السامرائي )

دفعنا الواجب الوطني ، واعتمدنا على الله فأسسنا مستشفى  
يتوفر فيه ما يحتاجه المريض من راحة وعناية طبية ، كما جهزناه بالالات  
التي تحتاج اليها العمليات الجراحية وعمليات التوليد والامراض  
النسائية ، وهدفنا الاول خدمة الطب وخدمة المرضى ومشاركة  
المستشفيات الحكومية مسؤولياتها الكبيرة وتخفيف الضغط المتزايد  
عليها . ولسنا وراء النفع المادي ، فاذا حالفنا الحظ وساعدنا زملاؤنا  
فاقل ما نعد به هو معالجة الفقراء مجاناً على قدر ما تسمح به مالية  
المستشفى ، ومن الله التوفيق ادارة مستشفى السامرائي

وفي يوم ٢٢ شباط أي بعد يومين من هذا الاعلان وصلنا كتاب من  
وزارة الصحة لفحص مكان المستشفى ، وعمارته والاثاث والأدوات التي  
فيه ، وعدد المستخدمين واختصاصاتهم . كما طلب مفتش الصحة الدكتور  
على حسن انشاء غرفة لحفظ الموتى قبل نقلهم الى بيوتهم ، فشيدناها  
على عجل في ركن بحديقة المستشفى ، وقررنا ان لا نتقاضى أجراً من أول  
مريضة تدخل المستشفى . أما أول عملية كبرى تمت في المستشفى فلها  
حكاية استسيغ ذكرها لما فيها من غرابة . كانت مريضة هذه العملية

بمدينة ، وسبق ان أجريت لها عملية رفع ورم ليفي من الرحم في المستشفى الملكي قبل اربع سنوات ، والبطون السميكة لا يريح الجراح وخصوصاً في عمليات الحوض ، فحسبت لها حسابي من الصعوبة التي أواجهها أثناء قلع الرحم وبالرغم من انني اعرف مقدماً ان طاولة العمليات التي اشتريتها من مستشفى السعدون كانت معمولة محلياً ولا نفي بالفرض غير انه لم يخطر ببالي قط انها لا تحمل ثقل الاحسام البدينة ، فما كدنا نضع هذه الطاولة بشكل ( عكس فاولر ) حتى حدث ما لم يكن في الحسبان ولا ازال اذكره بفزع فقد انزلت المريضة بنقلها نحو رأس الطاولة لعدم وجود ما يسند كتفها ، وتكومت فوق البنح الدكتور عبد الأمير الأزري وقد حدث ذلك بسرعة لم تسمح لنا باستيعاب هذا الحادث غير المتوقع ، كما الهانا منظر المخدر الدكتور عبد الأمير الأزري وهو يحاول عبثاً تخليص نفسه من جسم المريضة الضخم الذي انهار عليه ، ولما صحتنا من هول الحادث غلبنا الضحك على الدكتور عبد الأمير الأزري الذي صار يتخبط تحت وطأة جسم المريضة ، وكان نقل هذه المريضة الى طاولة العمليات أمراً لم يتم الا بتعاون كل من كان في صالة العمليات ، فكيف بنقلها الان من ارض الصالة واعادها الى طاولة العمليات ؟ وكان هذا همنا الاول ، أما اخطار تلوث الجرح والادوات وغيرها التي تنشرت فوق المبنى وعلى الارض فلم نفكر بها انياً . أما الاضطراب النفسي الذي انتابنا فلم يكن له حد ، مع ذلك أخذنا حذرنا من ان يسمع صخبنا ذوو المريضة الذين كانوا يتجمعون عند باب صالة العمليات ، فصرنا نتهامس ، ويؤثر بعضنا لبعض بالاصابع حذرين من ان يسمع من كان خارج الصالة ما يحدث داخلها . فكان ثفاهمنا كما لو كنا من الخرس . كان كل شيء يخص هذه المريضة غير عادي ، فهي بدينة بافراط ، وذات رقبة ممثلة قصيرة لا يسهل تخديرها . وبالرغم مما تعرضت له أعضاء بطن المريضة من تلوث ، والادوات الطبية التي التقطت من ارض صالة العمليات ، فكل ذلك للفرابة الشديدة لم يسبب اي اختلاط أو مضاعفات تذكر في المريضة في ايام ما بعد العملية وطلعت الصحف البغدادية بعد يومين تتثنى على فكرة انشاء المستشفيات الاهلية الإ واحدة منها فقد اشارت من طرف متستر ان ( لا

يتعجل الناس باستفاؤل من هذه المستشفيات من حيث الخدمات والأجور وحدثت بعد ذلك شكاوى جميعها لأسباب تافهة وفي بعضها اعتداء على هيئة التمريض وصل بعضها الى دوائر الشرطة . فقد حدث ان رأت القابلة ( كاترين ) إحدى المريضات وهي تنهيا لمغادرة المستشفى - رأتها ندرس إحدى بطانيات المستشفى في حقيية ملابسها ، فطلبت من حارس باب المستشفى ان يفتش تلك الحقيية ، فعارضته تلك المريضة وشتمته ولطمته على وجهه ، غير أن الحارس تمسك بموقفه وأصر على تفتيش الحقيية . وأخرج منها ( البطانية ) . وفي صباح اليوم التالي رفع زوج المريضة دعوى الى الشرطة مفادها ان ممرضات المستشفى سرقن من زوجته ( سواراً ) من الذهب . وكان مفوض شرطة المنطقة عاقلاً وذكياً فسأل الزوج عن سبب تأخره وعدم تقديم الشكاوى قبل مغادرة زوجته المستشفى ، كما فاجأه قائلاً ان شكاواه المردودة ما هي إلا انتقام من حارس المستشفى الذي ضبط البطانية في حقيية زوجته عند باب المستشفى . وانهار هذا المشتكى البليد وانسحب من دائرة الشرطة يجر وراءه الخزي والعار

وفي شهر ايلول سنة ١٩٦٠ طلعت جريدة ( اتحاد الشعب ) بالشكاوى الاتية اذكرها كما وردت في هذه الجريدة ( أدخل مريض مصاب بقرحه في معدته الى غرفة رقم ( ١٧ ) في مستشفى السامرائي ومكث فيها اسبوعاً كاملاً . لم ير خلالها وجه صاحب المستشفى ( المدعو ) كمال السامرائي ( ثم يقول ) وهذا متوقع فان الطبيب هدفه الاول من استحداث هذا المستشفى هو ملء جيوبه بما يحصل من المرضى ليفرغها على الموائد الخضراء في لياليه الحمراء . وقد استغريت من هذا الاتهام ، وأنا كما يعرف اصدقائي لا اشرب الخمرة إلا نادراً وبمقدار قليل جداً ، وفي ظروف تفرضها المناسبة واني لا اشربها ، ليس تعففاً فقط وإنما لانها تضر بصحتي أيضاً ، ولا انتشي اذا شربتها بل تورثني نعاساً لا استطيع مقاومته . وعن القمار فلا اعرف حتى مراتب أورقه . وأما أنني لم ازده في غرفة رقم ( ١٧ ) التي يرقد فيها بمستشفى السامرائي ، فلم يكن هذا المريض من مرضاي ، وأنا باي حال لا اطب الرجال . وقد ازور المريض الرجل اذا دخل إحدى غرف المستشفى بدافع الصداقة أو القربى ، بيد



اني لا اعرف هذا المريض على اي وجه من وجوه المعرفة لأزوره . وتمر  
الايام ويحتاجني ذلك المحرر في جريدة اتحاد الشعب لاعالج اخته  
المريضة فتجاهلت أمامه اهتمامي بما كتبه عني في الجريدة . وقد يكون  
من غيبائه انه ظن انني لم أعرف كاتب تلك الكلمة ، أو عرف انني عرفته  
فركبه الغرور ان لا يتنازل عن موقفه ( ككاتب حقائق ) . وأخيراً انهار  
فسألني دون اشارة الى ما كتبه في الجريدة  
- الا تزور المرضى الذين يدخلون في مستشفاك ؟  
فأجبت

- أزور مرضاي فقط . أما المرضى الآخرين فتحت مسؤولية الاطباء الذين  
يدخلونهم الى المستشفى  
ونظر الى وجهي لحظات وقال  
- إذن أنا أعتذر  
فسأله وانا اعرف ماذا يريد ان يشير اليه  
- عن اي شيء تعتذر؟  
- عما كتبت في جريدة اتحاد الشعب  
فقلت له  
- أنا لم أقرأ هذه الجريدة .  
وانقطع حبل الحديث بيننا وافترقنا :

### سائق تاكسي في دوائر الامن ١٩٥٠/٣/٣

كبست على محرك سيارتي فلم تدر ماكنتها ، وكبست عليه مرة  
أخرى وأخرى وثالثة وخامسة فلم تتحرك ، فترجلت منها واقفلت أبوابها  
وتركتها في مكانها أمام الردهة العاشرة في المستشفى الملكي ، وتوجهت  
وأنا احمل بيدي حقيبتتي الصغيرة الى حيث تقف سيارات الاجرة عند  
مدخل المستشفى . وتقدمت من أحداها وفتحت بابها الامامي وجلست  
على المقعد الذي الى جانب سائقها وراء مقود السيارة . وكان هذا السائق  
شاباً صبيح الوجه لو أنه اهتم بحلق شعر ذقنه . وكان يرتدي سترة بنية  
اللون غير جديدة ، وسروالاً رمادي اللون وعلى كليهما آثار بقع من الزيت ،  
فبادرته قائلاً

- مرحباً بالشباب ( ثم قلت له ) الى المسيح رجاء  
وسالني

- المسيح بالكرادة ؟

- نعم الى المسيح بالكرادة

ثم قال لي

- أهلاً بالحجي ، وكثيراً ما يخاطبني الناس بهذا اللقب احتراماً لعمري  
أولوفرة الشيب في رأسي . وما كادت سيارته تدرج قليلاً حتى دفع رأسه من  
نافذة السيارة ليتطلع الى امرأة تمشي بنتاقل على رصيف الشارع المقابل  
له ، ونادى تلك المرأة .

- كاترين ، كاترين !

ولم تسمعه تلك المرأة ولا هو توقف لينتظر منها رداً ، فقال يكلم نفسه  
- لم تسمعني ( ثم أريف قائلاً ) هاي شلون صايرة ، ما عرفتھا أول مرة ،  
صايرة دبابة !

أما أنا فقد عرفتھا ، وهي موظفة في مطبخ المستشفى . ومن عادتي  
إذا ركبت الى جانب سائق سيارة تاكسي ان ارددش معه ببراعة ، إذ ان  
بعضاً منهم مؤنسون وتصرفهم محبب ، وحكاياتهم ممتعة ، فسألته وأنا  
اشير الى تلك المرأة

- لازم تعرفھا ؟

فأجابني

- شلون ما عرفتھا ، كانت تسكن في محلتنا بفضوة عرب ، وكانت رفيعة  
مثل صل الحية . وسمعت انها توظفت في مطبخ المستشفى الملكي  
( وقهقه ضاحكاً واضاف ) من إكل الهبر وحكاكة التمن . لقمة بحلقها  
ولقمة بماعون المريض ، وهسه هي مثل الشليف . ولما اجتازت سيارته  
المنعطف في اتجاه شارع الرشيد ، خفف من سرعتها ليحاذي مفوض مرور  
يقف قريباً من رصيف الشارع وخاطبه

- أبو حسين ، أريد اسبسيال ، بكرة واحدة

فأجابه مفوض الشرطة

- تعال اليوم الى بيتنا بعد ساعة عشرة .

وفي هذه اللحظات : ارتفع صوت بوق سيارة كانت وراءنا لتحت.  
سائق السيارة التي استقلها على السير ، فاسرع السائق بعد ان كال له

السمائم ، ولكن بصوت خافت  
- ابن الزفرة ، شصار عندك ا  
ولم اعرف ماذا قصد هذا السائق بالاسيسيال ، فسألته متطفلاً  
- شنو الاسيسيال ؟

فاجابني

- هي طلقات هذا المسدس .

وأبعد يده عن مقود السيارة ورفع طرف ستريته وكشف عن مسدس  
مربوط الى نطاقه ( واضاف يقول ) هذا المسدس أبو الحصان . ( واستمر  
يقول ) إحنا نشترى الطلقات بسعر رخيص . مائة فلس للواحدة .  
ولما صارت السيارة قريبة من شرطي مرور آخر أوقف هذا سحر السيارات  
لمرور السابلة من جانب الى جانب من الشارع ، وكان من بينهم امرأة بدينة  
تتنفس بجهد اكثر مما تتحرك لقطع الشارع ، فقال للشرطي  
- دير بالك على الغزال

وعرفت ماذا قصد الشرطي بهذا التنبيه . لان تلك المرأة لم يمكن  
لضخامتها ان توصف بالغزال ولا بالريم ، فكانت اشارته الى زميله  
الشرطي استهجاناً وعبياً لتلك المرأة البالغة السمنة  
وبعد لحظات سكوت منه ومني سألته  
- هذه سيارتك ؟

فاجابني

- هي سيارتي ، ولكن هي راكبتني ، على بعد ستمائة دينار حتى أوفيتها .

- تتوفي ان شاء الله .

- أنا اشتغل بها بعد الظهر فقط ، وقبل الظهر يشتغل بها عامل ،  
لأنني موظف .

فقلت له

- أنا طبيب

فقال لي

- عمي أعرفك ، انت اسمك دكتور كمال ورقم سيارتك ٢٩٣ بغداد ونوع  
سيارتك ( أولدز موبيل ) تننته ، بلونين حليبي وقمر الدين ، وبيتك  
بالمسبح ، وعندك مستشفى باسمك ( واضاف ) عمي اعرف عندك كل  
شيء .

فسألته

- من اين لك هذه المعلومات ؟

فاجابني ببساطة وهو يبتسم

- عمي هذه شغلتني .

- شغلتك شنو ؟

- أنا مخبر بالامن ( وسكت لحظة ) ثم قال عمي العيشة تنراد

وكنا قد وصلنا بيتي في المسيح فقلت له مؤيداً وانا اترجل من سيارته

- نعم العيشة تنراد .

### السفرة الاولى الى اوريا ١٩٥٠

اتفقت في اوائل صيف ١٩٥٠ مع صديق لي هو التاجر عبد الجبار عبد الواحد ان نسافر الى انكلترا ، وقررنا ان نقطع البحر الابيض المتوسط بالباخرة ( أزونيا ) الايطالية الى ( فينسيا ) ومنها بالقطار عبر فرنسا الى انكلترا . وعلى سطح الباخرة عند اقلاعها من مرفأ بيروت تعرفت على التاجر العراقي المشهور عبد الله لطفي ، وهو من نبلاء الاكراد ، ومن عائلة معروفة بتجارة التبغ . وكان بالرغم من كبر عمره بالنسبة الى عمري وعمر صاحبي الثاني لطيف المعاشرة ومتواضعاً وسخياً . أما صاحبي الذي اتفقت معه على هذه السفرة فكان من الملاكين في البصرة ، سانجاً وممسك اليد . وكان مصاباً ( بداء النوم ) وهي حالة أنا أعطيتها هذا الاسم فليس لها ذكر في صنوف الامراض ، فاذا إستقر في مكان ولو بضع دقائق ، في اي ساعة من النهار ، وفي اي مكان ولو كان ذلك على كرسي في مقهى فسرعان ما يغط من نومه ويعلو شخيره ، وهو نفسه يقول ان ذلك قد يحدث حتى في الدقائق القليلة التي يخلو فيها لقضاء ( حاجته ) في المرافق الصحية ، ولا يعود الى صحوه الا بعد ان تزل قدمه فيسقط على وجهه او على قفاه . وكانت هذه الحالة الغريبة هي الدافع لسفره الى انكلترا ليجد فيها العلاج علمي يد أطبائها ، أو في مستشفياتها .

كانت سفرتي هذه الاولى الى أوروبا ؛ فلم اكن قد زرت من الدنيا الى ذلك التاريخ إلا لبنان ومصر وفلسطين . وكانت المقصورة التي خصت لي ولصاحبي البصري من الدرجة الثانية ، اما الصديق التاجر فكانت

مقصودته من الدرجة الاولى ، الا اننا في غير ساعات الاستجمام في المقصورتين كنا نجتمع سوية ونلهو على سطح الباخرة . وحمداً لاصوات مكائن الباخرة التي طفت على شخير صدى البصري حين ناوي الى المقصورة

وكان البحر هادئاً طيلة عبورنا حتى وصلنا مضيق ( مسينا ) الذي يفصل جزيرة صقلية عن ( كعب حذاء ) البر الايطالي .

وعبرت السفينة هذا المضيق ليلاً ، فرأيت انوار جانبي المضيق كلما التقينا اليهما يمناً ويسرة ، لقد كان منظرهما ما خلاياً يدعو الى الانشراح . وحين رست السفينة عند مرفأ فينسيا بهرني ( الحندول ) وهو يمحرمات المدينة التي تكوّن شوارعها المكتظة بالجدولات وحولها الدور الفاطسة في ماء البحر . كما سحرتني في صباح اليوم الثاني ساحة ( سنت ماركوس ) والحوانيت والمقاهي الانيقة التي تحيط بها من جميع الجوانب إلا في فتحة غير وسية تنحدر الى شريعة تكتظ فيها القوارب ، كان كل ما رأيته في هذه المدينة ، وكأنه عالم أبعد البحر عن الكون كله . والجدول الى حد ما يشبه المشحوف الذي نراه في جبايش جنوب العراق ، وكلاهما واسطة النقل من حارة الى حارة ومن بيت الى بيت . وما عدا ذلك فالفروق التي بينهما كثيرة من حيث التركيب والأناقة والنظافة .

وبعد يومين غادرنا فينسيا الى روما بقطار اكثر ركابه يتكلمون الانكليزية أو الفرنسية ، أما الذين كانوا يتكلمون باللغة الايطالية فعلة . وفي محطة روما طلبنا من سائق سيارة الاجرة ان يحملنا الى فندق جيد ، ويبدو أنه فهم من تعبير جيد ان يكون ( بخمسة نجوم ) وفي هذا الفندق واسمه كويرنلي حدث لنا ما لم يكن في الحسبان . نحن دخلنا مطعم الفندق لتناول وجبة العشاء بقدّم ما رحر ذو هسه ولباس منمّر وتوجه نحو صديقنا الماجر البصري وهمس في دمه ما عر له صديقنا ، فالتفت نحوي يسألني عما يريد ذلك الرجل نفهم من هذا ان هذا الفندق لا يستقبل زبونا بلا ( رباط رفعة ) ! عطلب من صديقنا الماجر ان يذهب الى عرقنه ويلف رباطاً حول رعسه . وصديقتنا هدا الماجر الجلبى نفور بطبيعته ، فغضب من طلب ذلك الرجل . وعدم طاولة العشاء الى خارج الفندق ، فاضطربنا ان تلحق به وتعمل ما عله . وكنا حياءاً فمررنا في طريقنا بعربة نبيع ( الهوب دوت ) وكان حولها عدد من

الشباب الايطالي وهم يفضمون الهوت دوت ويتضحكون بصحب ، ولم يكن أحد منهم من نزلنا هذا الفندق الفخم .  
وفي صباح اليوم التالي استقلنا القطار الى باريس وكان مردحنا بالركاب واكثرهم من الامريكان .

ولم نكن قد حجزنا غرقا في احد فنادق باريس ، ولكنها فرجت بسهولة ، فقد كان عبدالله لطفي يعرف اللغة الفرنسية ، وهو ذكي في تصريفه مثل هذه المواقف ، فدرس في جيب سائق التاكسي مبلغاً من الفريكات الفرنسية فحملنا بسيارته الى فندق متواضع باسم «الاروس» يقع في شارع صغير يتفرع من شارع (الشانزليزه) وقريب من السفارة العراقية . وفي هذا الفندق تعرفنا على كاتبة الفندق واسمها (لوسى) ، وهي زوجة ملاكم اسمه (جان) . وفي اليوم الثاني استطاعت لوسى ان تحصل لنا على ثلاثة بطاقات في مسرح (الفولى برجير) الشهير عالمياً ، فنفحنا لوسى ثمن بطاقة لنفسها لتصاحبنا الى المسرح . وعند مدخل هذا المسرح ، تعرفنا على شاب عراقي يدرس الموسيقى في باريس اسمه (حمدي) وكانت بصحبته شابة فرنسية جميلة لولا بعض تضخم في بطنها وعجزها واسمها فيفيان . وكان حمدي لطيفاً معها ومعنا ايضاً ، وصار كرسيه في المسرح بينها وبين كرسي عبدالله لطفي ، اما الصديق البصري وحمدي فكانا على الكرسيين التاليين في هذا الصف من الكراسي . وفي الظلمة التي عمت قاعة المسرح سألني صديقة حمدي بانكليزية ركيفة فيما اذا كنت أعرف عائلة حمدي ، فاجبتها متأسفاً بالنفي وانا مدرك ماكانت تقصده من هذا السؤال . ثم سألتني اموراً عن الحياة في بغداد ، وبخاصة عن حرية المرأة فيها . وكنت في خلال ذلك أتابع فعاليات الممثلين على المسرح اكثر مما كنت أستمع الى هذه الصبية ، فلم تستفد مني كثيراً كما توقعت على ماأعتقد . وفجأة ضج الصغير والتصفيق في قاعة المسرح حين ظهرت على خشبته الفنانة الاولى في هذا المسرح (جوزفين بيكر) . وهي سيدة ملونة ، انثوية الاعطاف ، وذات جسم فاتن، رشيق . فهمست صديقة حمدي بأذني تقول : هذه هي جوزفين بيكر ، وكنت قد عرفتها قبل ان اسمع منها هذا التعريف ، وعند مغادرتنا المسرح أوقفنا شاب فرنسي ، يبيع ابواً من الدمى المطاطية لها لون ملمس اللحم البشري ، وكان واحدة منها وأغلاها لجوزفين بيكر وهي عارية إلا من ورقة التوت . ونجمتان من مادة بلون

الذهب نكسوان حلمتي ندييها ،الناهدين . ولما تلمست هذه الدمية لكزت جنبي صديقة حمدي وأخذت الدمية من يدي واعادتها الى البائع ، فاستغربت مما فعلته معي ل تمنعني من شراء الدمية ، فسألت حمدي عن ذلك فقال لي : ان اكثر الفرنسيين يحترمون جوزفين بيكر لانسانيتها وعطفها على اللقطاء واليتامى من البنات والاولاد ، وان لها في الوقت الحاضر معهداً تربي فيه سبعة من هذه الفئات ، وتصرف عليهن ما يحتاجن من لباس وتربية وتعليم وما الى ذلك

وعدنا بعد إنتهاء فعاليات الفولى برجير نفذ خطانا الى فندقنا ، ولم يكن بعيداً عن الفولى برجير . رأينا في طريقنا عربة عليها اكوام من انواع الفواكه الطازجة ، فاقترح عبدالله لطفي ان نشترى بعضاً منها لنأكلها في الفندق ، فلما إقترينا من العربة وطلبنا من صاحبها مانريد قلت لعبدالله لطفي : حاذر يا عبدالله بك ، فان كثيراً من الباعة المتجولين محتالون وسراق ، ولايستبعد ان يكون هذا البائع أحدهم . وملا ذلك البائع ثلاثة اكياس ورقية مما طلبنا منه وهو دائم الابتسام ، ودفعنا له ماطلبه منا ثمناً لها .

ولما استدرنا في اتجاه الفندق خاطبني هذا البائع وهو يقول لي بعربية فصيحة .

- مهلاً يا أخي العربي ، لاسالك كيف عرفت أنا محتال وسارق ؟ وكم كان عجبني وخجلي مما سأله هذا البائع فاعتذرت منه فاذا هو من أهل فاس بالمقرب وانه يدرس في احد كليات باريس . وفي اليوم الثاني ، ملا لنا ثلاثة اكياس من القرطاس بالفاكهة كما فعل في الليلة السابقة ، ثم رفع من على عربته ثلاث خوخات كباراً وقدم واحدة لكل منا وهو يقول  
- هذه متاع الطريق من السارق المحتال !

وفي اليوم التالي كنا في احد مقاهي ( الشانزليزه ) . والمقاهي في هذا الشارع تنشر كراسيها المدهونة بالوان الورود على جانبي هذا الشارع الطويل الذي يمتد بين (الايتيال) وساحة (الكونكورد) حيث تسمق في وسطه احدى المسلات المصرية . وجاء حمدي في الوقت الذي حدده لنا عندما غادرنا ( الفولى بيرجير ) ، واتخذ لنفسه كرسيّاً حول المائدة التي كنا نتحلق حولها ، وبعد لحظات وصلت صديفته (ثيقيان) وهي تعتذر عن تأخرها بضع دقائق ، وأخذت كرسيّاً الى جانب حمدي ، وكانت بيدها

جريدة (الفيكارو) الفرنسية الشهيرة ، ومالبثت ان طرحتها على الطاولة وهي تقول شيئاً بالفرنسية لصديقها حمدي ، وعادت ونذاولت الجريدة ثم بسطتها أمام حمدي وأشارت بأصبعها الى (كارتون) يحتوي على رسم (اطار) ليس بين اضلاعه شيئاً ، وامعن حمدي انظر الى الكارتون وقرأ ماتحته من التعابير فضحك وصحكت معه صديفته فيفيان . ثم فسر حمدي لنا ماهو مكتوب تحت هذا الكارتون ، فقال

- قبل يومين أقيم معرض لكبار الرسامين في فرنسا ، كان من بينهم (بيكاسو) الرسام الاسباني الشهير ، وأسفرت المسابقة عن فوز هذا الرسام على جميع من اشترك بهذه المسابقة . وفي هذه الصورة تعليق انتقادي على طريقة بيكاسو في الرسم ، فأخذت الجريدة من يد حمدي وتطلعت الى الكارتون الذي ضحك منه حمدي وصديفته ، فلم أجد فيه ما يضحك ، فقلت لحمدي

- ليس في الصورة ما يضحك !

فاجابني

- ان المضحك في التعليق المكتوب تحتها

فقد كتبت تحت صورة هذا لاطار (البقرة في الحقل) وتحت هذا العنوان نقاش قصير بين اثنين ممن شاهدوا هذا الكارتون . سأل أحدهم صديقه وهو يجز في الصورة

- اين الحقل في هذه الصورة ؟

فاجابه صديقه

- لقد أكلته البقرة

وعاد صديقه يسأله

- واين البقرة ؟

فاجابه صديقه

- لقد غادرت الحقل بعد ان شبعته منه

وضحكنا على هذا التعليق ، وطلبت من حمدي ان يسأل صديفته

فيفيان عن رأيها في الصور التي لا يفهمها إلا من رسمها ، فقالت

- ان المؤيدين لها والمعجبين بها كثيرون ، ويتوقعون لها مستقبلاً يطنى

على سواها من الرسوم . فقلت لها (والمترجم حمدي)

- هذه الرسوم نظرية لبعض الموسيقى الكلاسيكية الثقيلة التي لأنفهمها



ايضاً .

- فاجابتنى

- هذا شيء وذاك شيء ، ولا يصح المناظرة والمقارنة فيما بينهما . وشعرت حينئذ ان في حكمي على الموسيقى التقليدية قد ازعجها ، وهي وحمدي - متحمسان لهذا النوع من الموسيقى ويدرساتها في معهد واحد . وسمعتها تقول بتواضع

- هناك من يحب تفاح (الستاركنك) وآخر من يحب تفاح (الكولدن) فسالتها وانا انظر الى وجهها العذب  
- وانت ماذا تفضلين من هاتين الفاكهتين ؟  
- فاجابتنى وهي تضحك  
- أحب كلا النوعين من التفاح

### في مطعم مكسيم

وفي اليوم التالي دعانا صديقنا ابراهيم فضلي القائم باعمال السفارة العراقية ببائريس . لتتناول الغذاء في مطعم مكسيم وهو محل على صغر صالته واسع الشهرة . فاكلنا وشرينا وتحدثنا في ماطاب لنا التحدث فيه . وأخيراً نادى مضيفنا النادل ليأتيه بقائمة (الحساب) ، ومد يده في جيب سرواله الخلفي فلم يجد فيه محفظة نقوده ، وفتش جيوبه الأخرى فلم يجدها ، وبدا على وجهه الاضطراب والخجل ، فقلنا له  
- أبوسعدي لاتهتم ، فنحن لسنا غريباء .

فقال

- اعرف ذلك الا ان في المحفظة اوراقاً مهمة جداً ، وبعضها ذات خطورة حكومية .

ودفعنا الحساب بعد ان تسابقنا نحن ضيوف هذه الدعوة على دفعه وفي صباح اليوم التالي زرنا ابراهيم فضلي في السفارة لنودعه قبل سفرنا الى لندن ، فاستقبلنا باسماء وهو يقول  
- صباح هذا اليوم ، قبل نصف ساعة بالتحديد كلمني تلفونياً شخص

واخبرني انه هو الذي حثف المحفظه من جيبى عند دخلك متبع  
دكسيد ، وانه اكتفى ان ياحذ منها التريكة اما غير ذلك فقد بهاها في  
المحفظه التى قال نى ساجدها بن الاعساب التى رحت بسيد  
الصعر الغرب حدا من باب السفارة العراقية ( وقال ابراهيم عسلى  
وخرولت الى المكان الذى عينه لى ذلك المنكلم فوجدت المحفظه ونسب حمسه  
الاوراق التى نهمنى وبهد دترة السفارة ، ولم ياحذ مما كن عبت ٢  
الاوراق المائله !

وفى صباح اليوم التالى استقلنا القطار من باريس عبر مضى دوبركو  
الى لندن . وفى محطة فكتوربا التى انتهى اليها مسار القطار بهد المدسه  
حدث ما هو مضحك محرج معا ، فقد مر المسافرون فردى عبر دوبركو  
الكمرى ، وكان عبدالله لطفي يقدمنى الى موظف كمرك ليعيش بحبوبات  
حدثيه . واذكر ان هذا الموظف كان ساعده لآمن من مقطوعه عسر .  
سئرنه فى جنبها ، ومن فرط اضطراب عبدالله لطفي مذ يده رحوار سقره  
الى الردن التى تغطى اليد المقطوعه لا الى يده اليسرى التى يستعملها  
حدا الرجل تعويضاً عن يده اليمنى ، ورايت هذا الموظف يعزل عبدالله  
لطفى حاتبا لسبب لم احزره ولكنه قطعاً لم يكن بسبب الحط الذى وجه  
تبه عبدالله لطفي حين مد جواز سفره الى يده المقطوعة . ومررت اثا من  
استحواب موظف الكمرك بسهولة ، والنهت الى عبدالله لصفى الذى  
سئفني فى حط المسافرين فاذا سحنه وجهه قد صارت بلون اللبونه  
الجافة . وهو بطوي جذعه على بطنه ويشير الى باصابعه اليها . وسمعنه  
يقول من بن كفه الدرس جعل منهما بوقاً ليصل صوته الى  
- دكتور كمال بطني انهدت ( ثم اضاف ) وهو يشير باصبعه اليها : هذا  
الرجل مايفهمنى ، كلمه ياكمال بك

وتقدمت من رجل الكمرك واوضحت له حالة عبدالله لطفي المرضيه  
فسمح لى ان اتقدم من عبدالله بك لأخفف من روعه ، وقلت له  
- لن يحدث شيء يا عبدالله بك

ومال برأسه الى وهمس ، وكأنه يخشى ان يسمعه أحد ، ونحن بين  
موظفين لايعرف أحد منهم اللغة العربيه  
- عندي هدايا قضيه لبعض وكلائي فى لندن  
- وما فى ذلك ؟ نهايه ما فى هذا الأمر انك تدفع عنها الرسوم الكمركيه .

واخبرنا إنحلت المشكلة التي اختلفها لنفسه دون صعوبة بعد ان دفع  
عنها الرسوم الكمركية ، وعند خروجنا من دائره الكمرل قلت لعبدالله  
لطفي

- لم اصدق ان انفعالاتك النفسية سريعة التأثير هكذا !  
- أنا احكي لك ، ان صديقنا التاجر ( ص . ط ) ، قبل عام في مثل هذا  
الشهر فنشت حقائبه فوجدوا فيها حليا فضية وزهبية حملها هدايا  
لاصحابه في لندن ، فضبطوه وصادروه ونشروا اسمه كمهرب في مجلة  
اقتصادية تصدر في انكلترا ، كما اوففوا إعطاءه تأشيره دخول لبريطانيا  
لمدة خمس سنوات .

فانكرت حدوث ذلك ، كما ذكره لي عبدالله لطفي واكتفيت بقولي له  
- لابد ان ذلك الأمر له مخالفات قانونية اخرى . وعبرنا دائرة الكمارك  
بسلام . استقلنا سيارة تاكسي وسألنا سائقها ان يحملنا الى فندق معتدل  
الأحر وقرب من وسط المدينة . فارشدنا الى فندق ( ستراند ) القريب جدا  
من ساحة الطرف الأغر حيث عمود عال نصب على قمته تمثال القائد  
البحري ( نلسون ) الذي دحر نابليون في موقعة الطرف الاعر . وتقدمنا  
من دائرة الاستعلامات في هذا الفندق وسألنا موظفها عن ثلاث غرف  
لناوى اليها فسألنا

- هل حجزتم مسبقا ؟

فأجبناه

- كلا ، لم نحجز .

فخرجنا من طابور الوافدين الى هذا الفندق للحصول على غرف لهم  
ولم نكن نعرف أحدا في لندن لنستنجم به واذا كان عبدالله بك يعرف  
أحدا في هذه المدينة الصاخبة فانه لايعرف عنوانه فوقفنا متجمعين في  
ركن من بهو الفندق . وجاءت الفرع من السماء حين تقدم منا على حين غرة  
الدكتور يوسف دانيال ، وكنت أعرفه يوم كان موظفا في دائرة الياثولوجي  
بكلية الطب ببغداد ، فهاجر الى انكلترا وفيها عمل في مختبرات لصنع  
الادوية ، فاكتشف معادلة فيها مادة من الحديد يمكن حقنها في  
عضلة المريض فكوئء على هذا الاكتشاف بمبلغ من المال . فابتسمت  
للدكتور يوسف بملء فمي حين صار أمامي ، وعرضت عليه مشكلتنا في

عدم حصولنا على غرف في هذا الفندق ، فطلب منا ثلاثة باونات وغاب عنا  
ويعد ربع ساعة تقريباً عاد اليها وفي يده ثلاثة مفاتيح لثلاث غرف في هذا  
الفندق .

صحبنا عبد الله بك في صباح اليوم التالي بريارة أحد وكلائه بلندن ،  
وهو يمثل إحدى شركات صنع الحبر ، فاستقبلنا ذلك الرجل بترحيب بلغة  
انكليزية وعبد الله لطفي لا يعرف هذه اللغة غير أن ما بدا على وجهه كان  
يفل على ما فهمه مضمون تلك المقابلة الكريمة ، وصار على أن اكون  
المترجم في ما صار يدور بينهما من كلام . ولم تصعب على هذه الترجمة إذ  
كان نطق هذا الانكليزي واضحاً وليس متعجلاً . وبعد مداولات بين الطرفين  
كانت جميعها دون استئذء جارية بدت على وجه كل منهما امارات  
الرضا والتفاهم ، وأخلو من التحايل لمزيد من الكسب . وقبل أن ينهيها  
عندهما من الأمور التجارية ، رأيت أن أسأل مضيفنا الانكليزي عن  
الاماكن التي تستحق أن نقتل فيها وقتنا في هذه الزيارة للندن ، فأجابني  
- غداً يوم أحد و ( برايتون ) أفضل مكان لما تريدونه ، وأخذ ورقة مما  
على منضدته من الاوراق ورسم عليها مخططاً للوصول الى هذه المدينة  
الساحلية . وعملت بمشورته وأخذنا القطار الى برايتون . وفي يومى  
السبت والاحد ، قطار في كل ربع ساعة . وبرائتون منتجع صيفي على  
ساحل البحر ، يقصده الانكليز والاجانب ومن كل الاعمار . وفيه كل  
وسائل التسلية على البر وعلى البحر وعلى طول ساحلها فنانق ومقاهي  
وبارات ، ترسو على شاطئه اليخوت والزوارق ، أو تمخر البحر في ابعاده  
القريبة والبعيدة والناس من كل الفئات تخوض البحر وهي مبهتجة غارقة  
في المرح ورأينا على اليسار من الشاطئ خيمة خردلية اللون علق على  
مدخلها لافتة كتب عليها بالانكليزية ( صورة كاريكاتورية في خمس  
دقائق ) وقد طلع منها لحظتئذ رجل غارق في العمر ووجهه يعبر بوضوح  
عن طيات السنين المضنية التي مر بها ، ومع ذلك بقي يحتفظ بقامته  
المستقيمة وكان يحمل بيده صورة كاريكاتورية له اثار إعجابي ،  
واقترحت على عبد الله بك أن ندخل هذه الخيمة ليصورنا هذا الرسام كما  
نتراءى للناس لا كما نرى انفسنا في المرأة ، ووافق عبدالله لطفي على  
مقترحي ، ولم نسال رأي رفيقنا ( الجليبي ) في ذلك اليوم لعلنا أنه لا  
محالة يعارض الفكرة كما يفعل في كثير مما نعرضه لنحصل على الاجماع

في الرأي ؛ واكتشفنا أخيراً أن عدم اخذ موافقته افضل لنا وله ، فهو يوافق أخيراً على ما نقدم عليه بسكوت وبدون اعتراض ، وربما بدون تفكير . ودخل عبد الله بك الخيمة . وانتظرته أنا و ( الجلبى ) في خارجها وعبد الله بك كما تقدم ذكره تاجر في التبغ والسكاير وبعد نحو خمس دقائق خرج ويده الورقة التي رسمت عليها صورته وهو يجلس وراء منضدة واسعة نضدت عليها أعمدة من النقود المعدنية بفئاتها المختلفة ، وعلى جانب آخر من الطاولة نضد من أوراق النقد ، يحسب عددها باصابعه . وهو خالى الفكر إلاّ مما يمكن أن يخطيء في حسابه ، فقد طال رماد سكايرته التي في فمه حتى تدلى منها على ذقنه . أنها صورة ناطقة لما في فكر عبد الله بك . ودخلت أنا الى الخيمة بعد عبد الله بك فاذا داخل الخيمة غير معتمة ولا شفافة ، ويدخل من خلالها النور الذي لا يكون ضللاً معتمة . وطلب مني أن أجلس على كرسي صغير بلا متكأ لا من الخلف ولا من الجانبين وظل ينظر الى وجهي بدقة وهو يسألني عن عمري ومهنتي وهواياتي ؛ وما لبث أن أخذ القلم الاسود الغليظ وشرع يرسم على ورقة أمامه ما يراه على وجهي ، وبعد نحو خمس دقائق تقريباً قنم لي الورقة التي رسم عليها صورتي فاذا أنا أجلس فيها وراء منضدة . وعلى جانب منها نضد من الكتب وأنا ادس وجهي بين صفحتي كتاب أركز على قراءة ما فيه ، ورسم على جانبي من المنضدة صورة السماعنة التي يستعملها الاطباء المولدون . نعم كانت هذه الصورة معبرة عما يعتمل في نفسي وفكري . وخرجت من الخيمة ليدخلها ( الجلبى ) وهو كما قلت رجل غير متقف وذو طباع نافرة ، ولحوح في الطلبات وكأنه طفل مدلل وبعد دقائق سمعنا جلبة داخل الخيمة ويعلو صوت الجلبى بالشتائم والمصور الهندي يرد عليه بهدوء واستغراب ، وجاء الى ظني انهما لم يتفاهما في لغة التخاطب ، فاسفر ذلك عن نزاع أو عدم تراض بين الاثنين ولم انتظر طويلاً حتى دخلت الخيمة ورأيت الجنبى في حالة غضب مستطيرة - ما الامر يا جلبى ؟

- جلبى ( أكله ) ، شوف شسوى بى ، رأسى بكد الجبل وجسمى والرجلين لطفل صغيراً  
- فقلت له ، دعني از الصورة

وما كشفها لى حتى تولدت في صدري ضحكة خنقتها خشية ان تثير

حلجلبها مزيداً من غضب الجلبي على الرسام فيحدث ما لا نرضاه . كان الجلبي في هذه الصورة طفلاً نليس السروال القصير وهو يدفع بحماس طوقاً أمامه كما يفعل الأطفال وقد مدون . رافعا إحدى رجله الى أعلى والأخرى الى أمام . وهو متحمس كما يبدو على وجهه انه يحقق بهذه العجلة نصراً بهذه السرعة نقلت لصاحبي الجلبي لاهدته . وهو سريع التحول الى الرضا أو السخط

- ليس في الصورة ما يدعو الى الغضب على هذا المصور باجلبي . وسرعان ما هذاب ثورته واكتفى بتمزيق الصورة ونثر أوراقها على الارض .

### الايام الأخيرة من حياة الملكة عالية

كتب الله علي ان اعيش في قصر الزهور ببغداد تحواً من ستة اسابيع اعنى فيها بالملكة عالية زوج الملك غازي انتي كانت يومئذ مصابة بمرض عضال لا يرجى شفاؤها منه . ولم تغادر القصر الا بعد ان اعطت ابفاسها الأخيرة وهي مرتمية باعياء على كتفي الايسر . وقد سمعت وشاهدت اثناء اقامتي بهذا القصر أموراً كثيرة وغريبة سجلتها في ايامها بدقة وأمانة كجزء من تاريخ العراق الحديث .

\* \* \*

شكت الملكة عالية من اوجاع في بطنها السفلى فسافرت مع أخيها الأمير عبدالاله الى لندن بناء على اقتراح احد الاطباء الانكليز العاملين في الجيش العراقي واسمه ( دكسن مرث ) وعادت الملكة الى بغداد بعد بضعة اسابيع بعد ان ثبت للاطباء الاختصاصيين ان مرضها قد استفحل في جوفها واصاب كل عضويه ، واجتاز مرحلة المعالجة الشافية ، ولم يبق في وسع الطب والاطباء الا استعمال الحقن لتسكين الآلام المبرحة التي يثيرها ذلك المرض الخبيث فلا دواء ولا وسيلة أخرى في الطب لايقاف تفشيه ، وما يفعله من تخريب مميت يئنشر في اجهزة الجسم واحداً اثر آخر

\* \* \*

فوجدت بحبر مرض الملكة عالية ساعة استدعاني رئيس التشريعات الملكية بحسين قدري الى قصر الرحاب . وحين صرت في صالة هذا القصر كان قد سبقني اليها كل من الدكتور هاشم الوتري والدكتور هادي الباجه جي وكان معهما الطبيب العسكري الانكليزي دكسن فرث . وعلمت من هذا الطبيب انه هو الملكة عالية وأخوها الامير عبد الاله قد وصلوا نوا الى بغداد . وفي تلك اللحظة ونحن نتحدث في مرض الملكة دخل عبد الاله الصالة وعليه علامات التعب جراء الرحلة الطويلة بطائرة الفاىكاوتت من لندن الى بغداد

قال يخاطب دكسن فرث : ارحوك ان تشرح للاخوان مشكلة جلالة الملكة وما يجب ان تفعلوه لاجلها . انها تتألم فاعملوا شيئاً بالله عليكم ، وسأترككم على ان تطلبوني حين تنتهون من التشاور في أمرها : واستدار ليخرج من الصالة ، وما كاد يصل الباب حتى استدار وخاطبنا جميعاً قائلاً : ان الملكة لا تعرف طبيعة مرضها فاحذروا ان يفلت من لسانكم ما يشير الى ذلك ، ثم خرج من الصالة . وما كاد يوصد بابها من ورائه حتى عاد وهو ينادي كلبه الضخم ، الذي لم ينته بعد من شم أذيال سراويلنا واحداً بعد واحد ، وأخرجه عنوة وهو يسحبه من حلقة برقبتة ، وكان يبدو على عبد الاله الاضطراب وهو يستنشق بتلاحق دخان سيكارتة .

لم تكن صالة قصر الرحاب ، التي اجتمعنا فيها ، توحى بانها غير اعتيادية ، ولا هي أفضل من صالات البيوت البغدادية الميسورة الحال ، فسعتها معتدلة ، واثاثها مألوف ، وثمة صورة زيتية حسنة الصنع للملك علي ( والد عبد الاله ) وأخرى لأخيه الملك فيصل الاول ، وبينهما صورة لابيهما الملك حسين ، وصورة اخرى كبيرة معلقة على جدار جانبي تمثل عدداً من كلاب ( الهاوند ) تطارد ابن أوى وهو يعدو مذعوراً أمامها . ومن وراء الكلاب جمهرة من الفرسان على ظهور خيولهم . وتملاً معظم الجانب الايسر من الصالة خزانة كبيرة صفت على رفوفها كتب عرفت من بينها الموسوعة البريطانية ذات الغلاف الازرق الجلدي الثمين ، والى جانب الخزانة صندوق خشبي دقيق الصنع وقد رفع غطاؤه فبدت بعض الشيء اعناق قناني لمشروبات المختلفة .

لم يطل النقاش في موضوع الملكة المريضة : فعلتها قد شخصت في لندن ، لذلك اقتصر نقاشنا على ما يجب ان نعمله لراحتها وتخفيف الآلام

التي لا تنفك تداهما بقسوة . نُسب في هذا الاجتماع ان اكون ( أنا )  
دوما في قصر الزهور حيث تسكن الملكة المريضة لالبي طلباتها العاجلة .  
لم اكن حتى ذلك اليوم قد رأيت الملكة المريضة ، وكل ما عرفت عنها  
وعن مرضها كان نقلاً الي من الدكتور دكسن فرث . وفي اليوم التالي إتصل  
بي هذا الطبيب وحدد موعداً لياخذني الى الملكة في قصر الزهور ، ويقدمني  
اليها كطبيب خلفاً له بعد ان يغادر الى لندن بعد يومين . كانت الساعة  
الرابعة بعد الظهر حينما وجدت الدكتور دكسن فرث ينتظرنني عند جسر  
الخر من طرفه الثاني . وحين تبعته الى المنعطف الذي يؤدي الى قصر  
الزهور أوقفني رجل بهيئة فلاح وطلب مني ان اسلك الطريق الايمن لاصل  
الى المدخل الخلفي للقصر ، وهو اجراء حدث بعد عودة الملكة من لندن  
لابعاد أصوات السيارات التي تصل الى باب القصر الرئيس ، أو تغادره ،  
عن مخدع الملكة المريضة الذي يقع فوق المدخل الرئيس لقصر الزهور . وقد  
ظهر لي القصر ، وأنا أدرج في هذا الطريق ، بسقوفه القرميدية الحمراء  
وسط غابة تشكو الاعمال والعطش . وفي طريقي شاهدت بستانياً يعتدل  
واقفاً في مكانه ليرقب سيارتي وأنا اقودها ببطء . كما شاهدت بستانياً  
آخر قريباً منه ينحني على حزمة من الاغصان الجافة ، يلثمها بيده  
ويروضها بركبتيه على الأرض . وحين وصلت باب القصر الخلفي ، وهو  
المدخل الى مطبخه أيضاً ، الفيت الدكتور دكسن فرث في انتظاري ، فلما  
صرت الى جانبه تقدمني بخطى بطيئة الى داخل القصر لدجناز صالة  
صغيرة صفّت على جوانب ثلاثة منها أرائك بدا لي قماشها باهتاً أو عتيقاً .  
وفي وسط هذه الصالة طاولة مستديرة عليها وعاء بلوري مليء بزهور  
طرية . ولما اجتزنا هذه الصالة دخلنا دهليزاً قليل الاضاءة تنفذ الى  
جانبه الايسر أبواب ثلاثة غير متقاربة ، ومن جانبه الايمن باب وسيع  
عرفت بعدئذ انه الباب الذي ينفتح على قاعة العرش .

### ■ مقابلة الملكة المريضة

لقد بدا ما شاهدته الى الآن من قصر الزهور كئيهاً أو مهجوراً ، فلم أر  
في الصالة التي اجتزناها ، ولا في الممر ، من يقودنا الى السلم الذي يوصلنا



الى الطابق الثاني من القصر . حيث حجرة الملكة المريضة . وبدأ لي ان الدكتور دكسن فرث كان يعرف طريقه الى الملكة مثلما كان يعرف الطريق الذي يجب ان يسلكه الى المدخل الخلفي للقصر دون ارشاد من أحد . فقد تقدمني بثقة الى السلم العريض المرمي المقابل للمدخل الرئيس للقصر . وعلى ناصية السلم العليا صورة الملك فيصل الثاني في صباه والى جانبه الكلب الضخم الذي رأيته قبل يوم في قصر الرحاب .

كانت حجرة الملكة عالية على يسار نهاية السلم ، وكان بابها مغلقاً إلا قليلاً . ولما نقر الدكتور دكسن فرث على الباب باصبعه ، طلعت علينا سيدة ملونة في عقدها الرابع أو الخامس من العمر ، ووسعت لنا فرجة الباب وهي تقول بلهجة لا تبدو عراقية : تفضلوا .

كان واضحاً ان الملكة قد أخطرت بحضورنا الى القصر ، وأنها تتقرب مثلنا أمامها بين لحظة وأخرى . كانت مستلقية في سريرها حين ولجنا حجرتها . وعلى وجهها ارتياح مصطنع . قلت لها : صباح الخير ستي الملكة . وشعرت حالاً اني اخطأت في هذه التحية فقد كان الوقت يقرب من المساء . اما الملكة فقد ابتسمت بغير تكلف وقالت لتسترخجلي : لا بأس ، فكل النهار في نظري صباح : وهنا قال الدكتور دكسن فرث يخاطب الملكة : انه الدكتور السامرائي يا صاحبة الجلالة ، فقالت الملكة : سمعت عنه قبلاً . واردفت وهي تلتفت نحوي : أهلاً دكتور كمال . ويسطت يدها اليمنى الي ، فصافحتها بحياء واهتمام وانا أشعر بارتياح مفاجيء إذ خاطبتني باسمي الاول .

وتحوّل دكسن فرث نحو منضدة عند رأس سرير الملكة ، وصار يمر باصابعه على عدد من القناني التي صفت عليها . ففهمت انه يريد ان يعلمني بصمت ان ما على هذه المنضدة هي الادوية التي سأحتاج اليها في معالجة الملكة بعد مفادته العراق ، كانت تلك الادوية انواعاً من العقاقير المقوية للبدن والمسكنة للآلام ، وجميعها مألوفة عندي ، فلم اعلق أو استفهم عن أحدها . وانتهت هذه الزيارة القصيرة بعد دقائق ، وانسحبت من حضرة الملكة وراء دكسن فرث وانا اقول لنفسي : ان قصر الزهور هو الملكة عالية ، وكلاهما في دور الاحتضار .

في مساء اليوم التالي أخبرني دكسن فرث تلفونياً أن ثمة تغييراً طرأ على نهج خدمة الملكة ، وبموجبه سيبقى هو في بغداد بناء على طلب الأمير عبد الاله ، وسأسكن أنا في قصر الزهور كطبيب ثان الى جانبه لخدمة الملكة . وهذا ما حصل . فالتزمت مقامي في الطابق الأرضي حيث رُتبت لي حجرة مريحة فلا أصدد الى الطابق الأعلى إلا اذا طلب الي ذلك . وعموماً ، كانت طلبات الملكة مني بسيطة لا تتعدى الاستشارات الطبية العابرة . أما التي أكثر من ذلك من ذلك فيضطلع بها دكسن فرث . وكنت اسحب من حضرتها حالما انفذ طلباتها ، مالم تطلب مني خلاف ذلك فاذا سألت « عزة » ان تأتي بكرسي الى جانب سريرها أنهم حينذاك أنها ترغب ان امكث الى جانبها لتتحدث معي . وعزة هذه ليست بنت الملك فيصل بل هي ربيبة أم عبد الاله ، وهي التي فتحت لنا باب حجرة الملكة حين زرتها مع دكسن فرث لأول مرة .

لا اذكر ان الملكة اشارت يوماً الى طبيعة مرضها ، أو استفهمت مني عنه . وفي ظني انها كانت تعرف ذلك ، فتعبر عن مصيبتها بتكرار الاستغفار من الله والحمد له ، كما لا اذكر يوماً خرجت فيه عن شخصيتها المألوفة حتى وهي في أشد نوبات الألم . وكانت المسكنات في أيامها الأخيرة قد فقدت مفعولها ، فتطلب منا أحياناً أن نتركها وحدها في هذه الحالة . وكانت تحصر حديثها حين يكون ألمها طفيفاً في شؤون ابنها الملك فيصل الثاني ، وفي موضوع الحديقة والاعتناء بتنسيقها والاهتمام بسقيها . قالت لي ذات يوم : سمعت أنك تعنى بجني الورود : كان الكلام يتعبها فتتعلق بتقطع وقد تكمل العبارة بحركة من يدها . هل في حديقتك وردة « الأميرة » فلما أجبتها بالنفي قالت : ان أصل اسم هذه الوردة الجميلة « انثينا » وأنا التي اطلقت عليها اسم « الأميرة » لنظارتها وكبريئتها ، وقد ادخلت بغداد وطلبت من أمانة العاصمة ان تعممها بين هواة الورود . واستراحت لحظة ثم قالت : وأنا أيضاً ، ادخلت وردة « ذي كذك » وسميتها « سلطان الورد » كانت الملكة تهوى الكلام عن الورود ، فتابعت تقول : ان « سلطان الورد » هي الوردة الوحيدة ذات العطر القوي ، ويزداد أريجها في الظل وفي الليل أيضاً .

ذات يوم كنت الى جانب الملكة المريضة وسمعنا طلقات نارية غير بعيد عن القصر . وبدأ لي ان ذلك كان مألوفاً عند الملكة فقالت لي : انه فيصل يتمرن على اصابة الهدف . وفاجأتني بسؤالها : كيف ترى فيصل يا دكتور ؟ فقلت لها : يحفظه الله تعالى انه خير خلف لخير سلف . فقالت بلغة بغدادية : الله يسمع من ( حلكك ) . ثم سألتني : هل رأيت كتابه ؟ فقلت لها : اي كتاب ياسيديتي ؟ قالت : انه يؤلف كتاباً بعنوان « كيف تدافع عن نفسك » وقد زينته برسوم عملها بيده . ويأمل ان يطبعه . . ثم سكنت قليلاً لتقول : ان الكتاب باللغة الانكليزية . أما أنا فلم أر الكتاب إلا ان الملك فيصل كان يشير اليه اثناء الحديث في مجالسنا أو اثناء تناول العشاء .

وسألتني الملكة عالية يوماً : هل تدخن ؟ فأجبته : نعم ياسيديتي . فقالت : ان أمي تدخن ، وأخي عبد الله يدخن بنهم . أما أنا فلا احتمل شم رائحة الدخان . فحسبت هذا الذي قالته الملكة اشارة الى ان لا ادخن في حضرته ، وما كنت أجسر اصلاً ان افعل ذلك . ومع هذا صرت لا ادخل حجرته الا بعد ان افرغ جيوبي من كل أثر للسكائر بما في ذلك علبة الكبريت .

كانت الملكة عالية ذات حلاوة في خلقتها وخلقها ، وفي نطقها وتحديثها ، باسمه دوماً ، ولا تنسى قط ان تشكر من يقدم لها خدمة مهما كانت ضئيلة . كما كانت عطوفة على الفقراء .

ذات يوم سألتني الملكة : هل رأيت عمي الملك عبد الله ؟ لقد جاء ليراني . وما كنت اعلم انه في بغداد ، فأجبته : كلا ياسيديتي . لم اتشرف بمقابلته ، فقالت : سأطلب من تحسين قدرتي ان يترقب لك مقابلة معه . وفي مساء اليوم نفسه أخبرني تحسين قدرتي ان اكون جاهزاً في اليوم التالي لزيارة الملك عبد الله . ثم ارف : في الساعة الرابعة عصراً . وقال أيضاً : ان الملك عبد الله يعرف الدكتور الوتري وسأخبره ان يكون معنا في زيارته . وقبل الساعة الرابعة كنا في دار صغيرة متواضعة ذات حديقة كبيرة مهمة ، ربما كانت تسمى ( قصر الملح ) . واستقبلنا شاب اسبق في العقد الثالث من عمره وهو يقول : مرحباً ، ان جلالة الملك في انتظاركم ، وسأخبره بحضوركم حالاً .

كان الملك عبد الله واقفاً وسط غرفة غير كبيرة ، علّف وأجهدها بالواح خشب الساج عدا الموقد الانبثق المحدد بقطع من الفاشاني ، مرصوفة بذوق وموازنة . وكان الموقد مليئاً بأعواد الأشجار المفطوعة باعتناء ، ولم تكن موقدة .

بسط الملك عبد الله يديه نحواً قبل ان يرحب به ، ثم قال . مرحباً بالحكماء يا مرحباً .

كان لمظهر الملك عبد الله طابع ديني برأسه الحليق وعمته البيضاء وعذبتها الرشيقة . وكثر ترحيبه بنا وهو يقول : تفضلوا ، مشير بيديه الى اريكة الى جانب كرسي منفرد . ولما انتظروا جلوسه على ذلك الكرسي قال بتودد : تفضلوا يا اخواني . . تفضلوا ارجوكم . وعاد يقول : قهوة مزة ، أليس كذلك ؟ ودخل شخص غير الذي استقبلنا عند باب هذه الدار وهو يحمل فناجين القهوة ولم يكن الملك قد طلبها بعد . وبعد برهة سأل الملك الدكتور الوتري : هل لا تزال الملاريا والبلهارزيا منتشرة في العراق ؟ ولما نفى الدكتور الوتري ذلك قال الملك : احمد الله . ثم عاد يسأل : حتى في جنوب العراق ؟ فأكد الوتري على ذلك بتحفظ . ثم قال الملك : ان الرجال والنساء في الأردن يعملون ، ومن تجاوز امانة كثيرون . ثم تابع ذلك يقول هل تعتقدون ان البيئة لها دخل في هذه الظاهرة ، أم العنصر ؟ ففي الاردن كثير من غير العرب دخلوها منذ الحرب العالمية الاولى . ثم قال : ارى ان هذه الظاهرة تستحق الدراسة .

كان الدكتور هاشم الوتري دوماً قليل الكلام او المبادرة الى طرح موضوع يدفع الجالسين الى التحدث فيه . كما كان الملك في هذه المقابلة يلاحظنا بالملاحظات والاسئلة دون ان ينتظر منا الاحابة أو التعقيب ، وكانت اسئلته موضوعية تجذب النظر حقاً .

سأل الملك الدكتور الوتري : قل لي يا حكيم . . ما هي هوايت بالاضافة الى ممارسة الطب وتعليمه ؟ وهنا ايضاً لم ينتظر من الوتري جواباً بل قال : انا أهوى القراءة ولعبة الشطرنج . والى يمين سريري المصحف الشريف والى يساره كتاب « مقاتل الطالبين » لابي الفرج الاصفهاني ، وفي كليهما سلوى وعبر . وتذكرت حالاً وأنا ما زلت بحضرة الملك عبد الله ما سمعته يوماً من عبد الله ، وكان يومئذ جالساً الى جانب الدكتور الوتري في حفلة لكلية الطب بقاعة السينما . كان الوتري طبيب

الملك علي وسمعت بعضاً مما دار بينهما من حديث . قال عبد الاله : ان اباه الملك على كان يحتفظ دوماً بمصحف « عذمان » الى يمين سريره ، ويكناب « مقاتل الطالبين » الى يساره . وما أنا أسمع من الملك عبد الله ما سمعته عن الملك علي على لسان ابنه عبد الاله ، فهل ان ذلك مصادفه أم تقليد بين كبار الاسرة الهاشمية ؟ وفي تلك اللحظات رن جرس التلفون الذي كان بمحاذاة كرسي الملك عبد الله فتناوله دون ان يتحرك من مكانه ، وسمعته يردد بشيء من الهلع : وماذا قال الطبيب ؟ لا بأس ، ابق معها والدكتور هاشم الوتري وكمال السامرائي معي . . هل تريد الدكتور الوتري ؟ طيب . . طيب . . سلامات . واعاد سماعه التلفون الى مكانها ،

والتفت اليها قائلاً : الملكة أم عبد الاله اغمي عليها . وبعد لحظة ارهاق ، ساعدها الله . ثم قال : كنت اتوقع ان ياتي عبد الاله واحتما معي ، لكنه اعتذر كما سمعت بسبب هذا الحادث . وسكت ليمول . ان الله مع الصابرين لا بد لي من رؤيتها اليوم لانني سأعود الى عمان غداً صباحاً . ورأينا ، بعدما سمعنا ما حدث ، ان ننهي زيارتنا للملك عبد الله : فودعنا الملك واقفاً ، وعاد يقول بتكرار : مرحباً . . يامرحباً .



واسم أم عبد الاله « نفيسة » وهي ابنة أحد اشراف مكة ، ذات حجم صغير وبدن نحيف وسحنة سمراء يستشف منها حزن دفين . وهي تدخن سيكارة رفيعة اسمها « غازي » تضعها بعجلة وتوتر في مبسم غير قصير ، ثم تدفعها بعجلة ايضاً بين شففتيها . وهي تبدو صارمة دوماً ، ونطقها ذو رنة أمرية ، إلا مع حفيدها الملك فيصل الثاني فهو يلين بتعاطف وعذوبة .

الملك فيصل الثاني قصير القامة باسم الطلعة ، وجرس نطقه رجولي بالنسبة لعمره ، ويتكلم الانكليزية بطلاقة وينطق سليم القواعد ، وهادئ بلا تكلف ، وظريف في حديثه وفي محادثة جلسائه . وأحب هواياته اليه استعمال السلاح ، والكلام عن ميكانيكية السيارات . وقد يذكر خالاته باسمائهن اذا اقتضت المناسبة أما عن امه الملكة عالية فلا اذكرانه أشار اليها من قريب أو بعيد ، وربما كان يتحاشى ذلك لكونها مريضة وموضوعها يؤله ، وخالته الاميرة عابدية عانس في العقد الرابع أو

الخامس من عمرها ، قريبة الشبه من أمها ، وهي مثلها ، قليلة الكلام أيضاً ، وملتصقة دوماً بالملك فيصل للعناية بحجرة نومه وشؤونه الخاصة في القصر .

أما خالتها « بديعة » ففي نحو الثلاثين من عمرها ، ذات وجه سمح وعينين ضاحكتين براقنتين ، وكنت طبييبها اثناء مرض الملكة ، وبعد وفاتها أيضاً وطبيباتها علي كثيرة ، وكذلك زوجها الشريف حسين ، الجم التواضع والانب .

والاميرة جلييلة أصغر خالات الملك فيصل ، وأجملهن ، وادقهن عوداً ، وهي زوجة أحد أقاربها الذي عاش في استنبول ، وينطق العربية بتعثر . وكان في قصر الزهور لا أراه إلا نادراً ، ويكون ذلك في معزل عمن في القصر من الاميرات والأمير عبد الاله ، واره أحياناً ( يرفو ) جورياً في يده فينظر الى بعين خفيضة فاستغرب من ذلك اشد الاستغراب . كما كنت اراه أحياناً بصحبة الدكتور توفيق رشدي في الردهة الثامنة وقد اسمعهما يتكلمان التركية .

أما الاميرة جلييلة زوجة الدكتور حازم فلا اذكر اني رأيتها يوماً بين أخواتها الاميرات ، ثم علمت أخيراً انها مصابة بلوثة عقلية وقد نصح الاطباء أهلها ان يراقبوا سلوكها وتحركاتها فقد تستغفلهم على عمل شنيع فتقتل نفسها او تقتل غيرها ، واحتاطوا لهذا الأمر من وجوه كثيرة ، ووضعوا قضباناً من الحديد على شبابيك حجرتها . على انها كانت دوماً هادئة ومستسلمة وعلى ثغرها ابتسامة جامدة . ويدفعها القدر ذات ليلة ان تسكب على نفسها النفط وتشعله . ولم يعرف بذلك من في الدار الا بعد ان انبعث الدخان من ملابسها المحترقة ولحمها المشوي .

كان الوقت في الساعة العاشرة مساءً حين كلمني أخوها الأمير عبد الاله بالتلفون ؛ ومن شدة اضطرابه لم افهم كلامه ، ولم أميز صوته ، فاستفهمت عن المتكلم ، فصاح بحدة : اختي الاميرة جلييلة احترقت

وسأخذها الان الى مستشفى السامرائي ولم يزد على ذلك .  
ودفعاً للمسؤولية اتصلت بالاستاذ « وردل » وهو خبير ، بحالات الحروق ، وطلبت منه ان يذهب حالاً الى مستشفى السامرائي لامر مهم جداً . وبعد ساعة ، أو أكثر قليلاً ، وصل عبد الاله

وهو يقرر السيارة وإلى جانبه زوج جلييلة ، وفي المقعد الخلفي كان كل من أم عبد الاله والست أمة سعيد وبينهما جلييلة المحروقة ، وقد نزلت جلييلة من السيارة بغير مساعدة كبيرة . كانت الحروق تقطي أكثر جسدها ، من الرأس الى القدم ؛ ومع ذلك لم تفارق الابتسامة الجامدة فمها وهي تنظر الينا بمزيج من البلادة والخجل والاعتذار . وفي اليوم الثاني ، ظهراً فارقت جلييلة الحياة بهدوء ، وأما تنظر اليها بعينين جامنتين ، وشفتاها تختلجان ، ثم سقطت مغمية على صدر ابنتها الميتة ، فاحتضنها ابنها عبد الاله وساعدته انا على حملها الى خارج الغرفة حيث اودعناها الى الدكتور « هاريكريفز » ليتولى اسعافها ، وعاد عبد الاله الى اخته المسجاة في سريرها وانحنى على وجهها وقبلها من جبينها ، وخرج من الغرفة وهو يسال وفي عينيه الدموع أين أمي ؟ وعبد الاله أصفر من أخقه مقبولة واكبر من جلييلة . في وجهه وسامة إلا اذا تبسم ضاحكاً فتبدو ملامح وجهه مصطنعة وهو ، كما يدعي ، أطول افراد الأسرة الهاشمية . وهواياته الأولى مشاهدة سباق الخيل ، وله ، وللملك فيصل ، مقصورة خاصة تشرف على ساحة السباق في منطقة المنصور ببغداد ، كما كان يهوى رياضة صيد ابن أوى في ضواحي بغداد أو في جزيرة « أم الخنازير » القريبة من الدورة وكان نادي صيد ابن أوى ، الذي كان عبد الاله احد اعضاءه ، يقيم حفلات سنوية في بهو أمانة العاصمة المجاور لوزارة الدفاع يحضرها من ضمن المدعوين بعض الوزراء وضباط الحرس الملكي .

وعبد الاله يدخن بكثرة ويشرب الوسكي حتى تنتفخ جفونه وتحمر عيناه ، وحينذاك ينكمش في غرفته يجالس فيها ضابط الخفر بالقصر . وهو ، مثل أخواته ، يحترم أمه ويخشى سخطها ، ولا اعتقد انه يقابلها وهو مخمور ، أو في فمه سيكارة . وتصرفه المنظور مريب ، وقد يخرج عن طوره اذا اغتاط ، فلا يتساهل مع من يستفله أو يفالطه . ومما يدخل بهذا المعنى ، ما حدث ذات يوم في مكتبة القصر حين كان البيطار الانكليزي الميجر جادوك والدكتور بكسن فرث يلعبان الشطرنج ، وعبد الاله يتابع اللعبة واقفاً . ففي تلك اللحظات رن جرس التلفون فرفع تحبين قدرى السماعه الى أذنه . وطال الحديث بيده وبين المتكلم في الطرف الثاني من خط التلفون ثم التفت نحو عبد الاله وهو يقطي

سماعة التلفون براحة يده وقال :

جماعة يطلبون مقابلة سموكم ، عاجلاً ان أمكن ، فقال عبد الاله ، بعد لحظة تفكير : لياأتوا . وبعد أقل من نصف ساعة كان في المكتبة خمسة اشخاص عرفت من بينهم جواد جعفر وذبيان القبّان . أما الثلاثة الآخرون فلم أعرفهم مع ان وجوههم لم تكن غريبة عني . وبعد لحظات ، والزائرون واقفون ، رفع عبد الاله رأسه عن الشطرنج وقال يخاطب جواد جعفر : تفضل استاذ جواد .. خير ان شاء الله . ما هو الامر العاجل لهذه الزيارة ؟

كان عبد الاله يعرف جواد جعفر الذي كان لمدة طويلة يعمل سكرتيراً في مجلس الوزراء ، وكان قد حدث بينهما لاحقاً خلاف على تحديد أرضيهما المتجاورتين في كراة مريم ، فرقع جواد جعفر شكوى الى القضاء ، ثم سوّيت القضية صلحاً . قال جواد جعفر يخاطب عبد الاله : « تعرفون سموكم ان للسيد عبد المهدي خدمات كثيرة ، لسموكم ولهذا البلد ، وهو الآن موقوف في مركز شرطة الكراة ، فلو يتفضل سموكم وتأمرون باخلاء سبيله بكفالة .. » . وهنا قاطعه عبد الاله ليساله : من هو الذي أمر بتوقيفه ؟ فاجابه جواد جعفر : انه حاكم الكراة سلمان بيات . فساله ثانية : ولماذا أمر بتوقيفه ؟

فاجابه جواد جعفر : بتهمة التحريض على قتل الشيخ « سالم الخيون » وبعد لحظات ، وعبد الاله يحنق في وجهه جواد جعفر ، قال له : استاذ جواد .. انت « شلون » تقبل ان أتدخل باختصاصات القضاء ؟ ثم أرفف بغضب : اتصلوا بالحاكم بالطرق الاصولية والامر بيده لا بيدي ، ولا تجعلوني وسيطاً لكم ، لا ، هذا ما لا أعمله ، وأدار ظهره لجواد جعفر وعاد يتابع لعبة الشطرنج ، وانسحب الزائرون خارجين من المكتبة .

تقع مكتبة القصر الى يسار المدخل الرئيس للقصر ، وفي مقدمة الدهليز الذي يصل الى قاعة العرش . وهي غرفة غير واسعة تشغل وسطها منضدة قوائمها رشيقة ومزخرفة ، وخلف المنضدة كرسي يناظرها جودة ونوقاً . وعلى المنضدة تلفون احمر اللون وبعض اوراق طبع على زاويتها اليمنى شعار الدولة العراقية وعلى الجدار المقابل لمدخل المكتبة ثلاث صور زيتية ، الوسطى منها للملك حسين رأس الاسرة الهاشمية ، واليمنى



للملك فيصل الاول واليسرى للملك غازي . وتغطي ارض المكتبة سجادة من نوع البخارى ، نحاسية اللون ، نفيسة الصنع لولا انها متهرئة من زاويتها اليسرى .

كنت في المكتبة وحدي ذات يوم ، فدخلها ناظر الخزينة الخاصة سعيد حقي بينما كنت أتصفح جريدة الزمان البغدادية . وكان بيني وبينه سلام وكلام منذ زمن ، قبل التحاقى بخدمة الملكة في قصر الزهور . وكان يتردد الى القصر لرؤية الملكة اثناء مرضها وقد يجيء فلا يراها ، فجلس في المكتبة ونطرق باحاديثنا ابواباً وفنونا كثيرة من شؤون الحياة . وقد لمست من احاديثه انه يحترم الملكة عالية ويخدمها بصدق واخلاص . كما كانت هي توليه مصالحها بثقة ، وتوكل اليه حقوقها ، بما في ذلك حصتها في معمل الغزل والنسيج المعروف بمعمل الوصي . وحين ذكر سعيد حقي هذا المعمل قال مستدركاً : ان هذا المعمل شركة مساهمة اكثر حصصها لنجيب الجادر وليس لعبد الاله اكثر من ( ١٤ ) بالمائة من رأس مال الشركة . أما الخزينة الخاصة فلها ٣٠ بالمائة ، وللملكة عالية نصيب من هذه الحصص الاخيرة . وتكلم سعيد حقي بتفصيلات ملكية العائلة المالكة ، ثم قال بصراحة استغفرتها : ان عبد الاله لا يريد ان يدير اموال الملكة ، فادخله وزيراً للدفاع في وزارة ارشد العمري لبيعده عن الخزينة الخاصة . ثم قال : ولذلك اسباب . وسكت . ثم عاد بعد برهة يتكلم فقال : كنت مرة ، في احد ايام الجمع ، لدى الاسرة المالكة ، وكان بين الحاضرين نوري السعيد وعبد الاله . وقد ذكر الملك غازي في هذا الاجتماع انه يرغب في ان يكون عمه الامير زيد وصياً على ابنه فيصل فيما لو حدث له شيء ! . فلما توفي الملك بحادث السيارة ، ادعت عالية انها كثيراً ما سمعت زوجها الملك غازي يولي الوصاية على ابنه لاختيها عبد الاله . وأيد نوري السعيد هذه الشهادة . ولكي تحقق عالية الوصاية لاختيها عبد الاله اتصلت بي ( اي بسعيد حقي ) تطلب مني ان لا أدلي بشهادتي عما سمعته من الملك غازي بشأن اعطاء الوصاية الى الامير زيد ، وان أقول كما قال نوري السعيد . وتررت تفضيل عبد الاله على الامير زيد بكونه اخاها ، وانه اعلم بامور العائلة وشؤون المملكة من الامير زيد . ثم ارفف سعيد حقي : فقلت للملكة « في هذه الحال ارجو استبعادني عن اداء الشهادة لكي لا أفسد شهادتك وشهادة نوري السعيد » وكان موقفى هذا هو الذي جعل الملكة

تولينني تقديراً خاصاً ، ويعكس ذلك جعل الأمير عبد الاله يمقتني ولا يرتاح الي .

كنا نتناول وجبات العشاء في غرفة الطعام الصغيرة المتصلة بالمطبخ . ويحضر العشاء عادة كل من تحسين قدري والدكتور دكسن فرت والمرافق الاقدم للملك اللواء عبيد المضايقي وأنا . وكثيراً ما يترأس المائدة الملك فيصل ، وحينئذ يقوم هو بملء صحنونا بالطعام ، ينقله من صحن كبير يضعه خاتم المائدة في متناول يدي الملك . كما كان يطيب للملك ان ينقل الطعام الى صحنونا بالملعقة والشوكة في يد واحدة كما يفعل النذل المتمرس في خدمة الزبائن بالمطاعم الفخمة . فاذا قلت له : شكراً يا سيدي . . هذا يكفي ، قال ، وهو يضيف ملعقة أخرى الى ما في صحتي : يا شيخ . . انت أكلك قليل . ولم يكن طعام مطبخ القصر شهياً بالنسبة لي ، ولا كانت الفاكهة طرية دائماً . وبعد الانتهاء من تناول العشاء نعود الى مجلسنا في الصالة الصغيرة لنحتسي القهوة . وقد يحضر بعض الوزراء في هذا الوقت فننتحدث في أمور الحياة الدنيا ، ما خلا الحديث عن مرض الملكة ، والملك ينصت اليها أو يعقب على احاديثنا باقتضاب . وقد يحضر نوري السعيد عن طريق غرفة الطعام ، وشعره منفوش ، وببده السدارة المملثة بمسدس صغير من نوع « سميث آند ويلسون » ويسأل حين يطلع علينا عند عتبة الصالة : أخباركم ياربع ؟ ويقصد بذلك صحة الملكة . فتجيبه بمثل ما نجيبه في سائر الايام رغم انها في حال أسوأ من السابق . وما يكاد يرتمي في احد الكراسي حتى يطلب كوباً من الشاي ، فلا يشربه حتى يبرد تماماً . . ولم يكن يدخن يومئذ . .

لم يكن عبد الاله يحضر مجلسنا بعد العشاء إلا اذا حضره نوري السعيد . وكان يحترمه ويحجم عن مقاطعته اذا تكلم ، ويخاطبه بلقب « باشا » دون ذكر اسمه ، بينما يخاطب الوزراء باسمائهم أو بلقب « بك » بعد اسمائهم . أما نوري السعيد فيخاطب عبد الاله بلقب سمو الأمير ويخاطب الوزراء بلقب « بك » أو « استاذ » .



كنت في صباح كل يوم انتظر الدكتور هاشم الوتري والدكتور مهدي فوزي لنضع صيغة التقرير الطبي اليومي عن صحة الملكة ، ولم يكن أي منهما قد رأى الملكة مدة مرضها . ثم نترجمه الى اللغة الانكليزية ليوقع

عليه الدكتور دكسن فرث الى جانب تواقيعنا قبل ان يذاع من الاذاعة او ينشر في الصحف المحلية في باب « التشرifications » الملكية » .

وفي ليلة ، جزنا الحديث الى الكلام عن تاريخ بغداد في العهد العثماني وعن الطب والاطباء في تلك الحقبة . وقال نوري السعيد فيما قال انه ، في صفه ، أصيب بحمى طالت به بضعة أسابيع ، فاستدعي له الدكتور يانقو ثم الدكتور مظفر بك ، وهما تركيان ، وكانا اشهر طبيبين في بغداد ، فلما عجزا عن ابرائه من الحمى التجأت أمه الى عجوز من محلة الطوب تستشيرها ، فنصحتها هذه العجوز بشرية بول أم البننت ، وكان نوري السعيد يتكلم بالانكليزية ليفهمه دكسن فرث . وبينما كان يضحك وهو يسرد حكايته عن البول سأل دكسن فرث متعجباً : وهل شربت ذلك البول يا باشا ؟ فاجابه نوري السعيد ضاحكاً : لم اعرف أني شربت بولاً إلا بعد أيام تالية ، حين اختفت عني الحمى نهائياً ! وانقطع عن الضحك فجأة حين ظهر عند باب الصالة وزير الشؤون الاجتماعية ماجد مصطفى وخلفه مدير الصحة العام الدكتور هادي الباجه جي وهو يتأبط رزمة مغلقة باتقان . وقبل ان ياخذها مجلسيهما سأل نوري السعيد : ماذا تتأبط « يادكتور » هادي ، خيراً أم شراً ؟ فاجابه الدكتور هادي : خيراً ان شاء الله . وعاد نوري السعيد يساله : وماذا في هذه « اللفة » ؟ فقال هادي الباجي جي : انها قنينة الماء الذي طلبته الملكة من أحد أديرة باريس . في هذه اللحظة اعتدل نوري السعيد في كرسيه ، وقال له بتهكم : انت تريد ان تشفيها بهذا الماء ؟ أهذا هو طبك يا هادي ، لو تريد أهل بغداد « يدكولي طبل » . أنا « صوفتي حمرة » ، والملكة كما قرر الاطباء ميؤوس من حياتها . وهنا بخ صوته وقال بحنق وغضب : سيقول « الظلام » ان نوري السعيد جاء بسم من باريس وقتل به الملكة مثلما قتل زوجها الملك غازي .

كان عبد الاله قد اسكنته ثورة نوري السعيد على وزير الشؤون الاجتماعية ومدير الصحة العام ، فانسحب وغادر الصالة . أما دكسن فرث فبدأ وكأنه لا يفهم شيئاً مما قيل باللغة العربية ، فترك الصالة بهدوء . سألني نوري السعيد بعدها عن مختص بتحليل المشروبات ، الماء وامثاله في المستشفى ، فاجبته انه الدكتور ملز . قال : أخبره ،

تفوسا ، ان عارورة في طرفها اله ، وأريد ان اعرف محتوياتها فآخذ اللواء  
عبد المضايقي القارورة ، وبعد نصف ساعة بقرى انصل اللواء عبد  
هاتماً وقال لتحسين قدرى : ان محتويات القارورة ماء فراح ، وردد بحسن  
قدرى . هذا التقرير الشفهي لسمعه نوري السعيد ، فقال نوري السعيد  
انا أريد هذا التقرير مكتوباً ويتوقع « الدكتور » ملز . ثم صلب من تحسين  
قدرى ان يتصل بالوزراء لعقد اجتماع غير عادي ومستعجل في قصر  
الزهور . وحضر الوزراء واجتمعوا بقاعة العرش ، وهي قاعة طويلة ليس  
فيها ما يجذب النظر إلا ثلاثة تصاوير زيتية للملك العراق مثيلة للصور  
الثلاثة التي في مكتبة القصر معلقة في صدر القاعة . وهنال ست ستائر  
خضر تمسدل بثقل لتمس ارض القاعة . وعلى كل سنارة شعار الدولة  
العراقية ، أما الطاولة الطويلة التي تملأ وسط القاعة فمصنوعة من  
خشب الساج الداكن اللون ، وقد صفت حولها كراسي عديدة ذوات متكآت  
عالية ، وعلى رأسها البعيد عن مدخل القاعة كرسي يزين متكاه الخلفي  
التاج الملكي المطلي بماء الذهب .

طرح نوري السعيد موضوع الماء الذي في القارورة والخرج في اعطائه  
أو عدم اعطائه للملكة . ثم قال : اترك هذا الموضوع لقراركم . ولم يطل  
النقاش ، فقد تقرر اعطاؤه للملكة . حينذاك أخذ نوري السعيد سدارته  
وغادر القاعة عن طريق المطبخ ، وهو يردد : مهزلة . . مهزلة . ولا بد ان اذكر  
أنني لم أحضر اجتماع الوزراء الذي بحث موضوع الماء الذي وصل من  
باريس بل وقفت على اخباره من الدكتور الباجه جي الذي حضر  
الاجتماع .

\* \* \*

بعد ثلاثة أيام ، وفي حدود الساعة الثامنة صباحاً ، استدعيت على  
عجل الى حجرة الملكة ، وعند بابها رأيت أم عبد الاله مضطربة ووجهها  
شاحباً . وفتحت لي الوصيفة عزة باب الحجرة وهي تحمل بيمينها  
المصحف وبادرتني بهلع : ستي الملكة ! ولم تزد على ذلك . كانت الملكة  
حينئذ في حالة بين الوعي والاعماء ، وأشارت الي بيدها ان اقترب منها .  
وقالت بصوت خافت متقطع : إنهنني يا دكتور فعاونتني عزة واسندناها  
بايدينا لتنهض على الوسائد في فراشها . وشكرتنا بعينيها ، وتمتمت  
بالشهادة . ثم سمعتها تقول : لا أريد ان يشهد دكسن قرث ساعة وفاتي ،

لانا مسلمه ، والله ربي ، ومحمد نبيي ، والقران كتابي . وفي هذه اللحظه  
بعباب وقذفت ما في جوفها على صدرها ، فاخذت المنشقة التي كانت دوما  
موضوعة في متناول يديها ، ومسحت بها قمها وصدرها مما سال من  
القيء ، ولم تنس حنى في هذه اللحظه ان تشكرني وهي في حالة شديده  
من الاعياء . ثم اسدلت جفنيها برهة وهي تطلب مني ان ترى أمها الملكة  
نفيسة . كانت أمها عند مدخل الحجرة ، وربما سمعت طلب الملكة  
فدخلت ووقفت الى جانب سريرها ، فمدت الملكة يدها ببطء وجذبت يد  
أمها الى قمها وقبّلنها وجهاً وقفاً وقالت : اغفري لي يا أمي اذا كنت قد  
غلطت معك يوماً . ولم ترد عليها أمها بل انحنت وقبلتها وانسحبت  
بعجل وغادرت الحجرة والدموع في عينيها وبعد ان التقطت الملكة أنفاسها  
طلبت مني رؤية اختها عابدية ، فدخلت ووقفت قريبة من سرير الملكة .  
فطلبت منها الملكة ان تقترب منها وقالت تخاطبها : انك يا اختي كثيرة  
الافضال علي في تربية فيصل ، وأنا أطلب منك ان تبقي أمه بعد وفاتي كما  
كنت أمه دوماً ، وسكنت قليلاً لتقول : أريد أن أرى بديعة ، ودخلت بديعة  
وقبّلت احتها الملكة . فقالت لها أوصيك يا أختي ان تعني بزوجك ، فهو  
رجل طيب ، كما انت طيبة . وارايت ان تقول شيئاً اخر إلا ان بديعة  
انسحبت وخرجت متعثرة من الحجرة . بعد ذلك بدب الملكة وكأنها قد  
صحت من كابوس ، ودبّ فيها قدرٌ من النشاط وطلبت رؤية أخيها عبد  
الاله . فجاءها ، بعجلة وقلق ، وارتمى على قدمي أخته الملكة دون ان  
ينبس بكلمة . فسحبت الملكة رجليه وهي تقول : استغفر الله . ورأيت  
عبد الاله يشير اليّ بعينييه ان اخرج من الحجرة ، أو هكذا حُيّل اليّ ،  
فنهضت لأخرج إلا ان الملكة اسرعت تقول : لا ، أنا أريد ان يبقى الدكتور  
كمال شاهداً على ما أقوله لك ، أمام الله ، ثم اردفت تقول له : يا أخي  
عبد الاله ، كان فيصل يتيم الأب وعمما قريب سيكون يتيم الام ايضاً .  
فعدني ان تكون له اباً وأماً لاغفر لك كل ما مضى . وارايد عبد الاله ان  
يقاطعهما الا انها ردتّه بحزم : عذني أمام الدكتور فهو شاهدي في دار  
البقاء . . عذني يا عبد الاله . . وكزّرت ذلك مرتين . فتمتم بالوعد وخرج  
من الحجرة وهي تشيعه بنظرات باردة . ثم سمعت الملكة تسائل نفسها  
قائلة : هل أطلب فيصل لأراه ؟ ثم اردفت : لا ، فقد يكون نائماً . وطلبت  
مني ان أناولها صورت الموضوع في اطار فضي عند رأس سريرها ، فقبلتها

بحنان ، وبسببها على صدرها واجهشت تبكي بارتياح : واعقب ذلك اضطراب في تناسق انفاسها ، وهو أول علامات الاحتضار . وبعد نصف ساعة لفظت انفاسها الأخيرة . وكان ذلك في الساعة العاشرة والرّبع من صباح يوم الخميس المصادف ٢١ كانون الأول سنة ١٩٥٠ .

ولما خرجت من حجرة الملكة المنوفاة ، كان يقف قريباً من بابها كل من نوري السعيد وتحسين قدري والشريف حسين ، وناظر الخزينة الملكية سعيد حقي ، ولم يكن معهم عبد الاله . بدا لي أنهم ادركوا ما حدث للملكة من قسّات وجهي الحزينة . فلقد ألمني ان تموت ملكة عالية بين يدي فلا استطيع ان أفعل لها شيئاً .

ونزلنا بأمر من نوري السعيد الى المكتبة لوضع صيغة التقرير الطبي لسبب وفاة الملكة ، وتأريخه ، وكتبنا التقرير وختمناه بالاية الكريمة ( يا أيّتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي . . ) وذيلنا التقرير بتوقيع كل من الدكتور هاشم الوتري والدكتور مهدي فوزي ودكسن فرث وانا . وم يكن أي من هؤلاء ، باستثناء دكسن فرث وأنا ، قد رأى الملكة طيلة مدة مرضها . وأنا الوحيد الذي راه ساعة وفاتها . ودخل المكتبة في هذه الآونة ( شخص ) تقدم من نوري السعيد وقال له : خابرتُ ادارة السباق لكي نوقف « هذات » الخيل حداداً على وفاة الملكة ، فقال له . نوري السعيد ، باستخفاف طاهر : تشكر .

وقبل ان تغادر المكتبة طلب مني نوري السعيد ان أدوّن كل ما دار من حديث بين الملكة ، قبيل وفاتها ، وبين أمها وأخيها واختيها . ففعلت ذلك بأمانة ، وهو واقف الى جواربي ، وقدمته اليه . وكنت أنا ونوري السعيد آخر من غادر المكتبة . . وكان ذلك ، أيضاً آخر عهدي بفصر الزهور ومن سكنه .

\* \* \*

ولقد بلغني من مصادر كثيرة أن ما كتبته في محله افاء عربية عن الملكة عالية في ساعاتها الأخيرة ) كان قطعة أدبية رائعة . وسمعت أحد محرري المجلة يقول ان ( هذا المقل قد جدد شباب المجلة ) . وقال موظف آخر من ادارة هذه المجلة : ان العدد الذي نشر فيه هذا المقل كان الوحيد الذي لم تعد منه الى الادارة قط نسخة واحدة فقط .

وعقب نشر ذلك المقال وصلني من رئيس دار الشؤون الثقافية العامة  
الكتابة الآتية .

وزارة الثقافة والاعلام  
دار الشؤون الثقافية العامة

العدد ٥٢٩٧

التاريخ ١ / ٩ / ١٩٨٧ .

الى / الدكتور كمال السامرائي المحترم

م / شكر وتقدير

تنظر اسرة مجلة آفاق عربية بعين التقدير والاحترام لجهودكم  
المتميزة والمساهمة في مسيرة تطورها ، ويسرها في عيد المجلة الثاني عشر  
ان تهديكم شكرها وتقديرها . . وتأمل ان يظل هذا العطاء متدفقا لخدمة  
العراق المنتصر .

مع خالص الشكر ، ، ،

د . محسن الموسوي

رئيس مجلس الادارة ورئيس التحرير

### من أحداث إقامتي بقصر الزهور مقابلة وحديث مع الملك فيصل الثاني

قابلت صباح ذات يوم الملك فيصل الثاني في البهر الصغير  
الذي يفصل كريدور قصر الزهور عن مطبخه ، وكان ذلك يوم جمعة ، وأنا  
وحدي أجلس بارتياح في أحد كراسيه الضخمة ويبيدي عدد قديم من مجلة  
( البيت والحديقة ) الامريكية وجدته على الطاولة التي في وسط هذا  
البهو . ولم أشعر بمقدمه حتى صار قريباً مني ، فنهضت متهبأ  
واحتراماً له ، وتقدمت منه بضع خطوات لأصافحه ، وحل عقدة من  
لساني حين بادرنى يقول

- صباح الخير دكتور  
فقلت له وانا امد له يميني لاصاحبه بالتحبة  
- أنا ياسيدي كمال السامرائي  
فأجابني  
- اعرف ، وقد سألت عمن يكون في هذا البهو فذكروا لي اسمك ، فاهلا بك  
يادكتور كمال  
كنت لا زال واقفاً فقال لي  
- استرح أرجوك  
ومكثت واقفاً في مكاني حتى جلس على أحد كراسي البهو القريب  
من مدخله ، وجلست أنا على كرسي قريب من كرسيه ، فقال لي  
- مكانك بعيد عني يادكتور  
فنهضت وجلست على كرسي غير بعيد عنه ، وكانت بيده ثلاث حلقات  
معدنية لماعة غير صغيرة ، تنفذ بعضها في بعض مكونة سلسلة غير طويلة  
لولا كبر حلقاتها . ولم أركز نظري على هذه الحلقات بقدر ما ركزت باهتمام  
على معالم وجهه ، وأنا انتظر ما يبادرني به من حديث ، الا أنني ادركت  
حالاً ان لهذه الحلقات سرأ يقصد به التسلية ، وانه لم يات بها  
الى الا ليسألني فيما اذا استطيع كشفه .  
كان وجه الملك ، صبوراً وضأً باشاً ، لكنه في الوقت نفسه لا يخلو  
من مسحة حزن جذورها دفينة في صدره ، وانقطع تفكيري بلامح وجهه  
حين سألني وهو يمد يده نحوي بالحلقات الثلاث ويسألني ،  
- جرب ان تفصل هذه الحلقات عن بعضها البعض  
فقممت عن مكاني وأخذتها من يده ، وشرعت انظر اليها باهتمام وتمحصر ،  
ثم حاولت فكها ولكنني أخفقت ، كما قررت حالاً انها مصنوعة للتسلية  
وخداع من يظن انها قابلة للانفكاك وهي غير ذلك ، فقلت له .  
- لا اظن ياسيدي انني استطيع فصل هذه الحلقات عن بعضها البعض  
وسألني  
- قد لا تستطيع ذلك ، ولكن هل تظن انها قابلة للفصل ؟  
فعدت انظر اليها مجدداً ، وأحاول فصلها ، وما لبثت ان قلت  
- انها غير قابلة للانفصال ياسيدي  
فاخذها الملك من يدي ، ويتلات حركات أو أربع صارت كل حلقة منها



منفصلة عن الأخرى . ولابد ان التعجب بدا على وجهي حينذاك ، أما جلالته فلم تبد على وجهه ابهجة بالنصر في فصل هذه الحلقات . وقال وهو يقدم لي هذه الحلقات

- خذها يا دكتور فعندي واحدة أخرى مثلها ، واطلب من اصحابك فصل حلقاتها

فأخذتها من يده وأنا أحاول ان أظهر أمامه في غاية الامتنان منه . وبقيت واقفاً وأنا اظن انه لم يأت الى هذا البهو الصغير إلا ليربني هذه اللعبة ، وانه سيغادره بعد الانتهاء من عرضها عليّ ، فلما قال لي استرح يا دكتور عرفت حينئذ انه جاء أيضاً ليتحدث الىّ عن أمه الملكة المريضة الراقدة في حجرها فوق البهو الذي نحن فيه ، فعدت حسب طلبه أجلس على الكرسي الذي كنت أحتله . وقال بعد لحظات صمت وهو يشير الى المجلة التي كانت بيدي

- غريب كم تكون صور البيوت أجمل من حقيقتها ، بعكس الحقائق فانها تبدو أجمل من صورها ( وارف يقول ) ان اكثر المعالم التي تعطى الهوية الحقيقية هي التي في الوجه البشري ، وان العين في صور الوجه هي ابرز معاله ثم يليها الأنف

وكانت اشارته الأخيرة قد لفتت نظري الى منخريه الضيقين بدرجة ملحوظة ، فايدت ملاحظته حالاً ودون تفكير .

وتوقعته بعد ملاحظاته عن الصور ان يتطرق الى حالة أمه الملكة عالية ، بل اني اعتقدت انه ما جاء الىّ إلا لنتحدث عنها ، غير انه لم يفعل ذلك بأي قدر ، وطبيعي ان لا يكون ذلك اهمالاً منه ، بل تعمداً وقد تكون حالتها المرضية لها علاقة بظواهر الحزن الذي يلوح دوماً على وجهه ، أو يكون له علاقة بمصرع أبيه الملك غاري ، أو بكليهما معاً .. وعاد الملك يتكلم عن المجلة التي كنت أعدتها على الطاولة فقال لي وهو يتهيا لمغادرة البهو

- سأبحث اليك اعداداً جديدة من هذه المجلة .

فقلت له ، فقال لي :

- استرح يا دكتور في مكانك

وعاد البهو بمثل الهدوء الذي فاجأني به حين ولج البهو ، وخلف وراءه هالة من الشخصية فرضت عليّ ان أزيد من حبي له ، فضلاً عن

الاحترام الذي نهتر له مشاعري بذة . لقد طغبت هذه المفايلة العصرية مع جلالتة على جميع مقابلاتي الأخرى معه وكانت أكثرها عابرة إلا حين يترأس مائدة العشاء فيملاً بيده صحون من يشاركه المائدة . وكنت أبداً واحداً منهم أيام مرض امه الملكة عالية .

### الأميرة بديعة ومولودها البكر / نيسان ١٩٥٠

كنت أتولى العناية بالأميرة بديعة زوجة الشريف حسين حين كانت في الأشهر الثلاثة الأخيرة من حملها البكر ، أما في الأشهر قبل ذلك فكانت برعاية الدكتور العسكري ( دكسن فيرت ) أحياناً وأحياناً أخرى برعاية الدكتور ( انتوني جارلس ) حين تكون الأميرة في لندن .

وفي الشهر الأخير من حملها فحصتها مرتين ، فكان رأس جنينها في الأسبوعين الأخيرين منحسراً في مدخل حوض أمه ، كما كان ضغط دمها طبيعياً ، وكذلك ضربات قلب الجنين . . كما كانت صحتها العامة جيدة ، أما حالتها النفسية فلم تكن مثل ذلك بسبب وفاة أختها الملكة عالية قبل بضعة أسابيع . كانت حزينة وقلقة ومرتابة من طبيعة ولادة جنينها واحتمال تعسر ولادته وحين أن مخاضها كما سبق أن حسبته كلمتني تلفونياً السيدة ( أمة سعيد ) أن أحضر إلى قصر الزهور لفحص الأميرة . فتوجهت حالاً إلى القصر ، وارتقيت السلم المرمري الواسع إلى الطابق العلوي حيث حجرة الأميرة بديعة ، فاستقبلتني بنفسها عند باب حجرتها وهي تقول بابتسامة خفيفة

- حان الوقت يا دكتور ، وهو اليوم الذي حددته أنت للولادة . فقلت لها -  
- دعيني أفحصك ياسيديتي الأميرة  
وكان الطلق حقيقياً لا كاذباً ، واثناء ذلك انفتح باب الحجرة لتدخل امها الملكة نفيسة ، فسألتني

- ولادة يا دكتور ؟

فاجبتها :

- نعم ولادة ياسيدي الملكة

- تريد شيئاً نستحضره ؟

- لا ياسيدي ، سأنظر قلبلاً ، انما أريد ان تحضر القابلة نجبية ، وكانت ( امة سعيد ) نفق الى جانب سرير الاميرة فذهبت الى التليفون وطلبت نجبية ان تحضر الى القصر

وارتأت الاميرة بديعة ان توفر لي مكاناً أرتاح فيه ، فبادرتني تقول :

- في الحجرة الجانبية مكتب صغير للامير عبد الإله أظنه يلائمك يادكتور لتستريح فيه

وكان هذا المكتب حجرة متوسطة الحجم تطل نافذتها الوسيعة على حديقة مهمة ، ولكنها لا تخلو من الجمال الريفي . والى جانب هذه النافذة منضدة خشبية لصيقة بالجدار وعليها عدد من الأقلام ومسطرة بلاستيكية صغيرة ، وعلى هذه المنضدة من جانبها الايمن نضد من الاوراق ، وقليل من الكتب العربية والانكليزية ، وثمة ثلاثة كراسي تحيط بمنضدة تحتل وسط الحجرة . وأخذت من على المنضدة كتاباً عربياً ، وقرأت عنوانه قبل ان ارتمي على احد الكراسي ، كان الكتاب عن بعض رجالات العرب أثناء حركة الملك حسين بقلم ( لورنس ) . ولم أطل القراءة فيه لانني سبق ان قرأته ، فأخذت كتاباً آخر وكان بعنوان نفح الطيب للمقرئ التلمساني . وكان باب هذه الحجرة مفتوحاً فولجته سيدة نصف ملونة كانت هي نفسها ( عزة التي كانت تقرأ في القرآن الكريم الى جانب رأس الملكة الراحلة عالية في ساعات احتضارها ) وسألتني هذه السيدة :

- دكتور تأمر شيء ؟

- لا ، أبدأ واشكرك ياست عزة

- فاكهة ، شاي ، قهوة ؟

- انن شاي ان أمكن

وسمعت اثناء ذلك صوت القابلة نجبية عبد الاحد وهي تكلم الاميرة بديعة ، فارتحت لذلك ، وكانت قد دخلت لتوها حجرة الاميرة .

وما لبث الطلق الضعيف ان ازداد بسرعة غير مألوفة ، وعلا صراخ الاميرة بالألم منه . ودخلت اثناء ذلك الملكة الأم الحجرة التي أجلس فيها وفي يمينها المصحف الكريم ، فقمت لها ، وسألتني :

- كم تطول الولادة يادكتور كمال ؟

فاجبتها :

- هي بكر ، والمهم ان كل شيء طبيعي . والاوجاع لاند منها .  
فقالته وقد عاد وجهها الى ذلك الوجه الحزين المتالم ساعة توفيت انفسها  
الملكة عالية ، وتمتعت تقول :  
- الله ارحم الراحمين

وفي اثناء تلك سمعت صرخات من الاميرة بديعة وأنا عليم بمدلولها .  
فقصدت حجرتها . فاذا ( جيب المياه ) قد تمزق ، ويان بعض من شعر  
الجنين في حلقة المسلك الولادي الخارجية . قد هشت من تقم رأس  
الجنين بهذه السرعة ، وهو مالا أرتاح اليه في كثير من هذه الحالات  
الولادية ، فقد تتمزق انسجة تلك الحلقة الرقيقة الرخوة عند انطلاق  
الرأس من بينها . فوقفت الى جانب القابلة نجبية وطلبت منها ان تقاوم  
براحة يمينها اندفاع رأس الجنين المفاجيء . وبعد دقائق انقذف الجنين  
الى الخارج ، غير انه ظل مسترخياً شاحب اللون دون ما سبب ظاهر ، إذ  
اني لم الحظ عليه من علامات التعب اثناء الطلق ، ولا كان الحبل  
السرروي ملتقاً حول عنقه ، ولا اندفعت مع رأسه مادة العق التي تدل  
احياناً على تعب الجنين حتى لو كان معتلناً برأسه . وصرت استعرض هذه  
الاسباب بسرعة لا تقاس بزمان ، وغامت الدنيا في عيني لحظات ، حتى  
صرت اسمع ضربات قلبي في أنفي لا في صدري . ومما زاد من اضطرابي  
وخوفي حين جاء زوج الاميرة جليلة ( الدكتور ) حازم وحشر رأسه فيما  
بيني وبين القابلة نجبية وهو يسال عن الطفل بهلع  
- ميت ؟

والدكتور حازم لا يعرف شيئاً عن الطب الولادي . وقد تكون الملكة الوالدة  
هي التي طلبت منه ان يدخل حجرة الاميرة النفساء ليستطلع سبب هدوء  
عائصة الولادة ، وهدوء من في الحجرة جميعاً . وقد أخافني هلع الدكتور  
حازم وانساني كل معلوماتي في تدبير الولادة وفي حالة الوليد لحظات  
ولادته . وجاء الفرج حين عطس الوليد ، وحين صرخ غاضباً وكأنه ينقد  
تشاؤماً دون سبب . وكان الوليد ذكراً تام الخلقة نشط الحركة والتنفس  
والحمد لله . وعدت الى حجرتي المجاورة التي هي مكتب الأمير عبد الإله ،  
فوجدته واقفاً يتطلع من خلال النافذة الى الحديقة ، فلما احس بدخولي  
الغرفة إستدار نحوي ، فقلت له :

- الحمد لله على سلامة الاميرة ووليدها الصغير ياسمو الأمير

فقال لي :

- اشكرك يادكتور ودفع الله ما كنت احسناه فليسنا نحتمل مأسأتين لي سنة . ثم اخرج من جيب سرواله الخلقي علبة سكاير من الذهب وقدمها لي وهو يقول :

- اعرف انت تدخن ، ويدخلها بعض السكاير التي تدخنها ، ( واضاف )  
افتحها ، واعطني سكايرة مما فيها ، وخذ أخرى لك . هيا دخن يادكتور  
فانت لا تقدر كم أديت لنا من خدمة ، جزاك الله خيراً .

### الدكتور ماكس ماكو فسكي والدكتور ماكس كروباخ / ١٩٥١

وكلاهما ممن هرب من جور ( هتلر ) قبل اشتعال الحرب العالمية الثانية ببضعة أشهر حين سدت الحدود بوجه من يغادر المانيا من اليهود . وماكس ماكو فسكي قصير القامة ، حنطي السحنة ، وأسود الشعر ، ويتكلم العربية برطانة واضحة . أما زوجته الحسنة فذات بشرة وردية صافية ، وشعر كثيف بلون الذهب . وهي التي تسوق سيارتهما بين بيتها وبين عيادة زوجها في شارع المتنبي ، بينما زوجها يجلس الى جانبها منتفخ الوداج . وقد عرفت ماكس ماكو فسكي من خلال المرضى الذين يطلبونني لشاركه في معالجتهم . وقد عرفته في هذه المناسبات انه قصير النظر بالرغم من عويناته السمكية . ولم تكن معلوماته الطبية بمستوى سمعة الطب الالماني الرثانة . وعرفت منه انه عمل قبل مجيئه الى العراق في بعض مدن جنوب جزيرة العرب ، وحكى لي ذات يوم انه طلب لفحص مريض في قرية قريبة من صنعاء فذهب على ظهر ( حصان ) ثم استدرك وقال : لا على ظهر ( خمار ) ثم استدرك بعصبية وقال : لاختان ولا خمار ، وضاع عليه ان يتذكر أية دابة امتطاها الى القرية ، فقلت له : هذا لا يهم ، فماذا بعد ان وصلت الى القرية ، فقال لي : ووجهه خالٍ من اي تعبير

- كان المريض حين دخلت الى صخذه ، قد توفي ، فعدت ادراجي الى صنعاء على ظهر .. وقال بحماس ( تذكرت ) على ظهر ( بغل ) .  
وغادر ماكس ماكو فسكي العراق اثر ثورة سنة ١٩٥٨ ولم تغادر .

٤٨  
صورة زوجته الجميلة أحلام بعض معارفها في بغداد. أما ماكس كروياخ ، فكان على الضد من صنوه فاكنو فسكي ، كان أطول منه قامة . كستاني الشعر ، وأكثر علماً كذلك . وقد دخل العراق بعد ماكس ماكو فسكي بسنوات عديدة ، كما اشتغل في بعقوة مدة ، وبعدها عمل طبيباً في مستشفى ( مير الياس ) ببغداد حين التقى رئيسة ممرضات هذا المستشفى ( رينة اسحاق ) فصارت بينهما علاقة وثيقة استقطعت ربة ان تقنع ماكس كروياخ على انشاء مستشفى حصوصي بتمويل من التاجر عباس التميمي . فاسسها المستشفى باسم ( مستشفى التميمي ) ، وبعد نحو اسبوع ابدل الاسم الى ( مستشفى العلمين ) ( وقد مر ذكر كل ذلك ) وبقي بهذا الاسم الاخير حتى يوم أغلق المستشفى إثر وفاة ماكس كروياخ . كما تجحت رينة اسحاق في ايقاع ماكس كروياخ في حبائلها فتزوجها سرّاً بالرغم من أنهما كانا يعيشان معاً في حجرة واحدة في ملحق بهذا المستشفى : ومضت سنتان ولم تنجب رينة من هذا الزواج فسافرت الى لندن وراء العلاج ، وهي لا تقتنع ان عمرها الذي تجاوز منتصف العقد الخامس ، هو سبب عدم الانجاب

وكان لماكس كروياخ مرضى لا يحصى عددهم . ومن جميع شرائح المجتمع البغدادي . وكانت معلوماته في الطب واسعة ، كما كان يتتبع التطورات التي تدخله في شتى اقصار العالم الاوربي والأمريكي ، غير اني استغربت ذات يوم الى حد العجب حين طلب منه ذوو مريضة ان يدخل صالة العمليات ويتابع خطواتي في عملية على احدي ذويهم ، فاذا هو يولياني ظهره ويقف عند نافذة الصالة وينظر الى حديقة المستشفى التي الى جانب صالة العمليات ، وحسبت سبب ذلك عدم اهتمامه بموضوع جراحي ليس من اختصاصه ، أو انه يثق بما عمله بهذه العملية ولا ضرورة لمراقبتي في خطواتها . غير انه عرفت من ( رينة ) انه لا يستطيع سماع الادوات الجراحية أو الكلام عنها اثناء العملية . ومما يلحق باخبار الدكتور ماكس انني ذات صباح مررت بمدخل معرض فتاح ياشا الذي احتل مكان ( بنك دي روما ) عند مدخل شارع السمؤال من جانبه الايسر ، فرأيت الدكتور ماكس متكئاً على باب مدخل المعرض فحسبته كما يجب ، غير انه لم يستجب لتحييتي ، وأكثر من ذلك فقد بدا على وجهه الاستغراب والانكار ، فقلت له :

- ما بك ياماكس ، الا ترد على التحية  
حين ذاك ابتسم وقال لي :  
- انت واهم ياسيد ، فانا مايكل كروباخ مهندس بمعامل فتاح ياشا ، وأخو  
ماكس كروباخ ، ونحن توأمان .  
وحين كنت في مستشفى العلمين نقلت الى الدكتور ماكس ما حدث لي  
مع أخيه عند مدخل معرض فتاح ياشا ، فقال لي وهو يضحك :  
- نعم ، هو أخي التوأم ( ثم اضاف يقول ) وقد حدث لي ما يشبه ما  
حدث لك حين كنت في بعقوبة . فقد طلبت اجازة يومين من رئيس صحة  
اللواء الدكتور صائق علاوي لأذهب الى بغداد ، فطلب مني أن أحمل معي  
سلّة من البرتقال الى أخيه الدكتور هاشم في وزارة الصحة ببغداد ، وبعد  
ساعة كنت في الوزارة ودخلت غرفة أخيه الدكتور هاشم فإذا الدكتور صائق  
علاوي أمامي فذهلت لهذه المفارقة فقلت له بتعجب  
- كيف يا دكتور صائق انت هنا وقد فارقتك في بعقوبة قبل ساعة ، فادرك  
وقوع الاشتباه وقال لي : بل أنا الدكتور هاشم علاوي والدكتور صائق أخي  
التوأم .

وفي صباح يوم باكر نادتنني تلفونيا الدكتورة ( فرحة ) أخت رينة ،  
وهي تصرخ بأعلى صوتها ، فقلت لها تكلمي بهدوء لافهمك يا فرحة  
فقالت :  
- ماكس مغمى عليه في فراشه فتعال ، ارجوك بسرعة . فقلت لها :  
- اطلبني الدكتور كرجي ربيع وأنا ساتوجه حالاً اليك .  
ووصلت فعلاً الى بيت كروباخ ، ودخلت مخدعه ورأيت أباه يقف على  
رأس ابنه ماكس وهو يهز جذعه ويدندن بصلاة عرفت انها باللغة العبرية .  
كما لاحظت حالاً انه قد بال على سرواله فانحدر البول على طوله الى  
الارض ، وكان ماكس قد فارق الحياة وهو يحاول النهوض من فراشه  
فصارت رجل منه على الارض وبقيت الرجل الأخرى في فراشه . وحضر في  
هذه اللحظات الدكتور كرجي ربيع فتعاونت معه على وضع ماكس في فراشه  
واسدلنا عليه غلة كانت عند قدميه . ولم ابق لاحضر تجهيزه على الطريقة  
اليهودية ، إلا اني حضرت ساعة حمل الى مقبرة اليهود القرية من دار  
العجزة في جانب الرصافة . وكان ذلك اليوم هو موعد وصول زوجته رينا

لحمائدة قن لندن . وكان في استقبالها عباس النميمي واحبها مرحة . وكنت أنا في مستشفى العلمين ساعة وصلت اليه لتصعد الى مخدعها في الطابق الأعلى ، وتقدمت منها لاواسيها على مصابها الجسيم ، غير اني لم أر على وجهها ما ينم عن حزن بمستوى فاجعتها الاليمة ، إذ رذت على تعريتي لها بابتسامة ترحيب جعلتني أشعر بموقف بارد منها ، فلم أطل البقاء في حجرتها مع اني لمست منها رغبة شديدة في التحدث الى في أمر ما لم يحن وقته بعد ، وهو باحتمال كبير ( بحسب ظني ) في استمرارية العمل بمستشفى العلمين وهي لا تعرف انني قد قطعت شوطاً واسعاً في تأسيس ( مستشفى السامرائي ) فلم أرفائدة من الاستماع اذا تحدثت في هذا الموضوع . فنهضت وغادرتها ، وهي لا تعرف شيئاً عن موقفي منها . وسرعان ما الممت رينة أطرافها المتباعدة وهي اليهودية الذكية التي تعرف بفطرتها سبل الحذر من السقوط ، فباعث سيارتها ، وبيتها الذي بناه زوجها ماكس في منطقة ( السباق القديم ) وغادرت العراق دون ان تودع أحداً من اصدقائها ( على ما علمت ) .

ومضت سنوات عشر كنت بعدها في يوم في فندق متواضع ببباريس ، وذات ليلة سمعت طرقاتاً على باب غرفتي ، واذا بخفير الفندق يعتذر مني على ازعاجه لي . 'قد كنت الطبيب الوحيد من نرلاء هذا الفندق في تلك الليلة . فطلبت مني ان افحص سيدة تشكو من ألم حاد في بطنها ، وقادني الى غرفة في الفندق ، واذا المريضة رينة اسحاق ، ما أغرب المفاجأة لكلينا مد . فوجدتها مصابة بورم مبيضي ملتو ، فنقلت الى المستشفى حسب وصيتي ولم أرها بعد ذلك .

### الدكتور توفيق رشدي

توفي صباح هذا اليوم ٢٤ / ٦ / ١٩٥١ الدكتور توفيق رشدي ، فسحبني هذا الحادث الى استذكاره يوم كنت أراه يومياً وهو يقطع كريدور المستشفى الملكي ليدخل الجناح السابع أو يدخل مختبره السريري الصغير المحاذي لمدخل هذا الجناح . والدكتور توفيق ذو بدانة في بطنه ، أما رأسه الصغير فكانه كرة وضعت على كومة من بدنه بعد ان اكتمل بذيان جسمه . وهو اذا مشى ترتطم فخذهما ببعضهما حتى ليبدو انه يفتر لموازنة



جسمه مع خطواته الواسعة . وكان وجهه عذباً وعيناه ساهمتان تنطقان  
بالادب والمجاملة . وقد اعتدت ان أحبيه كلما تقابلنا ، فاسمع منه أطيب  
جواب . وعلمت من صديقه الاستاذ شوكت الزهاوي أنه من أصل تركي ،  
غير اني لم اسمع في نطقه نبرة تركية ، كما قيل ايضاً انه بغدادي الاصل ،  
غير انه لم يعرف له قريب او نسيب في العراق ، فهو مقطوع الشجرة كما  
يقول المثل . وكان يعرف عدة لغات منها الالمانية والروسية والفرنسية  
والتركية والكردية والفارسية وشيئاً من الانكليزية . غير انه لا يكتب  
وصفاته الطبية للمرضى الا باللغة العربية التي يجيدها نثراً ونظماً . وكان  
مسؤولاً عن الردهة السابعة للأمراض الباطنية ، وله مختبر سريري الى  
جانب مدخلها يعمل فيه فحص النماذج المرضية بيده . وهو حريص على  
الدوام ، وملتزم بدقائق أوقاته ، فيحضر الى ردهته قبل ان يحضرها مضمداً  
الردهة أو ممرضتها ، كما انه آخر من يغادرها . وكان قليل الكلام الا مع  
مرضاه في عيادته أو في ردهة المستشفى ، ومع بعض اصدقائه الخالص من  
الاطباء وهم قليلون جداً ، ويبتعد عن مقابلة الاطباء الانكليز في  
المستشفى ، فاذا رأى أحدهم مقبلاً ، وقدر انه لا يستطيع ان يدخل  
مختبره أو ردهته قبل ان يصله عاد أدراجه لكي لا يبادل التحية بغير  
صدق . وقد سمعت من الدكتور شوكت ان كرهه للانكليز يعود الى يوم كان  
موقفاً الى انكلترا للاطلاع على سير التدريس في كلياتها الطبية ، فلما طلب  
منه ان يملا إستمارة كان من فقراتها واحدة عن ( لون ) وأصل طالب  
الانتماء الى الكلية ، فلما قرأ ذلك الدكتور توفيق رشدي استشاط وغضب  
ومزق الاستمارة وهو يقول

- ان العلم الذي يُعنى باللون والاصل لا خير منه ولا اريد ان أتعلمه  
وحزم الدكتور رشدي امتعته وغادر بريطانيا على احدى بواخرها  
البطيئة عبر البحر الابيض المتوسط الى بيروت متوجها الى بغداد .  
ولم يتزوج الدكتور توفيق رشدي في حياته ، ولا يعرف انه عاشر  
إمرأة . وكان مصاباً بداء السكرى ، وأكولاً بنهم ، وهو لا يشرب الخمر ولا  
يدخن التبغ ولا يرتاد الملاهي ، ويعتذر عن قبول الدعوات الخاصة أو  
العامة ، وهوايته المفضلة الجلوس في مقهى صغير مغمور على رقبة جسر  
مود ( الاحرار ) فيشترى من بائع متجول بين تخوت المقهى ، قدراً من  
حب ( الركى ) المقل ، وصار بائعه على مرور الايام يعرف نوع وكمية ما

يريد الدكتور رشدي ، فاذا استقر على احد تخوت المقهى تقدم منه ذلك البائع وكال له من حب الركي دون ان يسأله عن كمية ما يريد . وعيادة الدكتور رشدي برأس القرية في شارع الرشيد ، وهي مسكنه ايضاً . ويخدمه رجل من اهل العمارة اسمه حميدى . ويوماً تروج حميدى من فتاة من عشيقته فانجب منها بنتاً سرعان ما صارت في عمر الصبا مدلة الدكتور رشدي ووحيدة لهو بريء له ، فلما ادركت البلوغ كان الدكتور قد فقد بصره بسبب داء السكرى ، وعسر عليه الخروج من داره ، فحول خادمه حميدى بوكالة رسمية ان يسحب ما يحتاجه من مدخراته في البنك العثماني ، واقتحمت الدكتور رشدي فكرة مفاجئة ان يعقد على ابنة خادمه حميدى لقرث ما يملك من مال وأثاث ، تعبيراً عن امتنانه من ابنيها ، غير ان الدكتور رشدي اكتشف يوماً ان آباها يسرق من ماله في البنك بلا انصاف ، فطلق ابنته وطردها . وعاد عزيزاً قانوناً وفعلًا ، وهو يقول لصديقه الدكتور على البير

- العزوبة أفضل من الزواج

ويوماً قال لي على البير

- ولا اظن ان الدكتور توفيق رشدي قد عرف ( الزواج الفعلي ) ليقدر ان العزوبة أفضل ، ومع ذلك أوصى قبل وفاته بما يملك لخادمه حميدى .

### حمة مالطة ومانسون بار / ١٩٥١

في اوائل صيف هذه السنة ١٩٥١ ، وبالتحديد اليوم الثاني عشر من حزيران شعرت بسخونة في جسدي ، وارتفعت في أواخر هذا اليوم ، ثم اختفت في اليوم التالي ، ثم ما لبثت ان عادت مع قشعريرة وتعرق شديد لم أفهما من قبل الا حين اصببت بالملاريا في سنة ١٩٤٩ . وحسب زملائي الاطباء أنني أصببت مجدداً بالملاريا حتى ثبت لهم بفحص دمي انها غير ذلك . وصارت الحمى بعد ذلك تتناوب يوماً قيوم مع الم في ظهري . ودام هذا الحال زهاء أسبوعين قاسيت فيهما الأمرين وخصوصاً من التعرق وآلام الظهر ، فلا يبقى في البيت ما يمكن إستعماله ليلاً لامتناس العرق الذي يتسبب من جسدي إلا وصار مبتلاً ، كما لو أنه ادخل في اناء من

الماء . ويوماً فطن الدكتور كرجي ربيع الى احتمال ( حمة مألطة ) التي تعرف بحمى البحر الابيض المتوسط . ولم تكن هذه الحمى مألوفة يومئذ في العراق ، وقد اكتشفها بعد طول تجارب الدكتور شوكة الزهاوي . وحين دخل مخدعي الدكتور كرجي ربيع وهو يحمل بيده تقرير المختبر الذي اثبت اصابتي بهذه الحمى ، كانت على فمه ابتسامة الفخر والنصر بهذا التشخيص . وحين دور العلاج في ضوء هذا التشخيص بحقن البنسلين فلم يكن من هذه فائدة ، واقترح الدكتور ماكس كروياخ الفؤادين الذي يستعمل في علاج البلهارزيا ، فلم يكن من ذلك فائدة ، ثم عولجت بحقن ( السلفرسان ) الذي يستطب لعلاج السفلس فلم يكن من ذلك جدوى ايضاً . فكتبنا الى ( مانسون بار ) بواسطة الجمعية الملكية البريطانية ، ووصلنا رد من الجمعية ان مانسون بار قد توفي ، وحل محله صهره الذي تسمى باسم مانسون بار ايضاً . . وكتبنا الى هذا الطبيب عن علاج حالتي المرضية فلم أجد في رده إلا عبارة ( اقرأ كتاب مانسون الموسوم بامراض المناطق الحارة ) فرجعنا الى هذا الكتاب واذا ولم يكن فيه اكثر من تناول حبات الاسبيرين وعلاج نوبات الحمى بالنكسيد البارد . ولما اشتد الحر في مطلع شهر تموز نصحتني الزملاء ان اسافر الى ( بين ) في سويسرا حيث تعالج الحميات المزمنة في مستشفى يختص بها . فسافرت الى بيروت كخطوة اولى بطيارة من نوع ( دوق ) ذات ثمانية مقاعد ، ولمدى طيرانها القصير اضطر قائدها ان تهبط في ( إيج ثرى ) لتتزوّد بالبتترول . وقد ارتحت لتوقفها في هذا المطار الخاص بشركة النفط العراقية (IPC) حيث انتفّس الهواء الطلق والراحة في بهوه الصغير ، واقلعت الطائرة لتتأهب لطريقها الى بيروت ، وحين زارت وطقطقت مفاصلها عرفت انها تعبر سلسلة الجبال الى الاراضي اللبنانية ، ثم شعرت انها ارتاحت من طيرانها فعرفت انها تنحدر بتؤدة الى مدرج المطار الذي يعلو قليلاً عن سطح البحر .

ونقلتني سيارة تاكسي الى فندق ( خير الله ) في بعمدون ، وهذا الفندق من أقدم فنادق جبل لبنان . وأصحابه كيسون وكرماء في الخدمة والإطعام . وفي اليوم التالي زارني ابراهيم فضلي القائم باعمال السفارة العراقية في لبنان ، وهو من اقارب زوجتي ، وعرف مني انني مزعم السفر الى سويسرا بعد بضعة أيام لمعالجة حالتي المرضية ، فاقترح على

استشارة طبيب في جامعة بيروت الامريكية اسمه ( يني كمشيان ) ، فلم أر في ذلك بأساً خاصة وأنا في غير عجلة للوصول الى سويسرا فضلاً على انني احتاج الى راحة لاستئناف السفر اليها وكان يني كمشيان يومئذ قد تجاوز عمره الستين سنة ، نوجمة خفيفة فيها الكثير من الشيب ، ويبتو من بعيد وكأنه مصاب بداء الثعلب ولغته عربية لا تخلو من اللكنة الارمنية ، وهو من هذا العرق . وبعد الاستجابات التي وجهها لي كما يفعل مع اي مريض ومنها عن . اختصاصي في الطب ، قال لي - نعم ان هذا المرض هو حمة مالطة ومصدره حليب الاغنام ( وكنت اعرف ذلك ) و اضاف : ويعتقد ان الاطباء المولدين عرضة للاصابة بمكروب هذا المرض اكثر من غيرهم .

ولما سألته ، وكيف يكون ذلك؟ اجابني

- يحدث حين يستخلص المولد المشيمة المحتبسة من رحم الحامل التي تحمل المكروب ان يكون الكف المطاطي ممزقاً ، فتخترق ( البراسليا ) وهي جرثومة حمة مالطة ، من تحت أظافر اصابع المولد الى دمه ، ولم أناقشه فيما إدعاه ، كما اني لا اعرف كثيراً عن جرثومة هذه الحمى . وسألته

- والعلاج يا دكتور؟

أجابني

- لا بد من تصوير صدرك أولاً

- قبل الفحص السريري؟

- نعم قبل الفحص السريري

وقادني فراش الدكتور يني كمشيان الى دائرة الاشعة ، وكانت في الطابق ما تحت الارضي بمستشفى الجامعة . هذه الدائرة فسيحة الارحاء بسقف واطئ ، ولا يشغل المكان الا ماكنتان ضخمتان معلقة إحداهما من السقف ، أما الاخرى فبدت لي متحركة على ثلاث عجلات ضخمة بقطر قصير . وقد استقبلتني عند باب هذه الدائرة ممرضة وطلبت مني ان انتظر طبيب الاشعة ( الكسندر ) حتى ينتهي من فحص مريض . وبعد دقائق غير كثيرة مر من أمامي كهل في ظهره حدية ثم اختفى وعاد مرة أخرى يمر أمامي ، وتقدمني ثم جلس على المصطبة الى جانبي وكأنه أحد اصدقائي ، أو بالأقل له معرفة بي ، وقال لي :

- أنا الكسندر ، طبيب الاشعة ( ثم اضاف ) تبدو يائساً يا رجل !  
فاجبته بمثل وضيق !  
- اتعبتني الحمى  
- وكم صار لك بهذه الحالة  
- زهاء شهرين ؟  
- زهقت من طول هذه المدة ، اليس كذلك ؟  
- فقلت له  
- زهقت من الحمى التي صارت لا تنقطع والتعرق الغزير والم الظهر الذي يقض مضجعي  
فضحك هذا الرجل الاحدب وقال لي  
- اضحك يا هذا ، فانا كنت حبيس قفص من الجبس لمعالجة فقرات ظهري التي نخرها داء التدرن - اربع سنوات بطولها ، وكنت في خلال ذلك استعمل العيدان الطويلة التي تستعملها أمي لحياكة ( البلوزات ) ، فاحك بتلك العيدان جلد ظهري الذي يقطيه الجبس حين تنحدر عليه قطرات الصديد من الفقرات النخرة ، وأخيراً ها أنذا أمامك ، فقد قهرت المرض ( واطاف يخاطبني ) تحد المرض يا صاحبي والإقهرك ، وتغلب على معنوياتك واملك بالحياة .  
وصلت رقوق الإشعة الى الدكتور ينى كمشيان ولم يكن فيها ما يدل على وجود مرض في صدري ، فقال لي ،  
- لن أفعل الآن إلا فحص قلبك ، وضغط دمك ، واقول لك مقدماً أن حمة مألطة ليس لها علاج نوعي في الوقت الراهن ، وقد ينتهي عمرها فيك فتختفي تدريجياً . على عكس ما جاءت مفاجئة . وكان هذا ما حصل بعد ستة أشهر أخرى

### التهاب في أذني / ١٩٥٢

في أذني اليمنى استعداداً للالتهابات ، وخصوصاً في فصل الشتاء ، وهي حالات تسبب لي المأ مبرحاً . وكنت استشير لعلاجها الدكتور اوليفر استاذ هذا المرض بكلية طب بغداد ، فيرىحني الى حد ما من آلامها ويمنع

استمرارها ، غير ان نوباتها لم تنقطع ، والخوف من توقعها لم ينقطع .  
والدكتور اوليفر امريكى ، وكان يعمل استاذاً في كلية طب بيروت  
بالجامعة الامريكية في بيروت ست سنوات متعاقبة قبل ان تستقدمه كلية  
طب بغداد إثر انتهاء عقد الاستاذ الانكليزي ولسن ومغادرته العراق  
وكان اوليفر في كلية الطب ببيروت يدرس امراض الاذن والحنجرة والانف  
والعين باسم ( امراض الرأس ) . ويبدو انه تقدم الى العمل في بغداد  
لينهى حياته الطبية في الشرق الاوسط ، وفعلأ لم يعد الى بيروت بل عاد  
الى موطنه بامريكا ليتقاعد فيها ، وكان اذ ذاك بعمر الستين سنة غير انه  
كان بنشاط من هم اصغر من ذلك بكثير ، وهو معتدل القامة ، غير طويل ولا  
قصير ، وببشرة وردية لا تخلو من النمش القليل ، وشعر كستنائى فاتح حتى  
في اهداب عينيه . وكان دمث الاخلاق مع المرضى ونمع زملائه الاطباء وكنت  
أنا احد المودعين له في مطار المثنى تعبيراً عن امتناني منه على اهتمامه  
بأذني اذا مرضت .

وخلف اوليفر في معالجة اذني الدكتور قاسم البزركان ، وفي اول  
استشارة منه وكنت يومئذ أقاسى ألماً شديدة كنت أحس انها تفتت  
عظام رأسي ، وتنفذ الى عقلي فتلفقني بصوابي مداخلتي الدكتور البزركان  
الى غرفة رقم ( ٢ ) بدار التمريض الخاص بالمستشفى الملكي بدعوى انني  
احتاج الى تضميد حار وتقطير ادوية في اذني باوقات منتظمة ، وهذه لا  
تتحقق إلا في المستشفى .

ودخل غرفتي الدكتور البزركان ومن ورائه عربة التداوى تدفعها  
ممرضة ، وعلى العربة عدد من القناني الصغيرة ، بحجم واحد ولون واحد ،  
لا فرق فيما بينها إلا ما كتب على ورقة ملصقة على ظاهرها اسم الدواء  
الذي في داخلها . ودفعت الممرضة العربة حتى صارت حذاء سريري ،  
فم تناول الدكتور البزركان واحدة من القناني التي على سطحها وسكب منها  
سائلاً في اذني المتألمة ، فشعرت حالاً كأن شعلة من نار ادخلت في اذني ،  
فصرخت ونهضت عن فراشي ، وعدت اليه أتلوى باضطراب فزع له الدكتور  
البزركان ، واستدار في مكانه مرة وأخرى حائراً فيما يجب عمله لتسكين  
الآلم الذي هاج في اذني ، وعاد الى القنينة التي سكب منها السائل وقرأ  
ما في الورقة الملصقة بها فصرخ في وجه الممرضة يقول لها : ماذا اعطيتني  
يا حمقاء ؟ ، فاجابته فزعة : أنا لم اعطك شيئاً ، فانت الذي أخذت

هذه القدينة دون غيرها . وصاح الدكتور البزركان بها ان تحضر حقنة من المورفين ، وهذا الألم بهذه الحقنة ، فقررت مغادرة المستشفى مساء ذلك اليوم . ومنذ ذلك اليوم لم تؤلمني اذني أبداً . وصار الدكتور البزركان حين يلتقيني يقول لي بتفاخر  
- من أفادك اكثر في علاج اذنك ، أنا أم الدكتور أوليفر ؟

### توأم مقفل / ١٩٥٢

في ظهر يوم الاثنين من شهر آب / ١٩٥٢ وصلني نداء تلفوني من القابلة ( سليمة غالو ) وهي ( جثة ) مشهورة في بغداد ولها زبونات في كثير من البيوت البغدادية الرفيعة والوضيعة ، ولا تنافسها في هذه المهنة الا ( الجثة ) ميري السنليّة وهذه قد شاخت فصفا الميدان لها وقد تعرفت على هذه القابلة عن طريق أخيها ( انطون غالو ) كاتب كلية الطب وهي عانس ضخمة الجسم بطول فارغ ، وقوة جسدية طافحة ، وذات شعر كث أشيب وخطين . مترهلين ، وعينين خضراوين واسعتين ( تتحرك وتتكلم بسرعة ونشاط ، وجميع هذه الصفات ضرورية للقابلة المثالية

وسمعت الجدة سليمة تقول لي بارتباك

- أنا أكلّمك من مركز شرطة الشورجة ، ولدى حامل وقد خرج جنينها معتقلاً بالمقعدة بينما جسمه لا يزال داخل الرحم . . سيكون زوجها في انتظارك قرب عيادة الدكتور نور الله بأخر سوق الشورجة ( أضافت ) أرجوك . تستعجل

وسألتها هل المريضة بكر ؟ فاجابتنى نعم هي بكر ! وأرادت ان أطمئنها فقلت لها : لا داعي للقلق ولا الى الاستعجال ، فالجنين لن يبقى حياً حين أصلك وبينني وبينك مسافة طويلة . ومع ذلك ساجيئك فوراً . كانت القابلة مضطربة وهي تكلمني ، وهي لابد قد عالجت استخلاص رأس الجنين فلم تتوفّق ، والقوابل في حالات عسر الولادة يحاولن ان ينجزن أعمالهن دون مساعدة طبيب لكي يستأثرن وحدهن بالثناء والتكريم ، وكان على الجدة ان تستقدم طبيباً في توليد مريضتها البكر قبل اندفاع جسم الجنين الى خارج الجسم . واستقبلتني الجدة

سليمة على باب بيت مريضتها في الفشل . وهي تلهف ليتفهم أهل مريضتها عظيم إهتمامها بامراتهم ، وقالت  
- استعجل دكتور

وتقدمتني الى داخل البيت ، وفي نظرة عابرة الى المريضة عرفت كل شيء عن حالتها . كان جسم الجنين يملأ ما بين فخذيها ، ولم يكن كبير الحجم ، كما كانت بطنها ما تزال كبيرة الحجم ، فخطر على بالي ان يكون فيها جنين آخر لا يزال داخل الرحم وان رأسي الجنين قد أمسك أحدهما بالآخر ، فعسر خروج رأس الجنين الأول . وفي هذه الحالة يختنق الجنين الأول ويموت . وحين لمستته بيدي كان جسمه بارداً وبلا حركة انعكاسية . يكون علاج هذه الحالة بهدف الحفاظ على حياة الجنين الثاني ولا يتحقق ذلك إلا بقطع رقبة الجنين الأول . وفسرت الحالة للجدة سليمة غالو بحضور أهل المريضة ، ووافق الأهل على تطبيق هذا العلاج ، ولا بد في هذه الحالة من إستعمال مقص خاص لقطع الرقبة ، وفي لحظة قررت ان أستعمل أمي مقص طويل يتوفر في بيت المريضة ، وجاءوا بمقص طويل من جارة لهم أتمت العملية كما أردت ، وفي تفكيري احتمال الإلتهابات التي يمكن ان تعقب هذه العملية في هذا البيت . وفي اليوم الثالث زرت هذه المريضة كما أفعل عادة في مثل هذه الحالة بل في كل حالة ولادة فوجدتها منهمكة في غسل ملابس زوجها ولا تشكو من اي إختلاط مرضي متوقع ، بينما سمعت صراخ طفلها من الجوع في مهد متواضع على أرض غرفة مظلمة . كانت القناة الولادية السفلى تلوثت دون شك بأيدي القابلة سليمة ، كما ان المقص الذي استعملته لقطع رقبة الجنين لم يكن معقماً كما يجب فهل كانت العملية قد اجريتها في غفلة من المكروبات ؟

استاذ الامراض النسائية والتوليد بكلية الطب ورئيس شعبة  
الامراض النسائية والتوليد في المستشفى الملكي ١٢ / ١٠ /  
١٩٥٢

بعد مغادرة الاستاذ كروكشانك العراق شغرت شعبة الامراض  
النسائية والتوليد في كلية الطب والمستشفى الملكي من استاذ رئيساً  
لهاتين الوظيفتين ، وكنت في جميع تلك السنوات اعمل رئيساً لها



بـ بالوكالة ، ويحكم هذه الوكالة كنت امثل شعبة النسائيات عضوا في مجلس عمادة كلية الطب . وفي يوم ١٢ / ١٠ / ١٩٥٢ افتتح الاستاذ هاشم الوتري جلسة المجلس بالكلام عن اعمال ( الدكتور كمال السامرائي ) في المستشفى وفي التدريس بكلية الطب ، فقال مما قاله ( ان الدكتور السامرائي ) كان اول طبيب مقيم في المستشفى الملكي . واطول مدة أقامها من اي طبيب اقام في المستشفى بعد ذلك . وهو ايضا أول من حصل على شهادة الماجستير في الجراحة ، وقد ناقش أطروحته في البواسير المهبلية كل من الاستاذ ملزريث والاستاذ فيروز من معسكر الحبانية واستاذ التشريح أمين بك

وكننت استمع الى الاستاذ الوتري وانا بانتظار ما سيصل اليه من غاية لاستعراض اعماله الطبية منذ تخرجي وحتى هذا اليوم . وأنت المفاجأة حين قال : ( والآن أعرض على المجلس تقرير الاستاذ ماهاني عن الدكتور كمال السامرائي قبل ان يغادر العراق ببضعة أيام ) ، وعددت هذا الكتاب سرياً يفشى بمناسبة ( واستطرد الاستاذ الوتري يقول ) وعلى ما تقدم أقترح منح الدكتور السامرائي لقب استاذ في الاختصاص الذي يعمل به منذ اكثر من اربع عشرة سنة ، وانتظرت بصبر قاتل رأى اعضاء المجلس . فاذا هم يوافقون على مقترحه بالاجماع وصرت بذلك أول استاذ من خريجي كلية طب بغداد في هذه الكلية .

### معنى السعادة البيتية / ١٩٥٢

في عصر يوم ١٩ / ٢ / ١٩٥٢ طلب مني رجل أن اعود زوجته المريضة في بيته بالكراة الشرقية . ولما توجهت الى سيارتي التي أوقفتها في باحة مستشفى السامرائي لنستقلها الى بيته قال لي : ان الطريق الى بيته في زقاق غير معبد ، وموحل ، وان يفضل أن ياخذني الى بيته في سيارة الاجرة التي جاء بها الى . وقد بدا لي هذا الرجل عصبي المزاج ولا يستقر في مكانه إلا بعد حركات غير مقصودة . وحين درجت السيارة بنا سألته عما تشكو منه مريضته ، فانفجر قائلاً  
- دكتور ، الله لو ياخذ روحي ولا هذا الزواج الاكشر ، يوم تشكو من

أولادها . ويوم تشكو مني ، ويوم تشكو من بطنها ويوم من صدرها ...  
هاي شلون عيشة يادكتور ؟ نقمة وموت . فقلت له أريد أولاً ان اعرف  
شكواها المرضية يا أخي .

فاجابني

- الصحيح أنا لم أعرف شكواها هذه المرة ، خابرتني أمها وطلبت ان آتي  
لها بطبيب بأسرع وقت ، ولما سألتها عما بها أجابتنني بامتعاض  
- أنني ما أعرف ، تعال انت وشوفها بنفسك . وعاد هذا الرجل يسب  
الاقدار والاهل الذين ورطوه بالزواج . ولما وصلنا بيته ترجل من السيارة .  
ليخطر زوجته بحضوري ، فاستدار سائق السيارة نحوي وهو في مقعده  
وقال لي

- عمى الله يطول عمرك ان الرجل غير طبيعي ومخبّل ، شنو الزواج  
نقمة ، والله يا عمي الزواج نعمة وأنا صار لي اكثر من عشر سنين متزوج ،  
أطلع من الصبح على باب الله وأعود في منتصف الليل فاجد كل شيء في  
بيتي كما أريده ان يكون ، فانا اشعر اني أسعد زوج والحمد لله .  
وانقطع الحديث بيننا حين طلع الزوج علينا ليقودني الى داخل  
بيته . حيث رأيت زوجته مضطجعة في فراشها وأمها الى جانبها تولول ،  
وفي ركن من الغرفة طفل يحاول الوقوف على ساقيه ، والى جانب سرير  
الزوجة وليد في مهده ، ورأيت بعد الفحص ان شكواها مبالغ فيها وقد  
تخف لو ان أمها لا تتبرها اليها بتحريض متعمد ، ووصفت للمريضة بعض  
المسكنات وغادرت البيت الى سيارة التاكسي التي ما زالت تقف بانتظارني  
عند باب البيت ، واراد الزوج الشاب ان يصحبني في السيارة فشكرته  
وقلت له لا ضرورة لذلك ، والمهم ان تشتري الدواء لزوجتك الان . وأنا في  
الحقيقة اردت بذلك ان أكون وحدي مع سائق السيارة التاكسي لاستعلم  
منه كيف حقق لنفسه السعادة التي يدعيها . ودرجت السيارة بنا  
فسألته

- الاسم بالخير ؟

- اسمي محمود

وقلت له

- تعود الى حديثك عن السعادة التي اشرت اليها ، فكيف حققتها

لنفسك ؟

فاجابني

- أنا اقول لك ، بسيطة ، اذا فتحت زوجتي فمها لطمتها على وجهها فتسكت طول النهار ، واذا شكت مني لامها فابصق في وجهها وأكفخها على رأسها فلا تعود تشكو مني لامها ( واضاف ) عمي الله يطول عمرك ، الزوج لازم يصير حوك ، البيت جهنم لمن لا يعرف السعادة . وقطعت التحدث الى هذا السائق بعد ان عرفت منه معنى السعادة بمفهومي

هدية ثمينة جداً من الوزير المفوض بالسفارة الايرانية ببغداد /  
١٩٥٣

زارتني يوم ١٨ / ٦ / ١٩٥٣ سيدة ايرانية اسمها ( يروين ) وبصحبتها زوجها الوزير المفوض بالسفارة الايرانية ببغداد ، وقدم نفسه لي باسم ( عبد الاحد دارا ) وكانت هذه السيدة حاملاً في نحو الشهر الخامس . وسبق ان فقدت طفلين ( على ما ذكرنا لي ) بسبب اعراض الانسمام الحبل ، وخصوصاً في تورم ساقها ، وكان ضغط دمها يوم زارتني ١٥ / ٨ ملغم ، وفيما عدا ذلك فلا شيء آخر يدعو الى القلق بالنسبة لي . واستمرت هذه السيدة تزورني في عيادتي بمستشفى السامرائي شهراً فشهرأ وفي مطلع الشهر التاسع من حملها وكان ضغط دمها قد ارتفع قليلاً ، كما ظهر في قدميها تورم طفيف ، فطلبت رؤيتها بعد اسبوع لاقف على سرعة ارتفاع ضغط الدم ، وما يطرأ على حجم الجنين وضربات قلبه ، فوجدت ضغطها قد ارتفع الى حدود ١٦ / ٩ ، فرأيت ان يكون توليدها قبل اوان وقته المتوقع باسبوعين . وفسرت لها ولزوجها دواعي قراري ، فاقتنما برأيي ووافقا على قراري حالاً . وفي الوقت الذي حددته أجريت لها ( العملية القيصرية ) ، وكان الوليد ذكراً وبصحة

حيدة . ومرت أيام النفاس طبيعية دون تعقيد ، وغادرت هذه النفساء  
المستشفى والابتسامة تملأ وجهها وهي تحمل على ساعد يمينها طفلها  
( جمشيد ) وفي اليوم الثاني زارني زوجها عبد الأحد دارا وقدم لي رقعة  
من رق الغزال وفي وسطها تسعة أبيات شعر للشاعر الماجن الإيراني  
حافظ الشيرازي المشهور ، وحول هذه الابيات صور عدد من الحسان بين  
أصص الزهور . ومع هذه الرقعة كتاب اعتزاز وتقدير لشخصي وفي ما يأتي  
نص الكتاب .

( شعار الدولة الايرانية )  
سفارات كبرای شاهنشاهي ايران  
بغداد

بغداد ٢٢ حزيران ١٩٥٣

عزيزي الدكتور كمال السامرائي .  
بعد ابداء أعمق الشكر واجزله عن العملية الجراحية التي  
اجريتموها لزوجتي السيدة ( يروين مقتم ) والتي نجت هي وابنها  
بفضل الله تعالى وعملكم الجراحي من خطر الموت المحتم ، أرجو التفضل  
بقبول هذه الرقعة المزخرفة التي هي تحفة غير جديدة غير ان تاريخها  
يتجاوز مائتي سنة ، وبما انها تعبر عن ناحية من افكار العارف الروحاني  
ولسان الغيب الخواجه حافظ الشيرازي فهي ثمينة بالنسبة للمخلص .  
وانى اتشرف بتقديمها الى سعادتكم عربوناً للصداقة الوثيقة الدائمة بين  
رجل ايراني ورفسور عراقي جليل القدر ورقيع المقام . وانتهاز الفرصة  
للاعراب عن احتراماتي الفائقة ومودتي الخالصة

عبد الأحد دارا  
الوزير المفوض والمستشار في السفارة الايرانية  
في بغداد

ولقيمة هذه الرسالة والهدية التحفة التي معها حفظتهما في إطار  
بزجاجتين لتظهر في صفحة منها صورة الهدية وفي الصفحة الثانية أصل  
الرسالة ، فكانت من التحف التي زينت مكتبي

### قبول عناد / ١٩٥٣

في صيف ١٩٥٣ دخل بيتنا طفل في الثالثة من عمره ، جاءت به  
الينا السيدة الفاضلة أم مؤيد الجميل من البصرة لتربيته . وكان بسبب  
عمره وحالته الصحية ضعيفاً ورقيقاً كـرغيف الحنطة المرقوق أو صحن  
الصيني الخفيفة . وهو أسود اللون ونو عينين غائرتين ، ولا يقوى على  
الحركة دون مساعدة ، فينكفئ ويعلو صراخه ، ويبكي لأقل من هذا  
السبب . كما كان يتبول لا إرادياً في فراشه اثناء الليل ، وينهض منه  
ويمشي وهو نائم ، وما عدا ذلك فكان طفلاً وديعاً يستحق الرعاية  
والعطف ، كما كان في محياه كثير البشاشة ، وابتسامته حلوة ببراءة .  
واسم هذا الطفل ( قبول ) وهو اسم يذكّرنا مجالس النساء في البيوتات  
الموسرة ببغداد ، كذلك يدعونا الى احتمال ان يكون اسماً للاناث اكثر منه  
للذكور . وفي زمن غير طويل لاحظت على قبول بواكير الذكاء ، وروح الفكاهة  
الساخجة ، ويوماً رأيته يلعب بدمى سيارات صغيرة فسألته  
- هل تستطيع سياقة هذه السيارات يا قبول ؟

فاجابني وهو يقهقه

- استطيع ولكني أخاف من شرطي المرور

وفي مرة أخرى طلبت منه ان يراقب كلبنا الصغير لئلا يخرج من  
البيت فقلت له

- خلى عينك على الكلب يا قبول

فاجابني

- وأني شلون ، ابقى بلا عين ؟

ونما قبول بسرعة كما ينمو ( ابن السالفة ) في قصص المعجائز .  
وبرزت أول علائم نموه في طول يديه وساقيه ، فاخذته الى إحدى رياض  
الاطفال ، وصرت انقله هو وابني اليها في صباح كل يوم ، وكانت تظهر على

وجهه علامات فرح عميقة حين يراني اتوجه الى كراج سيارتي ، فيسرع راكضاً ليقف على باب داري من جانب الشارع ليعطيني اشارة اذا ما قطع الشارع أحد المارة أو احدى السيارات ، فاذا انتهيت الى الطريق فتح باب سيارتي الامامي وقذف بحقييته المدرسية الصغيرة الى مقعدها الخلفي وقفز الى جانبي في مقعدها الامامي ، وقد يكون ابني في هذا المقعد فلا ينازعه قبول عليه وذات يوم سألني قبول ولم تكن السيارة قد تحركت بعد .

- عمو ، من يكون ذلك الشايب الذي يقف في كل يوم وفي مثل هذا الوقت بهذا المكان ليستقل سيارة مصلحة نقل الركاب ؟

وكان ذلك الرجل في يوم الشدييد البرودة لا يرتدي إلا قميصاً دون فانيلان رياطاً ، وسروالاً وفي رجليه نعلين من الجلد المشبك ، وكنت قبل ذلك اليوم انظر الى ذلك الرجل دون اهتمام إلا في استغرابي ان يرتدي لباساً خفيفاً لا يصد عن جسمه لفحات البرد القارسة . . . فاجبت قبول - لا أعرف هذا الرجل ( واضفت ) ولا بد انه يقاسي من هذا البرد ، ومظهر وجهه يدل على ذلك بالرغم من انه يتظاهر بقدرته على تحمل البرد فقال قبول

- هذا مخبّل أكيد

فقلت

- يمكن أنت صحيح ، واذا كان مجنوناً فهو لا يشعر بالبرد وسألني قبول - شلون ما يشعر بالبرد ؟

فاجبته وانا ابغى التفكه معه

- تقول العامة : ثلاثة لا يبردون ( السقا والجاهل والمجنون ) .

وفي اول يوم دخل قبول ( الروضة ) كلمتني مديرة المدرسة تقول

- دكتور ، يا مغود هذا الطفل قبول خلق لي مشكلة في المدرسة

- خير ان شاء الله !

- اي خير ، الاطفال لا يعقلون ان يكون من بعمرهم طفل بلون أسود

- ماذا تقصدين ؟

- حبذا لو أخذته الى مدرسة أخرى ا

- واذا اعتذرت المدرسة الأخرى عن قبوله للسبب نفسه ؟

- هذه ليست مشكلتي يا دكتور ، أما أنا فلا استطيع الاحتفاظ به في

مدرستي .

فقلت لها ، اسمحي لي بضعة أيام لاسوي هذا الامر . وبعد ثلاثة ايام قصدت هذه الروضة واذا المديرية تفاجئني بقولها - دكتور كمال ، ما أطيب هذا الطفل ( قبول ) انه أنيس ووديع ونو شخصية ساحرة ، وقد أصبح بسرعة حبيب اطفال هذه الروضة جميعها . وتخابثت مع هذه المديرية وقلت لها .

- جئت لانقله الى روضة أخرى ، كما طلبت ذلك منى فقالت : - لا يا دكتور ، قبول يبقى عندي في الروضة ، أرجوك . ونما الطفل جنباً الى جنب مع ابني محمد ، وحمدت الله انهما صارا على وفاق وحب متبادل حتى بلقما الرشدا ، فاذا قبول حكيم اولاد المحلة ، وغدا ذوو اولئك الاولاد يحبونه ويدعونه الى بيوتهم وكان قبول أخ لهم . كما نما قبول على حب الكتابة والقراءة فيه ، وصار يكتب القصة القصيرة ، ويتذوق الموسيقى والفناء الريفي ويقلده ، كما صار يقلد المقرئ المصري عبد الباسط عبد الصمد . وصرت أفخر به علناً أمام اصدقائي . غير ان سعادتي به لم تدم مع الأسف ، فقد اكتشفت فجأة انه مصاب بمرض القلب الخلقي ، فظهرت أعراضه وعلاماته لتخيب احلامي في مستقبله ، فقد غادر السنة السادسة الثانوية دون شهادتها وعمل موظفاً في دائرة ( اليونسكو ) ببغداد ولا يزال فيها .

### مستشفى الشفاء / ١٩٥٣

زارني شخص من أهل مندلي اسمه ( ع . س . موسى ) ، وكنت عرفته يوماً ما بواسطة أخي الاكبر عبد المجيد وقد بدا لي خيراً ، هادئاً ، لا يتكلم إلا بما فيه الفائدة . قال لي بلهجة حزينة إن له أخاً في دار الشفاء وانه يرغب برؤيتها . وفي غرفة الدكتور ( جاك عبودي ) بدار الشفاء دخلت الى هذه الغرفة بطلب من الدكتور جاك إحدى ممرضات الدار وهي تقبض على ذراع إحدى المريضات ، ولم أخطيء حين نظرت الى وجهها الكئيب انها أخت السيد ( ع . س . موسى ) ، لما كان بينهما من الشبه الكبير . وكانت هذه المريضة ترتدي دشباشة فضفاضة من الصوف

الخشن بلون البن ترتفع حواشيها السفلى المتمزقة الى ما يقرب من ركبتيها . وأطالت هذه المريضة النظر الى أخيها ( ع . س . موسى ) ثم استطال فمها بابتسامة باهتة ، ثم حاولت ان تستدير لتفادر الغرفة إلا ان الممرضة أوقفتها بالضغط على عضدها ، فامتثلت لها المريضة طائعة . وكان لابد لأخيها ان يقول لها شيئاً غير انه لم ينبس بكلمة معها بل رأيته ينخرط منحنيًا على نفسه ويجهش بالبكاء ، وغادر الغرفة ولما ينقطع نحيبه : وقلت للدكتور جاك : تبدو هذه المريضة هادئة وقد تكون هذه علامة تحسن في صحة عقلها ، فقال لي : ان دواخلها غير ظواهرها ، فقد تسللت قبل ليلتين الى سطح ( الدار ) ورمت بنفسها منه الى الارض ، وركضت بسرعة الغزال الى باب المعظم ، ومنه الى شارع الرشيد ، ودخلت ملهى الفارابي ، وقفزت على مسرحه وصارت ترقص وتغني بلا انتظام ولا نغم ، فهرت الراقصات فزعاً منها ، وحار رواد الملهى فيما يجب ان يفعلوه وهم بين الاستغراب والرتاء لهذه المرأة التعيسة فقد أدركوا حالاً انها مجنونة . وصعد شرطي الاخلاق المسؤول عن الملهى وامسك بيدها وقادها الى مركز شرطة السراي وهي تضحك وتغني . وعرف ضابط الشرطة الخفر ان هذه المرأة من مريضات دار الشفاء ، فاتصل بالحارس الخافر في هذه الدار واعاينوها اليها واطاف الدكتور جاك عبودي ، ومنذ ليلة ذلك الحادث وهي لا تنفك تغني وترقص فتتجمع حولها المجنونات يشاركنها بالغناء والتصفيق والرقص . . وقد استغرقت هدوءها قبل قليل وانصرفت من غرفة الدكتور جاك وفي صدري احساسات مؤلمة متصارية عقلت لسانني عن الكلام ، إلا ان اقول لنفسي هذه الدار بؤرة شقاء لا محل شفاء

### مقلب وقعت فيه / ١٩٥٤

كنت أحاضر في صباح اليوم الرابع من شهر نيسان ١٩٥٤ في القاعة رقم ( ٢ ) بكلية الطب وكان موضوع محاضرتي عن ( المشيمة المتقدمة ) ، وبينما كنت اخط على السبورة موقع المشيمة الطبيعية ، وموقعها حين تكون قريبة من عنق الرحم . . سمعت نقرأ على باب القاعة ، ثم انفرجت الباب ليطلع منها شاب لم اكن قد رأيته قبلاً . كان



الشاب يرتدي بدلة أنيقة من الخاكي بهيئة نظيفة وشعر رأسه مصفف بدقة . وسألني بلغة إنكليزية سليمة .

- تسمح ان أدخل لاستمع الى محاضرتكم ياسيدي ؟ فأجبتة حالا - تفضل

وتوقف في مكانه قليلاً ، وقال

- أنا دكتور جيمس ، استاذ مشارك في الامراض النسوية بجامعة دبلن بارلندا

كان هذا الشاب ذا ملامح إنكليزية ، بأنف دقيق وشعر كستنائي ، فتقدم واتخذ مقعداً بين طلبة الصف ، وبعد دقائق استأذن مني ليتكلم ، فقلت له .

- تفضل يادكتور جيمس

فقال :

- يؤسفني أنني لم استمع الى محاضرتكم من أولها ، واعتقد انكم لم تنسوا ان تذكروا لطلبتكم ان هذه الحالة المرضية تكثر في الحوامل الولادات

فقلت له :

- لقد ذكرت ذلك قبل ان تدخل القاعة يا دكتور جيمس فقال معتذراً :

- آسف يا استاذ سامرائي

وانتهيت من القاء المحاضرة ، ووقفت عند باب القاعة من داخلها انتظر ضيفي دكتور جيمس لنخرج سوياً منها تقديراً له على هذه الزيارة . وحين صرت خارج القاعة وجدت على بابها صديقي الدكتور نصرت عبد الحميد والدكتور احسان محفوظ ينتظران الضيف دكتور جيمس وسألاه وهما يخفيان ضحكة على شفاهما ، وسألا هذا الضيف

- كيف رأيت الاستاذ كمال في محاضرتة يا دكتور جيمس ؟

فأجابهم برضا يقول

- محاضرتة حيدة ويؤسفني انني لم أحضرها ، لا تتل انتزائه من القاها بفليل ، وقد ذكرت ذلك للاستاذ كمال أمام طلبته ، ايس كذلك يا استاذ كمال السامرائي ؟

كان الدكتور جيمس يتحدث معي بسيطرة وأدب ، انكيزته

الطلقة . وفجأة رأيت صديقي نصرت واحسان ينفجران بالضحك  
وبضربات على فخذيهما ويستديران أمامي حتى كادا يسقطان على الارض  
أما الدكتور جيمس فقد اختفى دون ان يودعني بكلمة ، فسألت الدكتور  
نصرت عما يحدث

ر - ما الأمر يا نصرت ؟

فقال لي وهو يغص بالضحك

- هذا الشاب الذي دخل قاعة المحاضرة ليس انكليزياً بل أثوري يعمل  
ببدالة تلفون (iPC) بكركوك وهو ليس طبيبياً بل هو مشهور جداً في كركوك  
بتقليد الاصوات واللغات . وقد أعطيناه بضع معلومات عن المشيمة  
المتقدمة وطلبنا منه ان يدخل قاعة المحاضرات ويناقشك في موضوعها  
كان ذلك مقلباً جد مضحك .

#### نوط انقاذ بغداد من الغرق / ١٩٥٤

تراكمت ثلوج هائلة على جبال كردستان وتركيا في شتاء سنة  
١٩٥٤ ، وانذرت بخطر قد يحيق ببغداد عند ذوبانها في شهر نيسان .  
وبدأت في مطلع شهر آذار ترتفع مناسيب مياه دجلة حتى وصلت يوم ٢٨  
آذار ستة وثلاثين متراً ، واحاطت المياه الفائضة على حوض دجلة مدينة  
بغداد من جميع جهاتها واصاب اهلها هلع شديد ، وانتقل كثير من  
سكانها من جانب الرصافة الى جانب الكرخ ، وناقشت الحكومة إخلاء  
الرصافة قبل وقوع الكارثة التي أصبحت وشيكة ، فعارض وزير الداخلية  
( سعيد قزاز ) الفكرة وحجته ان الاخطار التي تلحق المواطنين اثناء  
عبور الجسرين ستكون بقدر ان لم تكن اكثر من اخطار الغرق اذا اكتسح  
بغداد الفيضان ونجح سعيد قزاز في معارضته ، وتكاثفت قوات الجيش  
والشرطة وكثير من طلاب المدارس في تلبية سدة نازم پاشا لمنع تسرب  
المياه الى داخل بغداد . وفي يوم ٢٩ نيسان توقف تدفق المياه في نهر دجلة  
وانخفض ارتفاعه ، فزال خطر الفيضان عن بغداد ، فتنفست الحكومة  
الصعداء وارتاحت الناس من كابوس الخوف الذي أطبق على صدورهم  
طيلة عشرين يوماً . وفي شهر تشرين الثاني من السنة نفسها أصدرت

حكومة نوري السعيد ( نوط الانقاذ ) برقم ٦٩ ووزعته على من شارك في انقاذ بغداد من الغرق . وهذا النوط عبارة عن قرص من النحاس صور فيه رجل ينقذ امرأة من الغرق وهو واضع رجله اليمنى على اكياس القرب ، وخلفه شجرتا نخل غمرها الماء ، وزورق محمل بمواد الاسعاف . وفي أقصى هذه الصورة منظر لماأذن بغداد المهددة بالخطر . أما الوجه الآخر من هذا ( النوط ) فقد كتب فيه عبارة ( نوط الانقاذ ) وتحت هذه العبارة كلمتا ( الملك فيصل الثاني ) ، ومن تحت هذه . بغداد ١٩٥٤

### الدكتور يعقوب وذن يقلع ضرسه / ١٩٥٤

يصاب الانسان بالآلم في مواضع عديدة من جسمه ويكون الآلم محتملاً أو غير محتمل بحسب العضو المصاب . وقد قالت العرب : ( ثلاثة لا رأى لهم ، رجل ضاق عليه حذاؤه ، ورجل احتبس بوله ، ورجل أوجع ضرسه )

وفي يوم ألمني ضرسي في الفك السفلي الايمن ، وصرت لا أستطيع إحتماله ، فقد كان الآلم شديداً وكأنه في رأسي جميعه لا محددأ في ضرسي ، فلا أستطيع مضغ الطعام ولا التحدث مع اي انسان . وذات ليلة لم أتم فيها حتى الصباح من نوبات الآلم التي كنت أحس بها وكان مسمار يثق في رأسي . ولم اصنق ان النهار سيبزغ لكي أتصل بالدكتور وذن طبيب الاسنان المشهور في بغداد ، وكنت أعرفه عن طريق زوجته السويدية الحسنة التي كانت يوماً من مريضاتي .

والدكتور يعقوب وذن يهودي من مواليد الحلة ولعائلته اراض زراعية فيها . وحين كان يدرس طب الاسنان في لندن تعرف على زوجته في إحدى مطاعمها فتزوجها بالسرعة التي اتعا بها التهام عشائهما في ساحة بيكادلي .

اتصلت في الصباح الباكر بالدكتور وذن وطلبت منه ان يأتي الى عيادته ليعالجني من وجع ضرسي ، وختمت مكالمتي بقولي : أنا في الطريق الى عيادتك يادكتور وذن ، واغلقت التلفون قبل ان اسمع منه كلمة . وفي العيادة وأنا أريح جانب رأسي المتألم على راحة يمناي ، أقعدني الدكتور

وذن على كرسي خاص ، كما جلس هو على كرسي صغير يتحرك بسهولة في كل إتجاه . وسألني الدكتور وزن :

- قل لي ، اين تحس بالآلم ؟

فاشرت باصبعي الى خدي الايمن . فقال لي :

- طيب ، افتح فمك لأرى الضرس الذي يؤلمك

ومن خوئي من عملية قلع الضرس قلت له

- خف ألم الضرس ولا أريد قلعه .

- انت خائف من قلع الضرس ، والآلم موجود ويبقى مالم تقلعه ، وقد خف

الآلم بفعل التخدير ، فلا بد من قلعه . ولم يمهلني حتى دفع ( كلابتين )

وقبض بهما على الضرس الموجه ، وفي حركة سريعة واحدة اقتلعه وعرضه

علي ، ولكن بغير حماس ولا فخر ، فقد اقتلع قطعة من الضرس لا كله ،

فبقيت قطعته الأخرى مغروزة في فكي . وحركت لساني تلقائياً في فمي ،

فشعرت بوخز القطعة المطمورة في عظم فكي ، فادرك على ما يبدو أنني

عرفت ان جزءاً من الضرس ما زال في مكانه ، فقال ليهدىء روعي

- أن ما بقي من الضرس اقتلاعه بسيط ولا يؤلم ، وشرع حالاً يبحث في

لحم اللثة عن شظايا جنور الضرس التي تكسرت اثناء قلعه . وكانت هذه

الحركة مؤلمة لا تطاق بعد أن نفذ مفعول المخدر ، وكاد يغمى علي ،

فخفض رأس الكرسي الذي طمست في مقعده ليصل الدم الى رأسي . ولم

البث بهذا الوضع طويلاً حتى إنتعشت واستطعت ان أنهض عن كرسيه

المعقوت لأغادر عيادته غير انه اقنعني ان اعود اليه ليتم رفع جذر الضرس

المكسور .

وبعد عام ألمني السن المجاور للضرس الذي خلعه الدكتور وزن قبل

عام وتعوذت من الشيطان من هذا الآلم لاحتمال تطوره الى ما قاسيت من

قلعه في عيادة الدكتور يعقوب وزن . وعرف الطبيب الاقدم في الجناح

الماشر الدكتور على الأمير ما أنا مشرف عليه من آلام ، فالح علي بقلعه

وأنا اتظاهر أمامه بان الآلم محتمل ، وقد يزول بذاته ، وهو لا يعرف أنني

في الحقيقة اخاف إعادة تجربة القلع المؤلمة مرة أخرى وفي يوم حملني

الدكتور على الأمير بسيارته الى عيادة الدكتور على ( ابن الأسطة ناصر )

بمدرسة طب الاسنان في العيواضية ، وعلى كرسي قلع الضرس بهذه

العيادة رأيت السيدة راشيل زوجة الدكتور كرجي ربيع ، وقد فتحت فاهما

ليدخل فيه الدكتور على ناصر كلابنيه لقلع ضرسها المنخورة ، فاخجلتني  
شجاعته ورباطة جأشها على تحمل آلام هذه العملية ، وتهضت عن  
الكرسي وهي تمسك باصبعها قطناً يحشاه الدكتور على في مكان السن التي  
خلعها وحان نوري فجلست على كرسي عملية قلع السن ، وفتحت فمي  
وأنا أراقب بعيني الآلة التي التقطها الدكتور علي من على منضدة آتاه  
الجراحية ، فسأله

- ماذا تريد أن تفعل يا دكتور؟

فأجابني

- دعني أر السن المؤلمة أولاً لأقول لك ما سأفعله

وفتحت فمي بحذر وخوف من الآلة التي شرع يدخلها في فمي ، وهي  
طويلة المقبض وتنتهي بمرآة صغيرة ، وقال لي وهو يحق فيها ما يراه في  
السن التي اشترت اليها ،

- لا بد من قلع هذا الضرس

فسأله بسذاجة

- كيف تقلعه؟

فأجابني

- ساحقن اللثة التي حول هذا الضرس بمخدر فلا تشعر بالآلم اذا  
قلعته . وتصيب العرق على وجهي لحظة سمعت قراره بقلع الضرس وبأبرة  
التخدير وبين جلد كاذب ورضوخ بالحياء دفع الدكتور علي ابرة التخدير في  
لثتي وهو يقول

- بعد دقائق ستحس بخدر في شفتك

وانتظرت الدقائق فلم أحسن بخدر في شفتي ، ولما علم ذلك بدأ عليه  
الاستغراب . وبعد لحظات استحضر حقنة أخرى ، وخفت من تكرار  
المحاولة ، وطفئت شدة خوفي على شدة الآلم ، فقلت له وأنا اتهايانهض  
عن الكرسي

- خف الآلم يا دكتور على ، ولا أرى لزوماً لقلع الضرس . فقال باستخفاف

- انت خائف وليس غير ذلك

وفي هذه اللحظات دخل ( نوري السعيد ) وكان يومئذ رئيساً  
لمجلس وزراء الدولة ؟ فبادرني قائلاً :

- خبك ، دكتور كمال ؟

- وتظاهرت بالشجاعة ، فقلت له  
 - جذت ليقلع الدكتور على ضرسى  
 - بؤلك ؟  
 - جداً يا باشا  
 - أقلعه وأخلص من شره .

والتفت نوري السعيد الى الدكتور على ناصر . وقال له  
 - ابن أسطة ناصر ، اسمعني ، دكتور كمال يقدر ينتظر يضع دقائق ، أما  
 أنا فلزوماً على ان أحضر مجلس الاعيان بعد دقائق . ولم ينته من كلامه  
 حتى كان قد استلقى على كرسي عمليات الاسنان ، وفي لحظات اقتلع  
 الدكتور علي ضرس الياشا . وجاء دوري بعد ان شاهدت شجاعة ( السيدة  
 راشيل ) وهي تخضع بون مبالاة الى يد الدكتور على ناصر ، واستهانة  
 نوري ياشا بقلع ضرسه ، فلا مناصر لي إلا أن احذو حذوهما واركب ماركبا  
 من الصعاب ، فاذا الأمر في تخدير اللثة وقلع السن غير ما قاسيت في  
 عيادة الدكتور يعقوب وذن والحمد لله ، ونهضت عن الكرسي وفي داخلي  
 حس بانني لست خلواً من الصبر والشجاعة . اذا حكمت الاحوال .

### وادي شعيب في الاردن / ١٩٥٤

في يوم ٨ / ٨ / ١٩٥٤ كنت ضيفاً على السيد ( شبلي بشارات )  
 في عمان . وكان هذا الرجل كريماً ومضيفاً ، ولداره طابع تختص به  
 الاردن ، ففي وسطها بركة صغيرة تتحرك بين أطرافها سلحفاة قيل لي ان  
 عمرها بعمر البيت ، وقد بني هذا البيت قبل عشرين سنة . وطلبت منى  
 زوجتي ان نزرع القدس ، وصاحبني اليها أردني من عمال السيد بشارات ،  
 وكان يسوق سيارته بسرعة لم استطع اللحاق به ، ووراء منعطف رأيته  
 يبطيء في سياقته ثم يترجل عنها في انتظاري ، ماذا هو يقول لي . انظر يا  
 حكيم ، كان قد حدث زلزال في هذه المنطقة وتحرك قسم منها نحو عشرين  
 متراً الى الغرب الى مكان ابتلعتة الارض ، فحدث بذلك نزاع في ملكية  
 الارض التي رحفت . وكان القاضي ذكياً وحكيماً فابدى أمره ان يتناوب  
 صاحب الارض التي إختفت وصاحب الارض التي زحفت على اسسها

الارض بالتناوب سنة فسنة .

وزرنا المسجد الاقصى وقبة الصخرة وتناولنا غداثنا في مطعم متواضع ثم تهيأنا للعودة الى عمان لنصلها قبل غروب الشمس لارتباطنا بموعد مع صديقي السيد بشارت . وأشار لي مرافقي الاردني بان نسلك طريقاً غير الذي جئنا منه ، فقد يتعرض اليهود في هذا الوقت لسيارتنا اذا عدنا من الطريق الاول وهم يفعلون ذلك احياناً لمجرد الارعاج والتباهي بالقوة . وكان الطريق الذي اقترحه متعرجاً وشديداً الانحدار . وتقدمني مرافقنا بسيطرة لم استطع اللحاق به . وكانت سيارتي من نوع ( الكريسلاوتوماتيك ) . ورأيت الطريق يتعرج وينحدر ثم يتعرج مرات ثم ينحدر حتى أشرفت على منحدر أرى منه وادي شعيب وكانني انظر اليه من خلال منظار معكوس ؛ عميقاً بؤرياً ، والاضوية متناثرة في قاعه تختفي بعضها ثم تظهر كأنها عبرر حيوانات حبيسة في جب وازدادت سرعة السيارة كلما ازداد انحدار الطريق ، وكسبت بقدمي على فراملها لآخفف من سرعتها ، غير ان ، حذار الصريق صار يزداد انحداراً ويزيد والسيارة تسرع وتسرع اكثر فاكثرت ، وصار الضرب على فراملها دون جدوى ، وسرعان ما تلاشى عملها نهائياً ، وحسبت اول الامر انني من فرط خوفي خف ضغط قدمي عليها ، فاعدت كبس قدمي عليها بقوة اكثر فتأكدت انها لا تعمل باي قدر ، ونظرت الى الاضواء من قعر الوادي ، فبدأ لي انها لاتزال بعيدة عني . وان سيارتي تنزلق الى هاوية لا قعر لها ، وفقدت متابعة معالم الطريق ، ولا ادري كيف وصلت الى الوادي حيث كان ينتظرني صاحبي الشاب الاردني . وتنفست الصعداء وانا مرتمة على مقعد السيارة باعياء ، ومشى الدم في عروقي بعد إستراحة طويلة . ولم يعلم صاحبي الاردني ما انتابني من خوف فقال لي ببساطة وهو يمعن النظر الى وجهي الخالي من الدم .

- هذه من سيارات ( الاوتوماتيك ) ، وكان علي ان اتجنب هذا الطريق ، ولكنني فضلت على غيره من الطرق لاتجنب في ساعات المساء والليل نحرشات مخافر اليهود القريبة جداً من الصريق الآخر المستوى

الشيخ عبد الله الصباح الكويتي / تشرين الثاني / ١٩٥٥

المكالمة تليفونياً

- دكتور كمال السامرائي
- نعم أنا كمال السامرائي .
- كلموا السيد رئيس التشريعات تحسين قدري .
- ووصلني صوت تحسين قدري المميز يقول :
- دكتور ، أرجوك تذهب توأ الى القصر الابيض لتفحص سيدة كويتية هي إحدى شيخات بيت ( الصباح ) ، و ( علي صائب ) ينتظرك عند باب القصر

هكذا كانت المخابرة التليفونية مختصرة ومحدودة .

وتوجهت حالاً الى القصر الابيض ، وكان علي صائب في انتظارني ، وهذا الشاب في مثل عمري ، ويشغل منصباً في وزارة الخارجية العراقية وبينني وبينه تعارف بدأ خاطفاً . وقصته لا تخلو من متعة وغرابة سأذكرها بعد ان أتم قصة الشیخة الكويتية ، وحين وصلتته كان الى جانبه أحد اصدقائي القدامى اسمه سليم ويخاطبه اصدقاءه بابي علوان ، وهو مسيحي متحرر ، ولطيف العشرة ، وقد وجد له اصدقاءه مكاناً فسيحاً بين شيوخ نول الخليج بعد ان ارتدى العقال والكوفية البيضاء وسمح لذقنه أن تغطية لحية محترمة . وكان يقف الى جانب ابي علوان شاب لبناني حسن الطلعة قدم نفسه الي كطبيب وسكرتير الشيخ . وشرع رأساً يسرد على مشكلة المريضة التي طلبت لفحصها .

- دكتور كمال هذه الشیخة هي أخت الشيخ عبد الله المبارك الصباح ، وتشكو من اعراض نسائية ، وهي أم لاربعة أولاد .

واضاف ابو علوان مقاطعاً طبيب الشيخ او سكرتيره

- ونوري السعيد يهتم بامور الكويتيين في الوقت الراهن بدوام سياسية . ولما سألتها اين أخو المريضة أجابني انه غادر الان الى البلاط الملكي لمقابلة الملك فيصل ورئيس الوزراء نوري السعيد .

كانت المريضة في نحو الخمسين من عمرها ، ممثلة الجسم . وتشكو من نزف مهلي صار يزداد قليلاً قليلاً ، ولم اطلب فحص هذه المريضة ،



واكتفيت بتأريخ مرضها لأطلب نقلها الى مستشفى السامرائي وفحصها تحت المخدر وأخذ عينة نسيجية من مصدر النزف . وغادرت القصر الابيض ولم أر اخاها حينئذ . وفي مستشفى السامرائي أخذت العينة المطلوبة فثبت فيها وجود مرض خبيث . وحضر أخوها الشيخ لزيارتها ، فاخبرته صراحة بحقيقة مرض أخته ، وأنها تحتاج الى علاج إشعاعي وهذا لا يتوفر في بغداد . ويعد لحظات وهو يفكر سألني - هل من ضرورة لبقائها في المستشفى ؟ فاجبته

- تستطيع ان تغادر المستشفى الآن وسألني بآدب جم .

- تتلطف علي لنحملها معاً الى القصر الابيض ؟

وَحُمِلَت المريضة الى المقعد الخلفي من سيارة الشيخ ومعها مرافقتها السوداء ، وأشار الشيخ ان آخذ المقعد الامامي الى جانبه ، ثم صعد الى مقعد مقود السيارة .

هذه السيارة سوداء فخمة من نوع أمريكي متطور ، وزجاج نوافذها من نوع خاص ، ويرتفع من خلفها ( ايريلان ) . وقاد الشيخ السيارة بتؤدة ، وفتح مجال الحديث معي بقوله

- تعرف يا دكتور ان في الشارع لا يرى من في داخل هذه السيارة ! وابدت له استغرابي وقلت

- ان مثل هذه السيارة ليس لها وجود في بغداد

وقال وهو يشير الى تلفون مثبت قريباً من مقود السيارة :

- من هذا التلفون تستطيع ان أكلّم ( العيال ) ودوائر الدولة حين اكون أطارد الغزلان ، أو أصيد الحبار في الصحراء .

ولم يسألني شيئاً عن مرض أخته ، ويحتمل انه لم يفعل ذلك خشية ان نسمعنا أخته فتوجهها الحقيقة

ولما اقترينا من القصر الابيض رأيت من بعيد سيارة نوري السعيد

السوداء ( رقم ٢٠ بغداد ) تقف عند باب القصر ثقلت للشيخ

- هذه سيارة نوري ياشا ، ولا بد انه جاء ليُزورك .

ودخلنا القصر وكان في صالونه نوري السعيد وهو يكلم طبيب الشيخ

السوري ( أو اللباني ) وقد وقف هذا أمامه بخضوع واحترام . وأراد ان

ينهض نوري السعيد لاستقبال الشيخ غير ان هذا أسرع وصافح نوري السعيد مرحباً به وهو يضغط على كتفه ليبقى جالساً في مكانه . ويبدو ان الشيخ الكويتي قد سبق ان أخبر نوري السعيد عن قراره مغادرة العراق بعد ظهر هذا اليوم ، فقال له

- يا باشا سابقى حسب أمر ( ملكنا ) فيصل الى يوم غد .

فقال له نوري السعيد

- هذا مكسب لنا جميعاً وسنتناول العشاء على مائدة جلالة الملك في هذا المساء .

وفهمت سبب تأجيل الأمير سفره الى الكويت ، غير اني لم أفهم يومئذ مغزى قوله ( بأمر من ملكنا فيصل ) الإبعد سنوات كثيرة . ثم شرع نوري السعيد يكلم ضيفه الكويتي في أمور تخص النفط والماء العذب لا يصله الى الكويت . ثم نهض الشيخ ليدخل حرم القصر وهو يضع غرف صغيرة متواضعة في جناحه الأيسر ، فمال نوري السعيد نحوي وكان كرسيي قريباً من كرسيه ،

وسألني

- ما بها هذه المرأة ؟

وطوى صوان أذنه بيده اليمنى ليسمع جوابي ، فقلت له

- مرض خبيث .

- يعني سرطان ؟

- نعم سرطان

وعاد الشيخ الكويتي ويده علبة ذات غطاء مخملي عنابي اللون ، وقام نوري السعيد وقمت أنا ايضاً ، وقدم الأمير العلبة التي وهو يقول - هدية رمزية ( واضاف ) وارجو ان تعدني أخاً لك عند الحاجة ، ثم تبع نوري السعيد ليشيعه الى سيارته الواقفة عند باب القصر . وعدت أنا الى المستشفى متشوقاً لأرى محتويات العلبة . كانت ساعة ذهبية من نوع ممتاز منقوش على ميناها اسم الشيخ الكويتي .

\* \* \*

وفي شهر تموز من السنة نفسها كنت في فندق ( شاهين ) بعالي ( لبنان ) وفي الفندق صالة تطول حتى تنتهي الى صالة صغيرة تشرف على بيروت . . وكنت قبيل الظهر اتصفح كتاباً لارنست همنكواي الأمريكي

بعنوان ( وداعاً للسلاح ) وفجأة مَرَّ من أمامي الشيخ عبد الله الصباح بلباس عربي والي جانبه شابة لا يصل عمرها الى الثلاثين سنة ، سمراء البشرة جميلة التقاطيع ويطول رشيق معتدل ، لو تقدمت لمباراة الجمال مع عشر فتيات آخر لفازت بالاولوية دون غيرها . وتقدمت هذه الصبية صاحبها الشيخ الكويتي الى قعر الصالون . ويبدو ان ندل الفندق يعرفون كليهما فتقدموا لخدمتهما . وسرعان ما دفعت في اتجاههما عربة على سطحها عدد من القناني والكؤوس . وكنت في مدخل الصالة الكبيرة فلم أر ما فعلا بتلك القناني من المشروبات ولا رأيت ما فعلت المشروبات بهما . ونويت متعمداً ان امكث في مكاني ليراني الشيخ اذا نهض ليفادر الصالة ، وطال الانتظار ونق جرس السدر معلناً وقت الغداء . ففادرت مكاني الى صالة الطعام . وحين انتهيت من تناول غدائي رأيت الشيخ وصاحبتة يدخلان صالة الطعام وياخذان مكاناً قصياً عني . وسالت صاحب الفندق خواجه ( حنا ) عن تلك السيدة فابتسم وقال لي - هي سامية جمال

وسامية جمال يومئذ من اشهر راقصات مصر ، وذات صفات انثوية جذابة ، ولا تخالط إلا كبار الناس ، وقيل انها كانت من نديعات الملك فاروق ويستأثر بها وهي تسبح في ماء بوعاء شفاف كبير .

### صديقة الملاية والملا البصير / كانون الثاني ١٩٥٥

ترددت كثيراً في كتابة هذه الحكاية ، ولولا اني وعدت أن لا أكتب ما يمتع قراء هذا الكتاب لما ذكرتها . وفي هذه الحكاية كشف عن بعض جوانب حياتي وحياة بعض من لا يتوقع التصرفات الجنونية الغريبة من أمثالهم ، وافراد هذه الحكاية ثلاثة . مقررء ضريع مشهور وله مستمعون حين يربتل آيات القرآن الكريم في الاذاعة والتلفزيون العراقي ، وسيدة تجاوزت الاربعين من عمرها ، ذات صوت رخيم تعرف باسم ( صديقة الملاية ) ، أما الشخص الثالث فهو حميد الانكلي وهو صاحب سيارات نقل بين العراق ودمشق ، وهو مرح الطبع وله مقالب مع أصدقائه تضحك التكل ، و ( ابراهيم شندل ) المشهور باسم ابراهيم إطفائية لكونه عمل

سنتين معاوناً لمدير إطفاء بغداد المستر ( فشر ) ثم أعقبه مديراً لهذه الدائرة حتى يوم إحالته على التقاعد . وفي يوم طلبني هذا الصديق لأعالج مريضة هي زوجة صديقه ( الملا الضريز ) ، واستجبت لطلبه حالاً ، فحملني بسيارته الى محلة الفضل حيث يسكن صديقه الملا . في شقة باحدى عماراتها بشارع غازي . وقابلنا الملا الضريز على أولى درجات السلم الى شقته في العمارة والدمع ينحدر على خده من تحت عويناته السود . وبكاء الاعمى يؤلم من ينظر اليه اكثر من بكاء البصير ، كما ان العين التي لا تبصر سخية في الدمع اكثر من العين التي تبصر . ورأيت المريضة في حالة إسقاط فنقلناها الى مستشفى السامرائي حيث عالجتها كما يجب ، وخرجت بعد يومين من المستشفى بحالة جيدة وبعد نحو اسبوعين اتصل بي ابراهيم شندل ، وقال لي

- دكتور كمال ، ليلة الجمعة تتعشى عندنا بالبيت . والمدعوون قليلون جداً منهم حميد الانكلري ، وأسطه على ( وهو أخو ابراهيم شندل ) و ( الملا ) وصديقة الملاية .  
وقلت له هذه دعوة غريبة .  
فقال لي

- هكذا ارادها الملا ، كما أراد ان يقوم هو بكل تكاليف هذه الدعوة ليرد لك الفضل في معالجة زوجته

وحضرت بيت ( أبي كروم ) ابراهيم شندل الكائن خلف مستشفى العلمين فوجدت الملا قد سبقني اليها ، ونهض يرحب بي بحرارة وبعد دقائق قليلة وصلت صديقة الملاية ، وحرار الملا كيف يقدمني اليها ، وكنت أسمع غناءها في اذاعة بغداد واستلطفه وخصوصاً اذا غردت بمقام البهرزاوي واتبعته بالاغنية الشعبية ( بذاك الصوب لاكني فخاتي خذن عقلي ونسني عياتي ) ، ومذ الملا يمناه نحو صوتها وأمسك بها وسحبها الى صدره وهو يقول لها

- كم انت عظيمة يا ملا صديقة ، إلا انك ستكونين أعظم في قلبي من اي وقت مضى . تعرفين السبب ؟ أنا أقول لك السبب . دكتور كمال دخل في قلبي ، فادخلني الدنيا من جديد ، فقد انقذ حياة زوجتي من الموت ، وحياتها حياتي ، وحضورك سرني كثيراً

فقلت للملا

- لم اعمل شيئاً أستحق عليه هذا الثناء ياملاً  
فاجابني وكأنه أراد ان يحسم أمراً نختلف فيه  
- هذا أنا أقدره يا دكتور، لا أنت ، وجزاك الله كل خير .  
وكنا لا نزال واقفين في إستقبال صديقة الملاية . وجلست ( الملاية )  
بينني وبين الملا الضريير . وجرى حديث قصير بينهما ، كان فيه عتاب ثم  
تراض ، وقطعت حديثها مع الملا وخاطبتني قائلة  
- الملا وفي وما ينسى الافضال ، وزوجته عزيزة عليه ، ولا بد ان تكون أنت  
صاحب فضل على الملا وأنا اسمع انك صاحب فضل على الناس .  
وكانت صديقة الملاية تلبس الثياب السود ، وهي داكنة السحنة  
وبقيافة شعبية ، وعينين ( دمكتين ) دامعتين ، ولم يكن على جيدها أو  
معصمها أو أصابعها حلية من أي نوع  
ونادى ( الملا ) على أبي كريم ، وأسّر في اذنه ما إستطعت ان  
أسمعه بما يقرب من الوضوح ، وسمعت ابراهيم يقول له  
- ألا تصدقني ، مثل ما اتفقنا عليه ، الموجودون هم الدكتور كمال وانت  
الذي طلبته حضوره ، وأخي أسطة علي ، وحميد الانكرلي في الطريق  
الي هنا .

فقال له الملا :

- أنا أمين من حميد الانكرلي ؛ والوليمة للدكتور كمال وهو يقدر الموقف  
ودخل حميد الانكرلي في هذه اللحظات وهو صديقي وصديق ابراهيم  
شندل ، وهو دوما العنصر الذي يبيت المرح والانس في الولائم الخاصة ، وهو  
من القلائل جداً الذين ظلوا يلبسون الطربوش الأحمر حتى آخر عمره  
قتيلاً بداء السرطان . وبادر حميد يقول  
- أشو يابسه الكعدة ، لو عندنا فاتحة ، هذه ما تصرف لي

فقال الملا

- ( الجنبش ) ما يتم إلا بحضورك يا حميد .  
ومت الملا يده الى يمينه وحركها يمناً ويسرة حتى عثر على آلة  
( العود ) فتناوله وشرع يلعب بأصابعه أوتاره ، وضبط بيسر نفماته ، ثم  
أعادته الى مكانه واعتدل في مكانه ، والمكفوفون يبالغون في اعتدال ظهورهم  
حين يجلسون ، وفي لحظة عاد الى تناول العود وصار يضرب على أوتاره

سمع البيات ، وداوم عليه بضع دقائق فانت صديقة الملائية من أعماق  
صبرها مع أنين انغام العود ، وكأنهما صوت وصداه ، وقالت  
- تعيش يا ملا

فابتسم لها الملا وهو يوسء لها باصبعه ، فعرفت من ذلك انه يريد  
منها ان تبدأ بالغناء ، فالتفتت نحوي وسألتني عما افضله من الالحن ،  
فالتفتي المجاملة وقلت لها  
- كل غناء من فعك يهزني ويطربني ، وخصوصاً ( البهزراوي )  
والابوذيات

وسمع الملا ما دار بيني وبين صديقة الملائية ، فحوّل ضربات اوتار  
عوده بما يتاغم البهزراوي وصرخت الملائية تغني ، واعقبت البهزراوي  
بالاغنية ( بذاك الصوب لاكني فخاتي خذن عقلي ونسني عباتي ) .  
وطرب الملا ولعب الهوى في قلبه ، وصار يتمايل ذات اليمين وذات الشمال ،  
ورفع يده عن عوده ومدّ كفه الى صدر صديقة الملائية وتلمّس نهدا الذي الى  
جانبه وهو يقول هذا البيت من الشعر  
يملا الكف ولا يقضله      واذا اثنيته لا ينثني

ولعمري فلم يكن صدر الملائية كما وصفه هذا الشاعر ، غير أن الملائية  
أستسلمت لقبضة الملا ، ولما اطالها تململت لتدفع يده عنها بفنج  
ودلال ، فحبكت النكتة مناسبتها وأثارت بطلها حميد الانكلي ، فخرج من  
الغرفة وعاد بعد دقائق وقد حشا تحت قميصه في موقع بهديه فوطتين ،  
وسحب صديقة الملائية بهدوء من مكانها واحتله عوضاً عنها ، ولما حان  
دور الملا ليتلمس نهد صديقة الملائية صارت يد الملا على مالم يره شبيبها  
بالنهد ، وادرك حالاً ان ما يلمسه ليس نهداً بل شيئاً آخر . كما ادرك حالاً  
ان حميد الانكلي هو صاحب النكتة ، فلم يبد عليه انه ادرك ما يتلمسه  
حتى أطمأن حميد الانكلي ، وعاد الملا يمدّ يده نحو مكان صديقة الملائية  
ليتلمس صدرها ، غير انه في هذه المرة لم يهدف بها صدر الملائية صديقه بل  
رفعها عالياً وهوى بها بقوة على رأس حميد حتى انحدر صربوشه الى  
ذنيه . فنهض حميد وهو يطوي ظهره هارباً من الضربة . وضحكنا حتى  
دمعت عيوننا .

ألا ما أحلى دعايات هذه الطيفة من الناس ، كأن نهارهم قد خصص  
للعمل الجاد وليلهم للمرح والانس بلا قبح ولا حدود

## كرين ارميتاج / ١٩٥٥

دعا المجلس الثقافي البريطاني ببغداد الاستاذ الدكتور ( فيفيان كرين ارميتاج ) لزيارة العراق وبشكل خاص كلية الطب الملكية ببغداد . وهذا الطبيب من مشاهير اطباء انكلترا في الامراض النسائية والولادية ، وله بحوث ومؤلفات وادوات جراحية تعرف باسمه الى الوقت الراهن . وقد عمل في بومبي بالهند وصارت له سمعة واسعة هناك . كما وضع فيها كتاباً بعنوان ( الامراض النسائية في المناطق الحارة ) طقمه باشارات تاريخية جد شيقة . وقد رأيت كرين ارميتاج لأول مرة في مكتب عميد كلية الطب العراقية ولمست منه حين صافحتني انه ذو سيطرة شخصية وعلم غزير في اختصاصه ، ومرح في طلبه وتصرفاته . ثم اجتمعت به اكثر من مرة وكان في خلال ذلك ماهراً في توزيع حديثه بين الطب وبين الاخبار المسلية . كما سمعت له محاضرة في المجلس الثقافي البريطاني ( بالوزيرية ) بعنوان ( الجوانب المرضية في عباقرة التاريخ ) وأنهى هذه المحاضرة قائلاً : ان اكثر الاطباء لا يجيدون الخط في الكتابة وهذه من صفات عباقرة التاريخ .

وكان كرين ارميتاج في هذه المحاضرة متمكناً غزير المعرفة بموضوعها ، وحاضر الجواب على الاسئلة التي وجهت اليه ممن كان في قاعة المحاضرة وفي مقابلة أخرى بدار مدير المعهد الثقافي البريطاني وكان من المدعوبين في هذه الامسية السفير البريطاني والدكتور هاشم الوتري ووزير الصحة عبد الامير علاوي . وكان كرين ارميتاج مرحاً يكثر من الكلام عما شاهده من الملح والغرائب والعجائب في اقطار الشرق والغرب بما في ذلك الهند واندونيسيا ومصر والسودان وغير هذه . وكان يومئذ شاه ايران وزوجه البختيارية ( ثريا ) في بغداد هاريان من ثورة ( مصنق ) ، ولم تكن قد انجبت من الشاه بالرغم من مرور سنتين على رواجهما ، فقلق هذا الامر الشاه وزوجه فطافا عواصم اوربا ينشدان علاجاً لحالهما دون جدوى ، وبهذه المناسبة افحم كرين ارميتاج في حديثه ذكر استشارة الامبراطورة له ، فقال عنها مما قال :

- ان هذه المرأة ليست جميلة بل هي الجمال كله . وكان في تلك اللحظات قد تعالي من الكرامافون عزف مقطوعة ( حلاق اشبيليا ) فضحك كرين

ارمتياج وتنحنح وهو يقرب وجهه من وجهي ، ويقول :  
- هذه الموسيقى تأخذني عشرين سنة الى الماضي . فقد كنت ذات صيف في  
اسبيليا باسبانيا . ورأيت يوماً أن أقص شعر رأسي ، فدخلت دكان حلالة  
الى جانب العنلق الذي أقطن فيه ، واذا بصبية عند مدخله تقدم لي ورقة  
صغيرة يملأها رقم بخط كبير ، تكلمني بالاسبانية التي لا أعرفها ولكنني  
عرفت بالبديهة ان الرقم هو دوري الى كرسي الحلالة . ولما مدت يدي  
لاتناول من يدها تلك الورقة رأيت نفسي من فرط دهشتي لجمالها أمد  
يدي لاتلمس أصابعها لا لاتناول الورقة منها . لقد كانت يا كمال خميرة  
اللون بعينين دعجاوين ، وشعر فاحم ، وصدر ناهد ينطق بحرارة الشباب  
الملتهب . فاخذت الورقة وقصت كرسي الحلالة في عمق الدكان ، وفتشت  
عن موقع تلك الصبية في المرأة التي أمامي ، فدلني قلبي اليها بسهولة ،  
كما لو ان انفاسها قد نفذت الى حشاشتي كما تنفذ المرثيات الى العين  
الباصرة ( وهذه هي نصوص تعابيره أو قريبة منها ) ثم قال : لقد كانت  
جميلة جذابة جعلتني اتلف الى التحدث اليها قبل ان يتم الحلاق قص  
شعري . وانتظرت هذه اللحظات دون صبر ، فنهضت عن الكرسي لاتجه  
اليها ، ووقفت حيالها وتباطأت في اخراج محفظة نقودي لاشبع ناظري  
من وسامة وجهها الصبوح . وغادرت الدكان بحسرة ، إذ لم ارتو من حلالة  
مجياها بالقدر الكافي ( وكريين ارمتياج يومئذ في الخمسين من عمره )  
وإستمر يقول : وكنت معتاداً أن أحلق ذقني بيدي ، فوجدت مبرراً لأحلقه  
في كل صباح بهذا الدكان لأرى تلك الصبية في مدخله حين الجء وحين  
اغادره ؛ وحين اراها في المرأة وأنا تحت موسى الحلاق . وكنت الاطفها  
بارتباك حين ادفع لها أجر الحلالة . وفي يوم كان بعد اسبوع من معرفتي  
بهذه الصبية ، دعوتها ان تتناول العشاء معي في المكان الذي تفضله ،  
فما تناولت ورقة دوري في حلالة ذقني من يدها في اليوم التالي الا وتقدم  
مني ( الحلاق ) وهو يشهر موسى بوجهي ويقول :

- ياسيد ، أخرج من الدكان ولا تعد اليه ، وإلا قطعت عنقك بهذا الموس ،  
ونتش الورقة من يدي ومزقتها وقذف بقطعها على وجهي . وهو يزعم  
بغضب مخيف :

- أخرج حالاً انت ايها العجوز  
فخرجت طائعا وخائفاً من هذا المنافس . وفي اليوم نفسه حزمت



حقيقتي وغادرت اشبيليا الى قرطبة . ( ثم اردد ) نعم أنا لا انسى البتة تلك الصبية ، ولا امتلكد انها كانت ابنة الحلاق ، فقد كان هذا شاباً وسيماً لا يكبرها إلا قليلاً ، وقد يكون حبيبها أو خطيبها إحنماًلاً .

وتشعب الحديث فيع بيني وبين كرين ارميتاج ونحن منعزلان عن الشلة ضيوف مدير المعهد الثقافي البريطاني ، ولا اذكر كيف وصلنا بحديثنا الى معاني اسماء الاعلام بالعربية والانكليزية . فقلت له ان الاسماء العربية لها معان وضربت له امثلاً على ذلك ، أما الاسماء في لغة الانكليز فلا أعرف لها معنى إلا التي تشير الى مهنة العائلة كـ ( وترمان ) اي 'السقاء' وكولد سمث ( اي صائغ الذهب ) وبلاك سميث ( اي الحداد ) وشيرد ( اي الراعي ) أما الاسم وليم ، تشرشل وكندي فلا أعرف لها معاني ، فقال لي : انت على حق ؛ وأنا لا أعرف معنى اسمي الاول ( فيفيان ) إلا اني أقص عليك حكايته ، فقال

ـ فقد احببت في صباي فتاة جارة لبيتنا ، وكان الحب بيننا قوياً جارفاً ، ولاسباب عائلية لم يتحقق زواجي منها . فهجرت أنا لندن الى الهند وراء السلوى ، وتزوجت هي من شاب موسر فانجبت منه طفلة سميتها باسمي ( فيفيان ) وهي التي صارت بعدئذ اشهر ممثلة انكليزية ( فيفيان لي ) وضحك كرين ارميتاج وقال : ان معنى فيفيان هو حكايتي مع أمها التي أصر القدر ان لا تتزوج مني . وسكت كرين ارميتاج برهة ثم سألني ـ ان بعض العرب يسمون ابناءهم باسماء بعض الحيوانات . وعرفت انه بهذا السؤال يشير الى نظرية ( التوتزم ) فتجاهلت أمامه هذه النظرية ، وقلت له

ـ اذا تقصد باسم أسد ، ونمر ، وذئب ، وفهد فذلك لتخويف الاعداء والانداد ، وهي باي حال اسماء لم تعد تستعمل في الوقت الحاضر الا نادراً .

### السيد خرموش وزوجته / ١٩٥٥

المريضة التي دخلت عيادتي يهودية اسمها ( ستير ) وهي لا تتجاوز الثلاثين سنة من عمرها ، وزوجها الذي كان يصاحبها تاجر اسمه يعقوب خرموش ، وهو في نحو عمرها أو اكبر قليلاً ، مجدور الوجه ويضع

على انفه عوينات باطار معدني دقيق . وستير هذه هي زوجته الثانية . وقد اجازله الحاخام ان يتزوجها على زوجته الاولى ( ماري ) التي لم تنجب منه بعد عشرة معه دامت اكثر من اربع سنوات . وكانت ستير مثل ضررتها عمراً ، وعلى ضدها شكلاً بضة الوجه شقراء الشعر والعينين . وهي ابنة اخته ، اي ان يعقوب خرموش خالها . وأول مرة عرفت عند زيارة خرموش وزوجته لعيادتي ان الشرع اليهودي يجيز زواج الرجل من ابنة اخته . كما يجيز ان يجمع بين زوجتين اذا ثبت ان الزوجة الاولى عقيم .

وعرفت من زيارة خرموش الاولى انه شخص خفيف الروح كثير المزاج والمقابل بأدب . وسألته كما افعل في كل حالة من نوع شكواها عن تأخير الحبل فيما اذا فحص مادته المنوية فأجابني بكثير من التباهي والتفاخر .

- دكتور أنا فحل وقد كنت في القدس قبل ثلاثة أشهر فأتيت البرفسور زونديك انني سليم من اي مرض وبمقدوري ان أنجب من زوجتي توأمين لا طفلاً واحداً ! وان السبب في عدم الحبل هو من حبيبتي ستير ( وأضاف يسألني ) تعرف زونديك ؟

فأجبته

- أنا تلميذه وقد درست عليه ستة أسابيع في مستشفى هداسه . فقال :

- هذا هو المستشفى الذي استشرنا فيه زونديك . وفيه فحص ستير بالاشعة الملونة فتبين انها مصابة بانسداد الانبوين ولما سألتها عن العلاج أجابني : عملية جراحية ، ولكنها لا تضمن تحقيق الهدف منها . وابتسم خرموش ليقول لي :

- دكتور أنا عندي زوجتان الواحدة أجمل من الأخرى ، وكل واحدة بشكل ولون . وحين فحصت زوجته ستير وجدتها حاملاً بنحو ستة أسابيع ، فلما سمع زوجها ذلك ، نهض واحتضني بحبور وهو يقبل وجهي بتكرار ، وانحنى ليقبل يدي ، وأقسم ان كان حملها صبياً ليسميه ( كمال ) . وقال لي خرموش جاداً أو مداعباً .

- ستفرح ماري لانني ساتفرد لها . ( وضحك )

ثم سألني

- دكتور ، هل أنام على الجانب الايسر أم على الجانب الايمن ؟  
ولم افهم غرضه من هذا السؤال ، فادرك ذلك فقال لي :  
- دكتور ، ثلاثتنا ننام على سرير واحد ، ستير على يميني وماري على يساري .  
وخلته يهزل ، فاكد لي انها الحقيقة ، و اضاف يقول  
- دكتور أنا أشعل الشمعة من الطرفين ، وضحكت بحياء ، ولما هنا بمفادرة عيادتي قال لي خرموش :  
- دكتور كمال ، أنا وكيل شركة شاي سيلاني ممتاز ووكيل سكاير ( بلات اند وايت ) ، وسأزودك منهما شهرياً ، فارجوك ان لا تشتري منهما من السوق حتى يشرفنا ( ولي العهد ) وهو يقصد ولادة أبنه . وصار هذان الزوجان يزوراني شهرياً ويانتظام ، فلما كان الشهر التاسع من حبل زوجته سألني  
- ماذا ستلد ؟ في ظنك ؟ ( و اضاف ) أنا اعرف السبع لازم ينجب شبل فقلت له :  
- العلم عند الله .  
ف قالت زوجته ستير  
- ألد بنية .  
فقال خرموش يخاطبها  
- على كيفك يا أم كمال ، لا تصيرين طيبة والطبيب موجود . وعدت اقول :  
- العلم عند الله  
ف قالت ستير  
- كل النساء يقلن انك تعرف  
فاكدت لها أنني لا اعرف ذلك ، غير أنني لا أريد أن اكذب من يقول أنا اعرف ، والشهرة الطيبة خير من سواها . فقال خرموش لزوجته ليطمئنها  
- انت فرس أصيلة يابنت أختي  
وأخيراً ولدت ستير ولداً ذكراً سمته ( كمالاً )

## كتاب دعوة الاطباء لابن بطلان / ١٩٥٥

فقدت كثيراً من كتبي عن طريق الاعارة وكانت زوجة الاساذ فاضل الجمالي ( سارة ) اشطرمني . ومكتبة الجمالي ضخمة بحيث لم يسعها من بيته إلا السرداب الذي يشمل كامل الطابق الارضي من بيته . وكان في مدخل هذا السرداب طاولة عليها دفتر كبير ، تكتب فيه اسم من يستعير كتاباً من مكتبة الجمالي ، ورقم تلفونه ، وتاريخ الاستعارة . ثم تسأل من يستعير الكتاب . ان يوقع باسمه في حقل يكتب فيه مدة الاستعارة . فاذا فات يوم اعادة الكتاب كلمته السيدة سارة لاعادته . وهذه طريقة فيها فائدة تضمن الى حد كبير اعادة الكتاب ، ولكنها لا تضمن اعادته اذا ماطل المستعير أو ادعى فقدانه .

وكننت اسمع عن كتاب دعوة الاطباء من استاذي هاشم الوتري ، ثم عرفت من جملة مؤلفات ابن بطلان التي ذكرها ابن أبي اصيبعة في كتابه عيون الانباء في طبقات الاطباء ، فاشتقت لاقتنائه ، أو قراءته في الاقل . فلم أجده في حوانيت باعة الكتب بشارع المتنبي أو سوق السراي . وقال لي صاحب المكتبة العصرية محمود حلمي ان هذا الكتاب لا يوجد في حوانيت باعة الكتب بل في المكتبات الخصوصية ، و اضاف . قد تجده في مكتبة المتحف العراقي أو المجمع العلمي ، فلما قلت له اني لم أجده في المكتبتين ، قال لي : إذن لا تحاول ان تفتش عنه في اية امكنة أخرى في بغداد .

وفي يوم من شهر حزيران من سنة ١٩٥٥ ، بينما كنت أقطع سوق السراي لأصل الى سوق الهرج على الجانب الجنوبي من رقة الجسر ، لمحت الكتاب الذي أنشده بين مجموعة كتب معروضة على قارعة الطريق . فقد كان بعض المتكسبين يحصلون على الكتب القديمة أو الكتب المدرسية المستعملة ويعرضونها منشورة في الطرقات ويبيعونها بأسعار زهيدة . فتسمرت في مكاني وخففت قامتي لأقرأ عنوان الكتاب وأتأكد هل هو كتاب دعوة الاطباء لابن بطلان أم كتاب آخر بالاسم نفسه ، فوجدته هو بذاته . فسالت البائع العجوز عن سعره فاجابني - ستة دراهم ( ثم استدرك ) يقول : انه مبثّل قليلاً فادفع خمسة دراهم

وَحَذَّه .

فدفعت له أكثر من ستة دراهم ، فبدا على وجهه الاستغراب وهو يقول لي :  
- يزيد الله فضلك يا إبني .

فتأبطت الكتاب وكأنه كنز ثمين أخشى عليه من السرقة ، ولم انتظر لأصل الى بيتي لأتصفحه بل شرعت حالاً أقلب صفحاته كمن يتفقد محتويات كنزه . . فاذا أنا أقرأ من صفحة عنوانه عبارة مكتوبة بخط نسخ جميل ( هدية المدرسة اليسوعية الى التلميذ النجيب ( جورج غصن ) لتفوقه في درس الرياضيات ) وتحت هذه العبارة كلمة لم استطع قراءتها وهي اشبه بتوقيع اسم شخص . وتحت هذا ( التوقيع ؟ ) تاريخ ١٢ / ٥ / ١٩٢٥ وفي ذيل الصفحة اسم محققة ( بشارة زلزل ) وسنة طبعه في المطبعة الخديوية بالا سكندرية سنة ١٩٠١ اي ان عمر الكتاب يوم اشتريته زهاء اربع وخمسين سنة وهذا يفسر ندرته . فمن جاء بهذا الكتاب الثمين من بيروت الى العراق ليبيع برخص التراب يا ترى ؟ وأخذت هذا الكتاب في اليوم التالي الى المجلد محمد صالح الاعظمي وبعد اسبوع كان يحلي مكتبتي على أعلى رفوفها .

وكننت على مدى سنة تقريباً استقبل الزميل الدكتور ضياء الموسوي . في مكتبتي لنجمع بعض المعلومات عن أيام كلية الطب الاولى لنجعل منها كتاباً من تاريخ نشوء هذه الكلية ، فتجمعت لنا مئات من القصاصات عن تاريخ هذه الكلية ومن عمل بها الاساتذة . والدكتور ضياء الموسوي يهوى قراءة التراث الطبي العربي ، ويستنسخ بعض مخطوطاته ، وفي يوم حمل الى نسخة بخطه الجميل من كتاب التشويق الطبي . وديج في آخر صفحاته العبارة الآتية ( هدية لاستاذي الدكتور كمال السامرائي رداً لبعض افضاله عليّ ) وبينما كان يفتش عن كتاب التعريف لمن فاته التأليف لابي القاسم الزهراوي على أحد رفوف مكتبتي لمح كتاب دعوة الاطباء فاتسعت له عيناه ، فأخذه بين يديه وطلب مني ان يستعيره بضعة أيام ، فلم أربأساً من ذلك ، وفي صباح اليوم التالي كان قد تجرع السم الذي دسسته إحدى طالبات الكلية في ( مشروب المشن ) فوقع صريعاً وهو يصرخ منذراً فريق الممتحنين من تناول كوؤس ذلك المشروب . ونقل الى المستشفى مغمياً عليه وبقي بهذا الحال اكثر من اسبوع لفظ

بعده انفاسه الاخير .

وفي صباح يوم اربعينه الذي أقامته عمادة كلية الطب نهضت من  
مكاني مع اني لم أكن من جملة من طلب منهم ان يؤنوه ؛ نهضت وأبنته  
بحرقه حتى دمعت عيناى .  
رحمة الله على تلميذى وزميلي وصديقى الدكتور ضياء الموسوي

### في مقهى فينوس بـحمدون / ١٩٥٥

حين كنت في لبنان دعاني الصديق مجيد الدهان الى تناول العشاء  
بمقهى فينوس بـحمدون ، وهو ليس بالمقهى بالمعنى المفهوم ، ولا هو مطعم  
ولا ملهى ايضاً بل هو مجموع من هذه المسميات كما هو متنازه فسيح فيه  
خماثل الورود وعرائش الكرم واشجار الفاكهة ، وقد وصلنا اليه بالسيارة  
في طريق متعرج ينفذ من الطريق العام الذي يصل الى صوفر . ويشرف  
المكان من جهته اليسرى على بيوت برمانة وطهور شوير عبر الوادي  
العميق الذي يفصل جبلي هاتين القريتين عن جبل بـحمدون وعالى ، وقد  
وصلنا المقهى بعيد غروب الشمس ، وسرعان ما تقادحت من بعيد أضواء  
البيوت البعيدة على الطرف الآخر من الوادي ، ولم نعد نرى من الوادي  
شيئاً سوى الظلام الدامس وما في مخيلتنا من الاشجار الكثيفة في قاعه .  
وقادني مضيقي مجيد عبر باب وسيع يكشف عن مجاز غير طويل زينت  
جدرانه بصور ملونة لشخصيات رجالية ونسائية باثواب غير مالوفة ،  
وعلى هذه تسطع اضواء مصابيح ملونة مثبتة في عريشة كرم لتظهر  
تفصيلات أجسام تلك الشخصيات ، وحركاتهم الراقصة . وأخذنا أنا  
ومضيقي مكاناً في مقصورة صغيرة تقابل مسرحاً يرتفع على قوائم من أعواد  
الخشب . وما كدنا ننتهي من طلباتنا من النادل ليأتينا بالماكول  
والمشروب ، حتى سمعنا الضربات التقليدية التي تعلن عن بدء العمل  
الفني على المسرح . ولما ارتفعت الستارة ظهر على خشبة المسرح أربعة  
كراسي بلا متكآت صفت على شكل نصف دائرة ، وسرعان ما أحلت الكرسي  
الذي كان على الطرف الايمن رجل في العقد الرابع من عمره ، واحتلت  
الكرسي الذي على الطرف الايسر شابة في العقد الثالث من العمر ، سمراء  
السحنة ، ذات شعر اسود فاحم ، وعيناها سوداوان لوزيتان ، وبين طرفي

الحلقة شاب يضرب على كمان وشاب آخر يضرب على الكيتار وبدأ العرض في هذه التشكيلة بمقدمة موسيقية لم تطل كثيراً ، وكأنها توفر الوقت ما يليها من الفعاليات المثيرة .

ونهض الرجل الذي في الطرف الايمن وشرع يغني بطريقة خافتة متقدة ، فلما علا صوته صار واضحاً لدى انه يغني بالاسبانية بلحن ابرز ما فيه الحنين واللوعة ، وكان هذا المغني حنطي السحنة وعلى خده الايسر ندبة رفيعة طويلة توازي قصبة انفه وتنتهي قريباً من زاوية فمه ، وهي الجزء الوحيد من وجهه الذي لم يشارك في التعبير عن معاني انغامه . وكان هذا يقف معتدلاً كالرمح الافريقي وهو يزفر مقاطع اغنيته من اعماق مهجته . وما كاد ينتهي من مقطوعته حتى مازح غناءه غناء تصاعد من فم الشابة التي تبعد عنه في الطرف الآخر من الحلقة ، كما لو انها شعلة الهبتها شرارة من نار ذلك المغني .

ثم توقف هذا المغني ، وتابعت الشابة الغناء وحدها ، كان في صوتها بحة طفيفة كأنها صدى لما في قلبها من حياة تخبو ، كانت تغني وهي جالسة بينما ظل ذلك المغني واقفاً ، غير انها كانت تتمايل ببسر ، يمئة ويسرة بحسب نغماته وبدأ لي كأنهما يتعانقان أو يتناجيان ، وتمنيت وأنا منغمر في الانصات اليها ، لو انني أعرف لغتهما عوضاً عن لغة أمي وأبي . وكما أعجبني ان أجالس هذين الفنانين ، فرجوت من مضيقي ان يستدعيهما الى مقصورتنا . واستدعاء الفنانين والفنانات من قبل رؤاد الملاهي وما هو مثل هذا المكان مألوف على ان يقدم لهم من يدعوهم اليه كأساً أو كأسين من الكحوليات بحسب المدة التي يمكثونها معه . وحاءت الشابة تتقدمها في مخيلتي هالة من الجمال والحصانة خلقهما اعجابني بها . وحين قرئت مني رأيته اكثر سمره مما بدت لي وهي على المسرح . وكان كل وجهها إبتسام ، في عينيها معان غير محدودة جميعها محببة ، قالت تلك الفتاة :

- پاكيتو يعتذر ( ثم قالت ) والصحيح انه لا يلبي الدعوات منذ توفيت زوجته قبل سنة

واردت ان أثير حديثاً فيما بيني وبينها فقلت لها مشيراً الى الثنائي الذي تشكله مع الرجل الذي غنى معها  
- انتما رديفان كانكما خلقتما لتكونا معاً

فقلت بتواضع :

- كانت ( لويزا ) أفضل مني بهذا التشكيل  
وسالتها

- وأين لويزا

وابطأت لتجيبني ثم قالت

- هي أختي ، وقد توفيت قبل سنة في مستشفى العصفورية .

واردت أن اثني على الرجل الذي غنت معه فقلت

- أن الندية الطويلة على خده الأيسر لم تؤثر على سحنة وجهه ولا على

غناؤه ، بل هي كضابط الإيقاع ، تحفض من غناؤه إذا علا أكثر مما يريد .

فقلت لي

- أن هذه الطعنة من سكين بيد أختي حين كانت في ساعة ثورة جنونها .

### طالب شيوعي في الامتحانات النهائية بكلية الطب / ١٩٥٥

لم انتم في حياتي الى حزب سياسي ، وفد سألني ذات يوم سياسي  
مرموق عما إذا كنت أميل الى حزب سياسي بالتعيين ، فأجبت بعد تفكير  
قليل : اذا قلت أنا شيوعي النزعة فانت نفسك لا تصدقني ، واذا قلت أنا  
بعثي فستقول انني متافق ، فأنا قومي وليس غير ذلك ، وأنا بهذه النزعة  
أكون كما تكون حكومتي في أي خط من خطوط السياسة شريطة توفر  
حرية القول والحركة ، وأرى من الجور أن تحاسب الحكومة مواطناً لأنه لا  
يتبنى فكرة سياسية ضيقة . وقلت لذلك السياسية أنني سأذكر لك حدثاً  
واترك لك الحكم على عقيدتي السياسية .

في يوم دخلت الردهة العاشرة حيث كان الطلاب يؤدون امتحاناً في  
موضع الولادة ، واستغرقت حين رأيت شرطياً يحمل على كنفه بندقية ،  
يقف بجانبه طالب يستجوب مريضة ، فلما سألته عما يستوجب وقوفه  
الى جانب الطالب أجابني بأدب

- هذا أمر ، ان لا ابتعد عن هذا الطالب

وسألته

- ولماذا يجب ان لا تبتعد عنه



- انه موقوف رهن التحقيق
- أنا مسؤول عنه الآن ، فقف عند باب الردهة
- فاجابني جازماً
- لا أستطيع الابتعاد عنه يا دكتور
- ولما لم أرفائدة من الجدل مع هذا الشرطي ، عدت الى غرفتي وطلبت مركز
- شرطة المستشفى الملكي ، وكلمت معاون مدير الشرطة المسؤول
- أنا اكلمك من الردهة العاشرة
- تفضل دكتور
- في الردهة طالب تحت التوقيف ، وهو يؤدي امتحاناً ولا يمكن ان يفكر
- والشرطي يقف الى جانبه .
- أأمر يا دكتور ماذا تريد مني ان أعمله
- أريد ان تبعد الشرطي عن الطالب وأنا المسؤول عنه .
- فاجابني بلطف
- هل ثمة مانع اذا اوقفنا الشرطي عند مدخل الردهة ؟
- فاجبته
- هذا ما أريده
- وبعد دقائق حضر معاون الشرطة وأمر الشرطي ان يقف عند مدخل
- الردهة .
- ولما مررت بالطالب لاساله عما يراه في مريضته شكرني بحرارة ،
- فقلت له :
- لا داعي ان تشكرني . والآن انت في موقف الامتحان ، فقال لي :
- استاذ أنا مكمل واذا رسبت مرة ثانية فانت تعرف ما يحل بي لو رسبت
- في هذا الامتحان
- وسالته
- مكمل في موضوع النسائيات فقط ؟
- مكمل في الدروس الثلاثة : الطب والجراحة والنسائيات
- وقد عرفت من جدول اسماء الطلبة المكملين ان هؤلاء هم على الاكثر
- من ذوي الميول السياسية المتطرفة ، فهل ان الطالب الذي يدرك انه عاجز
- عن متابعة دروسه يميل الى ممارسة السياسة باغراء ممن يقودون هذه

الحركات المعارضة للدولة ؟ وقد كلمني قبيل هذا الامتحان صديق سياسي طالب ان أساعده هذا الطالب الذي اتكلم عنه الآن ، وكلاهما من اتجاه سياسي واحد ، اليس هذا تخريب للشباب الناشئ ؟ وأخذت موقف الجد كمتحن وسالت الطالب الموقوف

- ما هو شكوى هذه المريضة ؟

فقال لي باعتداد وكأنه واثق من صحة تشخيصه

- شكواها من المشيمة المتقدمة .

- هل قالت لك ذلك ؟ وكيف عرفت انها مصابة بالمشيمة المتقدمة ؟ طيب أسالك

- عرفت لي المشيمة المتقدمة

- هي المشيمة المتقدمة في الرحم .

- انت قسرت الماء بالماء لا أكثر من ذلك

- ما هي العلامة التشخيصية لهذه الحالة المرضية ؟

فقاطعتني

- استاذ أنا مكمل ، ومروءتك ! وأنا معتقل وكيف استطيع مراجعة كتبتي في المعتقل !

- طيب يا أبني ، أي موضوع تعرفه بثقة لنتكلم فيه ؟

- استاذ ، أرجوك

- طيب يا أبني أخرج ، واعدك أنني سأتكلم في موضوعك بمجلس الكلية ، تفضل أخرج .

وتساءلت مع نفسي هل ان رؤساء هذا الطالب في الحزب يتفاوضون

عن اخطائه في تطبيق أوامرهم ؟ فكيف نتساهل معه اذا اخطأ في

الامتحان وهو مقبل على تولي ارواح الناس ؟

ذكرت ذلك لصديقي الذي سألني عن ميولي السياسية ، واطنه فهم

موقفي من الاحزاب

فقال لي :

- فهمت !

## الاستاذ وردل والرهان على تشخيص حالة مرضية/ ١٩٥٥

الدكتور وردل أحد الاساتذة الانكليز الزثرين في قسم الجراحة بكلية  
دعب بغداد . كان صغير الحجم ، وعمر يزيد على الستين سنة . ثقيل  
السمع وقصير البصر الا بعوينتين سميكتين على أنفه . وكان يميل الى  
الفكاهة ويجيد سردها لولا انه يضحك أو يبتسم على الأقل قبل ان يشرع  
بها ، وهو يضم شففيه ليخفي طقم اسنانه المصطنعة ، غير ان طعقاتها  
اشد من ان تخفى . وهو اسكوتلندي ولكن لا يتردد ان يضحك من ملته اذا  
حكمت المناسبة . قال لي يوماً ان الاسكوتلندي اذا أراد شتم احد فيقول  
له

— اراهن انك لاتعرف أباك ! (واضاف) وهذه أقبح شتيمة في جعبة اولئك  
الانذال !

ومرة قال لي

— ان استاذي (بويد) الباثولوجست المشهور ، كان يصر على طلابه ان  
يذوقوا (البول) للتأكد من طعمه ، ويريههم كيف يفعلون ذلك فيغمس  
إصبعه الأوسط في بول المريض المعد للفحص ثم يخرجـه ويمص سبابة ،  
ويقلده الطلبة إلا انهم لم ينتبهوا الى أنه مص السبابة لا الاصبع الاوسط  
الذي غمسه في البول فيمص الطلبة الاصبع نفسه الذي غمسه في  
البول .

وقال لي

— بالمناسبة عن تذوق طعم البول في الطب ! ان الاطباء العرب في ايام  
الخلفاء العباسيين كانوا يذوقون البول للتأكد من حلاوته ودرجتها (ثم  
اضاف) واطنهم كانوا يفعلون ذلك لتشخيص مرض الديابتيس (داء  
السكري)

وكان الاستاذ وردل رئيساً لدائرة الجراحة في الردهة الثانية عشرة  
بالمستشفى الملكي ، ويساعده الدكتور خالد ناجي وقد اولاه اهتماماً  
خاصاً حتى صار يعتمد عليه في العمليات الجراحية واعطاء المحاضرات ،  
واستفاد منه الدكتور خالد مالم يستفد منه غيره من الاطباء . فكانا خير  
معلم وخير تلميذ في هذا الاختصاص . كما كان خالد يهتم بتوفير الراحة

لاستأذه وردل فيبكر لحمله بسيارته من نادي العلوية حيث يسكن وردل الى المستشفى الملكي ، ويعيده بسيارته الى نادي العلوية بعد انتهاء الدوام الحكومي في المستشفى . وسالت وردل يوماً .

- متى تشتري سيارة لنفسك ؟

- فأجابني بجدية أو بفكاهة .

- سأشتريها حين تخترع لها دواليب ضد التلف والبلى ، وحين تسير بلا وقود ، والأهم من ذلك حين تصلني تلك السيارة هدية بلا مفاصل !

وفي يوم طلبني الى مكتبه في ابرهة الثانية عشرة ، ولما صرت في غرفته نهض عن كرسيه وتقدمني وهو يمسك بيدي الى سرير رجل مريض في احد اسرة البرهة في العقد الثالث من عمره ، والتقط أحد اوراقه المخبرية ، واذا فيه ورقة بفحص بول هذا المريض بنتيجة موجبة عن وجود الحبل فيه بينما المريض رجل لا امرأة ، فسألني كيف أفسر هذه الحالة العريبة ؟ وعرفت حالاً أن في هذا الأمر مقلب ، فسألته عن شكوى المريض فأجابني ورم في خصيته ، وضحك وضحكت معه ، فالورم من صف السرطانات التي تفرز الهورمون الذي يعطى فحصاً موجباً عن وجود الحبل فقال لي . - هذا جواب صحيح لو انك قلته امام لجنة امتحان لانكلترا ، أما هنا في بغداد فان أول مايتبادر الى ذهني ان يكون البول الذي فحص في المختبر هو بول امرأة ، وان الخلط قد وقع بين قورتين من بول رجل وبول امرأة وضعتا دون اهتمام جنباً الى جنب على طاولة لابوال المعدة للفحص ، وهذه المعلومة يجب ان لا تنسى ولدى امثلة على الخلص الذي اشترت اليه . (ثم قال) نعم انت مصيب فان الورم المصاب به هذا المريض ورم خبيث (سمينوما) في خصية هذا الرجل .

وطريقة تعليم وردل اسنفرائية ، بلماذا وكيف ؟

وقد علق على الجدار الذي خلف كرسيه قطعة من الخشب كتب عليها

هاتين العبارة (لا تنس ان تسال : لماذا وكيف)

وذات يوم احتجت الى رأيه في حالة مرضية بمستشفى السامرائي أعقبت عملية رفع الرحم ، وكنت اشك بوجود نزف ثانوي داخلي ، وحين حضر صحبتته الى غرفة المريضة وان اقول له انني لست متأكداً من تشخيصي لاعيد فتح البطن واربط الوعاء الدموي الذي ينزف الدم . وحين وصل الى جانب سرير المريضة ركز النظر على وجهها ، ثم مد كفه ومس

انفها . ثم سألتني عن ضغط دمها فلما أجبتة انه ليس واطناً بقدر اعده كثيراً . اسيدار وردل نحوي وسألني . هل لمست انف المريضة ؟ واستطرد : - انه داء . كما اني لم ألمس انتفاخاً في البطن ، ولذلك فاني أنفي ان يكون ثمة نزف داخلي وحاجيته فيما اعتقده عكس مايعتقده . فقال لي مازحاً أو جاداً : الى الرهن ياكمال ماذا كنت انت مخططاً فاشتري لي حذاء من شركة (باتا) وان كنت المخطيء فسأعطيك السيارة التي سأقتنيها . وغادر وردل المستشفى ونحن متفقان على هذا الرهان . أما انا فلم اغادر المستشفى حتى الرابعة صباحاً حين تأكدت من وجود دم في اجوف الحوصي . فنقلت المريضة الى صالة العمليات وفتحت بطنها واذا الدم يكاد يملأ بطنها فربطت الوعاء الدموي الذي كان مبيع الدم وكان من أوعية المبيض الايمن واعدت سد البطن . وفي الساعة العاشرة صباحاً كلمني الاستاذ وردل تليفونياً يسأل - اخبارك ياكمال ؟

وعرفت انه بهذا السؤال قصد المريضة التي اختلفنا على تشخيص حالتها المرضية في الليلة الماضية فأجبتة . - لقد خسرت الرهان يااستاذ وردل ، وانا بانتظار السيارة . فقال لي على الفور - وأنا على وعدي ، وستصلك بعد ان تأتيني هدية كما قلت لك حين سألتني عن اقتنائها .

### في بون عاصمة المانيا الاتحادية/١٩٥٦

في شهر تموز من سنة ١٩٥٦ كنت ضيفاً على سفير العراق في بون (المانية) علي حيدر سليمان . واتفق ان كانت زوجته (أم عامل) يوم وصولي الى بون قد شكت من آلام بطنية مفاجئة فاستشارت استاذ الامراض النسائية واسمه (زيكه) فطلب مني زوجها أبوعامل ان اصحبها الى مجمع جامعة بون حيث يشتغل الاسناذ زيكه . بدأت سيارة السفارة العراقية التي اقلتنا الى ذلك المجمع نصعد الطريق الذي يتلوى بشكل حاد ليصل الى قمة جبل (فينوس برغ) الى جبل الزهرة الذي تربع عليه

العمارات الملحقة بجامعة بون بما فيها المستشفى الذي يعمل فيه الاستاذ زيكة . وحين نرجلت من السيارة احتدبني منظر ابراج الكنائس واشجار الحور والسرو وهي تبرز من بين الصواب الكثيف الذي يحف بالمنطقة من جميع جهاتها بينما يفصل الجبل الذي اقف عليه عن المنطقة التي يغلفها الضباب واد عميق ينتهي بقاع تكسوه اشجار غنية بالخضرة تقاطعها اكواخ بسقوف قرميدية اللون متقاربة أو متباعدة . كان هذا المنظر من مكاني الذي اقف فيه خلافاً يدخل البهجة الى النفس . ودخلنا المستشفى لنقابل الاستاذ زيكة في مكتبه ، وكان هذا المكتب مليئاً بالاضابير وفي جانب منه مضدة وراءها كرسي تحتله سيدة ببقايا ممرضة في خريف عمرها . وفور ذكرنا لها اسم السفاره العراقية ، قالت لنا : الاستاذ زيكة في انتظاركم ونهضت عن كرسيها وتقدمت من باب الى جانبيها ونقرته باصبعها ولم تنتظر اجابة من داخله بل فركت أكرة الباب ودفعته الى داخل وهي تقوون تفضوا . وفي صدر الغرفة كان رجل في نحو الستين من عمره رأيدته يقوم لتوه ووجهه نحونا وهو يقول بالانكليزية - اهلا وسهلاً (ثم اريف) أنا الاستاذ (زيكة)

ان زيكة ممثلي الجسم ، وسيع الوجه ، منتفخ الخدين ، املط واقرب الى سحنات القسرس ، وبرزت هذه الملامح بشكل واضح حين ، تكلم وخيل لي صوته يشبه صوت الخصايا ، على انني عرفت بعد ذلك انه اب لولد قتل اثناء الحرب العالمية الثانية ، وبنت متزوجة من طبيب يعمل في دائرته ونهض الاستاذ زيكة عن كرسيه وطلب من (أم عامل) ان تتبعه الى غرفة أخرى لفحصها وبقيت أنا وزوجها أبوعامل في غرفة الاستاذ زيكة . وكانت الكراسي التي في هذه الغرفة وثيرة ، والارض مغطاة بطنفسة فيزوزية اللون ، أما جدران الغرفة فمغلقة بالخشب الذي تظهر فيه اليافه بلون داكن . وأمامنا كانت نافذة واسعة تنسدل عليها ستائر خفيفة بلون سنجابي فاتح ، وعبر هذه النافذة تستبين اشجار الصنوبر . ويضع من شجيرات الورد بمختلف الالوان . وانفتح باب غرفة الفحص وخرج منها الاستاذ زيكة وحده وشرع يقول لنا

- سأحاول ان اتكلم بالانكليزية

وبدا يفسر لنا ماوجده بفحص أم عامل قائلاً

- الرحم متضخم وملحقاته متورمة ، وثمة مايدل على التصاقات فيها

بينهما (واستطرد يقول) وعلاج هذه الحالة برفع الرحم ، وانتوقع ان تكون عملية سهلة ، لان الرحم يخضع بسهولة للحركة الى اعلى والى الاسفل .  
وسألني :

- هل سبق لك ان فحصت هذه السيدة ؟  
هي في الواقع من مريضاتي في بغداد ، وأنا الذي اوصيتها برفع الرحم وملحقاته بما في ذلك عنق الرحم والمبيضين ، وعمرها يسمح بالعملية بهذه السعة . وفجأة غير الكلام عن هذه المريضة وسألني - اي الامراض النسائية عندكم كثيرة ؟  
فاجبته

- عسر الولادة . واورام الرحم  
- والبواسير المهبلية ؟  
- كانت كثيرة وهي الآن آخذة في النقصان بسبب توفر مراكز رعاية الامومة

- والصرع النفاسي  
- لا اذكر انني شاهدت حالة واحدة منذ عشر سنين  
فقال

- للغرابة . ان هذه الحالات المرضية لا يزال لها وجود في المانيا وخصوصاً في مناطق الجبال . (ثم اريف) هل لي ان اسألك ان تتكلم عن هذه الحالات أمام الاطباء والطلاب ، غداً أو في اي يوم تراه مناسباً لك ؟  
وفي اليوم التالي ادخلت المريضة أم عامل الى المستشفى بينما اعلن الاستاذ زيكة عن المحاضرة التي سأتكلم فيها عن البواسير المهبلية في العراق وفي اليوم الثالث كنت احاضر في هذا الموضوع بينما كانت أم عامل تحت التخدير لتجرى لها عملية الرحم ، وكان في قاعة المحاضرات تلميذان من أهل بغداد تقدما مني بعد الانتهاء من المحاضرة وحيثاني فرحين بوجودي هنا وكوني احاضرا مامهما في موضوع لم يشاهدا من حالاته المرضية الا قليلاً جداً

## عملية مستعجلة لطالبة بكلية الطب ١٩٥٦/٥/٦

بينما كنت اتفقد مرضى جناح الحادي عشر للأمراض النسائية ، استدعيت للإجابة على طلب تلموني من كلية الطب ، وكان الذي طلب مكالمتي عميد الكلية .

- استاذ كمال ، طالبة اغمى عليها في قاعة الامتحان ، وقد افافت الآن غير انها تشكو من آلام حادة في بطنها السفلى ، اعتقد ان لموضوعها علاقة باعضاء الحوض .

ونذهبت مسرعاً الى قاعة الامتحان بكلية الطب . فوجدت المريضة لاتزال متمددة على حشية خفيفة على ارض القاعة . كان وجه هذه المريضة شاحباً وعيناها قلقتان ، والنبض سريعاً ، وتلمست بطنها من تحت الغطاء الذي كساها . فلمست كتلة حساسة تملأ ماتحت سرّة المريضة . وكانت هذه الطالبة تؤدي الامتحان النهائي قبل التخرج في الطب الباطني وقد أتمت الاجابة قبل ان ينتابها الالم بدقائق . وهي من خيرة الطلاب خلقة وخلقاً ، رشيقة وخفيفة الروح ودائمة الابتسام . وهي من اب عراقي وأم انكليزية وكلامها بهذه اللغة يميزها عن جميع اترابها على طول سنى الدراسة ، ويفحص سريع عرفت ان في بطنها انصبابات دموية . وطلبت من ادارة الكلية نقلها الى إحدى غرف دار التمريض الخاص ، واتجهت نحو دائرة المعبد لأخبره بضرورة اجراء عملية على الطالبة المريضة ، وكان ابوها قد وصلا الى غرفة ابنتهما بدار التمريض الخاص . كما كانت ابنتهما قد استعادت كامل وعيها ، فاردت ان استزيد من تأريخ حياتها الصحية والمرضية .. فوجدت ان العادة الشهرية طبيعية في الكمية سوى أنها مصحوبة بالآلم في اسفل بطنها ينتسابها بين حين وحين ، وكان محتملاً ، وليس له علاقة زمنية بالعادة الشهرية . وسألتها - وماذا عن حسك بالامتلاء في بطنك السفلى ؟

- نعم المسه أو ان اتصور انى المس زيادة تدريجية في حجم بطني السفلى ، وقد يكون ذلك خيالاً او حقيقة ، غير انى صرب المس منذ شهر صلاية في بطني لم اكن المسها قبل ذلك . وسمحت لي هذه الطالبة المريضة ان افحصها كما يقضي فحص الحوض في مثل حالتها المرضية ، فتأكدت من اصابتها بورم في احد المبيضين مع وجود إنصباب مواد سيالة تملأ



ما بين الورم وجدران الحوض . وقررت اجراء عملية ، ولم نعترض المريضه على هذا القرار ولا ماع ابوها . ولم تكن العملية كما توقع ، اذ كنت من نوع الاندوميترىوسس وهو ورم صفته البارزة الالتصاقات فيما بينه وبين اعضاء الحوض وانسجته ، وفصل هذه الالتصاقات لا يكون سهلاً اذا شملت لفات من الامعاء . وخرجت المريضه بعد خمسة ايام بحالة تبدو جيدة ، ولو انى اتوقع ان هذا الورم قد يعود مرة اخرى في وقت آت ، ولا بد ان الطالبة هذه وهي من أنجب طالبات الكلية تعرف ذلك ايضاً . فسافرت الى انكلترا لمتابعة علاجها وللدراسة العليا ايضاً . وانقطعت اخبارها عني اكثر من عام .

وفي يوم ٤ / ٨ / ١٩٥٧ كنت في جنيف عضواً في المؤتمر العالمي الاول للأمراض النسائية والتوليد . وفاجأني أحد اعضاء المؤتمر - دكتور سامرائي ؟

فأجبت

- نعم أنا دكتور كمال سامرائي من بغداد  
- قرأت ذلك في بطاقة هويتك هذه وأشار بأصبعه الى البطاقة التي tendli من عروة سترتي .  
كان هذا الطبيب طويل القامة ، ركيك العيدين ، احمر الشعر وبادرني يقول :

- أنا ( إيان دونالد ) ، ولي مريضة كانت يوماً احدى مريضاتك في بغداد ، وقد رفعت منها كيس اندوميترىوسس في الحوض ، تذكر ذلك ؟  
- اذكر ذلك ، وكانت يومئذ طالبة تؤدي الامتحان واسمها سعاد صبحية - هي بالضبط ، وأريد ان اسمع منك عن عمليتها . فقد عادت تشكو من آلام في بطنها . واني لمتردد لصغر سنها ان ارفع ما بقي في جوف حوضها من الاعضاء الانثوية ، فقد يساعدها الحظ فتحبلى ولو ان ذلك احتمال ضئيل .

وبعد نحو عام بلغني ان الدكتورة سعاد . قد حملت ، وهي حالة لا تحدث إلا قليلاً وكان ذلك من حسن الحظ لا بتدبير الطب .

## في كوبنهاغن / ١٩٥٦

دعنتي شركة اوركانون الهولندية لصنع الادوية الطبية المشهورة لحضور مؤتمر في الهورمونات النسائية يقام في اسكهولم بالسويد ، واقتربت على ان استحضر كلمة بهذا الموضوع تخص مستحضرانها التي نستعملها في الامراض النسائية . وكان في خاطري مد مدة غير قصيرة ان مستحضر ( جستانون ) الذي تصنعه هذه الشركة يحتمل ان يكون اكثر فعالية في منع أو إيقاف تقلصات الرحم اثناء الحمل وبالتالي بعالج حالات سقوط الجنين ، لو أضيف اليه قليل من ( الاستروجين ) ، فصممت ان اتكلم في هذا الموضوع في المؤتمر الذي دعنتي شركة ( اوركانون ) اليه ، وهذه الشركة هي التي تصنع حبات ( الجستانون ) التي ذكرتها انما . واستقبلتني في مطار ( كوبنهاغن ) عاصمة الدنمارك شخص أشيب في العقد السادس من عمره ، وحممني بسيارته الى فندق ( كرانسنابولسكي ) الذي يحتل جبهة واسعة من الساحة التي تحمل الاسم نفسه وهو الفندق نفسه الذي اقامت فيه اربعة ايام في سنة ١٩٥٦ الا تغييرات طفيفة في بعض اركنه الداخلية ، فدائرة الاستعلامات لم أرها في مكانها القديم بل هي الان الى يمين مدخل . فهو الفندق ، كما ادخلت لمسات جمالية في جدران الصالة وسقفها ، والسلم الامبراطوري الذي يلتوي بثقل ليصل الى الطابق الاعلى ، لا اراد الان . وحل على قاعدته مكتب للسياحة والسفر . وفي صباح اليوم التالي استيفظت على أصوات صاحبة أمام الفندق ، فاستعلمت عن ذلك فاخبرني من في دائرة استعلامات الفندق انه من الاسلم ان لا اغادر الفندق ، غير اني كغيري من نزلاء الفندق تقدمت الى بابه الزجاجي الواسع ، ومن خلاله شهدت جموعاً من الشباب والشابات بعمر المراهقة تحتل مداخل الشوارع التي تنفذ الى الساحة ، وهي ترمي زجاجات مليئة بالنفط فتندحرج على الارض وبسكب منها ثم يوقدون مسجلها فتندلع النيران لتلتهم ما وصل اليه النفط من سيارات ومخازن البضائع ، وفجأة اندفعت الى الساحة مجموعة من الشدب ومن ورائهم عدة اقل من رجال البوليس بخوذ معدنية وبايديهم الهراوت ، ورأيت رجال

البوليس يقفون عند المنفذ الى الساحة ومع بنقدموا الى داخلها ملاحقة المتظاهرين . وبعد دقائق تكررت مثل هذه العملية من منعده اخر او الساحة ، ولم تمض ساعة واحدة إلا كان جميع استظاهرين بحاصرون ضمن نطاق الساحة ولم تمض إلا دقائق بعد ذلك حتى دخلت اساحة شاحنات البوليس وحملوا عنوة إلا بمقاومة ضئيلة ذلك المجموع الشار دخلت الساحة إلا من قناني النقط الفارغة . وفيما أن اقرب من يأتي لاستصحابي ان شركة ساس لتحملني الى استكهولم ، طلبني نداء تلفوني الى دائرة الاستعلامات ، وكان المتكلم من شركة أوركانون يخطرني ان استحضر نفسي باقصى سرعة ليأتي ويأخذني الى المطار ( واصاف يقول ) ان اكثر شركات الطيران قد اضررت ويخشى ان يعم الاضراب شركة KLM الهولندية وطايرتها هي الوحيدة التي لا تزال تعمل بين كوبنهاكن واستكهولم ، وانها ستقلع بعد ساعتين من ( بروكسل ) ببلجيكا . واجتئنا الحدود الى بلجيكا دون اعتراض من بوليس الحدود أو الكمارك . وأسرعت الخطى ومعني مرافقي الهولندي الى دائرة شركة طيران KLM في المطار ، وبينما نحن ندخل بهو المطار سمعنا من يعلن عن إضراب هذه الشركة . وهكذا عدنا أدراجنا الى أمستردام . ولولا وساطة مرافقي الهولندي لما حصلت على غرفة دون حجز مسبق في الفندق الذي غادرت قبل ساعتين ، وفيما كنا نستريح في بهو الفندق بانتظار تهيئه الغرفة التي حصلت عليها . قال لي مرافقي

- عندي فكرة ان نجمع بعض اطباء شركة اوركانون في قاعة الشركة المخصصة لالقاء المحاضرات ، لتبحث معهم موضوعاً طبياً له علاقة بمستحضرات اشركة وبذلك نكون قد عملنا شيئاً يبرر استدعاءكم الى شركة ( أوركانون ) في ( أوس )

ورأيت الفرصة مناسبة والفكرة مقبولة لايبحث فائدة خلط مقدار من ( الاستروجين ) في حبوب الجستانون التي بصفها لحالات التهديد بالاسقاط أو للوقاية منه . وهذا ما حصل ، وعدت في صباح اليوم التالي على متن احدى طائرات شركة KLM الهولندية الى بيروت .

## في فندق الكرمة ببحمدون ( لبنان )

وصلت الى بيروت في تمام الساعة الواحدة ظهراً ، وبعد استراحة بعد الغداء في فندق الكرمة ببحمدون ، دخلت صالون هذا الفندق وكان فيه حشد من الاطفال يتحلقون حول التلفزيون لمشاهدة فلم ( مكى ماوس ) ، وكان ضجيجهم اعلى من صوت التلفزيون بكثير ، وتنازعهم على احتلال الكراسي لا ينقطع ، وإذ انني أميل الى مراقبة تصرفات الاطفال ، كما استمتع بمشاهدة افلام ( مكى ماوس ) والكارتون وبين ابطال هذه الافلام وبين تصرفات الاطفال على ما ارى تقارب كبير في الحركات ، كما ارى في تسلسل حركات مكى ماوس خيالاً ما بعده خيال ، وفيه كثير من سمات الفن والذكاء . ولكل هذا فضلت ان أبقى قريباً من هؤلاء الصغار ولمهم المفضل قبل ان الجأ الى قيلولتي التي اعتدت عليها اكثر أيام حياتي .

كان أحد هؤلاء الاطفال منحمساً لبطل القصة في فلم التلفزيون . وكان هذا البطل هندياً بصفيرة شعر من رأسه يزينها بريشة دائمة الاهتزاز وهو على جواد بذيل طويل ، فاذا نط هذا البطل على ظهر جواده بقفزة واحدة ، أو اذا ركبه حضراً صفق له ذلك الطفل وهو يحرك كرسيه بعصبية تزداد كلما ازدادت سرعة جواده . وكان الى جانب هذا الطفل طفلة أصغر منه عمراً تنفخ في لبان يندفع من بين شففتيها ثم ينفجر ثم تعيده الى فمها ، وتكرر هذه الطفلة نفخ اللبان مرة أخرى ، وهكذا لم تنقطع عن هذه اللعبة الرتيبة ، وهي تفعل كل ذلك دون حماس ملحوظ ، فكأنها في عالم آخر غير عالم الاطفال الذين حولها بالرغم انها تنظر الى شاشة التلفزيون من وقت لآخر . وقد تصيبها ضربة عابرة على كتفها من ذلك الطفل المتحمس الذي يجلس الى جانبها فتتنبه لمتابعة حركات البطل الهندي فتحمق في الشاشة ثم سرعان ما تعود الى عالمها في اللهو بنفخ اللبان وهو ما يجول بخاطر هذه الطفلة .

ويبدو ان تلك الطفلة ضاقت ذرعاً وبرمت بمضايقات جاراها الطفل المتحمس للبطل الهندي ، فنهضت عن كرسيها وهي تسوى محزم قميصها لترفعه ، واتجهت الى طرف الحلقة وجلست على كرسي لم يكن

لصيما باكراسي الأخرى التي حول التلفزيون ، ولم تعد تنفخ في اللبان الذي في فمها حين ظهر في شاشة التلفزيون فتاة مفيدة بالحبال أو جذع شجرة ، وحرك مشاعرها هذا المشهد فصارت تركز عليه أكثر فأكثر حين لاح في الأفق ذئب يعدو في اتجاه تلك الفتاة ، وسرعان ما ظهر ذلك البطل الهندي الذي لم تكن نهتم له ، وطعن الذئب بمدية استلها من محزمه ، وفك وثاق الفتاة بالحبال الى جذع الشجرة وحرر الفتاة ، حينذاك شرعت هذه الطفلة تشارك الاطفال الآخرين في التصفيق والتهليل لهذه العملية الجبارة التي انفذ بها البطل الهندي حياة الفتاة ، وبدأ على وجهها فرح النصر حين اربف البطل تلك الفتاة وراءه على ظهر جواده ، وابتعد حتى غاب عن الانظار

ما الطف حركات الاطفال وما أنبل براءتهم ، وبينما انا متشاغل بافكاري فيما حدث لي بهولندية مرت بحائني سيدة وجلست على كرسي ليس بعيدا من مجلسي . كانت هذه السيدة في نحو الثلاثين من عمرها ، حنطية البشرة ، عذبة المحيا ، ضاحكة السن ، ولما التفتت نحوي سألتني .

- حضرتك من العراق ؟

فأجبته

- نعم من العراق ، من بغداد

فقالت :

- أنا من هون ، بالضبعة

وأدارت وجهها نحو التلفزيون ، وبعد برهة عادت والتفتت نحوي وسألتني .

- عندكم في العراق تلفزيون ؟

- عندنا تلفزيون بقتاتين ، وتشاهد عروضه في بغداد وحواليها ، وبرامجه متنوعة للكبار والصغار .

### طفل يسرق من ردة الولادة / ١٩٥٧

إنقصت عطيتي الصيفية بلبنان ورجعت الى عملي في ردة الولادة في المستشفى الملكي ، كل شيء على وضعه الذي الفتة قبل سفري الى خارج

عرق . واستقبلني ( بواب ) الردهه . وهو رجل في وسط العمر ، يلف على رأسه يشماغ . وفي عييه اليسرى حول سرير ، وهو عموماً عبيط . غير انه حشع ووضيع ، ولا يتردد من ان يأخذ اي عطاء من اية مريضه . فقيرة ام غنية ، بل كان ينوه لهم عن ذلك اذا تناسين مطلبه . نهض هذا البواب عن كرسيه الصغير ، وتقدم يستقبلني بترحيب .

- اهلا يعمي ، نورت المستشفى .

وانا اعرف هذا الرجل متملقاً كاذباً ، وإعندت أن لا أجيبه على تحياته متعمداً ، ولكنه لا يبالي بذلك فعييد ترحيبه لي حتى لو مررت به عشرات المرات . واسرع الخطي وهو يقول للمريضات المزدحمات على مدخل الردهه

- بالكم ، المدير

وتأتي رئيسة الممرضات الى غرفتي وتقول لي معاتبه

- لم تخبرنا بقدمك يا أستاذ ، عرفتك غير مرتبه .

وأنا أعرف أن هذه الغرفة لم تكن يوماً ما مرتبه . فاحتها وأنا غير صانع - لا بأس

وتأتي اكثر الزميلات الواحدة تلو الاخرى . فسنقبلهن واقفا

- أهلاً وسهلاً بكن جميعاً .

واسمع منهن بعض ما حدث في الردهه اثناء غيابي عنها ، وتحضر المقيمات الجدد ، غير ان القسم ما زال بلا مقبمه قدمي . وفي اثناء حديثي مع الزميلات سمعت صخباً في الردهه ظننت أولاً انه من زائري الردهه الذين يكثرون بشكل خاص في يوم الاثنين وهو يوم الزبارة ، وازداد الهرج والمرج بشكل صطربي الى ان أخرج من غرفتي لابين السبب ، فقابلني ممرضة الردهه نجيبه جرجيس ، فسألنها .

- ما الامر يا نجيبه ؟

فأحاسني وهي تفيض على يد إمراة تحاول ان تقلك منها بينما

تحمل هذه المرأة طفلاً صغيراً بين ذراعها الاخرى ، قالت نجيبه .

- انتهرت هذه المرأة ازحام الردهه بالرائير فبهت طفلاً صغيراً من مهده حين ذهبت أمه لقضاء حاجة .

فانبهت باهتمام الى هذا الاتهام الخطير وسالت المرأة .

- هل صحيح انك حاولت ان تسرقني هذا الطفل الذي على ذراعك ؟

فأجابتنني بخوف .

- أبدأ ، هذا إبني

وسألته

- هل انت وضعت الطفل في هذه الردهة ؟

- نعم وضعته في هذه الردهة .

- متى ؟

- قبل يومين

- إسمك يا امرأة ؟

- عليّة بنت حسين

فعلت للسقايلة نجيبه

- احضري لي سجل المرمى في الايام الأخيرة

فانها رت المرأة ونصنعت الغيبوبة ، فرأيت أن اطلب مفوض الشرطة في هذا

المستشفى . وحين حضر أمامي التفت نحو المرأة وحيدا مع ذكر اسمها

الذي عرفته منها . فسألته المفوض

- تعرفها ؟

فأجابني

- هي من محلتي بمنطقة ( السباع ) بشارع الشيخ عمر ، وزوجها جداد

بحانوت غير بعيد من بيتي

وقلت له

- تدعي هذه المرأة ان هذا الطفل الذي تحمله ابنها ، وقابلة الردهة

تدعي انها حاولت ان تسرقه من الردهة ، كما أننا لم نجد في سجل

المريضات واحدة بمثل اسمها ، وهذا ما استدعيته لاجله .

فقال مفوض الشرطة

- أنا أعرف من أهلي ان عليّة حسين تزوجت دون ان تتجب ولا اعرف غير

ذلك . ورأيت هذا الموضوع مبهماً فطلبت من مفوض الشرطة ان يستدعي

زوجها من محله في منطقة السباع ، وبعد نحو ساعة حضر زوجها

فسألته .

- هل هذه المرأة زوجتك ؟

- نعم زوجتي ، وما الأمر ؟

وسألته :

- منى وضعت طفلها

فاجابني

- قبل يومين .

وسالته

- هل هذا الذي بين يديها هو ابنها ؟

منضر ائى الطفل باستغراب واجابني

- كلا انه اكبر منه بكثير .

وفي هذه اللحظات دخلت غرفتي امرأة من الردهة وهي تحمل طفلا بعمر سنة ، وقالت تشير الى الطفل الذي تحمله ، ان المرأة التي تدعى ان الطفل الذي اخذته غفلة من مهده . هي كانت تحمل هذا الطفل الكبير وهي التي رفعت الطفل الصغير من مهده . وفي هذه اللحظات قال مفوض الشرطة

- عرفت الان تفاصيل هذا الامر ، فقد اختفى من محلقتنا طفل بعمر سنة ، واني اعرف اباه .

واستدعي أبو هذا الطفل فنعرف على ابنه الصغير ، وفي لحظة مفاجئة هجم زوج المرأة السارقة على زوجته واشبعها ركلا وضرباً ، والنمت البنا يقول :

- هذه بنت الملعون خدعني تسعة أشهر متظاهرة بالحبل بعد زوج دام اكثر من ثلاث سنوات ، وبوماً اخذنها أمها الى المستشفى لتلد فيه وعادا ومعهما طفل كبير ، ففرحت به فرحاً كبيراً فاكومت أمه بعشرة دنانير ، واشفريت لها قدراً من التفاح والعرموط ، واستعربت ان الطفل الذي ادعت انه ابننا قد فتش تفاحة من يدي وحاول قضمها .

وهكذا وضع هذا الامر ، فقد سرقت تلك لروحة طفلاً من بابه داره ، وادعت امام زوجها انها ولدت في المستشفى ولم رأت ان الحبران سيسكرون انها ولدت ابنها بذلك العمر التجأت الى تبديله بطفل اصغر نسبه من الردهة العاشرة في المستشفى الملكي ، فدخلت هذه الردهة في يوم الاثنين وهو يوم زيارة المرضى وعملت وخططت له . ولكن حبلنها انكشفت . وسبقت تلك المرأة الى القضاء .



## الفنانه نجاح سلام / آذار ١٩٥٧

هذا الموسم في التلفزيون العراقي عن الفنانه اللبثانة نجاح سلام .  
ومد ملات شاشة التلفزيون بحجمها المقتزل وهي تعني

ياما حبينا وبتينا قصور

وحواليها جناين وزهور

وقد سحيتني هذه الفنانة وأنا انظر اليها في التلفزيون خمسين سنة الى  
الماضي يوم سمعتها تغني في اسطواناب يضافور مقطوعتها الشهيرة  
( يا جارحة كلبي والجرح يؤذي ) ومقطوعتها الاخرى ( حوّل يا عنام  
حوّل ، بات الليلة هن ) وكنت لا اسمع أحدى هاتين الاعنيتين إلا وأنا  
أتخيل عمر هذه المغنيه فتياً بعمر وردة الصباح الفواحة بالطيب . ثم  
رأيها لأول مرة يوم رحلت عيادتي التي كانت فوق مقهى ( شريف  
وحدّار ) الواقع على رقبة جسر لاجرار ، دخلت هذه الفنانة عيادتي ومن  
ورائها أبوها البدين ( سلام )

وشاب عراقي صار واسطة التعارف فيما بيني وبين ابراهيم اسمه  
١ طالب التميمي ، ودهشت بفرح حين قدم لي هذه الفنانة باسمها كاملاً  
١ الانسة نجاح سلام ) وعرفت أيضاً في هذا اللقاء ان أباه هو الذي  
يلحن لها أغانيتها ويصاحبها حين تغني في الصرب على أوتار العود .

أما طالب التميمي فمن عائلة موسرة تعمل بالزراعة والبحارة  
وكان ذلك اليوم من ايام تموز أحرارة الرطبة ، فكانت الفنانة نجاح  
سلام ترتدي علة رقيقة النسيج من خيوط الحرير الناعم بلون الوردية ،  
وتكشف عن صدر ناهد مثير ينحصر عند محزمها كما تحزم الورد لتكون  
منها باقة لمزهريّة في صالون ، فقامت لها لأصافحها وأرحب بها ،  
فقالته وهي تحرك الهراء بيمنها ليلطف وجهها المسود ،

- شو هالحر عدكم ببغداد ، بالطيف !

فقلت لها مداعباً ببراءة .

- انك يا آنستي نزيدين في حرارة غرفتي

ومهمت الاشارة فعالت

- مرسى يا حكيم

ثم قلت لها .

- تفضلي أنا بخدمتك يا أنسة نجاح .
- وفجأة مدت يدها ورفعت ذيل فستانها دون توانٍ أو تأنٍ الى ما فوق  
فخذها الايسر من وجهه الانسي وهي تشير الى بثرة صغيرة في أعلى محذها  
وتقول
- هاى دى تضايقني يا حكيم ، إمسكها يا حكيم ، هي مويه .  
وتلمست تلك البثرة الصغيرة ، فاذا هي قوبة فعلاً ولكنها ليست ذات  
أهمية ، ولما قلت لها ذلك قالت :
- كيف لا شيء ؟ وهي ( تنخسني ) يا حكيم ؟  
ورأيت من اللياقة والكياسة ان اقول لها انها بصيلة زغب ملتهمة  
يفعل الحر والعرق لا اكثر من ذلك ، ولكن اين الزغب في جسمها الناعم  
ليلتهب ، ولكنه موجود ولو بصورة لا يرى فيها كثيفاً ، فامسكت عن ذكر  
ذلك . وعادت تطلب مني ان امسكها باصابعي ، فاذعنت لطلبها ،  
واكتفيت بقولي
- نعم انها قوية
- شو أعمل لها دخلك ؟
- لانعملي شيئاً
- دواء ؟
- لا تحتاجين الى دواء لها ، ( واردفت اقول ) احقيقه أنا لا اختص في  
علاج مثل هذه الحالة . ولكن من أجل عينيك ( يا جارحة كلبى ) قلت ما  
قلته لاريحك يا أنسة نجاح  
وابتسمت لهذه الاشارة وقالت
- الكل هون في بغداد يذكرون هذه الاغنية ويحبوني من أجلها .  
فقلت لها :
- بل يحبون الاستماع الى هذه الأغنية من اجلك يا انسة .  
تذكرت ذلك وأنا انظر الى نجاح سلام وهي تغني وتهز كتفيها في  
التلفزيون العراقي . كما تذكرت ليلة كانت بعد ثلاثين سنة من ذلك اللقاء  
في عيادتي ، انني كنت ومعي صديقي الدكتور عزيز محمود شكرى ، ليلة  
كنا فيها في ملهى بعالي بلبنان ، فرأيتها على منصة الفناناب وكانت قد  
تزوجت وانجبت ، فسمعت واكتنز صدرها وثقل عجزها ، غير ان صوتها  
بقي رخيماً كما كان في صباها ، غدياً بالعدوبه ، ولاحظتها تصوب بظرانها

الى ثم ما لبثت ان انحدرت من المنصة واتجهت نحوي بخطى خفيفة  
سريعة ، فقامت لها بحترام  
- أهلاً وسهلاً بالحكيم  
- وأهلاً بك يا ست نجاح ، ولكن ما هذه الذاكرة القوية لتستذكري ملامحي  
بعد هذه السنين الطوال  
فقالت :

- يا عيب الشوم ، كيف انساك ، على الأقل اذكر تلك الليلة الجميلة في  
بيتك !

ودهشت لهذه الاشارة ، فاية ليلة كانت فيها في بيتي !  
فلا بد انها خلطت بيني وبين شخص آخر دعاها الى بيته الفخم ، فمن  
يكون ذلك الشخص يا ترى ، وقد اقيمت لها دعوات كثيرة في بغداد ؟  
وسكت ولم أصحح ذلك الخلط ، وأنا الرابع فيه

ونفضت لتودعني وهي تقول

- تريد أغنية خاصة ؟

فقلت له على الفور ؟

- يا جارحة كلبي

وغادرتنا الى منصة الغناء

### عبد الرضا وقسمة

احتججتا في سنة ١٩٥٨ الى صبي صغير لاعمال البيت الطفيفة  
كالكنس ، والاجابة على النداءات التليفونية ، وفتح باب البيت للزوار وما  
الى ذلك ، فحصلنا على صبي من ( الشوملي ) بمحافضة الحلة في نحو  
العاشرة في عمره اسمه عبد الرضا ، وكان في حالة صحية سيئة كما كان  
نصف أطرش ، وقد تحسنت صحته بشكل واضح بعد اشهر معدودة  
بالغذاء الجيد والادوية . وكان في حديقة داري فلاح كبير العمر ومصدر  
اسمه ( لازم ) ، وله خبرة بتسميد الاشجار وسقيها حصل عليها من  
اشتغاله في حدائق أمانة العاصمة اكثر من ثلاثين سنة . وكان له ولد من  
زوجته الاولى التي توفيت اثر ولادته ، وله ايضاً ابنتان من زوجته الثانية  
التي تزوجها على الكبر ، وكبرى هاتين البناتين اسمها ( قسمة ) وكانت في

مثل عمر عبد الرضا ، وهي سمراء السحنة مليحة التقاطيع واسعة العينين ، مفتولة الاطراف . ويوم دخل لازم وعائلته بيتي كانت في حديقتي غرفة منعزلة عن البيت وتحتها الاشجار الكثيفة ، وفي ظلي كانت تلك الغرفة مناسبة لسكن هذا الرجل وعائلته ، غير ان لازم فأحاني بقوله .

- سأشيد لي كوخاً بين اشجار الحديقة من العيدن والحصران وسعف النخل ( وأضاف ) وقد نقلت هذه المواد التي كنت استعملتها لكوخي الاول في حدائق الأمانة وسأستعملها لاقامة بيت منها في يوم واحد لا أكثر ،

- لكن ، يا عم لازم ، ادخل الغرفة التي في الحديقة وسنجدنا افضل من اي كوخ

- لا يا دكتور ، نحن معتدون نسكن بالاكواخ وعلى طريقتنا ، والله بخلف عليك ، ويزيد خيرك .

ورضخت لرغبة لازم وتركته يعمل ما يريد . وبعد عشر سنوات تقريباً بينما كنت منغمراً في القراءة بمكتبي دخل عبد الرضا عليّ ؛ وعلى وجهه معانٍ لم تخطر على بالي ، وقال لي دون مقدمة

- اريد أتزوج !

فقلت له بما يفهمني ويرضيه

- الزواج تكملة للدين ، وهو سنة نبينا محمد ( ص )

فأجابني وهو يمد عنقه نحوي

- ولكن لازم يريد مني ثلاثين دينار

- وما دخل لازم في زواجك ؟

فأجابني ..

- هي بنت لازم ، قسمة

وكان جوابه مفاجأة نهلت لها ، ولكنها جعلتني أفسر اهتمام قسمة بشؤونه الخاصة فتسقل اليه بسرية الماء المتلج في الايام الحارة أو بعض الاكلات الساخنة في الشتاء ، فقلت لعبد الرضا

- ولكن قسمة لا تزال صغيرة للزواج يا عبد

فأجابني كمن يدفع عنها تهمة .

- ليست صغيرة عمرها ١٥ سنة
- وكيف عرفت ان عمرها ١٥ سنة
- هي التي قالت لي ، واهلي في الشوملي يزوجون بناتهم باصغر من هذا العمر .

وبالاختصار تزوج ( عبد الرضا وقسمة ) في غرفة لصيفة بكراج سيارتي في احد اركان حديقة ببتي وانجبت قسمة ولداً سميناه عليا وصرنا نكني قسمة بام علي ونكني عبد الرضا بأبي علي .

وصار المولود علي ملهاة مربية اولادي الحاجة ( أمونة ) كما صار مدلل عموم من في بيتي . وكانت أمونة هي القابلة التي تولت ولادة علي علماً بانها غير متزوجة وهذه أو نجرية لها في نوليد الحبالى . وحدث ان مرض ( علي ) بفقر الدم الخبيث ، واقتضت حالته ان تعالج في مستشفى ، فحملته بسيارتي الى ( مستشفى الفردوس ) مستشفى سلمان فائق سابقاً ، واستأجرت له غرفة خاصة لتقيم معه أمه قسمة فضلاً على إهتمام ممرضات المستشفى به . وبرىء علي إلا من الشلل الذي ترسب في يده اليمنى فصارت تنهدل ثقيلة الى جيبه ، يقبت يده في هذه الحالة على مدى حياته . على ان أمه قسمة وخالته ( صبيحة ) ظلتا تعتقدان ما أصاب يد ( علي ) كان جراء الادوية التي عولج بها اثناء مكوثه في مستشفى الفردوس . وفي غضون عشر سنوات تالية انجبت قسمة بنتين وثلاثة أولاد . وكانت قسمة وأهلها يعارضون بإصرار وشدة ان تستشير طبيباً اذا تعرض أحد اطفالهم الخمسة الى وعكة ، خوفاً ( علي اعتقادهم ) من ان يصاب بما أصاب علياً .

وفي سنة ١٩٧٩ انتقلت الى داري الجديدة في الشماسية ( الصليخ القديم ) وعائلة عبد الرضا معي طبعاً ، وخصصت لهم ثلاث غرف متصلة بكراج سيارتي . وقسمة ذكية . فقد كانت تراقب طبياخي ( الاسطة احمد ) سنين كثيرة حتى اتقنت الطبخ . واختلفت يوماً مع الاسطة احمد فغادر هذا بيتي وهو على غير رضا مني وانفردت قسمة في الطبخ وصارت تحسنه بشكل مدهش ، حتى صرنا نقول انها لو تسخن الماء لصار له طعم افضل من طعمه الاول . عذوبة واستساغة ، والطبخ كما يقال ( نفس ) من انفاس الطباخ ، والمثل صحيح في تطبيقه على قسمة في المطبخ ، فهي لا تفارق قدور الطبخ حتى لو طالت مراقبتها ساعات .

بقسمة وزوجها امينان على بيتي ومصالحني الى حد بعيد ، وخدماني  
بصدق واخلاص ومحبة ، ولما توفيت زوجتي ، كانا لي خير من عني بي  
وأهته بأموري ، ولما رأيت ان ذلك غير كاف اذ تقدم بي العمر ، وأنا مريض  
في قلبي وفقرات ظهري ، تزوجت بطبيبة اسنان هي سمية الهاشمي وذات  
يوم وأنا في مكتبتي دخل عليّ عبد الرضا وفاجأني بقوله انه هو وأهله  
مضطرون لمغادرة بيتي ، ولما تغلبت على هذه المفاجأة قلت له كمن  
يستعطف

- عبد ، كيف تسوّغ لنفسك ان تهجرني وأنا الآن أحوج ما اكون اليك وإلى  
قسمة ؟

فأجابني

- مكاننا ضاق علينا

- اذا كان ذلك هو السبب فانتقلوا الى ( العيادة ) وفيها ستة غرف  
فأجابني بغباء عدته صلافة وقلة وفاء  
- لا يا عمي نريد نطلع من البيت .

ولما رأيت ان في الامر ما اخفاه عني ، وأنا اعرف ان قسمة هي  
صاحبة القرار النهائي فيه ، طلبتها بعد ان غادر عبد الرضا مكتبتي وقلت  
لها

- هل صحيح تريدون ان تتركوني يا قسمة ؟

فأجابتني بحجة هي نفسها لا اظنها تؤمن بها

- البنات والولد كبروا ، وقد يجيء نصيبهم للزواج ، ومن يقدم ليتزوج من  
بنت أمها خادمة ؟

فاجبتها بصدق ، وهي تعرف ذلك يقيناً

- انت لست خادمة يا قسمة ، انت ابنتي الثالثة ، ومثل نيران وجهان ،  
واولادك اولادي ، واقبلكم في الاعياد كما اقبل اولادي ، واكسوكم بمثل ما  
اكسوهم ورأيت قسمة لأول مرة في حياتي بهذه العزيمة والصلاة على  
مغادرة بيتي ، فقلت لها

- كما تريد يا قسمة ، ولي الله .

وفي اليوم التالي رأيتهم يفلون امتعهم الى سيارة حمل يوف عبد  
مدخل كراج بيبي ، فتقدمت منهم ، وناديت على كل من عبد الرضا وروحته  
قسمة وقلت لهما

- ادخلا بيتي وخذ منه كل ما تحتاجان من أثاث ومبايع . فاجابتني  
قسمة

- أخذنا بعض الاشياء فاوهبنا عليها

- موهوبين والله يحفظكم

ان قسمة وزوجها واولادهما قطعة من حياتي فكيف انساهم ولي  
ذاكره ، فذيرب منذ تركوا بيتي ابعث اليهم في اكثر المناسبات ما يحتاجونه  
من تمن ودهن وسكر فصلاً عن لهدايا النقدية في العيدين والمناسبات  
الآخري . إلا ان ذلك مع الاسف لم يقربهم اليّ ولا هم ابتعدوا عن قبلي  
وافكاري .

### حالة صرع نفاسي في الكاظمية / ١٩٥٧

في الساعة الثانية صباحاً كلمني هاتفياً رجل بلهجة تنم عن  
اضطراب شديد ، فطلبت منه ان يكلمني بهدوء لأفهم منه ما يطلبه مني .  
- دكتور مروتك ، زوجتي بحالة تندر بالموت  
فسألته

- ما بها يا أخي ؟

- على الولادة وبدأت تصرع ، وأريدك ان تأتي لفحصها . ومن حديثه  
عرفت بسهولة انها مصابة بالصرع النفاسي ، وهي حالة مرضية خطيرة  
حتى في المستشفى حيث يتوفر لها تمرير خاص بغرفة خاصة لهذا  
المرض ، فسألته

- لماذا لا تحملوها الى المستشفى ، فانا لا أستطيع ان اعمل لها ما  
تحتاجه من علاج في البيت ؟

- دكتور ، أريدك تشوقها أولاً ، لخاطر الله .

وأعرف أنني في هذه الحالة عاجز عن رد طلبه ، فسألته

- اين بيت المريضة ؟

- في الكاظمية . وأنا انتطرك عند باب الحضرة الرئيسي ، وبيتنا قريب من  
هذا الباب .

وارتديت ملابس على عجل ، وفدت سيارتي الى حيث ينظرني ذلك

الرجل ، فوصلت اليه بوقت غير طويل ، فاذا هو ينتظرني هناك بقلق ظاهر ؛ وقادني متعجلاً من خلال ( درابين ) متعرجة ضيقة الى بيت المريضة ، وكان من فيه من الرجال والنساء في هرج ومرج بين من تنكى بعويل ، ومن تشد شعر رأسها بحالة هسترية وأخرى تضرب بكفها على صدرها . وتسلفت من بين هذا الحشد الذي لا يمكن ان يكون إلا خليصاً من الأهل بكثير من الجيران .

وكانت المريضة بعمر لا يتجاوز العشرين سنة ، منتفخة الوجه ، متورمة الاطراف ، لا يسمع إلا نردد انفاسها التي تزفرها بكثير من العناء . وعرفت من اهل هذه المريضة انها في حملها الأول ، وان هذه الايام أيام وضعها ، غير انها بدأت عجاة تصرع .

- هل سبق ان فحصها طبيب اثناء الحمل  
- كلاً

- كم مرة صرعت .

- خمس مرات في ساعة واحدة تقريباً

وفي هذه الحالة رأيت اني لا استطيع ان اعمل لها شيئاً مفيداً ، فقد بدت لي انها في الساعات الأخيرة من حياتها ، ان لم يكن موتها آتياً . وسألني زوجها .

- دكتور ، حالتها خطيرة ؟

وهذا من كان حولي ليسمعوا جوابي ، فقلت له .

- نعم حالتها خطيرة !

حينذاك ارتفع عويل النساء من كل طرف في البيت وكان جوابي لزوجها بمثابة بق جرس لهم ليعملوا ما يريدون

وسألني زوجها باستعطاف وخذلان

- دكتور ، دواء ؟ أبرة ؟

ونبهني هذا الطلب ان أرضي اهل المريضة بحقتها بالمورفين ، وأن اعرف ان هذه الحقنة لا تكفي لعلاجها . وعاد الزوج يطلب مني ان اعمل شيئاً لزوجته .

- يا أخي لا فائدة ترجى إلا من ادخالها المستشفى

- دكتور ، اطلب الذي تريده ، أي مبلغ ؟



وفي لحظات توقفت نوبات الصرع نهائياً ، فإذا هي قد زفوت حراً  
انفاس حياتها . فتدافع من كان خارج غرفة المريضة إلى داخلها . ويرى  
أن أخرج من الغرفة من بين من دخلها ، فحصر ي على الجدار ، وأخيراً  
وصلت إلى بابها بصعوبة . وانتظرت الزوج ليفورني عبر الدرابزين منضمه  
إلى سيارتي . ولما رأيته يتجاهلي وهو يبكي بحرقة . ربت أن -  
بلطف فيه معنى الأسف على فحيته ، غير أنه استمر يبكي -  
يستمع إلى ، وطال انتظاري ليلتفت إلى فقلت له مضطراً .  
- يا أخي أنا متأسف على ما حدث ، فاطلب أحداً ليوصلني إلى  
سيارتي . .

فإذا هو يقول لي بحدة

- دكتور ، توصلت إليك أن تعطيها إبرة رأساً ليس ما انطيتها ؟  
ولم أر فائدة من التحدث إلى هذا الرجل ليوصلني إلى السيارة فاحذت  
طريقي إلى حيث أوقفها فوصلتها بصعوبة ، وعدت إلى بيتي . وبعد نحو  
ساعتين طرق باب بيتي زوج المتوفاة ، يطلب مني شهادة وفاة تلك المرأة .  
فعدت إلى مكتبتي .

وسأله ما اسم المريضة ؟

- اسمها بهية بنت موسى

- واسم زوجها رجاء ؟

- عليوي صائق

وغادرني وهو يطوي شهادة الوفاة ويدسها في جيبه . ولم أر أحداً عن امر  
المريضة بعد ذلك واستغربت أن يكون قادراً أن يدفع لي أي من مبلغ اضنه  
( كما ادعى ) ولا يدفع اجراء اتعابي في تلك اللحظة

هذا الحادث يذكرني بحكاية لا أذكر فيما إذا كنت قد سمعتها أو  
قرأتها ، ومغزاها له بعض العلاقة بالحادث الذي اشرت إليه . وهي  
( استدعي طبيب لعيادة مريض في داره . وسار هذا الطبيب وراء امر  
استدعاه في أزقة ضيقة قدرة ليدخل بيتاً يدل مظهره على فقر ساكب  
وقعد الطبيب على حشية هزيلة إلى جانب رأس المريض الذي كان يستلقي  
على حصير بال ، وفحصه كما يجب وبدقة وكتب له وصقة دواء ليشتريه  
من إحدى الصيدليات . وحين تهيأ لمغادرة بيت المريض تقدم منه -

مريض وسأله عن أجر أتعابه ، فأجابه الطبيب . دينار واحد ، فطلب منه  
لأب أن ينتظره قليلاً ، وغادر البيت ثم عاد وقدم للطبيب خرقة كانت فيها  
الدينار ) بفئات مختلفة من النقود المعدنية ، فاستغرب من ذلك  
الطبيب ، فسأل أبا المريض عنها فأجابه أبو المريض بخجل .

- ليس في الفقر معابة ، والرزق من الله ، وأنا لا أملك الدينار الذي  
طلبتة ، فذهبت أطرق ابواب بيوت المحلة واحداً واحداً استجدي منهم ما  
تجود به انسانيتهم ، فكان منها هذا الدينار . غير أن الطبيب بعد أن رأى  
نام عينيه النحس والفقر اللذين تعيشهما هذه العائلة رفض أجر أتعابه  
المشروعة ، كما تحركت شهامته وأخرج من جيبه ديناراً وهو يقول لأبي  
المريض :

- وهذا الدينار تشترون به الدواء الذي وصفته لمريضكم ( واضاف )  
وسوف اعوده بعد يومين لاراه مرة أخرى ، وغادر الطبيب بيت المريض وهو  
يتمنى له الشفاء العاجل

وبعد يومين عاد الطبيب مريضه ، وشد ما كان استقرايه حين رأى  
الى جانب رأسه أدوية هي غير التي وصفها له قبل يومين ، ولم يكتف  
استقرايه ، فقال لأبي المريض

- أن هذه الادوية هي غير التي وصفتها لابنك !  
واضطرب الأب وتلعثم وارتبك ، وحار فيما يقوله ، ولما الخ عليه الطبيب  
على معرفة الحقيقة ، قال له الأب :

- الحقيقة يا دكتور ، جيراننا حين عرفوا أنك لم تأخذ أجر أتعابك ، قالوا  
لنا الطبيب المجاني لا يشفي المرضى فاستدعيت لابني طبيباً آخر بعد أن  
غادرت أنت بيتنا ، وهو الذي وصف لابني هذه الادوية التي تراها الى  
جانب رأسه ، فسأله الطبيب ، كيف استطعت أن تدفع أجر ذلك الطبيب  
وانت لا تملك ديناراً كما رأيت ؟

فأجابه أبو المريض

- اعطيته الدينار الذي تصدقت به علينا يا دكتور !  
وهذه الحكاية على أكثر الاحتمال موضوعه ، ولكن لاغربة أن تكون  
واقعية ، على أنها أيضاً تذكرتي بما كان يدعيه طبيب مصر وطبيب  
المهدين بالقبطان . اسحاق بن سليمان الاسرائيلي فقد قال في كتابه  
( مرشد الاطباء ) بنصح زملاءه الاطباء قائلاً أطلب أجرك لما يكون

المرض في أخطر مراحله ، لان المريض ينسى ما فعلت لاجله متى أبلى )  
وأصل مخطوطة هذا الكتاب باللغة العبرية لا بالعربية ، وقد ترجمت بعد  
ذلك الى اللغة العربية والانكليزية والالمانية . وقد ذكرت هذا الكتاب بالرغم  
من أنني ولا فخر لا أو من بوصية مؤلفه .

### مزامح الباجه جي وسعيد قزاز / ١٩٥٧

في اليوم الثاني عشر من تشرين الاول كلمني تلفونياً وزير الداخلية  
سعيد قزاز ليدعوني الى تناول الغداء في داره بمنطقة العلوية ، وهذه الدار  
من مخلفات الانكليز ومعمولة من اللبن والطين غير انها مريحة صيفاً  
وشتاءً . وحين وصلتها بحدود الساعة الواحدة ظهراً كان قد سبقني اليها  
كل من صديقي بهاء عوني والدكتور اسماعيل ناجي ، ثم توافد آخرون  
كان من بينهم رؤوف الجادر جي وسامي فتاح ويحيى قاسم ، ودهشت حين  
دخل الصالون أبو عامل علي حيدر سليمان ، ولم اكن اعرف انه في بغداد  
وان هذه الدعوة على شرفه . وكنت اترقب قدومه الى بغداد لاقابله بمثل ما  
قابلني به في بون بالمانيا يوم كان سفير العراق فيها قبل ما يقرب من عام ؛  
فتصافحنا وتماثقنا وصار مجلسه الى جانب مجلسي في الصالة . وسرعان  
ما شعرت بعدم الارتياح من الكرسي الذي قعدت بين ذراعيه ، وصرت أراوح  
جلستي بين وضع ووضع لأعرف منهما ما يريحني ، فقد كنت أحس بوخز  
من الكرسي في مقعدي ، وقد انتبه سعيد قزاز الى ذلك وهو يعرف ما في هذا  
الكرسي من عيوب القدم وسوء الصنعة فقام من مكانه واتجه نحوي وأخذ  
بيدي وهو يقول لي :

- هذا الكرسي أعرفه ، قديم ونوابضه قد مزقت غطاءه باطرافها المدببة ،  
وقادني الى كرسي آخر وعاد وجلس على الكرسي الذي كنت أجلس عليه الى  
جانب علي حيدر سليمان ، وهو يقول لي :

- أنا اكثر منك سمنة ، واني اعتدت الأذى منه كما اعتاد هو حمل ثقل  
عليه بعد ان يأس من اثارتي على التذمر منه .

وسمع يحيى قاسم صاحب جريدة الشعب ما قاله سعيد قزاز فقال

يداعبه

- انت يا أبا پرى تعودت على وخز نوايض الكرسي فمتى تعتاد على وخزكم  
بما اكتبه في جريدة الشعب ؟  
فقال له سعيد قزاز على الفور  
- لا يمكن أن اعتاد على سماع النعرة الشيوعية يا عزيزي يحيى . وسكت  
يحيى قاسم حين قال سامي فتاح بغمز  
- وزير الداخلية وهذه أثاث بيته المتواضعة التي يخصصها له  
التقدميون .

فقال سعيد قزاز :

- ان هذه البيت لا يليق به إلا مثل هذا الاثاث ، وكلاهما على قدر الحال .  
وعاد يحيى قاسم يخابث سعيد قزاز  
- على قدر حالك يا أبا پرى ، فما ذنبنا أن لا نحقق ما يوافق حالنا ؟  
وضحكنا جميعاً ونحن نقوم الى مائدة الغداء لتتناول ( القره خرمان )  
والبرغل بالرمان وكلاهما من الاكلات الكردية اللذيذة .

ولعلي حيدر سليمان فضل على حين زرته في بون ، فانتهزت وجوده في  
بغداد ووجهت الدعوة له ولمن كان في ضيافة سعيد قزاز لتناول طعام  
العشاء في بيتي ، واتفقوا ان يكون ذلك في يوم الجمعة القادمة . وانفردت  
بعلي حيدر سليمان لاسأله عن يريد دعوته بجانب ضيوف اليوم في دار  
سعيد قزاز فأصر ان يترك هذا الامر لي . وسألت صديقي بهاء عوني وهو  
من أصدقاء علي حيدر سليمان أيضاً ، فذكر لي اسم مزاحم الياچهجي  
الذي كان زميله في وزارة علي جودت الايوي الثانية سنة ١٩٤٩ . وكان  
أول من حضر بيتي في هذه الدعوة الدكتور اسماعيل ناجي وبهاء عوني  
وأخر من حضر سامي فتاح . وسررت حين رأيت الانسجام فيما بين من  
يكلم بعضهم بعضاً ، سوى ما بدا على وجه مزاحم الياچهجي من عدم  
الارتياح كما تخيلت ذلك ، وقد يكون سبب ذلك الطرش الخفيف الذي  
يشكو منه . وفي لحظة قادني بهاء عوني جانباً وأسّر لي ان بين سعيد قزاز  
ومزاحم الياچهجي مودة مفقودة ، وطلب مني بصفتي صاحب الدعوة ان  
أحاول مصالحتهم بطريقة ما ، فتوجهت حالاً الى سعيد قزاز وكان مع  
يحيى قاسم يستمعان في مكتبتي الى تسجيل للمقرئ المصري مصطفى  
اسماعيل يرتل فيه سورة القصص من القرآن الكريم ، وقلت له :

- يا أبا پرى ، عندي رجاء منك

فاجابني بلهجة كردية

- انغذه حالاً

واستبشرت من هذه البداية في تطبيق مشروعى ، فقلت له

- أنت الآن أبو البيت ، وأنا ومزاحم الپاچهچى ضيفاك .

ولم أأمن الى ما اردت ان أرجوه منه ، حتى أدرك ما أهدف اليه من

هذه المقدمة القصيرة قبادرني يسأل :

- تريد مني ان أتكلم مع مزاحم الپاچهچى ، اليس كذلك ، فهيا اليه فهو

اكبر مني عمراً فلا يصح ان ياتي هو الى .

وقادني من يدي الى حيث كان يجلس الپاچهچى بجوار رؤوف

الجادرچى وهو يطوي بيمناه اذنه الثقيله السمع ليتابع ما يقول له

الجادرچى . ولما رأنا الپاچهچى قادمين اليه نهض لاستقبالنا ، وقد يكون

هو الآخر قد ادرك الغاية من مجيئنا اليه . وفي طريقنا اليه فكرت بسرعة

عما أثيره بينهما من الحديث الودود فاذا سعيد قزاز يسبقني الى ذلك ،

ويقول للپاچهچى وهو يضافحه

- ان خلافي معك يا مزاحم بك بدافع المبادئ ، لا بخلاف شخصي ، فانا

بطبيعتي لا ارتاح الى رجل ينقذ زميله في غيابه

ورأيت هذه الفاتحة فيما بينهما لا تخلو من جفاف ، وقد يفشل

مشروعى للمصالحة بينهما لو استمر سعيد قزاز يتكلم بهذا الاسلوب شبه

العدائي ، ورأيت الغضاضة قد طافت على وجه الپاچهچى غير انه لحسن

حظي سرعان ما اسعفته الحكمة فاخذ بيد سعيد قزاز واجلسه الى

جانبه ، ورأيت أنا ايضاً من الحكمة واللياقة ان انسحب لافسح لهما

المجال ليقولا فيما بينهما ما يقوله ولم اقطع نظراتي اليهما من بعيد

لأرى ما سيحدث بينهما ، فكان ما ارتحت اليه كثيراً ، ثم رأيتهما يقومان

معاً وعلى وجهيهما إمارات الرضا والتفاهم ليستمعا في مكتبتي الى

مصطفى اسماعيل وهو يرتل الايات الكريمة ، وقال سعيد قزاز للپاچهچى

بصوت عال ليسمعه

- ان مصطفى اسماعيل حين يجود في قراءة القرآن وكأنه يغنى ولا تعوز

قراءته الا الضرب على آلة موسيقية لينافس النصارى حين يصلون في

كنائسهم !

ولم يعلق الپاچهچى على كلام سعيد قزاز غير انه اكتفى بابتسامة

خفيفه . وحمدت الله على انني نلحت بمشروعي في مصلحة هذين الصيغين الكريمين في بني

### الدكتور عبد الله برصوم والخادم مهدي / ١٩٥٧

عرفت الدكتور عبد الله برصوم من بعد يوم كنت طالبا في متوسطه الحلة ، وكان يومئذ رئيس صحة هذا اللواء ، ثم عرفتته عن قرب بعد ذلك بعشرين سنة في بيت الدكتور عبد الله قصير ، وكلاهما من مدينة الموصل . والدكتور برصوم بهي الطلعة حنطي البشرة ، خشن العظام ، جهوري الصوت ولهجة موصلية واضحة ، وكان في مجلس الدكتور عبد الله قصير مسيطرا في حديثه على كل من فيه من الرؤار ، وحديثه كثيرا ما يطعمه بالسباب والكلام البذيء حتى على شخصيه . وذات يوم كلمني تلفونيا الدكتور برصوم حين كنت في مستشفى السامرائي - دكتور كمال . أنا دكتور عبد الله برصوم ، انت ما تعرفني فانا من الجيل القديم ، وانت من الجيل الجديد فقلت له :

- دكتور عبد الله ، كلانا ممن يعملون في الطب . امروا وانا بخدمتكم . فقال لي

- هذه مقابلة أشكرك عليها .

وكنت حينئذ مشغولا بالمرضى الذين يتجمعون عند باب عيادتي فقلت له مرة اخرى

- امروا يا دكتور عبد الله فأجابني

- عندي خادمة في بيتي ، وهي آدمية بنت اواده ، غير ان ابنها كلب ابن كلب ، وهو يضايقها ويضايقتني ، وتريحني منه ان انت اعطته عمل بمستشفاكم ( باكل بطنه ) وياليت لو تسمح له ان ينام في الغرف التي ينام فيها خدم المستشفى ، خلصني منه الله بخلصك من اولاد الحرام امثال هذا العجي .

وفي اليوم الثاني بدأ ( مهدي ) بعمل خادما في المستشفى مراتب الخدم ، وسمحت له ايضا ان ينام مع الخدمه الخمر لئلا ، كما طلب مني

ذلك الدكتور برصوم . وكان هذا الفتى للحقيقة نشطاً ومطيعاً بولا انه يقتحم عزف مريضات المستشفى حين يعرف انهن على اهبة مغادرة المستشفى ليحصل منهن على بعض العطاء ، بل ولا يناخر ان يطلب المزيد من المريضات الموسرات . وفي يوم من شهر شباط سنة ١٩٥٨ ، جاءني احد موظفي وزارة العمل وخاطبني بلغة لا تليق بموظف حكومي طالباً ان يدفع المستشفى لكل من ينام في المستشفى ليلاً ١٧٢ دينار عن خدمتهم في الليل منذ تأسيسه سنة ١٩٥٤ والا فسأتعرض ( كما قال لي ) لمشاكل قانونية لا ترضيني . وبالرغم من ان اثنين من الخدم الذين ينامون في المستشفى هما اللذان طلبا هذه الاقامة وانهما لم يكلفا باية خدمة لمرضاه ، غير ان هذا الموظف لم يستمع الى ادعائي ولم اسمع منه إلا قوله

- هذا الكلام يفيديك ، ادفع وإلا ستندم  
واستدار فجأة وغادر المستشفى غاضباً  
واتصلت بالدكتور عبد الله برصوم اسأله عما فعله الصبي مهدي  
من شغب بين خدم المستشفى فقال لي باختصار  
- الم اقل لك انه كلب ابن كلب !  
واكتفيت بهذا الجواب واقفلت التلفون

### صبية حامل من زوج أمها / ١٩٥٧

المرأة التي دخلت عيادتي بمستشفى السامرائي مساء يوم ١٦ / ٩ / ١٩٥٧ سورية بعمر الاربعين تقريباً ، وهي زوجة عامل بشركة فتاح ياشا للفرزل والنسيج ، ومع هذه المرأة صبية بعمر المراهقة . وما كادت المرأة تأخذ مكانها على كرسي الى جانب منضدتي حتى نهضت وإرتعت دون مقدمات على حذائي لتقبله ، فدفعتها عني لأعرف خبرها ، وسألتها - ما الامر أولاً يا امرأة .

كان وجهها باهتاً كما لو انه خلو من الدم ، وفمها جافاً حنى ليصعب عليها الكلام . . أما الصبية فكانت ساهمة وشاردة النظرات . وقالت المرأة تشير الى الصبية

- هذه ابنتي من زوجي الاول الذي توفي بداء القلب قبل سنتين فتزوجت شاباً كان يسكن مشتملاً الى جوار بيتنا . وابنتي الآن حامل وأرجو منك ان تسقط جنينها .

فقلت لها :

- اسقاط الجنين جناية يحاسب عليها القانون فاعذريني ولن أعمل ذلك باية حال

فقالت لي :

- لوعرفت موضوعها على حقيقته لعملتها برضا وارتياح . واجتذبت هذه العبارة الاخيرة انتباهي ، فسألتها بغير اهتمام

- وما هو موضوعها ؟

فاجابتنى بنفس كسيرة ، وعين دامعة

- هي حامل من زوجي !

وفزعت من حيوانية هذا الزوج ، ودفعني أمره حينذاك ان أعود انظر الى وجه هذه الصبية وهيئتها العامة . لأرى قدر الاغراء الذي قاد ذلك الزوج الوحش الى ارتكاب هذه الجريمة البشعة . كان وجهها طفولياً ناعماً وعذباً ، وصدرها ناهداً وعيناها كحيلتين ، ولكن ذلك لا يضاهي جمال أمها لولا البؤس الذي يطفئ على وجهها ، وسمعت أمها تقول : - كان زوجي يراود ابنتي ولم يمض على زواجنا إلا بضعة أشهر ، فنهرته بتوسل ، فهددني بالطلاق ان لم اتقاض عما يفعله مع ابنتي . وعاد الى بيتنا في ليلة وهو مخمور وقادها على مرأى مني وهي تصرخ وتستنجد بي ، وادخلها الى المطبخ واغلق وراءه الباب .

وشرعت أمها تبكي وقالت لي .

- اعذرنى يا حكيم لا أستطيع ان أكمل لك حكاية هذه المأساة .

فقلت لها والغیظ يعصر وجداني

- وماذا لو طلقك لتتقذى شرف ابنتك ؟

فاجابتنى بحزن شديد

- ليس لي أحد في الدنيا ، لا هنا في العراق ولا في سوريا ، فألى اين أولي

وجهي . وقد اقترحت عليه ان يطلقني ويتزوج ابنتي فهزيء مني وهو

يقول :



- ( هذا غير جائز شرعاً ، وأنا أريد التفاحتين في وقت واحد ) . فانقذ شرقي يا شهم والطب وجد لمثل حالتي وسكتُ برهة ثم قلت لها بأسف  
- لا أستطيع ان اعمل ما تريدينه مني يا سيدتي . ثم اذا اسقطت ابنتك حملها ، أفلا يجوز ان تحبل منه مرة أخرى . ( ثم قلت لها بلوم ) كان عليك ان تطلبي الطلاق منه قبل وقوع الكارثة مهما كانت النتيجة ونظرت الى المرأة وفي عينيها كل معاني الخيبة ، وغادرت عيادتي وهان على موقفها حين خطر ببالي احتمال ان تكون حكاية هذه الصبية مختلطة وليس لها نصيب من الصحة ، وان حملها قد يكون من غير زوج أمها ، كما يحتمل ان لا تكون ام هذه الصبية منزوجة !  
وبعد بضعة ايام رأيت وانا ادخل كريدور المستشفى الملكي تلك المرأة أم الصبية الحامل تبكي بحرقة ، وحزرت ان ذلك محاله علفة بحبل ابنتها ومع ذلك سألتها  
- ما الامر يا امرأة  
فقلت لي : ادخل وشوفها ، وانت السبب. ولما سألت الممرضة الرئيسة عن الجناح عن الصبية قال لي  
- تطريح جنائي وحالتها سيئة .  
ودخلت غرفتها فوجدتها بحالة احتضار وتوفيت بعد ساعات !

### صبي لبناني يخطط ليكون مليونيراً ٢٥ / ٨ / ١٩٥٧

حين كنت في لبنان اضطرت زوجتي ان تعود الى بغداد يوم ٢٥ / ٨ / ١٩٥٧ لتكون مع أولادي أيام افتتاح المدارس فبقيت وحدي في فندق سيلديد بحمدون فوضعت جدولاً غير مكتوب لايامي في غيابها ، وحرصت على تطبيق بنوده إشد الحرص ، ولكنني لم اتفوق الى ذلك إلا بقدر يسير ، فقد الهتني قراءة الكتب الادبية والتاريخية التي اعتدت ان أحملها معي في سفراتي الى خارج العراق ، على ان ذلك لم يكن ذا فائدة الا لتحقيق بعض الراحة التي لا تتوفر لي في بغداد ، وفي مقدمتها اني كنت انا من أشاء واستيقظ متى أشاء ، واقرأ ما أجد فيه المتعة الروحية ، لا الكتب التطبيقية الثقيلة الوطأة على نفهمي .

وتناولت القهوة ذات صباح على شرفة الفندق لا في صالة مطعمه ،  
وعلى بعد مني كان صبي يتنقل من طاولة الى طاولة في هذه الشرفة ، كنت  
لا أرى منه بسبب ما بيني وبينه من الكراسي والمناضد إلا القميص  
الأحمر الذي يرتديه ، وشعره الأسود الذي يجلل وجهه الصبيح ، ورأيت  
حين وصل الى طاولتي يرتدي سرواً قصيراً أبيض اللون ، ويحمل بيمنه  
نضداً من بطاقات اليانصيب ، وبيده اليسرى حزمة من الاربطة بالوان  
واشكال مختلفة . كانت ملامح وجهه جذابة ، وعيناه واسعتان براقتان ،  
وشبابه نظيفة وكذلك يداه وما بان من صدره في فرجة قميصه الأحمر .  
واقترب مني وهو يقول :

- يا نصيب والسحب قريب ،

كان نطقه متلفظاً متودداً ، فاعجبني جرسه كما اعجبني قيافته

قال لي

- خذ بطاقة ياخواجه

واردت ان ادرش معه

- ما اسمك يا صبي ؟

- اسمي ميشيل

- في المدرسة ؟

- أنا في الصف الثالث

ولما حمل اليّ النادل قهوتي ، وذلك الصبي يحاول ان يقنعني ان

اشترى منه بطاقة ، صاح به

- إفسح يا ولد ، إفسح بدنا نشتغل

فنظر اليّ ذلك الصبي وكأنه يطلب يطلب العون مني على ذلك النادل .

سألت الصبي لابقية الى جانبي .

- كم تحصل من بيع هذه البطاقة ؟

فاجابني

- قليل

- كم قليل

- اشتر بطاقة واقول لك كم أربح منها .

- قل لاشترى منك بطاقة

- فقال بابتسامة
- اربح كثيراً اذا نجحت البطاقة في اليانصيب . والآن أشتري بطاقتين .
  - بطاقة واحدة
  - بطاقتين يا خواجه !
  - بطاقة واحدة
  - وأخيراً اشتريت منه بطاقتين ، فقال لي وهو يمد بيده بطاقة ثالثة
  - خذ هذه البطاقة ورقمها جيد .
  - ولما قلت له لا اريدها ، قال لي وهو يشير الى الاربطة التي يحملها
  - رباط جيد ، ألا ترى هذه الاربطة الانيقة
  - كفى يا صبي وانت لحوح
  - فاجابني
  - لابد ان أبيع جميع ما حملته في هذا الصباح يا خواجه .
  - وانصرف هذا الصبي الى طاولة أخرى في الشرفه حيث صرت اقول
  - لنفسي سيكون هذا الصبي في يوم من الايام صاحب حانوت كبير أو شركة
  - كبيرة أو رجل اعمال كبيراً . وفكرت في للام التي ربتة هذه التربية التجارية
  - وهو بعد بعمر الصبا . . . وقد قرأت مرة ، ولا اذكر اين كان ذلك في مجلة أم
  - كان في كتاب ؛ ان أبا روكفلر الأمريكى الملياردير ، طلب من ابيه دولاراً .
  - فسأله أبوه
  - وماذا تعمل بالدولار ؟
  - أريد ان اشتغل به كما انت تشتغل ؛ وسأجعل من الدولار دولارين في
  - يوم واحد .
  - كيف تجعل منه دولارين يا ولد ؟
  - جرب واعطني دولاراً يا أبى .
  - فاعطاه أبوه دولاراً ، واشترى ابنه به صابوناً ، وفي اليوم الثانى سأل أبوه
  - عما فعل بالدولار فقال له وهو يعرف ما قصد أبوه بهذا السؤال
  - عملت منه دولارين يا أبى
  - كيف يا ولدى ؟
  - فقال له ؛
  - اشتريت صابوناً بدولار ، فصار عندي صابون بدولار ، وصار دولار بيد

البائع . وهكذا صار من الدولار دولارين .  
ماعجب الأب بتفكير ولده وقال بينه وبين نفسه  
- سيكون لولدي شأن كبير في سوق المال  
وهذا ما حصل .

### الاستاذ إيان دونالد / ١٩٥٨

دعا المجلس الثقافي ببغداد بطلب مني الاستاذ إيان دونالد من  
جامعة كلاسكو لزيارة قسم النسائيات في المستشفى الملكي التعليمي  
ببغداد . ورأيت من اللياقة ان أستقبله في مطار المثنى في الليلة التي  
حدها المجلس الثقافي البريطاني . واستذكرت هيئته حين قابلته في  
سويسرا أيام المؤتمر النسائي العالمي الاول سنة ١٩٥٥ ، وكانت ابرز  
معالمه في طوله الفارع ، وشعر رأسه الكستنائي المائل الى الحمرة ، وهذا  
كل ما يمكن ان يساعدني ان أعرفه من بعيد خاصة وان النور القليل في  
ساحة المطار يضيق كثيراً من ضبط الرؤيا لمعرفة شخصه ، وبعد أن حطت  
الطائرة على ارض المطار شاهدت رجلين طويلين ينحدران على سلم  
الطائرة ، واعتقدت ان ايان دونالد أحدهما على الاكثر ؛ وادرت ان الحق  
بهما لاراهما عن قرب ، غير اني ان لم افعل ذلك فقد سمعت في اللحظة من  
يناديني من الخلف : برفسور سامرائي ؟ وادرت وجهي الى من يناديني  
فاذا إيان دونالد يسرع الخطى ليلحق بي ، فكان هو بعينه يوم قابلته في  
جنيف سنة ١٩٥٥ ، ورحبت به بحرارة وأنا اقول له  
- انت لم تكبر يوماً واحداً يا إيان !

فاجابني بمرح

- أتمنى ان تسمع زوجتي هذا الاطراء ، ولكنها عنيدة وستبقى تعييني  
على تقدمي في العمر .

- ولكن كيف عرفتني بين زحام المسافرين .

- كنت أراك تفتش في وجوه المسافرين ، فحزرت انك تفتش عني لا عن  
غيري

- كيف كانت سفرتك ؟

- مريحة غير أنني كدت أفقد الطائرة من فينا

ولم يكن له من الامتعة سوى حقيبة يدوية لم تكن كثيرة ولكنها كانت على ما بدا لي ثقيلة عليه ، وأنا اعرف انه مصاب بالقلب فأخذتها من يده عنوة . وحملته بسيارتي الى فندق الامباسادور المطل على نهر دجلة . وما كاد يدخل غرفته حتى ارتضى باعفاء على سريريه وهو يلهث طلباً لمزيد من الهواء ، فأخافتني حالته ، ولكن الله حفظ .

ويبدو ايان دونالد في نهاية العقد الخامس من عمره . أو في الخامسة والخمسين كما يقول هو عن نفسه ، وهو دوماً في حالة نشطة ، ويكثر من الكلام والحركة ، وقد اشترك في الحرب العالمية الثانية طبيباً في السلاح الجوي الملكي البريطاني ، وهو يذكر عن تلك الحرب ما يملأ قلب المستمع اليه بالرعب . ويسبب حالته الصحية اعفي من الخدمة والتحق بمستشفى ( جلبي ) بلندن بمعية الاستاذ ( جارلس ريد ) فكان هذا معلمه الاول والاخير في الامراض النسائية والتوليد كما يقول ايان دونالد . كما يقول عنه بثناء انه كان سريع الحركة باتقان وسيطرة في الجوف الحوضي وقلما يكرر الحركة الواحدة في داخله . وسألت ايان دونالد بهذه المناسبة .

- هل صحيح ان جارلس ريد تدرب على استعمال أصابعه في القطع والخياطة أمام امرأة فيحذف منها ما يجب حذفه عند التطبيق ؟  
فأجابني

- هذا ما يشاع عنه ولكنني لا اذكر انني سمعت منه ذلك .  
وبعد وفاة جارلس ريد النحق ايان دونالد بمستشفى ( سنت توماس ) ومن هذه المستشفى رشح لرئاسة الامراض النسوية والولادة بجامعة كلاسكو . وفي هذه الجامعة حصل على لقب ( استاذ ملكي ) اثر زيارة الملكة اليزابيث للمستشفى الولادي الذي شيد حديثاً في هذه المدينة

ولايان دونالد هواية في الادوات الالكترونية ، وكانت من اعماله في هذا الميدان محضنة للاطفال الخدج ، وآله أخرى في ( ما فوق ذبذبات الصوت ) المعروفة اليوم باسم ( السونار ) . ومن هواياته ايضا بناء القوارب وقد صمم واحداً وبناه ليعبر به المحيط الى أمريكا . وقد اكتشف عندما أتم بناء هذا القارب في كراج سيارته ، انه كان أوسع مما يسمح لإخراجه من داخل الكراج إلا بهدم جانب منه ، وكان هذا السهو مدعاة

تندر زوجته عليه . وفي حديثي مع زوجته قالت لي :  
- ان تهديم جانب من كراج سيارته لا يكون مشكله بالنسبة لايان . اما  
المشكلة بالنسبة اليه هي إيجاد اسم لقاريه بما يشير الى النحدي وفهر  
المحيط .

وايان دونالد من اسرة يتكرر فيها الوفيات بداء الفلاب فقد توفيت  
أمه بهذا المرض . وتوفيت أخته على طاولة العمليات حين كان حراح القلب  
المشهور ( كليلاند ) يرمم شرايين عليها . فلما احناح ايان دونالد الى مثل  
تلك العملية طلب من احد تلامذة كليلاند ان يجري له العملية . فاستعرب  
اصدقاء ايان دونالد ان يوكل أمره في علاج قلبه الى تلميذ كليلاند لا الى  
كليلاند نفسه ، فأجابهم بجد .

- ان كليلاند صديقي وقد توفيت بيده اخي . فلا اريد ان يموت على يده  
شخص آخر من أسرتي !

وهذا هو ايان دونالد في بعض تصرفاته . وذات يوم أخذني لزيارته  
متحف مدينة كلاسكو حيث يحفظ فيه تماثيل لكل من يقدم خدمة من نوع  
خاص لمدينة كلاسكو سواء كان شرطياً أو طبيبياً أو عالماً بالاحياء . وفي  
المتحف أجنحة متعددة ، وكان جناح المتميزين من اهل كلاسكو يضم  
ثمانية تماثيل من هذه الفئات . وقال لي ايان دونالد ونحز بقطع الكريدور  
لمغادرة المتحف .

- كمال ، ان أمنيتي الوحيدة ان أحصل على تقدير من اهل كلاسكو  
ليضعوا لي تماثلاً في هذا المتحف ، ولا بد ان أحقق هذا الهدف .  
وغادرت كلاسكو ولم أره بعد ذلك . ثم عرفت انه قد توفي بمرض  
القلب ولم يوضع له تماثيل نصفي في متحف مدينة كلاسكو

في كندا والاشتراك في مؤتمر الطب النسوي العالمي الثاني  
بمونتريال / ١٩٥٨

دعت ادارة الجمعية الدولية للجراحين في الامراض النسائية  
والتوليد . وزارة الصحة العراقية لمرشيع من يمثلها من الاطباء في  
مؤتمرها الثاني الذي سيعقد بمونتريال بكندا ما بين ليون السابع

والحادي عشر من شهر تموز ١٩٥٨ . وأبلغني مدير الصحة العام الدكتور عبد الحميد الطوخي ان استعد للسفر الى أمريكا الشمالية والشقة بينها وبين العراق طويلة ، ولابد ان تكون متعبة اكثر مما تصورها الخرائط الجغرافية . كما اقلقني استحضار ما اقراه عن الطب النسوي في هذا المؤتمر . وفي الوقت نفسه رحبت بهذه الدعوة لأرى تلك البلاد النائية التي يقال ان وسطها لا يزال مجهولاً ، أو لا يزال بيد الهنود الحمر . وحين راجعت المصرف العثماني لأحوّل عن طريقه المبلغ الذي اعطته لي الوزارة . أخبرني من قام بهذه العملية ( يوسف معلّم ) ، وهو زوج إحدى مريضاتي أنني سألاقي في كندا من العراقيين . من سيقدم لي مساعدات لا غنى لي عنها ، وطبيعي أنني عرفت انه غصد ( بالعراقيين ) بعض الأسر اليهودية التي نزحت من العراق الى كندا ، وسألته ان كان يعرف احدها بالتعيين فأجابني على الفور : يعقوب قتال ، وسليم زلخة . وموشى شمعون أخو زوجة الدكتور كرجي ربيع والدكتور سميح ، فارتحت حين ذكر لي هذه الاسماء اذ كنت أعرفهم جميعاً يوم كانوا في بغداد .

ولابد انهم سيحتفون بي ويزيحون عني كرية الاعراب ثم قال لي معام . لعلمك ان الدولار الكندي أغلى من الدولار الأمريكي فانتبه الى هذا الفرق عند التصريف . وفي خلال ساعة تقريباً تسلمت منه صكوك المسافرين بالدولار الكندي . كما اكملت معاملة سفري في اليوم نفسه على طائرة D.C—7 في شركة KLM الهولندية بسرعة مماثلة . وهذه الطائرة ذات اربعة محركات مروحية وحمولتها لاربعة مسافر . وبعد استراحة قصيرة في مينا حطت الطائرة في مطار ( استوكهولم ) لتتزوّد بالوقود ولتحمّل مزيداً من المسافرين الى كندا . . . وحين اقلعت الطائرة من هذا المطار كانت الشمس على وشك المغيب فانيرت مصابيح الطائرة وما لبث ان ساد الظلام خارجها ، واحسست ان الطائرة تعبر نفقاً لا تستبان جدرانها . وحين استقر بي المقام تعرفت على المسافر الذي يحتل كرسيّاً الى جانبي ، وهو شيخ له وجه القسّس المعمرين ، يلوك بفكيه لساناً دون انقطاع ، ولكن بلا صوت . وقال لي هذا الجار انه من اساتذة جامعة ( اويسالا ) السويدية وانه يقصد مونتريال للاشتراك في مؤتمر الجراحة النسائية هناك ، فقلت له وانا من بغداد واقصد كذلك الاشتراك بهذا المؤتمر . وقرأت في عيني هذا

الرجل استنهامات كثيرة عن بغداد ، ثم ما لبث ان سألني  
- بغداد عاصمة العراق اليس كذلك ؟ ( واريف قائلاً ) انه يخلط أحياناً  
بين ايران وعراق بسبب الحرف الاخير من اسمي هذين القطرين ، فارت  
ان أهون عليه جهله بجغرافية الشرق الاوسط فقلت له :  
- لا غرابة ان يختلط عليك هذا الامر ، فقد وصلني كتاب من ادارة مجلة  
التوليد والأمراض النسائية الانكليزية بلندن وعلى غلافه كتب ( بغداد /  
ايران ) فلما وصل الكتاب الى طهران كمحطة رئيسة لتوزع منها مفردات  
البريد الى نواحي ايران لوحظ الخطأ المكتوب على الغلاف فشطبت كلمة  
( ايران ) وكتبت بدلاً عنها ( عراق ) وهكذا وصل الى ذلك الكتاب . ولم  
يطل استغرابي مما قرأته على الغلاف حين رأيت عليه ختم بريدي باسم  
( طهران / ايران ) فعرفت ان الكتاب قد وصل بحسب العنوان المكتوب  
عليه الى ايران ، فانتبه القائم بتفريق الكتب الى ان بغداد في العراق لا في  
ايران فشطبت كلمة ايران وكتب في اعلاها كلمة ( عراق ) . وابتسم جاري  
حتى برز كثير من طقم اسنانه وهو يقول لي :  
- اذا اخطأت اكبر مجلة بريطانية بجغرافية الشرق الاوسط الذي كان  
يوماً ما من مستعمرات بريطانيا فلا عيب مني اذا وقعت بمثل هذا  
الخطأ .

كان هذا الرجل السويدي قد تجاوز بتقديره العقد السابع من  
عمره ، وهو لابد قد احيل على المعاش قبل سنتين . ولم أر من اللياقة ان  
اسأله عن عمره فسألته فيما اذا كان لا يزال يمارس الطب ، فاجابني  
انه استاذ فخري في جامعة اوبسالا لاعطاء بعض المحاضرات واعطاء  
رأى في بعض الحالات المرضية ، وانه منذ سنين انقطع عن ممارسة  
العمليات الجراحية الكبرى ، واستمر يقول وهو يداور اللبان بين طرفي  
فكه . وأنا لا ازال اتابع ما ينشر في موضوع اختصاصي ، واحضر  
الاجتماعات والندوات في مواضيعه ، ( واضاف ) ولولا ذلك لسقطت في  
فراشي عاجزاً عن التفكير والحركة .

ويبدو ان هذا الرجل ادراك استغرابي من مضغ اللبان وهو يتكلم ،  
فقال لي : معذرة فانا أعيش ( بسبب قلبي على الاسبرين ، واللبان الذي  
استعمله معجون بالاسبرين . ولم اكن اعرف يومئذ ان هذه المادة  
المعاقيرية لها نفع في حالات مرض القلب فسألته زيادة عن فائدة



الاسبرين في امراض القلب فأجابني : ان الاسبرين ضروري لي وخصوصاً حين تقتضيني الحركة والكلام يجد وحماس . ( ثم قال ) ان ممارسة الطب وقراءة كتبه تحتل اكثر ساعات أيامي ، وانها والاسبرين ضروريان لحياتي . وهنا تذكرت ما دار يوماً بين استاذي هاشم الوتري واستاذي عبد الله قصير . وكان بينهما توادد وتواصل ، وفيما كنت يوماً ادخل على الاستاذ الوتري في عيادته بعمارة ( أبولو ) المقابلة لدائرة كهرباء ( العياخانة ) كان الوتري يشيع زميله الدكتور قصير بابتسامة لها معنى . إذ كان للوتري ابتسامات خاصة لها تعابير بحسب ما يدور برأسه أو ما يسمعه من محدثه . وقد ادركت نوع الابتسامة التي وقفت على شفتيه . كانت هي باحتمال كبير ان لم يكن بالتاكيد اعتراضاً على ما كان يدور بينه وبين الاستاذ قصير . وبعد ان اصال الوتري النظر الي بعينه الوسيعتين الرطبتين قال لي قبل ان يرخصني بالجلوس - ان عبد الله ( يقصد عبد الله قصير ) واهم !

وسكت الوتري وهو ما يزال ينظر الى عيني ثم استأنف كلامه قائلاً - عبد الله واهم !

وسكت برهة ، وهذه هي طريقة الوتري في التحدث ، يكرر العبارة للتركيز على ما فيها من معان . واستمر يقول لي

- عبد الله ينصحنى ان اتوقف عن ممارسة الطب وان الراحة بعمرى ترياق لإطالة الحياة .

وعاد الوتري يكرر

- عبد الله واهم ، ولا استغرب ان هو وصل ما وصلت اليه من العمر فسيبقى يعمل بين صراخ مرضاه الاطفال ، وقد يدخل عليه أحد اصدقائه وينصحه ان يريح نفسه ويتوقف عن ممارسة المهنة ، فيهزأ عبد الله منه ومن نصيحته الخائبة ويبقى يمارس اختصاصه الى ان يتوقف المرضى عن استشارته فيتوقف هو عن متع الحياة وينتهي . وعاد جليس في الطائرة يكلمني ويقول :

- أنا لا استطيع مقاومة اغراء مزاوله الطب ، وأنا حتى هذا اليوم حريص على الحضور الى عيادتي في تمام الساعة التي يعرفها مرضاي لاستقبالهم ، ولا يهمنى ان زارني مريض واحد فقط أو لم يزرتي مريض ، وحضوري في العيادة يجعلني أشعر أنني ما زلت مرتبطاً بالمهنة التي

### سلكت طريقها برغبة

وانقطع تسلسل تفكيري بشخص أسناذي الوتري حين رن جرس التنبيه في الطائرة ليجتذب انباه المسافرين على منبتها ، واذا بجاري الرجل السويدي يلكنني بمرفقه ويقول لي :  
- لا تستمع الى هذا المذيع فان ما سبقوله هراء .  
وجاء صوت المذيع بالراديو يقول فيما قال :  
- اذا سقطت الطائرة في اليم فان في الحقيبه الني تحت مقاعدكم مصباح يعمل ببطارية جافة ، وشص لصيد السمك . فلا تسعملوا المصباح إلا في ظلمة الليل ، ولا تاكلوا السمك الذي تصطادونه إلا بعد ان يجف .  
وتلقائياً التفت بعد ان انتهى المذيع من تصائحه لانظر من خلال زجاج النافذة الصغيرة التي بجانبني الى خارج الطائرة . فاذا أنا لا أرى بحرا ولا ارضاً ولا سماء ، وكان الطائرة واقفة لا تتحرك من مكانها ، وما في داخلها من الارواح في كف القدر ، والحذر لا بقلب القدر ، ومن لا يخاف في هذا الموقف ؟ ، فجائني النعاس واقتادني الى سلطان النوم . واستيقظت على صوت المذيع مرة ثانية يعلن عن قرب وصول الطائرة الى مطار موبيرال . وكانت الشمس في بدء بزوغها . وتراءى لي ساحل كندا الشرقي وكأنه شريط من غاية مقطوعة اطرافها العليا . وحطت الصارة على ساحة المطار بهزة أزعجتني . ودرجت وهي تهدر ، ثم هدأت قليلا ثم توقفت قريبا من قاعة المطار . وحمل المسافرون حقائبهم اليدوية متجهين نحو باب بناية دائرة المطار . وانتهت معاملة الخروج منها بسرعة اثار استغرابي واعجابي . وقرأت لافتته بحروف كبيرة مرفوعة على نضبة الخروج من قاعة المطار مهادها ان يتجه الوافدون للاشتراك في المؤتمر الطبي النسوي لمراجعة المكتب المتخصص لخدمتهم ، ودلنا السهد الاحمر الذي خط تحت هذه العبارة الى ذلك المكتب . وعلمت من اموظفة الجميلة التي استقبلتني ان استقل الحافلة رقم ( ٤ ) التي تقف على يسار باب المطار ، ثم دفعت أمامي على الطاولة بطاقة كتب عليها اسمي واسم بلدي واسم الفندق الذي خصص للاقامة فيه . فنرجلت من الشاحنة ومعى ثلاثة اشخاص عند باب فندق ( لورنشيان ) ، وهذا الاسم منسوب بتطوير الى نهر ( سنت لورنس ) وهو فندق صخم ولا يضاهيه إلا فندق ( كوين اليزابيث ) المقابل له على الجانب الثاني من الشارع . وكانت

غرفتي الانيقة في الطابق العاشر بهذا الفندق وتطل على البحر من جانبها الايسر ، وهو في الحقيقة ليس بحرأ بل هو مصب الاطلسي فيصبح لسعته وكأنه جزء من بحر المحيط . وتمت في تلك الليلة نوعاً عميقاً لم استيقظ منه إلا على رنين جرس التلفون الذي كان الى جانب سريري ، واذا بصوت نسوي ناعم يسألني

- دكتور سامرائي ؟

فسألت : من يتكلم ؟ نعم أنا الدكتور سامرائي

- أنا ليزا ياكمال ، الا تذكرني ؟

وتذكرتها على التو من اللتفة الجميلة في لسانها حين تنطق بحرف الراء ، فقلت لها على الفور .

- يا فرحتي ، كيف انت ياليزا ، وكيف زوجك جان ؟

وكنت عرفت جان عن طريق زوجته ليزا التي كانت يومئذ تدير فندق ( لاروس ) القريب من الاتيوال بباريس ، وكان ذلك في تموز سنة ١٩٥٠ . وانحدرت من غرفتي بالفندق لاقابل ليزا أمام موظف الاستعلامات . لم تتغير ليزا كثيراً عما رأيته لأول مرة في باريس إلا في شيء من النحافة التي اكسبتها رشاقة وخفة وجعلتها تبدو أصغر من عمرها ، وسألتها

- خبريني ياليزا كيف اكتشفت انني هنا في مونتريال ؟ ولم اكن قد وصلتها إلا البارحة

فاجابتني وهي تذكرني بضحكتها الخافتة التي تدافع بها ما يثيره كثرة التدخين من السعال اذا ما ضحكت بحرية .

- أنا اعمل سكرتيرة للأستاذ ( سالي ) ، هل سمعت بهذا العالم ؟

- أنا اقرأ له في المجلة الامريكية للأمراض النسائية والتوليد فيما يكتبه عن توازن هورمونات الجسم .

وتابعت ليزا كلامها تقول :

- سالي يقيم حفلة كوكتيل لبعض المؤتمرين ، ولما كلفني بطابعات الدعوة خطر ببالي ان اطلب منه قراءة قائمة الدول التي تشارك في هذا المؤتمر فوجدت من بينها ( العراق ) ، فتذكرتك يا كمال وسألت عنك العاملين بتنظيم شؤون المؤتمرين فعرفت اقامتك بهذا الفندق

وان المرأة لا تنسى من تحب أو من تكره وتزايد على كل منهما ذكرى

النعمة او النعمة بمرور الزمن .

وفتحت ليذا حقيبتها لتخرج منها بطاقة دعوة موجهة الى لحضور  
حفلة شاي في بيت محذومها الاستاذ سالي في داره على ضواحي مونتريال  
وسالت ليذا لتستطرد معي في الحديث  
- هذه الدعوة منك أم من الاستاذ سالي ؟

فأجابتنني

- من كلينا ، وسيدهشك هذا الرجل بأفكاره في الهورمونات وتطوير  
معارفها للتطبيق ، وبأحاديثه الشائقة عن الحرب التي خاضها في ( يرل  
هاربر ) ( ثم قالت بلهفة ) لنترك هذا الموضوع الى أوانه ولننكلم عنك يا  
كمال منذ سافرت من باريس الى بغداد قبل ثماني سنوات . وبينما كنا  
نتحدث بمتعة وفرح سمعت من يناديني بمكرفون الفندق لمقابلة موظف  
الاستعلامات ، فقابلت معه رجلاً نحيفاً طويلاً في نحو الثلاثين من عمره ،  
واخبرني انه من ادارة تنظيم شؤون المؤتمر الذي سيعقد صباح غد ، ولا بد  
من رفع اعلام الدول المشاركة على مسرح قاعة المؤتمر ، وطلب مني ان  
ارسم له العلم العراقي بأبعده والوانه ، وكان ذلك سهلاً علي إلا في ضبط  
الابعاد طولاً وعرضاً . وعدت الى ليذا التي استمرت تنظر الى من بعيد على  
طول الوقت وانا اشرح لذلك الرجل شكل العلم العراقي واخطه له على  
الورق . وعدت الى ليذا فقالت لي :

- ذلك الرجل الذي أبعدك عني قد سرق مني الوقت انني يجب ان يكون  
لي لا لرسم العلم العراقي . كنت اراقبك وانت تشرح وترسم على الورق لذلك  
الرجل . ثم اردفت بتصميم ان ما بقي من هذا اليوم سيكون لنا ، وقد  
أخبرت جان انني ساكون معك في هذا الوقت بهذا الفندق ، ولا بد به الآن  
في طريقه الينا ، وهذا اليوم عطلنا الرسمية في كل يوم أحد كما تعلم .  
وسرعان ما حضر جان . وقد تغير كثيراً عما عرفته في باريس فقد نحف  
بدنه وبدا لي اطول قامه مما كان يومئذ فيها وحينني بحراة ، باللغة  
الانكليزية ، ولم يكن قبلاً يجيدها ولا يحاول التكلم بها ، فتعلمها بكندا .  
فقلت له :

- انت لم تكبر يا جان ، وليذا صغرت عمراً ، فما هو السحر في هذه البلاد ؟  
وأخذاني الى شقتهما الانبقة الفربية جداً من دار البلدية  
وتضاعفت دهشتي حين تذكرت شقتهما

المتواضعة في باريس ، فتجاهلت المقارنة فيما بينهما تادباً ، ثم أخذاني بسيارتها الفارغة من نوع ( دي سوتو ) الى مسابح سانت لورنس . وكان النهر في هذه المنطقة عريضاً وكان شاطئه رملياً نظيفاً ومياهه البعيدة داكنة سريعة الجريان كما بدت الاشجار الكثيفة على ساحله المقابل وكأنها مفروسة في عمق النهر لا في تربة ساحله . ولم أر المستحمين يبتعدون كثيراً عن شاطئ النهر ، فيزدحمون متقاربين بعضهم من بعض وهم يمرحون متضاحكين برش الماء على اجسادهم العارية . ودخلت ليزا وجان كابينا صغيراً الى جانب سيارتها وخرجا منه وهما يرتديان لباس السباحة ، وحين خاضا الماء امتطت ليزا كتفي جان وبقيت على ظهره وهو يمزج في ماء النهر اكثر مما سبحت ليزا فيه ، وخرجا من النهر بعد حين وهما في ذروة النشاط ، وقاد جان سيارته بمهارة وسرعة ، ورأيت ان اثني على جمال سيارته ، فقال جان بقدر من التباهي

- أنا في كل سنة لي سيارة من معمل جنرال موتور الذي ينتج هذه السيارة وقالت ليزا توجه كلامها الى

- لقد ترك جان مهنة الملاكمة بعد ان كسر أنفه ، وهو يعمل الآن ( كار ديلر ) في شركة ( جنرال موتور ) ، وحمداً لله . وتذكرت ابنتهما ميشيل ، فسألتهما

- كيف ميشي ياليزا ؟

فأجابتنني

- انها كبرت ، وهي الآن إبنتنا رسمياً وتتكلم الانكليزية بطلاقة ، وقد تزوجنا بعد ان نزحنا الى كندا ، وفي كيويك تم زواجنا ، وفيها سجلنا مبشي ابنة لنا ( ثم قالت فجأة ) يسرني يا كمال انك لا تزال تذكر مبشي فقلت لها :

- أنا لم انسكم يا ليزا ، وكنت صادقاً ، واذكر هذه العائلة الصغيرة بحب وتقدير



في اليوم الثاني سجلت اسمي في دائرة ادارة المؤتمر بفندق ( كوين اليزابيث ) الفخم . وفي الساعة العاشرة صباحاً افتتح المؤتمر بقاعة ( كروم ويل ) بهذا الفندق ، وقد اصطف على مسرح القاعة اربعة وعشرون صبياً يحملون أعلام الدول المشاركة ، كان من بينها لبنان وروسيا

والسودان ومصر وايران والهند والصين والعراق . وفيما كان رئيس المؤتمر الاستاذ ( دواتفيل ) السويسري يلقي كلمة الافتتاح وأنا أطوف بنظري على حملة الاعلام وامتع نظري برؤية العلم العراقي ، وفي تلك اللحظات سقط الصبي الذي كان يحمل العلم الاسرائيلي فاحدث دوماً على خشبه المسرح جفل لها من كان في القاعة ، واسرع البعض لبسيف الصبي الذي سقط . وكان الى جانبي الدكتور حسين علي شعبان نقيب اطباء مصر فعال لي باللغة العربية : هذه من الدعايات اليهودية ، فسألته هل تعتقد ان سقوطه مفعول ؟

فاجابني

- لا شك في ذلك .



كانت مواضيع المؤتمر شائقة وكثير منها مبتكرة . ولم يكن الطبيب الهندي ( شرود كار ) قد ذاع اسمه في عملياته المعروضة باسمه لعلاج نخالات الاسقاط المتكرر ، فاجتذب انتباه المؤتمرين وهو يتكلم عن هذه العملية . وشرود كار في منتصف الخمسينات من عمره ، ومثال للرجل الهندي في شكله وقيافته واسود العينين داكن السحنة ، وذو شارب كث لا يطول اكثر من شفتيه . وكان يرتدي ذلك اليوم البدة الافرنجية وكنت اثناء محاضرة شرودكار ( استاذ الامراض النسائية في يومى بالهند ) اجلس الى جانب الاستاذ ( كرين ارميتاج ) ، وكان هذا قد زار كلية الطب ببغداد ، وحاضر في المجلس الثقافي البريطاني بمنطقة الوزيرية عن ( الوجه الصحي في عباقرة التاريخ ) فذكر من هؤلاء اسحاق بيوتن وتشرشل ، وفيما كان ( شرود كار ) يتكلم عن العلاج الجراحي لابنوبى الرحم باستعمال الانابيب البلاستيكية نهض كرين ارميتاج فجأة وهو يقول باعلى صوته

- قف رجاء ، فقد شاهدت أنا طبيباً عراقياً اسمه ( سامرائي ) وهو الآن يجلس الى جانبي ، شاهدته يعمل هذه الطريقة في بغداد ، فأنت لست أول من عملها كما تدعى !

فوجم شرود كار ، كما التفتت من في القاعة الى حيث كان كرين ارميتاج . فاضطر رئيس الجلسة ان يطلب مني ان اقف لشاهدني المؤتمرين . فامتثلت لطلبه وانا خجل من هذا المديح . والاستاذ مهرا اسد الامراض

الصلابة بجامعة دلهي . رشيق البدن وسحنه أقرب الى سحنه ( جواهر لال نهرو ) التي ارادها في صورة القويغراميه . كف مدبب ، سارب حلق ، وعلى رأسه سداره طويله لا يسر الا بعض القسم الحلقى من صلعه . ويرتدى سرة معلقة عند رقبته وسروالا يضيق كثيرا عند قدميه . كما كان حذاؤه دقيقاً ومزخرفاً بخيوط ناعم . ولم يكن جرس نطقه مريحاً على السمع فصلا عن اللثة الخفيفة فيها . رحم الله الاساذ مبرا فقد سقط مينا بينما كان يصعد الى منصة مؤتمر نسوي في قينا ليلفى خطابه عن علاج سقوط الرحم ؛ بعد عامين من مؤتمر مونتريال .

واعجبني من المحاضرين في مؤتمر مونتريال ( هنري مارتنيوس ) وهو استاذ الامراض النسوية في جامعة ( كرار ) بالنمسا . وهو طويل القامة برشاقة ، حنطي السحنه . وكان كلامه واضحا بالرعد من اللكنة الخفيفة في لغته الانكليزية . وكانت محاضره في علاج سرطان عنق الرحم بعملية ( شاوته ) عن طريق المهبل . ولمارتيوس كتاب ضخيم في عمليات الامراض النسوية ، وقد ترجم الى الانكليزية في امريكا ونشر بمجلد أنيق دون تحريف أو زيادة أو نقص في صوته .

كما أدهشني من المحاضرين جراح من ( انفرنس باسكوتلندا ) وهو يحري العملية الديرية بالتنويم المغناطيسي وقد اعتمد في هذه العملية على انغام موسيقية تنبعث من بوق وضعه الى جانب رأس المريضة .



ونظم اداره المؤتمر فعاليات اجتماعية ابرزها الدعوة الى تناول العدا في دار أثرية تجثم كالغيل الافريقي الضخم على قمة تل صخري على مشارف مدينة مونتريال ، وتشرف من جهتها الشرقية على مصب نهر سنت لورانس . ومن جهتها الغربية على المروج الخضراء التي تحيط بالمدينة التي تنتهي عند خط الأفق البعيد وهي تبدو وكأنها بلا حدود . وقد دارت الشاحف الاربع التي نقل المؤتمرين حول تل هذه الدار اكثر من مره حتى وصلت الى بابها . والدار عبارة عن مجموعة فاعات فسحة متصل ببعضها البعض وهي اكبر من ان تكون حجرات للسكن . وكان الجو يومئذ منعشا فاكسب ذلك المكان ميرة ارناح لها المؤتمرين باعجاب . وسرعان ما نشطت بحركات المؤتمرين في جميع مراعق هذه الدار وخصوصا على السطححه الفسحة التي يشرف على حقه النهر . وفيما

كنت أنا والدكتورة ( أدما أبو شديد ) اللبنانية نكحاً على سياج السطحية ، رأينا حافلة غير كبيرة توقفت عند باب الدار القريب منا ، وراقبنا من كان فيها من الشباب والشابات حين بدأوا يترجلون عنها مبتهجين متضاحكين وقد بدوا لنا ونحن في السطحية التي تعلو موقف الشاحنة أنهم كالأقزام . وكان لباسهم موحداً بما في ذلك القبعات الصغيرة التي تعلو رؤوسهم . وكان على هؤلاء ان يمشوا بالسطحية ليخلو أبهاء الدار ، وكل واحد منهم يحمل بيديه حزمة من الكراريس والكتيبات باغلقة صور عليها العلم الاسرائيلي . وتقدمت مني شاة وسالتي دون مقدمة ويلغة عرفت انها عبرية ، وحين وجدت لتعرف انني لا افهم لغتها استدركت حالاً وكلمتني بالانكليزية ، وسالتي من مصر ؟

فاجبتها

- من بغداد العراق .

وسالتي

- يهودي ؟

واسرعت أدما التي كانت تنصت اليها وهي تبتسم وقالت لها  
- كلانا من العرب ( وأشارت الي وقالت ) والدكتور سامرائي مسلم .  
ثم سالتي هذه الشابة بوقاحة  
- لماذا طردتم اليهود من العراق

فاجبتها

- اننا لم نطردهم بل هم الذين طلبوا مغادرة العراق الى اسرائيل فتوجب على الحكومة العراقية ان تسقط جنسياتهم .  
فانتفضت الشابة وقالت بحماس الشباب الغري .  
- هذا غير صحيح

ولم أشأ ان أثير جدلاً عقيماً مع هذه الشابة وأنا غريب في هذا البلد .  
وتقدم مني في هذه اللحظات رجل ممتلئ الجسم والوجه ومذ رقبته نحو صدري ليقرأ بطاقة هويتي المثبتة على باقة سترتي وقال باستفهام  
- من العراق ؟

فاجبته

- من بغداد .



وقرأت بطاقة هويته فقال لي :

- نعم انا من ( لوس أنجلوس ) ، ولكنني عربي الاصل ومن بيت ( العسلي ) ببيروت . ( واستطرد يقول ) فزح أبواي الى سان فرانسيسكو وأنا طفل أحبو . وفي هذه المدينة تقلبت عائلتي في اعمال متواضعة مختلفة لتعينني على دراسة الطب .

وكان هذا الرجل يتكلم بالانكليزية بصوت أجش عال لا أظنه يحتاج الى مكبرة صوت لو وقف يحاضر في اية قاعة فسيحة . ومع ذلك كان جرسه اليقظ لا يضايق السمع . وأشار بأصبعه الى الفتاة التي كانت تكلمني ، وسألني :

- هي يهودية اليس كذلك ؟ أنا اكره هذه الملة ، وقد حاربت عائلتي في امريكا بلا هوادة ، وحاربوني بالحاح حين تخرجت لامارس الطب ، وقد حاربوني كعربي لا كمنافس لهم في المهنة ، ومازالوا يضمرون لي الكره والعداء . . وسمعنا من ينادي المؤتمرين ان يقفوا على المدرجات الخشبية التي أعدت لتصوير المؤتمرين ، وكان عددهم نحو الثلاثمائة طبيب ، وجلهم من أهل كندا وأمريكا . وأسرعت بعض من الفتيات اليهوديات الاسرائيليات ليحشرن انفسهن بين صفوف المؤتمرين فتقدم منهن الدكتور العسلي بعصبية وابعدهن عن صفوف المؤتمرين قبل ان تلتقط الصور الفوتغرافية ، والتفت نحوي وهو يقول كمن يكتفي بكسر الخبز التي تبقى على المائدة

- هذا ما استطيع عمله ضد هؤلاء اليهود القذرين وان كان ذلك لا يشفي غليلي . فأنا طردتهم من صف المؤتمرين وهم طردوا العرب من أوطان اجدادهم في فلسطين وشردوهم في الافاق .

\* \* \*

وفي اليوم الثالث من المؤتمر سمعت من ينادي على اسمي بالمكرفون فأتجهت الى دائرة الاستعلامات واذا بيعقوب فتال اليهودي البغدادي ، وأنا أسرع لاجيب على النداء اومفني وهو يقول لي : - دكتور كمال ؟ أنا يعقوب فتال وانا الذي ناديت عليك بالمكرفون . وقد عرفت قبل ساعة أنك في مونتريال ، فاهلاً بك . يادكتور كمال .

كان يعقوب فتال الذي قابلني بهيئة لائقة في ملبسه وواثما بنفسه ، أما حين كان في بغداد فكان غير ذلك ، فقد عرفته رث الثياب وبرتدي سداره

سوءاء تنحدر حتى أذنيه بحاشيتها المرطوية بمزيج من العرق والوساخة ، وقد عرفته لأول مرة في ( قبول ) جمال بابان أيام الجمع ، فيأخذ مكانه في المجلس قريباً من صاحب البيت ، فإذا جاء اصدقاء جمال بابان الوجهاء تحوّل من مكانه الى مكان ادنى منه وهكذا بعد أقل من ساعة لا يجد كرسيّاً له إلا عند باب المجلس أو خارجه . ولا أعرف متى غادر يعقوب فتال العراق ، ولا أعنقد ان ذلك كان قبل اقل من عشر سنوات . قال لي يعقوب فتال :

- انت مشغول الآن يا دكتور كمال وغداً مساء تناول العشاء في بيتي ، وسابعت لك سيارتي في الساعة الثامنة ، اين تسكن ؟

- في فندق لورنشيان

- انتهينا ، أنتظر في بيتي

ولم يمهلني لأقول شيئاً حتى غادر القاعة

كانت شقة يعقوب فتال باذخة الاثاث ، وكذلك ما كان على موائده ، من أطايب الكرزات والمقبلات والمشروبات ، وبخدمة ضيوفه مناة وفتى باللباس المهني الخدمي ، وشرعت اتلفت يمنة ويسرة لاعرف على من في الصالة من ضيوف فاذا بي أعرف اكثرهم ، وجميعهم من اليهود ، وحين قمنا الى مائدة العشاء كان طبق ( التبيت ) أبرز ما عليها ، وهو من الاطعمة اليهودية المشهورة في بغداد التي لا تمل . وكان الضيوف لا ينفكون يحثونني على تناول الطعام ، والكلام عن بغداد . وفي صدري استفهامات كثيرة عما وصل اليه يعقوب فتال من الثراء . وحدث يعقوب فتال ما يدور بخاطري فقال لأصحابه على مسمع مني :

- ان دكتور كمال لا بد هو الآن ، يفكر كيف وصلت أنا الى هذا الحال من الغنى ، فأقول له بصراحة ، ان جميع من في هذه الحجرة هم شركائي ، وقد نزحنا في أيام متقاربة الى كندا ، ونحن منذ تلك الأيام نخطط لاستثمار الاراضي التي تحيط بمونريال كما فعل ( سليم بلبول ) حين أسس بغداد الجديدة . فاشترينا اراضي سعر المتر منها نصف سنت والآن هي بسعر ثلاثة أو خمسة وعشرين دولار بحسب المواقع ( واستمر يقول ) ولنا الآن موجة تلفزيونية خاصة تذيع عن شركتنا وما نعمل ، والله الحمد .

\* \* \*

وفي صباح يوم ١٢ / ٧ / ١٩٥٨ حملتني ليزا بسيارة زوجها الى مطار مونتريال ، وهو بعيد نسبياً عن هذه المدينة . وودعتني بقبلة ود نقية ، وصار الى جانبي في الطائرة KLM قس يوناني ، وسرعان ما شرع يحدثني بتواصل وكأنه كان ينتظرني بفارغ الصبر ليقول لي ما يريد ان يقوله ، فتكلم عن مطار اليونان والخطوط الجوية ( الاميك ) اليونانية وما تقدمه من تسهيلات وخدمات للمسافرين على متن طياراتها . كان ثثاراً بانكليزية ركيكة ، ولم يكن قد سألني حتى عن جنسيتي والطائرة على وشك الاقلاع ، وفجأة سألني :  
سمعت أخبار اليوم بالراديو ؟  
فاجبته بالنفي . وقال :

- ان الطائرة الهولندية التي اقلت فريق كرة القدم قد سقطت في البحر صباح هذا اليوم

ودهشت بألم لهذا الخبر ، بل أخافني كثيراً لانني عرفت أن تلك الطائرة هي ذاتها التي أقلتني من بغداد الى مونتريال ، أو هما بالاقبل من شركة واحدة كما اني ساستقل طائرة من هذه الشركة للعودة الى بغداد . وحين أقلتت الطائرة تملكني الخوف إذ تذكرت قول الزميل الدكتور سلمان فائق ( في أن السفر في طائرة على متنها قس لا تنجو من بعض المشاكل ) وكان على متن هذه الطائرة قسآن . وسمعت الدقات التقليدية التي تنبه المسافرين الى إستماع النصائح لمن في الطائرة في استعمال المصباح الكهربائي في الليل وعدم أكل السمك الذي يصيده من يطوف بطوق النجاة . وارت أن أملاً أذني بطرفي سبابتي يدي ، فلا أريد ان اتخيل سقوط الطائرة والهلح الذي يصيب من عليها قبل ان يبتلعها اليم ، وهذا هو الموت لا انقطاع الانفاس بعد ذلك

وفي ظهر يوم ١٢ / ٧ / ١٩٥٨ غادرت كندا بالطائرة الى امستردام ومنها الى بغداد

### ثورة سنة ١٩٥٨

في منتصف ليلة ١٤ تموز بعد الرحلة الطويلة من مونتريال عبر المحيط الاطلسي ودولتين من دول أوربا ، كنت متعباً فذمت نوماً عميقاً .

وقبل أن ينبجج نور لصباح أيقظتني زوجتي وهي تقول :  
- أسمع ضرب مدافع ، وهرجاء ومرجاً وكدت أنهرها لابعدها عني طلب  
للمزيد من النوم ، غير أنني سرعان ما تأكدت وأنا انصت ، بأن ثمة حركة  
غير اعتيادية تنبعث من جانب الكرخ ، فهرعت الى الراديو وأدريت مفتاحه  
لأسمع ما يحتمل أن يذاع بالراديو ، فإذا بصوت رجل يذيع بحماس بياناً  
من قيادة الثورة الى الشعب العراقي .

وغادرت بيتي الى مستشفى السامرائي الملاصق له لا تسقط مزيداً  
من أخبار ما يحدث . وكان في يهو المستشفى من يقول  
- قتل الوصي عبد الله  
ومن يقول :

- قتل توري السعيد .

وأعاد المذياع قراءة ( البيان الاول ) وذكرت أسماء الفائزين بالثورة  
وكان من بينهم عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وعبد اللطيف  
الدراجي .

ثم أذيع بيان يحث الناس أن يخرجوا الى الشوارع ويجهزوا على  
اعداء هذا الانقلاب الثوري

وعرف الناس بسرعة أن الجيش الثائر قد احتل دوائر التلفزيون  
والاذاعة ، وحاصر قصر الرحاب حيث تجتمع العائلة الملكية بمن فيها  
الملك والوصي وأمه الملكة نفيسة والاميرة عابدية وهم يستحضرون أنفسهم  
لمغادرة العراق الى استانبول بدعوة من الحكومة التركية ليمضوا أشهر  
الصيف فيها . وصارت الناس تتجمع حول الراديو في البيوت والمقاهي  
ليستمعوا الى مزيد من اخبار هذا الحدث الحسيم ، وتفاصيل وقوعه .  
وأذيعت كثرة من البيانات منها فصل عدد كبير من الضباط الذين يحتمل  
في نظر الثوار ان يتحركوا بمعارضة خطيرة . كما أذيع فصل عدد من  
الموظفين الكبار ومن برأس دوائر حساسة بما في ذلك الشرطة والامن .  
وزخر شارع الرشيد بعربات الجيش وهي تمر بسرعة خارجة من بغداد أو  
داخلة اليها ، وصريخ جنازير الدبابات لا ينقطع ، كما لا ينقطع البث  
الإذاعي لحظة ألا ليعلن بياناً عسكرياً جديداً مهما . وسمع ايضاً صوت  
رجل ينادي بحماس

- الى الشعب العراقي . لقد قتل عدو الله ولي العهد ، اخرجوا الى الشوارع

لنسحلوا جثته النتنة .

قلت لصديقي الدكتور عبد الله العنيزي - وماذا عن الملك ؟

فاجابني

- لم يذع خبر ( واضاف ) يبدو ان الجيش يتصرف بحكمة وتعقل ولم يفقدوا السيطرة على اعصابهم والحمد لله ، لقد قتلوا خاله الوصي عبد الاله . ولا اظنهم سيقتلونه .

وفي موقفنا هذا غير المستقر على معرفة ما حل بالملك ، انضم اليها سعود العنيزي . وهو يقول :

- قتلوا الملك

ثم قال الدكتور العنيزي

- لم يعثروا على نوري السعيد الى الآن ، وقد خصص لمن يدل عليه جائزة قدرها عشرة آلاف دينار .

ودارت ساعات ذلك النهار بطيئة ثقيله . وفي حدود الساعة الرابعة بعد الظهر من اليوم التالي دخل مستشفى السامرائي وكيل شركة سيارات ( دي سوتو ) واسمه جورج عرقتنجي وهو بادي الاضطراب ، وقال لي - دخليك يا حكيم زوجتي بحالة سيئة

وزوجته سيدة فرنسية كانت تمتهن الرقص في واحد ملاهي بغداد . فتزوجها عرقتنجي وحملت منه ، فتوليت رعايتها كحامل منذ بدت عليها ظواهر الحمل في منتصف الشهر الخامس . وفي سيارة عرقتنجي الى بيته في منطقة الاورفلية سألته عن أمرها فاجابني

- بينما كان هو وزوجته يتناولان الشاي على السطوحية التي الى جانب مدخل البيت ، « سمعنا طلقاً نارياً قريباً منا ، وكان ذلك كافياً ان نخرج من البيت لنستطلع الامر فاذا امامنا مشهد غريب ومرعب . فقد كان نوري السعيد ملقى على الارض وهو يرفض والى جانبه امرأة ، وكان جارنا قد رأى الموقف قبلنا ، وقال لي ان نوري السعيد حاول ان يفتح باب الشيخ رايح العطية فلما اخفق جرب اجتياز الطوف الطيني الذي يحيط بحديقة منزل الشيخ المقابلة لبيتنا ، وفي اثناء هذه المحاولة سقطت العبادة النسائية السوداء التي كان يرتديها نوري السعيد عن كتفيه ، وفي هذه اللحظات صرخ أحد المارة هذا هو نوري السعيد ، فاطلق نوري السعيد

النار على رأسه وخر يصرع على الارض . وبعد ذلك وصلت سيارة جيب  
عسكرية وترجل عنها الضابط وصفى طاهر ( وأنا أعرفه ) واستل  
سدسه واطلق على نوري السعيد ثلاث طلقات أخرى . واستمر عرقتنجي  
يقول ( في هذه اللحظات ) أعدت روجتي عن السطحية وهي ترنح  
وادخلتها البيت .

ودارت شائعات في بغداد عن المكان الذي إختبأ به نوري السعيد  
قبل مقتله ، فقليل ان الدكتور صالح البصام حمله في صندوق سيارته الى  
بيت محمود الاسترابادي ، فعرفه شاب من عائلة اغدق نوري السعيد  
عليها النعمة والجاه فوشى به عند الحكومة فهرب متلبساً بثياب النوم  
وتحت عباءة سوداء نسائية الى بيت الشيخ رايح العطية فخاف هذا من  
اجارته فصم اذنيه ولم يفتح له باب بيته فنحبط فيما يجب عمله لاجتياز  
حائط حديقة الشيخ فحدث ما حدث

\* \* \*

في هذا اليوم الذي لم يتبق فيه شيء إلا اصابه الاضطراب وشلت  
فيه افكار الناس في ما يعملون خوفاً من المجهول الذي يهددهم في كل  
لحظة ، رن جرس تلفون بيتي واذا انا اسمع جمال بابان يقول لي بهلع  
- كمال ، أرجو ان تأتي الآن لتأخذني الى بيتك  
وسألته

- ما الامر يا أبا شوان ؟

- وجدت مكتوباً على حائط مدخل بيتي عبارة ١ هذا هو بيت جمال  
( السفاح ) وهذه اشارة الى ما يمكن ان يحدث لي في اي دقيقة

ولم افكر طويلاً فهذا الرجل يستجير وبينه وبينني تعارف فلا بد ان  
أجيره ، ومع ان الطريق الى بيته لا يخلو من مخاطر هيجان الشعب ضد  
رجال الحكم الملكي ، ركبت سيارتي اليه ، وفي الساحة التي ينفذ اليها  
شارع بيت جمال بابان رأيت دمية بحجم الانسان رشكله مشنونة بين  
ثلاثة اعواد ، وكان منظرها سمجاً ومرعباً ، فتجاوزته وأنا انظر اليه بصرفي  
عيني حتى وصلت بيت جمال بابان ، فوجدته بحالة برشى لها من الخوف  
مر غوغاء الطريق ، وما كدت اوقف سيارتي أمام كراج سيارته حتى هرع  
قبل ان يتكلم معي وصعد الى المقعد الخلفي في السيارة ثم ما لبث ان  
انبطح على وجهه في تعرج حوض السدرة الخفي ، وفي بي بي اثنا عشر

يوماً قبل ان يغادر العراق الى فييا . وبعد ثلاث سنوات جمعتني لمصادفة  
مع ابن عمه جلال بابان فسألني  
- لو عاد ما حصل لجمال بابان مرة أخرى فهل نعمل له مثلما عملته يوم  
ثورة ( ٥٨ ) فاجبته على الفور  
- نعم سأعيد الكرة دون تردد

\* \* \*

وفوجئت يوماً باستدعاء لاداء شهادة في محكمة تشكلت بأمر وزير  
الصحة الدكتور محمد صالح محمود للنظر في تصرفات بعض اطباء  
المستشفى الملكي وكان اعضاؤها من منتسبي ( جامعة ) بغداد وهم  
جراح وطبيب باطني وطبيب عدلي وطبيب اسنان وممثل نقابي . وبدا لي  
هذا المجلس هزئلاً مضحكاً فقد كان رئيسه ( وهو الطبيب الباطني ) قبل  
الثورة من دعاة الحكم الملكي العنيدين .

دخلت قاعة هذه المحكمة وكان يجلس في صدرها رئيس اعضاء هذه  
المحكمة ، فبادرني قائلاً ( يا للمهزلة ) أجلس على ذلك الكرسي وأشار  
بالتفاتة الى كرسي قبالة مجلسه ، فجلست عليه ، وسألني  
- هل كان مدير المستشفى ( الملكي ) عبد الرحمن الجورية جي يستغل  
وظيفته لاعماله الشخصية ؟

فاجبته انفي ذلك على قدر علمي بهذا الموضوع

- هل كانت له لقاءات مشينة مع ممرضات المستشفى ؟  
وأجبته

- ليس لي علم بذلك .

- هل كان الجورية جي يأخذ من متعهد ارزاق المرضى دهن وتمن على  
حساب المستشفى ؟

- اعرف ان الجورية جي على عكس ذلك ، فهو الذي يشارك في ارزاق  
المرضى عن طريق مكرماته في المناسبات الدينية والوطنية . كما وجه لي  
اسئلة أخرى جميعها تافهة ومغرضة .

وانتهى رئيس ( المحكمة ) من توجيه الاسئلة الى وجميعها نخص  
الدكتور الجورية جي .

وكان أعضاء هذه المحكمة ورئيسها متحيزين لافكار خبيثة . .  
وخصوصاً رئيس المحكمة الذي كان يدعى دوماً الامانة والتمسك بالصدق  
والحق .

وخرجت من هذه المحكمة وفي صدري غيظ يغلي فقصدت رأساً وزير  
الصحة الدكتور محمد صالح محمود ، وكان من اصدقائي في ايام الدراسة  
بكلية الطب وبعد تخرجنا فيها . فدخلت غرفته غاضباً دون استئذان  
وكان في تلك اللحظة يتحدث الى مدير عام الصحة الدكتور رشيد زكريا ،  
واندفعت اذكر له ما حدث في هذه المحكمة ، والاتهامات الباطلة التي  
وجهت الى الدكتور الجوري . وقلت له فيما قلته :

- ان رئيس المحكمة لم يسمح لي بقراءة افادتي لأوقع عليها ، واخشى ان  
يحشوها بما لم أقد به أمامه .

وكان الدكتور رشيد زكريا يلهو حين كنت اكلم الوزير بتقليب صفحات  
اضبارة بيده وهو يبتسم ، وكانت هذه اشارة مهمها الوزير . إذ سحب درجاً  
في منضدته واخرج منه ورقة مكتوبة بالالة الطابعة وقدمها الى وطلب مني  
ان أقرأها : يا الهي

( ١ ) كمال السامرائي يأخذ القطن والرفائف والادوية من الردهتين  
العاشرة والحادية عشرة الى مستشفى ( السامرائي )

( ٢ ) انه يوصي الممرضات ان ينصحن المريضات لمراجعتهم في عيادته  
الخاصة

( ٣ ) في عيادته ممرضة هي في الوقت نفسه موظفة في الردهتين  
النسائيتين يشتبه بكونها سمسيرة له ، والاشارة مفهومة .

( ٤ ) انه يتقاضى أجوراً عن العمليات التي ينجزها في ردهتيه  
بالمستشفى الجمهوري ( الملكي سابقاً )

( ٥ ) كمال السامرائي ورئيسة الممرضات في الردهتين المذكورتين على  
علاقة مشبوهة

قرأت هذه الاتهامات المدونة في الورقة التي سمح لي الوزير بالاطلاع  
عليها . ولما انتهيت من قراءتها ورفعت رأسي عنها قال الوزير  
- في ورقة أخرى يسمى النفازيون أعضاء اللجنة التي ستحاكمك  
فقلت له :

- أرجو ان تسرع بتشكيل أعضاء المحكمة يا أبا عصمت .



فاجابني

- بل سأتتركهم يعملون ما يحلو لهم ، وسيكون ذلك حسراً على ورق لا أكثر  
من ذلك وبإملا بها سلة المهملات ، فلا تقال يا كمال

وفي طريقي وأنا اغادر مبنى الوزارة بساحه معروف الرصافي الخدم  
بالدكتور الجوريه جى ، وكان قد خرج من السجوق معه قبل ان ادخل عاها  
لاداء شهادتي . وكان على وجه الجوريه جى سخط باله ، وفي سه ورقه  
أخطيء في معرفه ما يكتب فيها . مع ذلك ساله عن دجنوباسه .  
فاجابني

- طلب بالاستقاله

فقلت له على الفور

- ليست بوقتها يا أبا عوف

فقال لي :

- هذا لا بد منه ، فانهم يتهمونني بما لا يليق

وعلمت بعد ذلك انه رفع استقالته الى الوزير مباشرة فرفض فتدوينا  
واعتذر له عما حدث في محاكمته ، وعرض عليه اية وظيفة يريدونها  
مديرية المستشفى الجمهوري ، فاستجاب لطلبه وفضل ان يعمل بدوره  
التفتيش مع الدكتور محمود المدرس ، وهذا ما حصل .

### المحكمة العسكرية العليا الخاصة لمحاكمة رجال العهد الملكي

وعرفت هذه المحكمة أيضا باسم محكمة المهداوي . وكان المهداوي  
في ماضيه موظفاً بأمانة العاصمة ، ثم التحق بدورات عسكريه وتقدم في  
مراتب الجيش حتى وصل الى رتبة عقيد وحين تشكلت المحكمة العسكرية  
المذكورة نصب لرئاسنها ، كما عين العقيد ماجد محمد امين مدعياً عاماً  
فيها .

ولا شك ان هيئة المحكمة المذكورة وجميعها من فئات عسكرية ، كان  
اكثر ، اعضائها يحترمون حكام المحكمة ، على ان ذلك لم يعرف بشكل  
مؤكد ، غير ان بعض اعضائها كما شاع بين الناس كان معارضاً في اصدار

حكم الاعدام على بعض رجال العهد البائد الذين حوكموا على أعمالهم في العهد الملكي . ورئيس المحكمة العقيد فاضل المهداوي كان شرساً بذيء الكلام مع المتهمين ، وكان من الذين حكمت عليهم هذه المحكمة بالإعدام غازي الداغستاني وسعيد قزاز ، وكان هذا الأخير يوم الثورة وزيراً للداخلية ،

فاضل المهداوي وغازي الداغستاني في مستشفى السامرائي /  
١٩٥٩

ابرز شخصية في ايام عبد الكريم قاسم هو رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة العقيد فاضل المهداوي . وكانت مجالس محكمته مثيرة لما فيها من جد بتعسف وهزل ببذاءة . وكنت اعرف المهداوي منذ كان مراقباً في ( أمانة العاصمة ) حين يدخل عيادة صديقه الدكتور اسماعيل ناجي ، وكان يجلب نظري يومئذ قصر رجليه بالنسبة لامتلاء حذعه . وفي يوم بهذه المحكمة الخاصة حكم المهداوي على أمير اللواء غازي الداغستاني بالاعدام شنقاً حتى الموت كأحد رجال العهد الملكي . ثم افرج عنه الزعيم عبد الكريم قاسم . وحدث يوماً بعد ذلك ان الداغستاني زارني في مكتبي بمستشفى السامرائي ، وفي لحظة سمعنا هرجاً في بهو المستشفى وضربات اقدام ثقيلة كثيرة ، فدخل مكتبي مضمد العمليات ( بنزوق ) وأخبرني ان المهداوي جاء يزور مريضة في المستشفى بغرفة رقم ( ٢ ) وبعد نحو خمس دقائق سألتني الداغستاني ان كنت أعرف المهداوي ، فلما قلت له اعرفه ويعرفني قال لي إذن الافضل ان اغادر فلا أريد ان ارى هذا الرجل .

ونهبض عن كرسيه وصافحني مودعاً . وفي هذه اللحظات كان قد غادر المهداوي ايضاً غرفة المريضة التي كان يزورها يتقدمه عدد من الجنود وفي يد كل واحد منهم غدارة ، وصار في طريقهم غازي الداغستاني ، فدفع احد اولئك الجنود الداغستاني جانباً ليفسح الطريق لسيده المهداوي ، فانصاع الداغستاني وتنحى عن الطريق الذي يمر عليه المهداوي . وفي لحظة خاطفة التفت ذلك الجندي نحو الداغستاني

وعاد اليه مسرعاً وخفض رأسه بيقبل يده وهو يقول له :  
- العفو ياسيدي ، ما عرفتكَ وانكسرت يدي التي دفعتك فقال له  
الداغستاني :  
- لا بأس يا أبنّي ، هذا واجبك ، فالحق بأمرك وأنا اشكرك

### سعيد قزاز بين افراد عائلته في ساعات الاخيرة

في ساعة من ظهر يوم ٢١ / ٩ / ١٩٥٩ دخل الى غرفتي  
بمستشفى السامرائي شاب في نحو الثلاثين من عمره ، مكور الرأس بجمة  
خفيفة ، ممتلئ البدن وبطول معتدل ، وحياني بأدب لم يخف الحزن  
الذي كان يسيطر على وجهه ، وهو يقول لي بلغة دارجة استطعت ان أعرف  
انها لا تخلو من لكنة كردية ،  
- عندي مريضة وأحتاج الى مساعدتك  
فقلت له :

- لم اعتد ان ازور المريضات في بيوتهن ، وأفضل ان يكون الفحص في  
المستشفى ، فقد تحتاج المريضة الى مداخللة أنية لا تتوفر ادواتها في  
البيت  
فقال لي :

- هي مريضتك ، وأنا زوجها الدكتور كمال ( وقرب رأسه من رأسي  
واضاف ) هي ( يرى ) بنت سعيد قزاز .  
وكننت أعرف ان سعيد قزاز قد حكم عليه بالاعدام في محكمة المهداوي  
( العليا الخاصة ) ، ولعلاقتي مع أبيها قلت لهذا الشاب  
- هيا اليها

وسألته حين تحركت السيارة وأنا اجلس الى جانبه

- اين يكون البيت يادكتور كمال ؟

أجابني

- قرب كراج إبراهيم سعيد

ولم أكن اعرف مكان هذا الكراج ولكنني اعرف ان بيت سعيد قزاز ليس  
بعيداً من مستشفى السامرائي ، فقلت له :

- أعرف أنكما تسكنان في بيت سعيد قزاز القريب من مستشفى السامرائي فقال لي :

- هذا صحيح ، غير أن بعض ( الأولاد ) صاروا يضربون البيت بالحجارة منذ بدأت محاكمة سعيد قزاز ، فاضطررنا أن نغادر ذلك البيت وأستأجرنا بيتاً متواضعاً بعيداً عن الانظار وبعد لحظات من السكوت سألته :

- هم تشكو يرى يادكتور كمال ؟

فلم يجبني ، واعدت عليه سؤالاً عني احتمال انه لم يسمعي فقال :

- البارحة ليلاً خابر مدير السجن أحد أقاربي ليطلب منا الذهاب الى السجن لرؤية ابي يرى ، وعرفت مقدماً أن تلك قد تكون آخر زيارة قبل أن يعدم . وذهبت أنا وأم يرى ويرى الى السجن لنراه ، فوقفنا جندي عند طاق من سعف الذخل يفضي الى درب يصل الى بناية صغيرة غير بعيدة عنا ، وما لبثنا طويلاً حتى طلع علينا أبو يرى يقوده جنديان من زنديه ، وكان حليق الرأس ، فلم تتمالك أم يرى ويرى نفسيهما عن البكاء حتى أغمى على يرى ، فتقدم منها أبوها سعيد قزاز وأنهضها وقبلها وضمها الى صدره ، ثم استدار نحو أم يرى وقبلها وقال لها :

- أنا راض عنك يا أم يرى ، فتهيئي ، من الآن أن تكوني أرملة ، وهذا أمر الله .

وتقدم منه الجنديان وامسكا بزنديه وهما يقولان له :

- كافي سعيد بك

هذا ما قاله لي الدكتور كمال وهو معي في طريقنا الى عيادة زوجته يرى سعيد قزاز .

ووصلنا البيت الذي فيه المريضة يرى . هو من النوع النمطي الذي كن مألوفاً في بغداد قبل الاربعينات . غرفتان صغيرتان على جانبي مدخله ، ثم هول غير واسع تنفذ اليه غرفتان من جانبيه وفي جبهته التي تقابل مدخله باب تؤدي الى حديقة صغيرة خلف البيت .

كانت يرى الشابة في بداية حملها الاول ، وبحالة هستيرية من التشنج ، ولم اكتشف ما يدل على أن الرحم أو الجنين قد تأثراً بحالتها النفسية ، فطمنتها على ذلك ووصفت له مشروباً مهدناً .

وعلى باب غرفتها وأنا أهم بالخروج منها سألت الدكتور كمال بهمس

- اين ام يرى ، أريد ان أراها ان أمكن ؟  
فقادني الى هول البيت ، وفيه رأيتهما تجلس على حشية وهي نسند ظهرها  
الى الجدار . كان وجهها جامداً كأنه تمثال من رخام أبيض ، وعيناها بلا  
حياة ولا نور .

اي عزاء يسأل هذه المرأة ؟ أحسن عزاء ان أقعد الى جانبها دقيقة  
دون كلام ، وهذا ما فعلته ، وحين نهضت لاغادر ( الهول ) سمعتها تقول  
بصوت مبحوح :  
- اشكرك يادكتور كمال

### عبد الكريم قاسم جريح في مستشفى السلام ١٩٥٩

قرر حزب البعث السري اغتيال عبد الكريم قاسم . وفي يوم ٧ /  
١٠ / ١٩٥٩ نفذ هذا القرار ، قرب ( بيت لنج ) المقابل لـ ( عكد  
النصارى ) ، ولم يفلح من رشقوه بالرصاص ان ينالوا منه باكثر من جروح  
في يده وهو يمر بهذه المنطقة في سيارة ( ستيشن واكون ) ، ونقل الى  
مستشفى السلام حيث أخرجت من جروحه بعض الطلقات النارية .  
وصار بعض الناس يتوافدون لعبادته متمنين له الشفاء العاجل . . ورأت  
عمادة كلية الطب ان توفد بعضاً من اساتذتها ليزوروه في المستشفى .  
وكانت السيارة التي كان يستقلها الزعيم عبد الكريم مركونة في مدخل  
المستشفى ليشاهد زائروه آثار الطلقات النارية فيها . وحين تقاطرنا  
للدخول الى غرفته في الطابق الثاني من المستشفى مررنا بغرفة تقابل  
الغرفة التي فيها الزعيم . ورأيت بطرف عيني جمعاً باللباس العسكري  
دون ان اتبين وجوههم . ولما دخلنا غرفة الزعيم كان يلبس البجامة وعليها  
روب مزركش بخيوط لماعة ، وتقدمنا منه واحداً تلو الواحد ، وحين وصلت  
اليه ضغط على يدي وهو يسألني بحماس :

- هل اعطاك ( ارشاك المصور ) نسخة من الصورة ؟ وتساءلت مع نفسي  
اية صورة ؟ وسألني : الدكتور فتح الله عقراوي ، وكان يومئذ مديراً لكلية  
الطب ، باستفهام واستغراب .

- كمال ، ارى الزعيم يوليى التفاتة خاصة !

فعلت له .

- كنا اصدقاء في الثانوية المركزية بالرغم من انه كان في القسم الأدبي بالمدرسة ، كما كنا نراجع دروسنا المشتركة سوية . وفي مساء اليوم التالي دخل المصور ارشاك عيدينى الواقعة على رفبة جسر الاحرار وقدم لي صورة مونوغرافية مؤطرة تجمع طلاب هذا الصف في هذه الصورة وأنا واقف في الصف الثاني بهذه الصورة وعبد الكريم في الصف الرابع فيها . وركزت استعراض من كان في الصورة من المعلمين وطلاب المدرسة . كان مدير المدرسة سعيد فهم يحتل الكرسي الوسط في صف المعلمين وعلى يمينه درويش المقدادي ، وعلى مظلوم ونحسين ابراهيم ومسهر براير ، وعلى يساره صديق الخوجة وابراهيم جميل ومعلم الرياضة المصري صديقي عبدو . أما الطلاب الحالسون على الارض فواوسطهم عبد الجبار محمود والى يساره طه باقر ويوسف المولى ثم عبد الجبار عبد اله ( رئيس جامعة بغداد بعد ذلك ) وجتذبت انباهى صورة عبد لكريم فاسم هذا هو في الصورة نفسه تقريبا في الوقت الحاضر ، وخصوصا في بروز اذنيه عن مستوى رأسه من الجانبين ، وفي شاربه الفصير جدا فوق شفته العليا الرفيعة .

### مع تاسلو انطوان في فينا ١٩٥٩

نسمع في بغداد الكثير عن الطب في فينا ، وكان يقال يومئذ ان هذه الصناعة ولدت في فينا ، وترعرعت في انكلترا وشاخت في أمريكا . كما كنا نسمع ان كل ما نعرفه عن سرطانات الرحم بما في ذلك تشخيصه ومعالجته بالجراحة كان ذلك من إبتكارات أطباء فينا ، وإيهم ايضاً ابتكروا آلة تشخيص أورام عنق الرحم في بدء تكوينها . . فقدمت طلباً الى عميد الكلية الدكتور صائب شوكت لأسافر لى فينا للاطلاع على اعمال أطباؤها في العمليات النسائية ، فحبذ الدكتور صائب الفكرة واستحصل لي إيفاداً لمدة شهر لأدرس طرق عمليات الاورام الخبيثة واستعمل الة ( الكليو سكوب ) لاكتشافها مبكراً ، وكنت اسمع ممن رأى فينا ان هذه المدينة سرّة أوروبا ، فلا يدخل هذه الفارة سائح ، وخصوصاً من الامريكان

إلا ويزورها . وصلت في يوم عشرين شباط الى فينا . المطار بعيد عن المدينة إلا ان الطريق منه الى فينا جميل وممتع لكثرة ما حوله من الاشجار والبيوت ذات السقوف القرميدية التي يغطي بعضها الثلج بكميات كبيرة وساعدتني القنصلية العراقية لمعرفة المستشفيات التي استطيع الاستفادة منها . كان مستشفى النساء ( فراون كلنك نمرة ١ ) يمارس العمليات على طريقة الاستاذ ( شاوثة ) ، وهو أول من استأصل الرحم بكامل ملحقاته عن طريق المهبل ، وقد توفي شاوته في العشرينات غير ان طريقته لم تمت وظل تلامذته يمارسونها الى يوم زرت فينا . أما مستشفى النساء ( فراون كلنك نمرة ٢ ) فيرأسه الاستاذ ( تاسلو انطوان ) وهو تلميذ ( فرتايم ) ولقرتايم طريقة خاصة تعرف باسمه في قلع الرحم وملحقاته وعنقه وأنسجة الحوض بما فيها من غدد غزاها السرطان ، وهي الطريقة التي يمارس تطبيقها تاسلو انطوان ، واخترت ان ازور مستشفى النساء نمرة ( ٢ ) لمشاهدة عمليات تاسلو انطوان ، فاتصلت به تلفونياً فاذا هو يتكلم الانكليزية بطلاقة إلا في نطق بعض المصطلحات الفنية فانه يقولها بين اللهجة الالمانية والانكليزية ، وضرب لي موعداً لمقابلته في دائرته ، وقابلني بترحاب شديد ، ودعا مساعديه ( راوشه ) و( كرميركر ) لاتعرف عليهما والاول زوج إبنته وهو أشبه بسدنة اضرحة الائمة بسامراء والكاظم لو وضع على رأسه العمة بالطربوش الاحمر وحوله القماش الابيض ، أما كرميركر فهو أشقر الشعر ، حتى اهداب عينيه .

وتاسلو أنطوان من أصل فرنسي ، متوسط القامة أسود الشعر مع خليط كثير من الشيب ، وزوجته واحدة من ممرضاته وقد انعزلت الى أمور بيتها بعد زواجها من تاسلو انطوان ، وهواية زوجها التزلج على الثلوج والتصوير الفوتغرافي . وعقب زيارتي له بيوم واحد دخلت معه الى صالة العمليات ، واستقرت إذ رأيت فيها طاولتين للعمليات ويعمل عليهما جراحان في آن واحد ، مع اعتبار ان تكون احدهما على الاكثر العمليات الصفرى والثانية للعمليات الكبرى . كان عمله في قلع الرحم على طريقة فرتايم قد أجتذبت انتباهي باعجاب ، فقد قلع الرحم وملحقاته وأنسجة الحوض بما فيها الغدد كتلة واحدة لا قطعاً ، وحين فرش هذه الاعضاء

بعد انتهائه من العملية على ورق ( مشمع ) فكانه قد رسم عليها محتويات الرحم التي لم تمسها يد ولا سكين .

وفي اليوم الثاني حضرت معه في العيادة الخارجية لفحص بعضهم المريضات بالآلة ( الكلبو سكوب ) ، ونصحتني وهو يربط أجزاء هذه الآلة بعضها ببعض أن أشتري واحدة منها ، وزودني بعنوان الشركة التي تصنعها ، فاشتريت واحدة منها وحملتها معي إلى بغداد .

وعلى مائدة الشاي في العيادة الخارجية التي حضرته رئيسة المرضات ومساعداه صار يتكلم عن سرطانات عنق الرحم في فيينا وقال فيما قال :

- أن هذا المرض يكثر في فيينا بشكل ملحوظ ، حتى في صغيرات العمر ، وأنه قد يكون له علاقة بممارسة الجنس في عمر مبكر ، كما أن المرأة الغيبينية تفتسل قبل العلاقة الجنسية لا بعدها . كذلك فإن المرأة النمساوية كثيراً ما تهمل نظافة اعضائها ، ( وأضاف ) وقد انتبه إلى هذه الاحتمالات كبار الأطباء الألمان فاهتموا باكتشاف هذا المرض الخبيث قبل أن يستفحل ، وظهور الدم بعد العلاقة الجنسية علامة نعتها متأخرة ويجب أن يكتشف المرض قبل ظهورها . ( واستمر يقول ) أن أول من اهتم بفحص عنق الرحم مخبرياً هو ( هانسلمان ) ويرجع إليه الفضل في تطوير فكرته لتصميم آلة الكلبو سكوب ، وتلاه ( شلر ) باستعمال صبغة اليود التي لا تلون المكنات التي تهرأت بفعل الورم . أما ( شاوته ) وفرتايم فهما متعاصران وقد جاءا في زمن متأخر . ( ثم قال تاسلو ) : نلاحظ أن جميع من اشتغل بموضوع السرطان كانوا من الجنس الألماني

كان تاسلو انطوان شخصاً فاضلاً وسخياً في تعليم من يلتحق به من العلماء والمتعلمين .

وفي آخر ساعة من تناول الشاي دعوته لزيارة كلية بغداد والتحدث إلى طلابها عن أعماله في معالجة السرطان ، فوصل بغداد بعد شهر

تقريباً . وكانت محاضراته في قاعة الزهراوي بكلية الطب ، وهو محاضر كفؤ ويشد السامع ويعد باحثاً في الجراحة النسائية على المستوى العالمي



## حديث مع شيوعي في فيينا / ١٩٥٩

متى رأيت هذا الرجل واين ؟ لابد ان ذلك كان بعيداً منذ زمن بعيد وفي مكان بعيد عن بغداد ، هيئة غريبة غير شرمية ، هل هو احد الممثلين الذين اراهم من التلفزيون فأتوقع بمعرفتي بهم ؟ كنت أتطلع الى ما وراء زجاجة واسعة تسد واجهة حائوت كبير حين رأيت ظله فيها الى جانبي ، ونقل قدميه ليكون قريباً مني ، ونظر الى عن قرب ، ثم عاد ينطلق الى ما وراء زجاجة النافذة ، وعرفت انه كان يشغل باله بأمرى . كان لباسه من الخاكي ويضع على رأسه قبعة من القش بلون التبني ، وفاجئني بقول :  
- انت لست من فيينا ، اليس كذلك ؟

قالها بانكليزية ركيكة .

- لا ، أنا لست من فيينا

ورد عليّ بما يشبه الزهو

- ها انت ثري انني لم أخطيء في قوميتك ؛ من مصر ؟

- لا من بغداد العراق

وآدار جسمه الضخم نحوي حتى صار قبالي ، وقال :

- أنا كنت في العراق .

وقلت في نفسي ، إذن انني رأيته في بغداد ، غير انه عاجلني يقول :

- كنت في بغداد يوم إنحسر الوجود التركي بعد معركة خليل باشا في

الكوت سنة ١٩١٧ ، وكنت احد الذين اسرهم الانكليز في سلمان باك .

وعدت الى نفسي لانفي ان اكون قد رأيته من ذلك الزمان ولم اكن يومئذ إلا

طفلاً صغيراً ، ومع ذلك نمت عندي رغبة في التحدث اليه عن بغداد في تلك

الايام . فاذا هو يبادرني اليها ويذكر لي يوم افتتاح شارع خليل باشا

( شارع الرشيد اليوم ) وقد سارت عليه أول سيارة تدخل العراق وهي

تقل الوالي خليل باشا ، كما ذكر الجسر الذي يربط بين صوبي بغداد وهو

محمول على قوارب تغوص في ماء دجلة ثم ترتفع بحسب الاثقال التي تمر

فوقه . وحول هذا الرجل حديثه لينكلم عن فيينا والحياة فيها ، قال :

- انا وانت تتطلع بحسرة الى هذه الملابس المعروضة في هذه النافذة دون ان

تكون لنا القدرة على شرائها ، أنها غالية ولا يشتريها إلا المنحومون

بالغنى . ( ثم اريف قائلاً )

- هذا هو بلدنا ، انه يمشي الى الدمار والخراب ليعيش على حطامه فله من البشر الذين لا يستحقون الحياة . .

وقادني من يدي الى ركن في الشارع ووقف على مدخل الرقاق الذي سقذ اليه

- انظر الى ذلك البناء ، هل تراه ؟ انه على الجهة اليمنى ، انه مستشفى للأطفال ، وهو اكبر مستشفى في قينا بهذا الاختصاص ، اليس الأجدر ان يبنى هذا المستشفى على قمة ( كالنبرك ) عوضا عن ان يقام في وسط قينا ؟ يجب ان يكون هذا المستشفى على قمة ( كالنبرك ) واللاهون والمقامرون في كازينوات كالنبرك يجب خنقهم في هذا البناء وسط زفير قينا ، ومزّ بنا رجل بهيئة عامل يتسكع ، فاوقفه صاحبي ، وطلب منه سيكارة ثم التفت الى وقال عن هذا الرجل

- انه مثلي من الكادحين ، ومصيبتنا واحدة . وعزمت ان أفارقه بعد ان غدوت لا استطيع مجاراة افكاره وتبليبلها ، وتوقفت بعد ان انضمت اليه فتاة في اول صباها ، وقدمتي اليها بالالمانية ، وكانت تحمل بيدها صندوقا أسود طويلاً ، أشار اليه صاحبي بقول :

- هذا هو مصدر معيشتها ، ولو حرمت منها فقدت الحياة ، انها كادحة مثلي ، تعمل عازفة كمان في صالة ( موزارت ) ، هذا الكمان هو حياتها ومصدر معيشتها وسألته

- وانت ماذا تشتغل ياسيدي ؟

- ليس في هذا البلد شغل

- كيف تعيش ؟

- هذا هو سؤال حكومتى ، انت الآن تشبه حكومتنا ، فهي لا تسألني عما احتاجه ، بل تسألني عما أعمله ، سؤال سخيف ، فهي نعرف اني أنا وكثيرين امثالي لاشغل لنا اشتغل لنفسك

- ليس في قينا شغل لي ولا مثالي ، بل هو للناعمين المترفين وراء مناضد دوائرهم الضخمة .

وفارقت هذا الرجل دون اعتبار لما تفرضه اللباقه في توديعه

## في احد متاحف فيينا / ١٩٥٩

في يوم ١٢ / ٢ / ١٩٥٩ اقترح على الدكتور اسماعيل ناصري ان يزور متحفا كان ( كما علمت من صديقي اسماعيل ) في الاصل بيت احد البارونات النمساويين . وكان صديقي اسماعيل يسكن فينا إثر خلاف وقع بينه وبين وزير ارضه محمد الشواف ، وكان وجود هذا الصديق الحبيب في فينا ما جعلني أشعر بكثير من الاطمئنان والفرح لمصاحبتة والبيت الذي مصادناه قصر منيف بخاصة وفي وسط ارضه حديقة لم تكن كغيره بالنسبة لضخامة ذلك البيت . وفي الحديقة مقهى تقدم فيه المشروبات بانواعها وبعض المأكولات الخفيفة . واحذت طاولة مربعة من المدخل الى هذه الحديقة . وكانت اكثر كراسي هذا المقهى مشغولة بالسياح من مختلف الجنسيات . ولاحظنا ان شخصا بلباس منمى يمر على من في المنى ويترى . محارقات منه ليرورا حمر هذا البيت وفاعانه . وحذوا حذو هؤلاء وقمنا مع ثمانية اخرين نبع الرجل ذا اللباس المتميز . وسرعان ما عرفنا ان هذا الرجل هو دليل هذا البيت العظيم . وبعد ان ارانا الطابق الارضى بما فيه من قاعة كبيرة للاستقبال ، مكتبة ، وحجرة خاصة بالاجتماعات المهمة . وجميعها مزينة بالصور الزينية الثمينة . تبعنا الدليل الى الطابق الاعلى . وفيه زهاء ثمان غرف للنوم وصالون خاص للاجتماعات السلية . وعندما كان الدليل يفودنا الى هذه الفضاءات . توقف عند ممر ينتهي بساحة يدخل منها الضياء لانه . وكان على كل واحد من الجدران القريبين من النافذة صورة نصت الصورة الاولى رأس فارس وتمثل الثانية قنطرة فوق ترعة ماء . والى من راس ان الجدران الاسير من القنطرة هو المصء فيجب ان يكون هو الذى يقع عليه النور أكثر من الجانب الاخر . . وهكذا في صورة الفارس . . فتشجعت وقلت للدليل .

.. عفوا . أرى ان هاتين الصورتين يجب ان تكون احدهما في مكان الاخرى .

فسألني باستغراب

.. ماذا تقصد ياسيدي ؟

ماحدثه

- أعني يجب ان توضع هذه الصورة مكان قلب ، وتلك الصورة في مكان هذه .

فقال مستغرباً ايضاً :

- وما الفرق ؟

نقلت له :

- ان هذا الفارس ينظر الى الحائط بينما اذا نقل الى مكان الصورة الثانية فانه ينظرته يستقبل المتفرجين ، كما ان جانب الفارس المضيء يقابل الجانب الآخر المظلم من الزاوية . وما كدت انتهي من توضيحاتي حتى قال لي الدليل

- ان هذا الأمر لا يخصني يا سيدي

وبهذا انتهى حديثنا عن الصورتين . ولما انتهت زيارتنا لجوانب المتحف كلها عدنا الى حديقته في إنظار زوجة انطوان تاسلر التي طلبت منا ان نكون في الحديقة في وقت عينته لنا . وفيما كانت مدام تاسلر انطوان تسمع مني رأيي في موضوع الصورتين تقدم منا شخص ذو قباعة وملابس متميزة ، عرفت من سيماؤه وملابسه المصيرة انه أحد موظفي هذا المتحف ، قال لي :

- تسمح لي يا سيدي ان اجلس معكم

قليلاً له :

- تفضل

وافسحنا له مكاناً بيننا على الطاولة ، واردنا ان نضيفه بشارب فاعتذر شاكراً . وهو يقول لي :

- انا مدير هذا المتحف ، وقد أخبرني الدليل انكم أبديتم ملاحظة عن وضع الصورتين في بهو الاميرات ، اليس كذلك ؟

فاجبته

- نعم أنا الذي ذكرت تلك الملاحظة

فقال :

- انت مصيب يا سيدي ، وحين أخبرني الدليل عن ملاحظتكم أسرع فوراً لأرى الصورتين ، فاذا الخطأ في وضعهما واضح جداً فأبدلت موضع الواحدة منهما بموضع الأخرى بيدي وقد ارتكبت ذلك الخطأ العاملة المسؤولة عن تنظيف الصور والاثاث ، وتستطيع ان تراهما الآن في الوضع

الصحيح لكل منهما .

تم شد على يدي بامتنان وتقدير على ملاحظتي التي ذكرتها لاندل  
المحف الوطني . وخرجنا من هذا المحف فاصدس ( اسارب ) اردس  
على اطراف قينا . أما مدام تاسلو انطوان فغالب لي وهي نردعني  
- سأنقل حكاية الخطأ في وضع الصور من اى ناسلر وهو بهذه كندرا في  
وضع الصور في امكنها الصحيحة ، وفارقني

### الى البارک الوطني / ومثلان من الانسانية والرحمة :

كان علينا لنصل الى هذا البارک الوطني المشهور في قينا ان نسنقل  
قطارا الى محطة فريية منه . وفي طرفنا الى كراج سيارات الباص التي  
تصل الى محطة القطار تهنا في الوصول اليها ، فالدجانا الى حانوت صغير  
كان وحيدا في منطقته ، وكان في قعره رجل عجوز فتقدم منا حين وقفنا على  
باب دكانه نسأله عن أقصر طريق الى محطة القطار الذي يصل البارک  
الوطني ، وقد سألته بالانكليزية لأنني لا أعرف لغته الألمانية ، وبدا لي ان  
معرفته بالانكليزية كانت محدودة فحاول جاهدا ان يدلنا بلغته الى  
الطريق الذي يجب ان نسلكه لنصل الى محطة سيارات الباص التي  
تنقلنا الى محطة القطار ، غير أننا لم نفهم منه إلا بعض الكلمات التي لم  
تفدنا لمعرفة الطريق . وكدنا نغادر الرجل بلا نتيجة ، غير ان هذا الرجل  
أوقفنا برجاء وخرج من دكانه ومهمنا من كلامه انه يريد ان نتبعه .  
وتقدمنا فاذا هو يمشى ببطء وعناء برجلين مصطنعين يتبعه في كل خطوة  
يخطوها صرير معدني لم يرتج لسماعة شفقه بالرجل ، وكدنا نقول لهذا  
العجوز الطيب ان يكتفي بهذا القدر من مصاحبتنا . وأننا عرفنا الان  
طريقنا الى محطة الباص . . غير انه أدرك على ما يبدو أننا قلنا ذلك  
رحمة به من الصعوبة التي يسببها المشي ، فقال لنا قبل ان نعرض عليه  
ما اردناه .

فقال لنا قبل ان نعرض عليه ما اردناه

- لا بأس ياسادة ، فان رجلي تثيران الضوضاء دون ان تسببا . لي الماء ،  
انها كالكلب الكثير النباح وهو مربوط الى شجرة ، فلندعها تصر وننبح فلا  
ضرر من ذلك . واستمر الرجل يمشي حتى بدت لنا محطة سيارات الباص

في المنعطف الذي كان قريباً منا ، فقال لنا هذا الرجل الطيب :  
- ها هي المحطة ، والآن اسنطيع ان اترككم لاعداد الى دكاني .  
غادرنا هذا الشيخ الكريم وكذا ، اذ ان تسمح عزيز وجليله المعدنية  
حتى غاب عن ماضى في منعطف الطريق ان هذا الرجل انسان بامعنى  
الحقيقي .

وركبنا القطار الى البارك الوطني ، ولم نجد لافتة باسمه عند  
مدخله الواسع . فاذا هو أشبه بالغابة الواسعة وباشجار عالية على مدى  
البصر ، وبني هذه الاشجار مجموعات من الناس شتى الاعمار وجميعهم  
يتدشرون باردية ثقيلة ، ويلبسون الاحذية الصويلة الرفاق لشده البرد  
والصقيع الذي يغطي الارض وقمم الاشجار . كما لاحظت كثيراً من  
الاعمدة الخشبية معموسة في تلؤل الثلج وفي أعلاها ما يشبه الكوخ  
الصغير والى جانبه سلة مليئة بانواع الحبوب وفتات الخبز وأوراق الحصر  
المفرومة وقد وضعتها الدولة غذاء لطيور هذا البارك في فصل الشتاء حين  
لا يكون لهذا الغذاء اثر على الارض اني تغطيها الثلوج . وتساءلت مع  
صديقي اسماعيل فيما يحدث لهذه الطيور اذا نفذ قوتها بعد أيام .  
وجاءني الجواب تلقائياً حين رأينا الكثير ممن في هذا البارك يحملون  
اكياس الورق مملوءة بعلف الطيور ويوزعونها على السلال المثبتة الى  
جانب اعشاشها الكوخية الشكل

ما اروع هذا الحس الانساني في توفير القوت لطيور الغاب ، وفي بلاد  
أخرى يصوت الانسان من الامراض والجوع .

### حكاية واقعية ونظيرة لها موضوع / ١٩٥٧

رأيت في أحد حوانيت ( امستردام ) قطعتين من الكهرب مصنوعتين  
في معدن رخيص يمكن ان يصنع منهما زران لكمي قميص . وقد اعجبني  
في قطعتي الكهرباء وحوود جزء من رجل ذبابة في احدى القطعتين ، وقطعة  
من جناح ذبابة في القطعة الاخرى ، فاشتريتهما لاصوغ منهما في بغداد  
زران بالذهب . وأجاد الصائغ ( أرتين ) صياغتهما كما اردت ، فكانا مما  
صرت اتباهى بكشفه بين اهلي واصدقائي . وفي اليوم الذي وضعتهما في

كمي قميصي كانت كلية الطب قد أعدت لزيارتها الاستاذ ( تاسلو انطوان ) استاذ الامراض النسوية في جامعة فينا ، حفلة عشاء في ( مطعم المطعم ) بمنطقة العلوية . وصرت وأنا أجلس الى جانب الضيف الزائر على مائدة العشاء ، أتعمد الكشف عن طرفي كمي قميصي ليراهما الضيف تاسلو ، وغيره من المدعوين الى هذه المائدة فأشير الى جزئي الحشرتين فيهما ، غير انهم لم ينتبهوا لها مع الاسف مع اني كنت انا دائم النظر اليها بتباه متعمداً ان اجلب نظرهم لها . وانتهت ساعات الدعوة . وانحدرنا من خلال سلم المطعم الطويل الى الشارع لاحمل بسيارتي تاسلو انطوان الى ( فندق بغداد ) حيث يقيم ضيفاً على كلية الطب . وأحسست وأنا أودعه على مدخل الفندق ان كم قميصي الايسر يهدل على معصمي اكثر من المعتاد ، وتلمسته فاذا طرف الزر الذي يحمل قطعة الكهرب قد سقط عن مكانه في الزر ، ولم اكن قد تمتعت به اكثر من ساعات قليلة فأسفت لفقده ، وحنقت على الصائغ ( أرتين ) الذي لم يحسن تثبيته . وكنت متاكداً من انه كان في كم قميصي ساعات وجودي في المطعم ، فقررت باحتمال كبير انه سقط من الزر حين كنت في المطعم أو سقط وأنا انزل درجات سلمه الى الشارع العام ، أو سقط في سيارتي بعد ذلك . فعدت ادراجي الى المطعم وصعدت درجاته وأنا أبحر بتدقيق في كل واحدة منها . ثم توجهت الى صاحب المطعم ( شوكت زيباري ) ورجوته ان يطلب ممن في مطعمه من العاملين ان يفتشوا عن قطعة الكهرباء . وهدية لمن يجدها . عشرة دنائير . وعدت الى بيتي وأنا مشغول البال بأمل ان يجده واحد من عمال المطعم . ونمت في تلك الليلة وأنا انتظر بفارغ الصبر طلوع النهار لانه لاناذهب الى المطعم على أمل ان يكون احد العاملين قد وجد تلك القطعة من الكهرباء ، ولكن الامل لم يتحقق ، فذهبت الى الصائغ أرتين وأنا استشيظ غضباً عليه ، ورميت على منضدته الصغيرة التي يجلس وراءها ما بقي من الزر في كم قميصي وأنا اقول له بجفاف . - أنظر الى هذا من الزر وستعرف ما عملته معي .

وشد ما كانت دهشتي حين أهمل النظر الى ذلك الجزء وهو يسحب درجاً صغيراً تحت سطح منضدته ، وأخرج منه الجزء الذي ثبتت فيه قطعة الكهرباء ، فاشغلني الفرغ باستعادته عن سؤاله : كيف حصل هذا فقال لي قبل ان اسأله عن ذلك

- قبل نصف ساعة تقريباً أو أقل دخل حائوتي رجل فقير الحال ، ويده هذا الجزء من الزر وسألني : تشتري ؟ وعرفت هذا الجزء حالاً ، فسألته بكم ؟ فأجابني بدينار ، فقلت له : بنصف دينار فقال لي : هات ، فبذنته المبلغ وأخذت هذا الجزء منه ، وضحك ارتين وضحكت معه لغرابة ما حدث ، واعد ارتين صياغة الزر مرة أخرى ، وسألته عن أجرته فأجابني : لقد اضحككتني غرابة الصدفة وهذه هي اجرتي وقد دفعت لي مقدماً وقد حكيت هذا الحادث لنسيبي الدكتور ( مظفر الزهاوي ) ، وهو صاحب نكته ومبتدع للفكاهة لا يبارى ، فقال لي :

- لا تفرح يا هذا وانتظرا

وقص علي الحكاية الآتية . قال :

- دعا الوزير الاول سيده الخليفة الى تناول السمك على شاطئ جزيرة صغيرة في وسط دجلة ، وبينما كان القارب يبحر في النهر إستساغ الخليفة ان يمد يده في النهر ، فسقط خاتم الخلافة من إصبعه وابتلعه الماء . ، فنضب الخليفة على الوزير وعد دعوته اساس ضياع الخاتم من اصبعه ، وتوقع ان يوقع به أشد العقاب وربما قطع رقبته . وحدثت المصادفة إذ كان أحد صيادي السمك قد اصطاد في تلك اللحظات سمكة كبيرة وفتح بطنها لشئها للخليفة فوجد في جوفها خاتم الخلافة فأخذه الى الوزير الاول ليحمله الى سيده الخليفة فكان فرحه بذلك عظيماً ، كما نجا الوزير الاول من عقاب الخليفة . غير ان ذلك لم يفرحه كثيراً فعاد الى بيته وعلى وجهه إمارات اليأس من حياته ، واستجوبته زوجته عن سبب ذلك فقص عليها قصة سقوط خاتم الخلافة في النهر والعثور عليه في بطن سمكة ، وسألته زوجته

- وما في ذلك يا رجل ؟

فأجابها

- سقوط الخاتم في النهر بسببي كاد يوصلني الى المشنقة

فقال له زوجته :

- ولكن الخاتم قد استعيد الى الخليفة

فقال :

- وتلك هي التي أخافها .



فخلاصي من حبل المشنقة كان بهذه المصادفة الغريبة قد يتلوه بلاء كبير . وبعد أيام اخطأ الوزير الاول فغضب عليه الخليفة واودعه الحبس على ان يقطع عنقه في يوم بعد غد . وعرف الحبس بيوم اعدامه فاشتبهى ان ياكل من لحم خروف محشي بالرز ، واعطى لسجانه ديناراً ذهبياً ليشتري له الخروف . ولعب الشيطان بعقل السجان ، فاستكثر الدينار على الوزير الذي سوف لا يعيش إلا يوماً آخر . وكان للسجان كلب هزيل فذبحه وحشاه بالرز وطبخه وقدمه للوزير السجين . وما كاد السجين يقبل على تناوله حتى شم رائحة غريبة ، وازدادت الرائحة نثناً حين تناول لقمة منه ، فدفع صحن الطعام عنه ، ونادى على السجان وقال له :  
- إصدقني يا رجل .، فان الذي طهوته لي ليس من لحم الضان فأجابه السجان الغادر بوقاحة :

- ايها الوزير المغفل ، انت ستعدم بعد يوم ، والدينار اثنان منك بالنسبة لي ، ولي كلب قذر هزيل ، فذبحته وطهوته على انه خروف .  
فاستدعى الوزير زوجته لتراه في سجنه وقال لها بوجهه ياش ، اسمعيني يا امرأة .  
- هيئى البيت لأكبر فرح يمكن ان يحدث في المدينة ، ولا تبخلي بالانفاق عليه .

وسأله زوجته متعجبة  
- ماذا تقول ؟ وقد علمت ان الخليفة أمر باعدامك يوم غد .  
فقال لها بعد ان قص عليها حكاية الكلب الذي طبخه السجان طعاماً له  
- ان سوء الحظ الذي أوصلني الى ان يغدر في السجان ، ويريد ان يطعمني من لحم كلب أجرب ، لابد ان ينهض ذلك الحظ كما نهض حين عثرنا على خاتم الخلافة في جوف سمكة .  
وفي صبيحة اليوم التالي افرج الخليفة عن الوزير وفي هذه الحكاية اكثر من مغزى .

## في بيت الاميرة بديعة ببيروت / ١٩٥٩

غادرت القاهرة بعد ان أمضيت فيها اسبوعاً بدعوة من الاستاذ على شعبان ، رئيس قسم النسائيات بمستشفى القصر العيني . وفي الساعة الرابعة كنت داخل الطائرة في طريقها الى بيروت ، وقد وصلتها بعد ساعة ونصف : وفي مطار هذه المدينة الانيق قابضني دون موعد سابق الشريف حسين زوج الاميرة بديعة وقد كان في استقبال أحد اصدقائه من العربية السعودية ، وهي أول مقابلة لي مع الشريف حسين بعد مغادرته بغداد إثر ثورة سنة ١٩٥٨ التي أطاحت بالحكم الملكي . وكان ترحيبه برؤيتي حاراً ، كما اني قابلته بحرارة والتخ على الشريف حسين أن اتناول الغداء في يوم غد بشقته بمنطقة الروشة . وفي يوم غد استقبلني على باب شقته والى جانبه زوجته الاميرة بديعة وقد ذوى وجهها الجميل غير ان وجهها النبيل ما زال في قمة عنفوانه . واجتذب نظري انها لم تكن ترتدي السواد ثم تذكرت حالاً ان هذا هو تقليد اهل نجد والحجاز عموماً وقد رأيت أهلها ساعة وفاة اختها الملكة عالية يرتدون ثياباً بيضاً لا سوداً .

واجتذبتني الاميرة اليها وهي تسألني بترحيب

- كيفك يا دكتور كمال ؟

وأجبتها :

- شكراً لك ياسيديتي الاميرة ، أنا بخير

- واهلك والاولاد ؟

- كلهم بخير والحمد لله .

ثم قالت :

- أنا وأبو علي ( تقصد زوجها الشريف حسين ) نذكرك في كثير من

المناسبات ، وقد فرحت بقبول دعوتنا الى بيتنا

فقلت لها :

- ياسيديتي الاميرة هذا هو الشرف الذي أترقبه .

قالت الاميرة لتثيرني الى التحدث معها .

- الجو في بغداد لا بد ان يكون طيباً في هذا الفصل فقلت لها مؤكداً :

- هذا كما تعلمين ، أطيب فصول السنة في بغداد .  
وسيت لو أنني لم اقل لها ( كما تعلمين ) ففي هذه العبارة عود  
الى ذكرى أيامها في بغداد في ظل ابن أختها الملك فيصل الثاني ، غير ان  
الأميرة على ما بدا لي لم تجرحها هذه العبارة وفي لحظة انفرجت دفئا  
مدخل الصالة ، وطلعت من بينهما خادمة ذات قيافة لائقة ونظيفة وشرعت  
ترفع سجادة صغيرة كانت ميسوطة على بلاط الصالة ، فقال لها الشريف  
حسين

- أتركها ، أريد ان يراها الدكتور كمال بك  
والتفتت الأميرة نحوي وقالت :  
- انا سمعت انك تعرف انواع السجاد  
فابتسمت بتواضع لأقول لها  
- أعرف عنها قليلا ، وربما لا أعرف منها إلا التي أحبها  
فقال الشريف حسين وهو يمد يده الى تلك السجادة  
- حسن ، رأيك في هذه ( الزولية ) ؟  
وقالت الأميرة لزوجها الشريف حسين وهي تبتسم  
- انت تريد تمتحن الدكتور !  
فقلت لها :

- انا أخاف الامتحانات ياسيديتي ، ولولا علمي الوافر في سني دراستي  
لرسبت في جميع ما استحضرتة للامتحان لا لسبب جهلي بمبادئها  
العلمية بل لفرعي مقدماً من احتمال الرسوب فيها . كانت هذه السجادة  
قديمة ، سداها من خيوط الحرير ، ولحمتها من الصوف النقي ، وكانت  
الوانها باهتة ولكنها متناسقة وناعمة على اللمس وعلى النظر ، فقلت  
للشريف حسين .

- ان هذه السجادة ممتازة .

وسألني :

- نوعها ؟

فقلت له :

- هذا هو الامتحان .

واردت ان اكسب وقتاً قبل الاجابة عن سؤاله ، فقلت وأنا أمر بحافة  
أصفر سبايتي اليمنى على سطح قفاها

- أقدر ان في الانج المربع الواحد بهذه الزولية ما يقرب من الاربعمئة عقدة

فقال الشريف حسين بتعجب لا يخلو من الانكار

- لا يا شيخ ، هذا غير ممكن

فقلت له :

- نعدّها .

وطلبت مكتبة وديوساً ومسطرة ، وبدأنا نحسب العقد على طول إنج واحد فإذا هي ثمانى عشرة عقدة ، اى كان في الانج المربع الواحد ثلاثمئة واربع وعشرون عقدة ، وهو رقم قريب مما ذكرته تخميناً . ودهش الشريف حسين لذلك

وعاد الشريف حسين يسألني

- لم تقل لي نوعها ؟

فأجيبته على الفور

- هذه اصفهانية

وصاحت الأميرة وكأنها هي التي نجحت في هذا الامتحان

- صح انها اصفهانية

وكانت تحت قدمي سجادة صغيرة أخرى استحوذت على اعجابي لحظة خفقت رأسي تواضعاً لاسنحسان الأميرة لمعرفتي بنوع تلك السجادة ، فحنيت ظهري لاتلمس ( خملها ) ثم اثنت ركبتى وتفحصت نسيجها وصوفها ، فقلت للشريف حسين

- وهذه السجادة تبريزية من الصنف الممتاز ( واضفت ) وهي لقدمها

أفضل واغلى ثمناً من سجادة الاصفهان . فاثرت بذلك اهتمام الأميرة

واهتمام الشريف بتمييز هذه السجادة على السجادة الأولى . فقلت لهما :

- ان الببريز الناعم اعلى صنفاً من جميع انواع ( الفرش ) الايراني .

فقال لي الشريف حسين :

- انت تتواضع ياكمال بك ، فمعلوماتك عن السجاد الايراني واسعة

فقلت له :

- في الفرش الايراني ما يزيد على الخمسين نوعاً ، ومن يشخص خمسها

يعد خبيراً في التمييز بين انواعها . وأنا لا اعرف اكثر من خمسة انواع .

وتشعب الحديث عن الفرش الايراني وانواعه والفن الرائع الذي فيه

فحضرتني عنه حكاية قرأتها منذ زمان في صحيفة الاوقات العرفانية التي كانت تصدر في بغداد باللغة الانكليزية . وملخصها ان سائحاً أوربياً دخل سوق ( الاطرقجية ) أيام الاحتلال البريطاني ، واشترى من دكان فيه سجادة صغيرة بخمسين روبية ، وأخرج من جيبه شريطاً أخضر وحزم به تلك السجادة ، وطلب من صاحب الدكان ان يبيعها في دكانه يومين يعود بعدها لياخذها بحجة انه مزعم السفر الى البصرة يعود بعدها الى بغداد في طريقه الى استنبول ؛ ولم ير صاحبه الدكان بأساً في ذلك فركنها في إحدى زوايا دكانه الصغير . وبعد يومين دخل رجل أوربي الى هذا الدكان لشراء سجادة . وعرض عليه صاحب الدكان قطعاً كثيرة مختلفة من السجاد فلم تعجبه واحدة منها . وكاد يغادر الدكان غير انه التفت الى السجادة المحزومة بالشريط الأخضر ، فطلب من صاحب الدكان ان يراها . فأجابته صاحب الدكان باختصار حاسم

- هذه السجادة مبيوعة
- اسمع لي ان أراها فقط
- مبيوعة
- أراها فقط يارجل
- وحل صاحب الدكان الشريط الذي حول تلك السجادة ، وبسطها على ارض الدكان . فدهش لها ذلك السائح الأوربي ، وابتدى لصاحب الدكان إعجابه العظيم بها ، وقال له :
- هذه هي السجادة التي أنا وراء شرائها ، هل عندك أختها ؟
- فأجابته صاحب الدكان
- هي ( تك ) لا أخت لها .
- وسأله الأوربي
- ويكم بعتها ؟
- بخمسين روبية
- انت تهزل يارجل
- بل هي الحقيقة
- فقال الأوربي
- أنا ادفع لها مائتي روبية

- ولكنني بعتها وانتهى الامر

فقال له الأوربي :

- لا بأس ، فإذا جاء الذي اشتراها بياخذها منك فأخبره ان هناك مشنر لها ويدفع مائتي روبية ، وسوف اعود اليك بعد يومين لتطلعني على رايه وفي اليوم الثاني كان الأوربي الاول على باب ذلك الدكان ، فأخبره صاحب الدكان بما عرض عليه السائح الأوربي الآخر شراء هذه السجادة ، و اضاف يقول :

- انها صفقة مربحة ، نصفها لك ونصفها لي

ووافق الأوربي على بيعها ، ولكنه استدرك يقول لصاحب الدكان - إذ انني اليوم مساءً استقل القطار الى استنبول ، فأعطني الخمسين روبية التي أعطيتها لك ، وأعطني مائة روبية التي هي ما سيدفعه لك ذلك المشتري ، فإذا عاد فخذ منه المائتين روبية ، وفعل صاحب الدكان بما قاله هذا الأوربي معتقداً انه ناع سجادته بهذه الصفقة بمائة روبية . غير ان ذلك الأوربي الآخر لم يعد الى دكانه في اليوم الثاني ولا في اي يوم بعد ذلك . وحينئذ فطن صاحب الدكان العبيط ان اسانحين الأوربيين 'حتالاً عليه بالاتفاق . وضحكت الأميرة ، وزوجها الشريف من شطارة الأوربي وسذاجة بائع السجاد . ونهضنا الى مائدة الغداء ومررنا بجدار حائلي غلفت عليه صور جميع أفراد عائلتها الذين قتلوا في باحة قصر الرحاب يوم ثورة ١٩٥٨

وكانت على مائدة الغداء اطييب المأكولات وعصاير المواكه . وحين عدنا الى الصالة قالت الأميرة تخاطب زوجها - اترككم الآن لتتحدثوا بما تريدون ( والتفتت نحوي وقالت ) اسمح لي

يادكتور ، وأرجو ان تزورنا مرة أخرى

## معالجة راهبة بعملية جراحية / ١٩٥٩

في عصر يوم ٣ شباط كلمتني تلفونياً رئيسة ممرضات مستشفى سانت روفائيل المشهور في بغداد باسم مستشفى الراهبات ، وطلبت مني ان احضر لفحص احدى راهبات الدير الذي يدير شؤون هذا المستشفى . وكانت رئيسة راهبات مستشفى سانت روفائيل هذه التي استقبلتني احدى اولئك الراهبات بالردهة الاولى في المستشفى الملكي ، وقابلتني هذه الراهبة بعربية مفككة تسألني

- دكتور سامرائي ، تذكرني ؟

وانتظرت مني جواباً ، غير انني لم أذكرها ، فلم أجبها ، فقالت :

- انا اذكرك يوم كنت طالباً تتدرب في الردهة النسائية الاولى التي كان

يرأسها الاستاذ الوتري

فقلت لها وأنا غير واثق بدقة :

- تذكرت يا ( ماسير )

وكيف أتذكرها جيداً ، وقد تغيرت كثيراً ، ولم يبق فيها ما يدل على ذاتها قبل عشرين سنة يوم كانت بعمر لا يتجاوز الثلاثين ، فقد تغضن وجهها ونبت على خنكها بعض الشعر فاخفى هذا التبدل جل معالمها الاولى سوي ظواهر اثوابها البيضاء الفضفاضة وحفنة المقاتيح التي تتدلى بارتخاء من محزمها . قالت :

- أنا ( ماسير ) ماري !

وتذكرتها حينذاك بشكل أوضح ، كما تذكرت تعليقات صديقي كمال

نور الدين على انوثة هذه المرأة الحبيسة في الرهينة .

وسألتها عن مريضتها فاجابتني

- المريضة من راهبات هذا الدير ، وهي فرنسية بعمر الثلاثين ، وهي تعمل

في مستشفى سانت روفائيل منذ تسع سنوات ، ومنذ سنوات صارت تشكو

من الام في بطنها السفلى ، غير ان هذه الام اشتدت في الاسابيع الاخيرة .

وفي صباح هذا اليوم شعرت فجأة بالحم في بطنها واغمى عليها :

وكانت ماسير ماري تتكلم بينما كنت أنا أتساءل مع نفسي : كيف افحص

هذه الراهبة المريضة وهي لا بد باكر ؟ وجاء الجواب على هذا السؤال

تلقائياً من ماسير ماري

- إنها دخلت الدير في عمر مبكر جداً من حياتها

ولم يكفني هذا الجواب فسألتها

- وهل من الممكن فحصها كما يجب ؟

ويبدو ان الماسير ادركت غرضي من هذا السؤال ، فأجابتنني حلاً

- طبعاً يا دكتور سامرائي ، اذا كان ذلك ضرورياً لتشخيص مرضها ( ثم

اردفت ) شيء آخر لا بد ان اذكره لك مقدماً وهو أننا في الدير قررنا بعد ان

تسعف حالتها الراهنة ان نعيدها الى باريس لاكمال علاجها اذا لم يكن

هناك سبب طبي يعارض ذلك .

- فقلت لها :

- لأراها أولاً

وحين دخلت مع ماسير ماري محدد المريضة ، رأيته مستلقية على

سرير متواضع في الركن الايسر من الغرفة ، وعلى الركن الايمن سرير آخر

عليه اغطية قد سويت بدقة . وكانت الراهبة المريض باهتة السحنة .

وذات انف مدبب وعينين زرقاوين ، وينحدر على صدغيها شعر رأسها

الذهبي اللون .

كما ينبت على شفتها العليا قليل من الشعر الناعم . وسألتها بعد ان

بدأت معها بالتحية اللائقة .

- تعرفين اللغة العربية

فأجابتنني تقول

- استطيع ان افهمك يا دكتور

فقلت لها :

- وانا أرجو ان أفهمك حين تتكلمين بالعربية ، فأنا لا اعرف اللغة

الفرنسية

ثم قلت لها :

- زودتني ماسير ماري بمعلومات قيمة عن حالتك الصحية واعدتها

صحيحة وقاطعة ، فلا حاجة ان ازعجك بتكرارها منك ، وانما اريد ان

اعرف منك اين شعرت بالالام الشديد اول مرة ، وكيف كان : متناوباً أم

يدوم مدة طويلة ؟ واشيرى رجاء على موضع لام باصبع واحد لا بكل



أصابك رحاء

• فمدت سبابتها اليمنى الى موضع في الجانب الايمن الاعنى من منطقة العانة ، ثم حولت إصبعها الى الجهة اليمنى وسألتها :

- وهل بدأت بالجانب الايمن لانه اقرب الى سبابتك اليمنى أم لان الألم في هذه الناحية أشد منه في الجهة اليسرى ؟  
فاجابتنى

- بل هو اشد كثيراً في اليمنى ، 'نما اشعر - متلاء يضابقني في الجانب الايسر من بطني

وسألتها وماذا عن العادة الشهرية ؟  
فقالت :

- اعتيادية ولم اشك منها قبلاً . أما الألم فلم يكن يصاحبها الا في السنة الاخيرة أو حوالى ذلك .

وسألتها بتردد وليونة

- لابد ان افحصك عن طريق المقعد ، ان سمحت

ولم اسمع منها جواباً ، بل انها سرعان ما مدت يديها لتخلع سروالها الى أسفل ، وهذا يكفيني دلالة على انها لاتمانع من الفحص المقعدي . فلمست بهذا الفحص كتلة لينة في الجانب الايسر من الحوض وكتلة اصغر إلا انها أصلب ملمساً في الجانب الايمن ، كلاهما في موضع ملحقات الرحم . فبدأ لي تشخيص ورم ( الاندوميترىوسس ) واضحاً . فشرحت الحالة للمريضة بحضور ماسير ماري وقلت لها فيما قلت انها تحتاج لمعالجتها عملية جراحية عن طريق البطن ؛ وكانت المريضة تنصت الى باهتمام ثم قالت لي بانقياد :

- إبحث الموضوع مع الأم ماري ( تقصد الماسير ماري )

وانحدرت أنا والماسير الى مكتبها في الطابق الارضي ، وكتبت فحصى وملاحظاتى وتشخيص المرض في استمارة المريض . وقالت لي الماسير وأنا انصرف من الدير انها ستبرق الى الدير الرئيس في باريس وتهيأها للسفر بعد الحصول على رد من باريس . وفي اليوم الثاني ظهرأ كلمتني الماسير ماري تلفونياً تقول :

- ان المريضة تطلب معالجتها في بغداد ، وبإيدك بالتخصيص ، وقد ابرقنا الى باريس بذلك فكان جوابهم ان نحترم ارادة المريضة ، فقلت لها :

- طالما أحيل أمرها الى قنيكن معلوما مسبقاً اني افضل ان تكون العملية بمستشفى السامرائي لابيستشفاكم ، كما يحسن اني سأضطر الى قلع الرحم وملحقاته مضافاً عن قلع الورم ، وكل ذلك مرهون بما سأجده في الجوف الحوضي بعد فتح البطن  
فقلت لي الماسير :

- ان الراهبة تحت تصرفك فاعمل ما تراه مناسباً أو ضرورياً

وكان منظر أتراب المريضة من راهبات الدير وهن يرتكن بصوت خفيض الصلوات الى الرب والام العذراء ، حين نقلت الى المستشفى السامرائي - كان ذلك المنظر والسماع روحانياً ومؤثراً حقاً . كانت العملية مثل اي عمليات ( الاندوميوسس ) صعبة لشدة وكثرة ما يسببه هذا الورم من الالتصاقات بجدران الحوض ولقائف الامعاء ، وفصل هذه الالتصاقات هو الجزء المهم والخطر لاحتمال النزف الدموي الشديد وتثقب الامعاء .

وغادرت المريضة المستشفى بحالة جيدة في اليوم الرابع بعد العملية . وبعد ذلك رن حرس باب داري ، ومن خلال نافذة مكتنتي شاهدة سرياً من راهبات سانت روفائيل وفي مقدمتهم الراهبة الام ماسير تيريز ، وفي يد كل واحدة منهن رزمة مغلقة بورق هدايا . وحين خرجت توقفت قليلاً وصلين الى الله والعذراء ان يحفظ من في هذه الدار معاق وسعيداً . وقبل ان يأخذن مقاعدهن على كراسي صالون داري وضعت كل واحدة منهما ما تحمله في يدها على المنضدة التي في وسط الصالة . وجرى الحديث معهن مقتضياً ولم يخرج عن حقل الطب وادب الطبيب . وبعد ان انصرفن من داري فتحت المجلدات التي جئن بها الى ، فاذا هي حاملة من المحارم الرجالية والنسائية ، واغطية وسائد وموائد من صنع ايديهن على زاوية منها الحرف الاول من اسمي واسم زوجتي .  
لقد هزت هذه الهدايا عواطفني إذ هي من نوات طاهرة وقالب نذرت لخدمة الدين والانسانية .

## بداية لم أتمن لها نهاية / ١٩٥٩

بين الردهة العاشرة والحادية عشرة منحدر قصير متدرج يوصل بين الردهتين ، وعلى يمين هذا المنحدر مطبخ صغير لاعداد صحون الطعام لتوزيعها على مرضى الردهتين . وكانت المسؤولة عن العمل بهذا المطبخ امرأة سوداء ، المولد ، حلوة الملامح اسمها ( نجمة ) ، وهي مؤدية وتحسن التصرف مع المرضى ومن يخدمهم من الردهتين .

وفي يوم رأيت بصحبتي فتاة لم تنته بعد من المقد الثاني من عمرها ؛ عسلية البشرة ممشوقة البدن وذات عينيْن ناطقتين بطراوة العمر . لقد كانت ( مولدة ) ولكنها بدت أجمل من أية امرأة بيضاء . وسألت نجمة عن تكون هذه الصبية حين رأيتهما تساعداه في جمع الصحون الفارغة من طاولات مرضى الردهة الحادية عشرة لاعادتها الى المطبخ ، فأجابتنني وعلى شفتيها ابتسامة الفخر :

- هي أبنتي .

فقلت لها :

- الله يحفظها

ولا شك ان نجمة قد عرفت انني اتما أقصد بهذا الدعاء لشبابها الغض الجميل ، وسألتها :

- في المدرسة ؟

- في الصف الثاني من كلية التحرير .

فأعجبت بجوابها واکبرت أمها نجمة على اهتمامها بتنقيف ابنتها وهي عاملة أمية تعمل بكد للقمة العيش ، وسألتها

- اسمها ؟

فأجابتنني

- اسمها ( أضواء )

- اسم على مسمى

قلت ذلك وأنا أعنيه

ولم أر بعد ذلك أضواء في اي الردهتين ولا في المطبخ ، وكنت أتوق

لرؤيتها كلما عبرت المسلك المنحدر الذي يربط بين الردهتين ! فانظر بزاوية عيني لارى فيما اذا كانت أضواء في داخله ، ولم تكن هناك في اي من الايام بعد ذلك . وبعد ثلاث سنوات اي في سنة ١٩٥٩ واذا أضواء تدخل عيادتي التي كانت فوق مطعم شريف وحذاء ، على مدخل حسر فيصل الثاني من جانب الرصافة ، وكان مع أضواء رجل اكبر منها عمراً بسنوات ، أسود البشرة ، غليظ الملامح وبانف كبير وشفة ضخمة متدلّية ، وقلت مستفهماً عن هويتها بفرح

- أضواء ؟

- نعم أستاذ ، أنا أضواء ( وابتسمت وقلت ) انت لم تنسني . وسألنها

وأنا أحول نظري عنها الى الرجل الذي بصحبتها

- أبوك ؟

وضحكت ولم تجبني

فقال ذلك الرجل

- أنا زوجها حسان

فقلت وأنا اداري خجلي من الخضا الذي وقعت فيه

- اهلاً بك يا حسان ( وأضفت ) أضواء بنتي ، وهي وأمها نجمة من

أطبيب الناس الذين عرفتهم في قسم النسائيات بالمستشفى الملكي

فقلت لي أضواء :

- أنا وأمي نذكرك دائماً يا أستاذ

فقلت لها :

- أنا لم أرك في هذا الردهة إلا مرة واحدة فقلت :

- كنت أذهب مع أُمي الى المستشفى مرتين في الاسبوع . لأساعدها في

غسل الصحون ، وكانت توصيني أن لا أخرج من المطبخ الى الردهتين .

وسألتها بهذه المناسبة

- كيف أمك الآن ؟

- تعبانة وطلعت تقاعد قبل سنة

وتدخل حسان فيما بيني وبين أضواء فقال :

- نجمة أم أضواء بنت عمي

وسأله عن عمله فأجابني

- سائق وفيترجي  
وتيقظت لواجبي نحو أضواء فسالتها  
- اي خدمة ؟ حامل ؟  
فاجابتنى بحياء مكبوت  
- لا ، ولكن هو يريد ( تقصد حسان يريد )  
وسالتها  
- ومتى تزوجتما ؟  
فاجابتنى  
- قبل اربعة أشهر  
فقلت لها :  
- وما العجلة يا أضواء ؟  
ف قالت لي :- قل له ( تقصد ان أقول لزوجها لا ضرورة للحبل المبكر )  
فاجابني زوجها حسان :  
- أمي تريد ، وأنا وحيدها  
وضحكنا ثلاثتنا : أضواء وحسان وأنا  
وصدمني شعور ثقيل في صدري ، وأنا امتنع عن فحص المريضات  
اللاتي يقربنني نسباً ، واتجنب ما استطعت ان أفحص المرأة التي  
استلطفها ، مع اني لا ارى المريضة اثناء الفحص كأنني أتعامل مع  
رجل . إذن كيف أفحص أضواء تلك الصبية التي كنت أقصد بلهفة  
وباهتمام رؤيتها في احدى ردهتي الامراض النسائية . فوجدت الحيلة  
لاتجنب فحصها ولو الى حين فقلت لزوجها  
- أنا لا افحص الزوجة عن الحبل إلا بعد ان يفحص زوجها ( مادته ) في  
احد المختبرات . وغادرت أضواء وزوجها حسان عيادتي ولم يعودا الى  
بالتحليل الذي طلبته . وبعد شهرين تقريباً دخلت الى عيادتي أضواء  
بصحبة أمها نجمة . وكان كلاهما يلبسان ( السواد ) وعلى وجهيهما  
حزن دفين .  
وسالت أضواء :  
- ما الامر يا أضواء ولماذا تلبسين السواد ؟  
فاجابتنى والدمعة تترقرق بين جفنيها

- توفي حسان بحادث سيارة .  
وابديت أسفي وواسيت أضواء وأمها .  
- هذا قضاء لا مرد له ، وأنا لله وأنا اليه راجعون  
- هل تستطيع ان أقوم لكما بخدمة .  
وسكتما برهة ثم قالت أضواء  
- أنا حامل .  
وأدركت خطأ ماذا تريد مني فقلت لها قبل ان اسمع منها ما تريد  
- أياك يا أضواء ان تسقطي الحمل .  
فأجابتنني  
- لا يا استاذ ، فأنا اريد هذا الطفل باي ثمن ، انما أنا الآن اشكو من  
التعب والقيء  
فاكبرت هذه الفتاة ، وكنت قبلاً احب جمالها فصرت الآن مضلا على  
نلك احترامها واقدرها ، كما صرت انظر الى أمها نجمة التي ربتها على  
الادب والاخلاص بعين الاحترام .  
وغادرت أضواء عيادتي وهي تشكرني بغير ابتسام .

### حفار قبور / ١٩٥٩

الفقراء في علم الطب اكثر انجاءاً من الاغنياء لاسباب قد تكون من بينها  
كثرة الممارسة الجنسية ، ليس لهم هموم تشغلهم كما هي الحال في  
الطبقات الغنية . وكثيراً ما تدخل عيادتي مريضة وهي تسحب وراءها  
طفلين بعمرين متقاربين وعلى صدرها طفل يمص اللبن من ثديها وهو بعمر  
السنة أو اكثر قليلاً ، فتشكو هذه المريضة أمامي من أمور شتى إلا من  
الحبل ، فينبري زوجها ويقول لزوجته يزجر :  
- انت اسكتي  
ويلتفت تجاهي ويقول :  
- هذه عبيدتك تستحمني تقول لك الذي نريده ، والصلق هي تريد فريخ .  
لان عبيدك ( حسوني ) صار عمره سنتين تقريباً ولم تحبل .

- و ذات يوم دخلت عيادتي فتاة مثل وردة الربيع في أوج روعتها .  
 وكانت تبدو غير موسرة إلا انها غنية في جسمها وروحها .
- اسمك يا ابنتي ؟
  - سكيئة .
  - عمرك ؟
  - واحد وعشرين
  - انت من اي مكان ؟
  - من النجف
  - متزوجة ؟
  - نعم متزوجة منذ سنتين
  - ألك أولاد ؟
  - كلا لم أنجب ، وزوجي يريد ولد
  - فقلت لها ملاطفاً
  - واذا حملت بنتاً
  - فاجابتنني بامتعاض
  - لا تقولها ، رجلي يريد ولد
- وفي مثل هذه الحالة اسأل المريضة : هل لها ضرة ؟ وفيما اذا كان  
 لزوجها ولد أو بنت من زوجة أخرى ، فاجاتني
- لي ضرتين . وله من أحدهما ولد وثلاث بنات ومن الثانية ولدين وبنتين .
  - ( ثم اردفت ) وكانت له زوجة أخرى لم تنجب منه فطلقها .
- وسألتها اسئلة طبية أخرى ثم طلبت منها ان افحصها كما يجب ان يكون  
 الفحص النسائي ، فرفضت ثم اذعنت على ان يخرج زوجها من غرفة  
 الفحص ، وما كاد زوجها يخرج من غرفة الفحص حتى انحنت لتقبل يدي  
 وهي تقول :
- عمي أبوس ايدك ، أريدك تفهمه
  - افهمه ماذا يا ابنتي ؟
  - فاجابتنني باستحياء شديد
  - هو يلح عليّ بالفراش ، ويؤذيني ، قل له يرحم والديك ان ذلك يمنع
  - الحبل .

وحيدذاك عرفت سبب الحاحها باخراج زوجها من غرفة الفحص .  
وفحصت هذه المريضة فلم أجد سريراً ما يدل على عجزها عن الانجاب .  
وطلبت زوجها لاراه ، كان بالتأكيد قد تعدى العقد السادس من عمره ،  
خشن الملامح متين الجسم داكن السحنة ، وقيافته نجفية ، لا أخطيء  
تشخيصها من شكل عقاله ووضعه على يشماغ رأسه . وبادرني قبل ان  
أكلمه .

- شنو السبب يادكتور؟

فوجدت من هذا السؤال فرصة لاقول ما طلبته مني زوجته فقلت له :  
- لم أجد سبباً يجب معالجته ، وتأخر الحمل له اسباب كثيرة قد يكون  
منها كثرة الجماع ، فلا تكثر منه . وصمت لحظة ثم سألتني  
- هي أخبرتك ؟

فكذبت عليه وقلت له :

- هي لم تقل لي شيئاً عن ذلك ، ولكن هذه نصيحتي للزوج في مثل حالة  
زوجتك

- ولكن كانت هذه عاداتي مع زوجاتي .  
فقلت له :

- هذه نصيحتي لك يا أخي .

قلت ذلك وأنا لا أومن به وغادر ذلك الزوج وهو أيضاً غير مقتنع بنصيحتي

### مع الاستاذ هاشم الوتري وكتاب القانون لابن سينا / ١٩٥٩

بدأت أميل الى دراسة تاريخ الطب العربي منذ باكورة أيامي بعد  
تخرجي في كلية الطب ، واعزو هذا الميل المبكر الى استاذي في الطب  
النسوي الدكتور وليم ديفر كندي كما كان للاستاذ هاشم الوتري اثر في  
متابعاتي لما كتب في هذا الموضوع ، وهو الذي نصحني بشراء الكتاب  
القانون لابن سينا ( طبعة روما ) ، وسوف اعود الى الكلام عن هذا  
الكتاب في ما يأتي .

وكننت في لقاءاتي مع الاستاذ الوتري كثيراً ما اثير معه أحد  
المواضيع في الطب الحديث أو القديم . وفيما كنا نتحدث عن صفات



الطبيب المسلم ( اي من عاش في العصور الاسلامية دون اعتبار لعقيدته وعرقه ) فقال الاستاذ الوترى ان العرب تطلب من الطبيب ان يكون من عائلة شريفة ، حسن الصورة ، فتي العمر ، حلو الحديث ، عالماً باكثر العلوم والفنون حتى يلعب الشطرنج . ثم قال وهو يبتسم ان هذا الوصف غير كامل ، فسألته :

- اي شيء ينقصه يا استاذي ؟

فأجابني وهو يوسع فمه لابتسامة خفيفة

- ارى ان يكون الطبيب ذا صلعة واسعة ، ومصاباً بالبواسير .

فاستغربت من هذه الاجابة وسألته :

- وما العلاقة بين الصلع وممارسة الطب ؟

فأجابني والابتسامة ما زالت تمط شفتيه

- ان الصلعة الواسعة ، وبخاصة في الليل وهو الوقت الذي كثيراً ما

يستدعى فيه الطبيب لعيادة مريض في حالة مرضية عارضة ، في هذه

الحالة يتجمع ( البرغش ) على صلعته فيرفع الطبيب يده ويمر بها على

صلعته ليطرد البرغش عنها فيعتقد المريض انه بهذه الحركة يشحذ

دماغه بمعرفة طبيعة مرضه وأفضل علاج لها

فحسبت أن في هذا الجواب دعاية ، فسألته :

- ولماذا يجب ان يكون مصاباً بالبواسير ؟

فأجابني :

- ذلك لان المصاب بالبواسير ، يكون لكثرة ما ينزف من الدم بوجه جدي ،

قلق ، فيعتقد المريض انه مهتم بأمره وهو لا يعرف انما اهتمامه وقلقه

بسبب بواسيره . ثم تحول الاستاذ الوترى الى الكلام عن الامراض

النفسية والعقلية كما وردت في التراثيات الاسلامية ، وقال لي :

- ان ابن سينا قد ألم بهذا الموضوع ( ثم اضاف ) ان كتابه القانون هو

خير ما كتب في هذا الموضوع وفي الطب عموماً ، ( واطاف )

- اذا كنت مهتماً بالتراث الطبي فهذا الكتاب يغنيك عن الكتب الطبية

الآخري . ( وسكت برهة واستأنف حديثه ) يقول ان على عتبة مدخل

جامع الخلاني رجل عجوز يبيع بعض الكتب القديمة من بينها كتاب

القانون ( طبعة روما الحجرية ) ، وهي طبعة نادرة ليس في العراق منها

- على علمي - إلا بضع نسخ واحدة منها في مكتبتي الخاصة وأخرى في كلية الآداب بجامعة بغداد .

ونذهبت في ظهر اليوم التالي الى مدخل جامع الخلائي لاشتري الكتاب ، وعلى دكة مبنية باللبن والطين رأيت رجلاً في السبعين او اكثر من عمره ، منحني الظهر ، يلف على رأسه عمة حول طربوش احمر بلا حصر تحته ، ويقعد على حشية خفيفة على طرف من الدكة وعلى طرفها الآخر كومة من الكتب القديمة يعوز بعضها قليلاً أو كثيراً من اصفحات الاول أو الأخيرة ، وسألت هذا الرجل عن كتاب القانون ، فأشار بيده الى كومة الكتب وهو يقول لي :

- اشتريته قبل ثلاثة ايام ، وما هو ذاك

وتناولت الكتاب ودفعت له المبلغ الذي طلبه وزيادة وقلت له :  
- أنا اسمي كمال السامرائي واعمل في قسم النسائيات بمستشفى المجيدية ( الملكي ) ، فان احتجت الى مساعدة طبية في هذا المستشفى فلا تتردد في ان تطلب مني أية خدمة طبية في المستشفى .

وحملت الكتاب بيدي وغادرته . وبعد ثلاثة أيام دخل غرفتي ذلك البائع ويده كامل ما اعطيته لقاء شراء كتاب القانون ، وهو يقول بتوسل :

- يا ابني هذي فلسك ، عذما ، وأنا اريد كتابي فاستغريت من طلبه ، وخصر ببالي ان ثمة من يدفع له اكثر مما دفعت ثمناً للكتاب ، فقلت له :  
- يا عم ان البيع قد تم شرعاً وعرفاً ، ومع ذلك ماأنا أعطيك ما تريده زيادة على ما دفعته اليك .

فقال لي برجاء واستعطاف :

- لا يا ابني ، أنا لا أبغي زيادة ، بل أريد الكتاب .  
ولما رأيت منه تصميماً على استرجاع الكتاب ، دفعتني مروعتي ان اعيدته اليه ، وقلت له :

- احتفظ يا عمي بالمبلغ وسوف أحمل الكتاب اليك بعد ظهر هذا اليوم واسترجع المبلغ منك .

فنظر الرجل كمن لا يصدق بما اقول فقلت له .

- صدقني يا عمي وكن على ثقة انني سأعيد الكتاب اليك ، فشكرني

وغادر غرفتي . وحملت الكتاب في الساعة الثالثة بعد الظهر لأعيده الى هذا الرجل فلم أجده في مكانه عند باب الجامع ، وعدت في اليوم الثاني فلم يكن هناك ايضاً وفي اليوم الثالث لم ارتح الى عدم وجوده ، وكان قريباً من مكانه حانوت صغير كأنه حفرة في كهف وكانت فيه امرأة تلبس السواد ، وسالتها عن الرجل الذي يبيع الكتب عند مدخل الجامع ، فاذا هي تستغرب من عدم مجيئه في هذه الايام الثلاثة ، فرجوت منها ان تخبره بأنني وانا ( فلان ) قد جئنا الى محله ثلاث مرات والكتاب معي

وركبني الالم إذ لم أحقق له ما طلبه منى قبل وفاته ولما ينست من مقابلة الرجل ، عدت الكتاب امانة عندي الى ان يجيء يوماً ما ويأخذه ، وحرصت على المحافظة عليه اكثر مما لو كان ملكي . وطلبت من الطبيب المقيم الدكتور ( جون ) في مستشفى السامرائي ان يخط على كعب الكتاب عنوانه واسم مؤلفه ، وكان جون يحسن الخط بانواعه ، وهو من عائلة فتانة ، فالأب يجيد الضرب على العود ، والابن الاكبر على الكمان ، والابن الثاني فنان في الرسم والنحت ، وأخته بيانست ممثلة ، وحفلات عائلة أبي جون البيئية بهذا التكوين ممتعة رائعة .

وأخذ الدكتور جون الكتاب الى بيته ليعمل فيه ما طلبته منه وبعد يومين ، دهشت حين دخل الدكتور جون الى عيادتي وليس في وجهه دم من فرط الفزع ومن خلفه شرطي يحاول مسكه من بافته ، ولحسن الحظ كنت اعرف هذا الشرطي منذ كان في مخفر شرطة المستشفى الملكي ، وحرب من اسأل عما حدث ، الدكتور جون ام الشرطي ، فسالت كليهما :

- ما الخبر افهموني ؟

فاجابني الشرطي .

- ان هذا الشاب أجنبي وقد أمرني الضابط ان اقبض عليه .  
وجون قريب الشبه جداً من الهنود في لونه وهيبته فقلت للشرطي - دكتور جون عراقي وهو الطبيب المقيم بهذا المستشفى ، وفي هذه اللحظات دخل عيادتي ضابط شرطة ، فزاد اضطراب جون ، وطلبت منه ان يهدأ ويخبرني بما حدث فقال :

- كنت اسوق سيارتي في طريقي الى المستشفى واهتزت مسرعاً سيارة

نجدة الشرطة التي يسوقها هذا الرجل ( وأشار الى الشرطي ) وأبينهم يحدقون نحوي بغضب فأسرعت لأصل الى المستشفى ، فإذا سيارة النحدة تسرع هي الأخرى وتحاول اجتيازي ، فأسرعت أكثر لاتخلص ممن فيها ، فإذا هم يلاحقونني فخفت منهم وأسرعت أكثر منهم . وكانت محاكمة المهداوي في تلك الأيام نحاكم الكليزيأ بتهمة ابتجسس فاشتبهوا بجون ان يكون من الفئة التي يطاردونها وكان ضابط الشرطة متفهماً فاقتنع بصدق ما قلت له وخصوصاً بعد ان قلت له : أنني ساكم وزير الصحة اذا قررتم أخذه للتحقيق ، وكان وزير الصحة الدكتور محمد صالح محمود زميلي وصديقي في الدراسة الثانوية وفي كلية الطب ، وارتاح جون حين غادر ضابط الشرطة فسألته عن كتاب القانون الذي وعدني أن يجيء به في هذا المساء فقال لي :

- انه من فرط خوفه من الشرطة الذين كانوا يلاحقونه بسياراتهم إستدار بسيارته فجأة ليدخل المستشفى فجنحت السيارة على جانبها في الساقية التي عند باب المستشفى ، فأسرعت اخرج منها قبل ان تصل الشرطة ، والكتاب بداخل السيارة ، فأسرعت الى السيارة التي سقطت على

جنبها في ماء الساقية ، فإذا الكتاب فيها ، فالتقطته منها وغادرت المستشفى الى بيتي دون اهتمام كبير أو قليل بسيارة جون ، وفي البيت صرت أقلب أوراق الكتاب ورقة ورقة أمام مروحة كهربائية تدفع هواء ساخناً على صفحاته ، ساعات طوال من الليل حتى جفت أوراقه غير ان أثر الماء بقي واضحاً في كثير منها على ان حبر الكتاب للغرابة لم يبشر أكثر من حدود الكتابة ، فأية مادة استعملت في هذا الحبر ليحفظه من الانتشار كما يحدث في الحبر الذي نستعمله حالياً وأي ورق يبقى بمثانه ورق هذا الكتاب الذي طبع قبل أكثر من اربعمئة عام ١٩

وبعد بضعة أيام نقلت الى الاسناد النوري حكاية ما طرأ عليه بعد ان سقط في مياه الساقية وأصابه من البلل والتلف .

فابتسم الاستاذ الوتري وقال لي :

- أصبح الكتاب لا يشك أحد في قدمه .

## الدكتور كلى / ١٩٥٩

انحى بحق بكه الطب ببغداد جراح اسنراي اسمه ( كلى ) . وكان له خبره وسمعة جيدة في جراحة أمراض الصدر . وفي احدى مقابلاتي معه في المستشفى الملكي عرض عليّ ان يستغل في مستشفى السامرائي يومين في الاسبوع . فاحلب طلبه الى الدكتور ( عبد الله العنيزي ) بوصفه مديرا للمستشفى . وتشاورا بهذا الامر . ورحب الدكتور العنيزي بالفكرة . وخصص له مكتباً في المستشفى لاستقبال مرضاه . كما رفع على جدار المسكن لافنة باسم الدكتور كلى مشفوعة بما يحمل من شهادات في الامانة . وبعد بضعة أشهر وصلت رسالة من الجمعية الملكية للجراحين في لندن ( وهي الجمعية التي ينتمي اليها الدكتور كلى ) الى استاذ الصحة العامة الدكتور ( كرجلي ) بكية طب بغداد . تطلب منه ان يتحرى أمر اللافنة التي تحمل اسم الدكتور كلى وفيما اذا اعلن فيها عن اختصاصه بالحروف الاولى من شهادته . وارغب الدكتور كلى عندما علم بخبر هذه الرسالة . وما كنا نعرف يومئذ سبب اضطرابه وخوفه من محبوباتها الى أن أخبرنا هو بنفسه ان الاعلان الموسع عن شهادات الطبيب بعد في نظر الجمعية البريطانية واسطة إعلامية لا نجيزها الجمعية . وحين استدعاه الدكتور كرجلي للتحقيق معه بخصوص اللافنة التي تحمل اسمه وعذارى شهادته أشرنا على كلى ان يدعى ان اللافنة وضعت من قبل ادارة مستشفى السامرائي . وقد كتبت باللغة العربية التي لا يعرفها . وقبل كرجلي هذا العذر على ان ترفع من اللافنة عبارة الاختصاص التي كتبت بعد اسمه .

والاصاء في انجلترا لا يضعون على ابواب عياداتهم إلا قطعة صغيرة من الحجر او الخشب . ولا يكتبون عليها إلا اسمهم دون اسم اختصاصهم أو الحروف الاولى من شهاداتهم .

ومع ذلك حلت هذه المشكلة السلوكية التي يتمسك بها الطب الانكليزي . وفي يوم كنت والدكتور كلى نتناول الشاي بمستشفى

السامرائي . وببسط كل منا في حديثه . وقال لي الدكتور كلى :  
- أنا أحببت بلدكم العراق ياكمال ، ساكون سعيداً لو عشت فيه ما بقي  
لي من العمر .

ثم سكت قليلاً ليقول :

- أنا أفكر بالزواج من عراقية ، لو كان ذلك ممكناً .

وفوجئت بهذه الفكرة ، وسألته :

- وهل خصصت واحدة بالذات ؟

وسمعت منه مفاجأة أخرى ، هزتني أكثر من الأولى : قال :

- هي الدكتورة ( أ . س ) التي تعمل في شعبتك بالمستشفى الملكي  
( وتابع يقول ) ، واعتقد هي بمثل عمري أو تجاوزت الخمسين ، وقد ترى  
في عرضي فرصة لا تفوتها .

- هل فاتحتها ؟

- ليس الى اليوم .

- كن صريحاً معها ، واخبرها كل شيء عن نفسك وعن أقاربك ، وثروتك ،  
واين ستكون اقامتكما بعد الزواج .

- طبعاً ساكون معها صريحاً وصادقاً . فليس لي أقارب يرثونني ، ولي بيت  
في ( سدني ) وبيت آخر في نوتنكهام ، وثروة من الباونات والدولارات في  
بنوك إنكلترا . . وتوقف قليلاً ثم قال :

- انني يا كمال أصبت بسرطان الأمعاء وأجريت لي عملية قبل اربع

سنوات ولا يبدو انه سيعود ، فهل يجب أن أذكر ذلك لها ؟

كان الجواب السريع مني تبعاً لتصيحتي له ان يخبرها بكل جوانب

حياته ، غير اني سرعان ما رحت أغور في أعماق تفكيره ، فقد يكون ذكر

مرضه يغريها في الحصول على ثروته على عجل لتقبل به زوجاً لها ، وقد لا

يكون ذلك في تفكيره ، ومع ذلك قلت له محتاطاً :

- لعلمك انها مثلك ثرية ، وثراؤها موروث من جدها الذي كان ذا خطوط لا

حدود لها من السلطان العثماني عبد الحميد ، فحصل منه على ارض

شاسعة ودور ومزارع ولا تزال كلها ملكاً لاهل هذه الطيبة . وبعد لحظات

اهزل عني كلى في تفكيره ثم قال لي سأجرب ياكمال ، فقد ترضى بي زوجاً ،

وحيثذاك تسافر في نهاية هذا الشهر ، فتكون هذه نهاية أيامي في العراق  
بزواج كنت ادفعه عني الى هذا اليوم ، وقد لا تسافر اذا رغبت عنه  
ورأيت الدكتور كل في اليوم التالي فلم يعد الى ذكر موضوعه في الزواج  
من الدكتورة ( س ) ، ولم يعد اليه في اي يوم بعد مغادرة العراق بعد شهر  
أو نحو ذلك .

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث

طبع في مطبع دار السور - بغداد - العراق



طباعة ومطبع  
دار الطبعون الثقافية العامة، كابل، جمهورية

مطوق الطبع مطبوعة

تضمنون جميع المراسلات

بمقام المسجد رئيس مجلس الإدارة

المسؤول

المسؤول - بشاره - اعظميه

من ب . ٤٠٣٢ - تلخيص ٣١١١٣ - هاتف ١١٣٦٠١١



Twitter. @sarmed74

المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي - Sarmed

Telegram: [https://t.me/Tihama\\_books](https://t.me/Tihama_books)

قائما على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

٢٠٢٠ شيراز حبيب شيرازي

أستعرت الكتاب من مكتبة المهندس  
محز الدين بكر الراوي رحمه الله الى

وزارة الثقافة والإعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

السعر : ( ٥٠٠ ) دينار



الغلاف : ابراهيم عبد الرزاق

بغداد - ١٩٩٦

طبع في مطبع دار الشؤون الثقافية العامة

## فهرس موجز للجزء الثاني

الصفحة	المقالة
5	ممارسة الطب بعد التخرج 1941
11	اثناء حركة رشيد عالي 1941
18	الاستاذ سندرسن مشاور في وزارة الصحة 1941
19	الدكتور هاشم الوتري عميد كلية الطب 1941
30	زيارة الى سامراء 1942
36	لورد مورن في بغداد
44	أول عملية جراحية في مستشفى أهلي 1943
49	رأيت [عدالة] الله بعيني 1943
52	الراقصة م سعيد 1943
70	الى مؤتمر اتحاد الاطباء العرب 1943
89	جاموسة ثائرة في المستشفى 1943
90	لص ذي 1943
92	في مقهى خليل 1944
107	حالة مرضية غريبة جداً 1944
113	بير طبيلة (العائلة اليهودية) 1944
125	وسام الاستقلال من الامير عبد الله بن الحسين 1945
129	سندرسن يستقيل ويغادر العراق 1946
152	اعلى اجر عن عملية في حياتي 1948
159	علاقتي بالسيد صالح جبر
165	دعوة في بيت مولود مخلص
167	في لبنان ومقلب مع صديق 1950
172	مستشفى السعدون ثم مستشفى السامرائي
175	مستشفى السامرائي
181	السفرة الأولى الى اوربا 1950

191	الأيام الأخيرة من حياة الملكة العالية
193	مقابلة الملكة المريضة
200	عبد الاله يدخن بكثرة ويشرب الوسكي حتى تفتفخ جفونه
211	الأميرة بديعة ومولودها البكر 1950
217	فاة الدكتور توفيق رشدي 1951
219	حمى مالطا ومانسون بار 1951
222	التهاب في أذني 1952
224	توأم مقفل 1952
226	معنى السعادة البيتية 1952
228	هدية ثمينة جداً من الوزير المفوض بالسفارة الايرانية 1953
230	قبول عناد 1953
232	مستشفى الشفاء 1953
233	مقبل وقعت فيه 1954
235	نوط انقاذ بغداد من الغرق 1954
236	الدكتور يعقوب وذن يقلع ضرسه 1954
239	وادي شعيب في الأردن 1954
241	الشيخ عبد الله الصباح الكويتي 1955
244	صديقة الملاية والملا البصير 1955
248	كرين ارميتاج 1955
250	السيد خرموش وزوجته 1955
253	كتاب دعوة الأطباء لأبن بطلان (وزوجة فاضل الجمالي)
255	في مقهى فينوس بحمدون
257	طالب شيوعي في الامتحانات النهائية بكلية الطب 1955
262	في بون عاصمة المانيا الاتحادية 1956
267	في كوبنهاغن 1956
274	الفنان نجاح سلام 1957

284	مزاحم الباجة جي وسعيد قزاز 1957
295	في كندا 1958
308	ثورة سنة 1958
314	المحكمة العسكرية العليا لمحاكمة رجال العهد الملكي
315	فاضل المهداوي وغازي الداغستاني في مستشفى السامرائي 1959
316	سعيد قزاز بين أفراد عائلته في ساعاته الأخيرة
318	عبد الكريم قاسم جريح في مستشفى السلام 1959
322	حديث مع شيوعي في فيينا 1959
326	الى البارك الوطني ومثلان من الانسانية والرحمة
331	في بيت الأميرة بدية بيروت 1959
340	بداية لم أتمن لها نهاية 1959
343	حفار قبور 1959
345	مع الاستاذ هاشم الوتري
350	الدكتور كلي 1959
تنويه: هذا الفهرس الموجز ليس من أصل الكتاب ؛ وإنما أعدته تسهيلاً للوصول الى رؤوس المواضيع . م. سرمد حاتم شكر السامرائي	